تقريب القرآن

إلى الأذهان

آية الله العظمى الإمام

السيد محمد الحسيني الشيرازي

(أعلى الله مقامه)

المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحیم

تقريب القرآن الى الاذهان

كاتب:

محمد الحسينى الشيرازى

نشرت فى الطباعة:

ايمان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
تقریب القرآن الی الاذهان المجلد ۱ ----- ۷
اشارة ----- ۷
المقدمة ----- ۷
اشارة ----- ۷
کیفیّة الإعجاز ----- ۹
الإعجاز لغة و اصطلاحا ----- ۱۱
بعض مزایا القرآن الکریم ----- ۱۲
الشیعة و الاهتمام البالغ بالقرآن الکریم ----- ۱۴
القرآن و أهل البیت علیهم السّلام ----- ۱۶
أهل البیت علیهم السّلام عدل القرآن ----- ۲۱
فیمن نزل القرآن ----- ۲۱
لمحة تأریختیة عن علوم القرآن ----- ۲۵
بعض مفسّری الشیعة ----- ۲۹
علم التفسیر أساس علوم القرآن ----- ۳۱
أنواع التفسیر ----- ۳۳
الطریقة الجدیدة فی تفسیر القرآن الکریم ----- ۳۴
القرآن یفسّره الزمان ----- ۳۵
هذا التفسیر ----- ۳۷
السید صاحب التفسیر أعلی اللّه مقامه ----- ۴۰
المصادر ----- ۴۹
مقدمة ----- ۵۱
المدخل ----- ۵۱

کتاب کل عصر و مصر ----- ۵۱

تطبیق الفکر و العمل علی القرآن ----- ۵۵

فلسفة کاملة عن الحیاة ----- ۵۷

۱ سورة الفاتحة مکیة- مدنیة/ آیاتها (۷) ----- ۵۹

۲ سورة البقرة مدنیة/ آیاتها (۲۸۷) ----- ۶۰

۳ سورة آل عمران مدنیة/ آیاتها (۲۰۱) ----- ۱۴۲

۴ سورة النساء مدنیة/ آیاتها (۱۷۷) ----- ۱۹۶

۵ سورة المائدة مدنیة- آیاتها ۱۲۱ ----- ۲۶۳

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۹۹

تقريب القرآن الى الاذهان المجلد ۱

اشارة

سرشناسه : شیرازی، محمد
عنوان و نام پدیدآور :تقریب القرآن الی الاذهان/ محمد شیرازی
مشخصات نشر : قم: ایمان، [۱۳؟؟].
مشخصات ظاهری : ۱۶۸ ص.
عنوان دیگر : تقریب القرآن الی الاذهان
موضوع : تفاسیر شیعه
موضوع : تفاسیر -- قرن ۱۴
رده بندی کنگره : BP۹۸/ح۴۶ت۷۰۴۲۱۵ ۱۳۰۰ی
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹
شماره کتابشناسی ملی : م۶۵-۲۱۷۶

المقدمة

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أنزل القرآن و جعله شفاء و رحمة للمؤمنين، و الصلاة و السلام على أشرف الخلق و سيّد الأنبياء و المرسلين، سيّدنا و مولانا أبى القاسم محمّد و على آله الغرّ الميامين أهل بيت الوحى، و موضع الرسالة، و مختلف الملائكة، و مهبط الذكر و التنزيل، خزّان العلم، و منتهى الحلم، و أصول الكرم، و قادة الأمم، و أولياء النعم، و عناصر الأبرار، و دعائم الأخيار، و أبواب الإيمان، و أمناء الرحمن، و سلالة النبيّين، و صفوة المرسلين، و عترة خيرة ربّ العالمين.

و بعد:

فحيث إنّ الحكمة الإلهيّة اقتضت أن يكون الرسل بشرا يوحى إليهم كانت الحاجة إلى آيات و دلائل تبيّن صدقهم فيما يبلّغون عن ربّهم، و يهدون، و يعلّمون. من هنا كانت المعجزة قرينة الرسالة، و لو لا المعجزة لأشكل الأمر على الناس، و خالط الشكّ اليقين، و التبس الصدق و الكذب، و بالتالى تشوّشت أفكار الناس فى تمييز الصادق من الكاذب، و النبىّ من المنتحل.

و من هنا فإنّ الظاهر أنّه لم يرد لفظ المعجزة كاصطلاح إلّا فى الفترة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۶

المتأخّرة عن رسول الوحى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد نزول القرآن، و إنّما عبّر عنها فى الآيات و الروايات بالآية تارة قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ «۱» و بالبيّنة تارة قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ «۲» و بالبرهان تارة ثالثة فَذانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ إِلى فِرْعَوْنَ «۳» و بالسلطان رابعة فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِينٍ «۴» لما فى هذه الألفاظ من اندماج بين وحى اللفظ و بصيرة العقل و قوّة الحجّة و منطق البرهان، فتحاكى وجدان الإنسان و قلبه و عقله و فطرته و بصره و بصيرته بما يقطع أمامه سبل الشكّ، و يزيح ظلمات الوهم.

فالآيات علائم و دلالات ظاهرة، كما أنّ دلالاتها واضحة سواء كانت دلالة عقليّة أو حسيّة، و البرهان إظهار للحجّة بموازين العقل و

الحكمهٔ، و هو أوكد الأدلّهٔ المحفّزهٔ لكوامن الصدق و التصديق؛ لذلك يقتضى الصدق لا محالهٔ، و السلطان لما فيه من سلطنهٔ و هيمنهٔ على القلب و العقل تدعو إلى الإيمان، و تدفع الشكوك و الأوهام، و لا يبعد أن تكون الآيهٔ لعموم الناس؛ لأنّ الحب طريقهم إلى الإيمان و اليقين غالبا، و البيّنهٔ فى مواقع إظهار ما يخفى على الناس معرفته، و البرهان لمن كان من أهل العقول و الأفكار، و السلطان لتسلّطه على أهل العلم و الحكمهٔ من الناس. هذا من حيث خصوصيّات كلّ لفظ منها.

و أمّا من حيث الهدف و المضمون فالجميع يشترك فى تصديق النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و تثبيت حقّانيّهٔ دعواه، و استقامهٔ طريقه، و صحّهٔ أهدافه و نواياه.

و لعلّ من هنا اتّفقت الكلمهٔ على انحصار طريق معرفهٔ صدق دعوى الأنبياء عليهم السّلام بظهور المعجز على أيديهم كما يظهر من أقوال المحقّقين كقولهم: «و طريق معرفهٔ صدقه ظهور المعجزهٔ على يده». «۵»

(۱) الأنعام: ۱۱۰.

(۲) الأعراف: ۷۴.

(۳) القصص: ۳۳.

(۴) إبراهيم: ۱۱.

(۵) تجريد الاعتقاد: ۲۱۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۷

و عليه فإنّ طريق التصديق بالنبوّهٔ و الإيمان بها ينحصر بالإعجاز الذى يظهره النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شاهدا مطابقا لدعواه.

و لعل هذا هو المرتكز فى أذهان البشر و فطرهم كسبيل قد يعد وحيدا، أو الأكثر قوّهٔ، و الأسرع أثرا فى التصديق و الإيمان؛ و لذا كان أوّل نداء يطلقه الكافرون فى مواجههٔ دعوات الرسل و الأنبياء عليهم السّلام هو المطالبهٔ بإظهار الآيات و المعاجز، و كلّ قوم كانوا يطلبون من رسولهم ذلك حتّى و إن أقرّوا بغيره من الأنبياء السابقين.

قال تعالى: بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ «۱».

ففى الوقت الذى أثبتت الآيهٔ التقارن التامّ بين رسالات الرسل و الآيات البيّنهٔ كشفت عن إيمان اللاحقين بدعوات السابقين حتّى و إن كذّبوا من أرسل إليهم من الأنبياء، فطالبوهم بإظهار الآيهٔ.

و كانت هذه الآيات هى الحجّهٔ التى تنهض للمطالبين الصادقين فى دعواهم لجذبهم إلى الإيمان، كما تثبت على المعاندين لو أصرّوا و ظلّوا فى غيّهم يعمهون.

و لعلّ ممّا يشهد لذلك آيات متضافرهٔ فى الكتاب العزيز، بعضها يثبت وقوع الإعجاز مقارنا لدعوى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و بعضها يبيّن نوع الإعجاز و تفاصيل حدوثه.

و ربّما يعدّ من الأولى قوله سبحانه: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ «۲».

فهى فى الوقت الذى تثبت دلائل الأنبياء الكافيهٔ فى اليقين و الإيمان

(۱) الأنبياء: ۶.

(۲) الروم: ۴۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۸

تهدّد المنكرين الذين عاصروا الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عايشوه بمصير يشبه مصير السابقين فى مواقفهم من الرسل، و قد جمعت هذه الآيات مع الآيات التى فى سياقها قبلا و بعدا بين الدلائل المادّيّهٔ و المعنويّهٔ، فحيث تحدّثت ما قبلها عن آيهٔ الرياح و ما لها من آثار هامّهٔ و نافعهٔ تقوم عليها حياهٔ الناس حيث إنّها:

١- تأتى لهم بالسحاب المثقل بالغيث الذى يسقى الأرض العطشى، فينبت رزقهم و كلأ مواشيهم.

٢- توازن حرارهٔ الجو فتعطيهم برودهٔ فى المناطق الحارّهٔ و دفئا فى الباردهٔ.

٣- تنقى الهواء و الفضاء من الأوبئهٔ و الغازات الضارّهٔ.

۴- تلقح الأشجار فتعطى ثمارها، و الأزهار فتعطى أريجها و جمالها، و تنشر البذور من البيادر إلى الأراضى الجرداء فتغدو خضراء ممرعهٔ ترعاها الأغنام و المواشى، و تضفى على الحياهٔ بهجهٔ و روعهٔ.

۵- تحرّك الفلك و السفن فى البحار و الأنهار فتربط بين البشر، و تجمع بين حاجاتهم و احتياجاتهم فيتكافلون و يتكاملون و يتعاونون ..

و غيرها من آيات و براهين و دلائل تقوم عليها حياهٔ الناس، و تدلّ على سعهٔ رحمهٔ اللّه عزّ و جلّ و عميم فضله و خيره و عظم بركته؛ و لذا قال سبحانه بعدها: وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «١».

و أمّا الدلائل المعنويّهٔ التى هى أيضا من آثار رحمهٔ الله و خيره و بركته فقد جاءت مقارنهٔ لتلك لتشمل كلّ جوانب الإنسان، و تسدّ كلّ احتياجاته الجسديّهٔ و الروحيّهٔ؛ إذ لا يكفى الإنسان أن يعيش ناعما، يبات شبعانا،

---

(١) النحل: ١۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٩

و يغدو وفيرا رويا، فإنّ ذلك مهما بلغ و كثر و لذ و طاب لا يسدّ حاجاته الأكبر و الأوسع فى تحقيق الآمال، و اللهفهٔ إلى النجاح فى مختلف شؤون الحياهٔ، بل لو لا الأمل و النجاح يصبح نهار الإنسان ليلا، و حلوه مرّا؛ لقصور الدنيا بما فيها من شهوات و غرائز و لذات و مطائب عن إشباع روح الإنسان و عقله و فكره، فحتى تتمّ النعمهٔ و تكتمل الحجّهٔ و يتمّ البرهان كان لا بدّ من إشعال و قدهٔ الأمل فى قلبه، و إنارهٔ طريقه على المستقبل و الغد الناجح الوفير، فقال سبحانه: وَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ «١».

و على خلاف ذلك ما سيلاقيه الكفّار المعاندون من أيام شديدهٔ و ساعات سوداء مدلهمّهٔ، و منها قوله تعالى: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ «٢» و المستفاد منها هو أنّ لكلّ رسول و نبىّ آيهٔ قد أحكمها الله تعالى و تولّاها بالحقّ و الصدق و الثبات فى الموقف و الغايهٔ، يمتنع عنها الريب، و لا تخالجها شكوك الشيطان و تشكيكاته، و هذه أيضا تضمّنت آيات الظاهر و الباطن، فالأولى تنسف خطط الشيطان، و تعود بالناس إلى الإيمان، و الثانيهٔ تطمئن الرسل بمستقبل مشرق يعيش الناس فيه الإيمان بأصنافه و شعبه.

---

(١) الروم: ۴٨.

(٢) الحج: ۵٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٠

كيفيّهٔ الإعجاز

و من الثانيهٔ: آيات متضافرهٔ أيضا شرحت بوضوح و دقّهٔ و عمق كيفيّهٔ الإعجاز و أنحائه لعل منها:

١- قوله سبحانه: وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ «١» و هى اليد و العصا، و الحجر، و البحر، و الطوفان، و الجراد، و القمل، و الضفادع، و الدم دلائل خارقة ظاهرة.

٢- قوله تعالى: وَ رَسُولًا إِلى بَنِى إِسْرائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ «٢».

٣- قوله تعالى: وَ إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً. «٣» ٤- قوله تعالى: وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ «٤».

٥- قوله تبارك و تعالى: قُلْنا يا نارُ كُونِى بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ «٥» و غير ذلك من الآيات الدالّة على أنّ الله تعالى قد نصر أنبياءه عليهم السّلام بالمعجزة، و لم يوكل عموم الناس الذين يقنعهم بالإيمان عادة الشاهد

---

(١) الإسراء: ١٠٢.

(٢) آل عمران: ٥٠.

(٣) الأعراف: ٧٤.

(٤) سبأ: ١٣.

(٥) الأنبياء: ٧٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ١١

المادى الظاهر على صدق الأنبياء أكثر من قدرتهم الروحيّة و حالاتهم المعنويّة و العقليّة؛ لأنّ هذا قد لا يدركه عموم الناس كما لم ينحصر لطفه عزّ و جلّ بإخبارات النبىّ السابق عن ظهور نبىّ فى اللاحق، و ذكره لعلامات النبوّة و سيماء النبىّ القادم؛ و ذلك لأنّه حتى لو وصلت هذه الإخبارات و العلامات للأمم اللاحقة على نحو التواتر إلّا أنّها قد لا تلزم من لا يتديّن بدين أصلا، أو لا يعتقد بنبوّة ذلك النبىّ، فلا تتمّ الحجّة عليه.

و لعلّ قوله سبحانه فى سورة الحديد: لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ «١» يحاكى أصحاب العقول المتفتّحة و الآراء المتطلّعة لجمع الدين بالدنيا و الفكر و التطبيق حتّى فى مثل مجالات السياسة و الاجتماع و الاقتصاد و نحوها، حيث جمعت بين ثلاثة دلائل واضحة تشكّل العناصر الأساس لقيام أى مجتمع و دولة، و هى:

١- البيّنات كحجج على الإيمان ٢- الكتاب كحجّة على التقنين و التنظيم ٣- الميزان كحجّة على التطبيق و الممارسة مادّيا و معنويّا.

و من الواضح أنّ كلّ دولة و أمّة تقومان على العقيدة و النظام و السلطة، و يجمعهما الهدف المشترك، و هو العدل، ثم يأتى بعد ذلك الحديد و القوّة لحمايتهما من الاستهانة أو الاستلاب، و بهذا يبنى الأنبياء عليهم السّلام حضارة إنسانيّة رائعة يسودها الأمن و السلام، و يحكمها العدل و النظام فى شتى المجالات، و قد جمع هذه جميعا القرآن الكريم، فاحتوى كلّ رسالات الأنبياء و أهدافهم، فوصفه ربّه و منزّله:

---

(١) الحديد: ٢٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ١٢

إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ «١» و وصفه من حمله و بلّغ به و بشّر: «هو الدليل يدلّ على خير سبيل» «٢» ..

و بالتالى فإنّ كلّ حرف و كلمة و جملة و آية و سورة بل كلّ حركة و سكنة و رفع و نصب فيه يدلّ على إعجاز و علوّ و

سمو، فهو كما قالوا عنه:

ليست معجزة واحدة فحسب، بل موسوعة معجزات، فاجتماعيّاته معجزة لعلماء الاجتماع، و سياسيّاته معجزة للسياسيّين، و أخلاقيّاته معجزة للأخلاقيين، و عسكريّاته معجزة للعسكريّين، و اقتصاديّاته معجزة للاقتصاديّين، و تربويّاته معجزة للتربويّين، و أداءه معجزة للأدباء، و لكلّ اختصاصيّ معجزة فى اختصاصه، بل إنّ القرآن معجزة لكلّ إنسان فى الجانب المنسجم مع أولويّات ذلك الإنسان، فهو معاجز بعدد الخلائق، أو ليست الطرق إلى الله سبحانه بعدد أنفاس الخلائق؟ فهو معجزة للناس أجمعين.

و فوق ذلك أنّه معجزة الفلسفة، فهو كتاب أعطى الفلسفة الكاملة الصحيحة للبشر، فهو كتاب الكون، بل هو عدل الكون؛ إذ الكون كلّه كلمة من كلمات الله، و القرآن كلمة أخرى من كلمات الله، فهى و تلك كلمتان مترادفتان، الكون قرآن و لكن بشكل، و القرآن كون و لكن بشكل آخر، و بعد ذلك و قبله فإنّ من القرآن ما فيه شفاء و رحمة للعالمين، و لا يزيد الظالمين إلّا خسارا.

كما ستبقى صور الإعجاز و أشكاله تتجلّى فى كلّ عصر، و مع كلّ جيل مهما نضج البشر، و تنامت عقولهم، و تراكمت تجاربهم، و تنوّرت أفكارهم.

فإنّ القرآن يفسّره الزمان كما فى بعض الأخبار لا تنقضى عجائبه، و لا تنتهى غرائبه؛ لأنّه كلام اللّه سبحانه، و فيض من علمه اللامتناهى، و كلامه عزّ و جلّ مظهر لعلمه، و علمه مظهر لذاته، و كلّها لا متناهية و فوق ما لا يتناهى،

---

(۱) الإسراء: ۱۰.

(۲) أصول الكافى: ج ۲، ۵۹۹، ح ۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۳

فكيف يدركه بشر، أو يحيط بكنوزه محيط أو عالم؟ و بهذا يظهر مدى التجافى عن الحقيقة الدامغة فيما يدّعيه بعض أعداء الإسلام من أنّ القرآن من صنع رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و أنّ القرآن لم يوح إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأكمله، بل كان يوحى إليه رؤى قصيرة و وصايا، و أمثال و قصص ذات مغزى، أو أحاديث فى أصول العقيدة.

و يكفينا فى ردّ زعم هؤلاء ما صدع به الحقّ تبارك و تعالى فى قوله عزّ من قائل: بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ «۱».

و

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام «و كفى بالكتاب حجيجا و خصيما»

«۲».

فإنّ كلمات القرآن و آياته و حروفه و كلّ ما فيه ينطق بأنّه وحى ممّن خلق الأرض و السماوات العلى، و ما خلقته عقول بشر، أو فاهت به ألسنتهم.

الإعجاز لغة و اصطلاحا

المعجز فى اللغة له أكثر من معنى إلّا أنّ الأقرب منه إلى الفهم العرفى ما ذكر فى أقرب الموارد، و هو: أعجز فلان فلانا أى صيّره عاجزا «۳».

لكن فى مجمع البحرين فسّره بالمعنى المصطلح، و كأنّه تفسير بالمصداق، فقال: المعجز: الأمر الخارق للعادة المطابق للدعوى المقرون بالتحدّى، و قد ذكر المسلمون للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ألف معجزة منها القرآن «۴».

و قد فقد عرّف بتعاريف مختلفة بعض الشىء باختلاف قيودها.

(۱) العنكبوت: ۵۰.

(۲) نهج البلاغة: ص ۱۱۲، الخطبة ۸۳.

(۳) أقرب الموارد: ج ۳، ص ۴۸۲، «عجز».

(۴) مجمع البحرين: ج ۴، ص ۲۵، «عجز».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۴

ففى تجريد الاعتقاد: و طريق معرفة صدقه ظهور المعجزة على يده، و هو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفى ما هو معتاد مع خرق العادة و مطابقة الدعوة «۱».

و قريب منه ما فى مجمع البيان: و حاصله أن يأتى المدّعى لمنصب من المناصب الإلهيّة بما يخرق النواميس الطبيعيّة و يعجز عنه غيره شاهدا على صدق دعواه «۲».

و ينبغى إضافة قيد التحدّى لهذين التعريفين لينطبق على موازين الحدّ التامّ المنطقى بداهة دخول الكرامة و نحوها فى التعريف، فلا يصبح حينئذ مائزا بين ما يظهر على أيدى الأنبياء و الأولياء عليهم السّلام، و لا يبعد أن تكون جميع هذه التعاريف ناظرة إلى أمر واحد و إن كان ربّما لم يستظهر من بيانها، و هو أنّ المعجز أمر خارق للعادة و ليس لضوابط العقل؛ إذ لا يمكن الجمع بين النقيضين حتّى بالإعجاز لامتناع الموضوع.

و عليه فليس الإعجاز فى تبديل الممتنع بالذات إلى ممكن، بل هو اختصار مراحل الإمكان الاستعدادى للممكن بإرادة الله سبحانه، أو بقوّة النبىّ المعنويّة التى منحها الله سبحانه إياه لإيجاده؛ و لذا يسمّى خارقا للعادة، فيمكن إثمار الشجرة غير المثمرة فى آن؛ لأنّ تحقّق الاثمار عادة يتوقّف على شرائط لا تتحقّق عادة إلّا بعد مضى زمان، و لكن ربّما تحصل هذه الشرائط فورا بالإعجاز، و هذا هو معنى خرق العادة أى المعتاد المألوف فى الكون أو عند الناس.

هذا و هناك شروط أخرى ينبغى توفّرها فى الإعجاز منها: مطابقة المعجزة للدعوى، و أن لا يكون هناك من يعارض مدّعى النبوّة فيما يتحدّى

(۱) تجريد الاعتقاد: ص ۲۱۴.

(۲) مجمع البيان: ج ۱، ص ۱۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۵

به، بحيث يستطيع غيره أن يأتى بمثل ما أتى به؛ إذ لا يكون حينئذ ما أتى به ذلك النبىّ معجزا، و منها غير ذلك ممّا فصّله علماء الكلام.

بعض مزايا القرآن الكريم

و لعلّ من المناسب أن نشير هنا إلى بعض مزايا القرآن الكريم التى اتّفق أهل الرأى فيها على أنّها إعجاز:

۱- أنّ القرآن الكريم معجز من حيث اختصاصه بمرتبة عليا فى الفصاحة و البلاغة خارقة للعادة لا يمكن لأحد أن يأتى بمثلها أو يدانيها.

۲- من حيث كونه مركّبا من نفس الحروف الهجائيّة التى يقدر على تأليفها كلّ أحد و مع ذلك عجز الخلق عن تركيب مثله بهذا التركيب العجيب، و النمط الغريب من قوة اللفظ، و سحر البيان، و دقّة المعنى، و سلاسة التعبير، و قوّة الترابط بحيث إنّ كلّ تغيير أو

تصرّف فيه يخرجه عن عذوبته، و يشير إلى وجود خلل فى العبارة.

٣- من حيث امتيازه عن غيره من كلام العرب بامتياز مليح، فإنّ أى كلام فى هذه اللغة مهما كان فصيحا و بليغا إذا زيّن بالقرآن الكريم تجد القرآن ممتازا عنه متفوقا عليه بما لا يقبل القياس أو التقويم.

٤- من حيث اتّصافه بنظام فريد، و أسلوب وحيد غير معهود فى جميع الأزمنة، لا شعرا و لا نثرا؛ لذلك نسبه أدباء الكفّار إلى السحر؛ و ذلك لأخذه بمجامع القلوب و اتّصافه بالجاذبيّة الخاصّة.

٥- بالرغم من سعة مضامينه و وفرة آياته و كثرة سوره فهو خال عن الاختلال و التناقض و التهافت أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً «١».

---

(١) النساء: ٨٣.

فلا تجد فيه كلمة خالية عن الفصاحة، و لا آية مخالفة لآية أخرى، بل جميعه موصوف بغاية الجودة، و متّصف بما لم تجر بمثله العادة.

٦- من حيث اشتمال القرآن الكريم على أحسن الآداب، و أمتن الحكم، و أكمل المواعظ، و أصوب القوانين، و أتمّ الأحكام فى العبادات و المعاملات و المعاشرات فى أمور الحياة و الأسرة و المجتمع، و فى الحدود و الأقضية فى السفر و الحضر و الأمن و الخوف و السلم و الحرب و العسرة و الغلبة و كلّ ما يحتاجه الإنسان فى أصوله و فروعه بشكل ليس فيه أدنى خلل.

فجعل الله تعالى هذا القرآن مشتملا على كلّ ما تحتاج إليه الأمم، و هاديا إلى التى هى أقوم، كما جعل بيانه و تبيانه عند مهابط وحيه و خزّان علمه و ترجمانه فى خلقه النبيّ الأمين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته الأطهار عليهم آلاف التحية و الثناء تكريسا للاقتداء، و تعظيما للإمامة و ما يترتّب عليها من فوائد كبيرة فى دنيا الناس و دينهم.

٧- من حيث ما تضمّنه من الأخبار فى قضايا الأمم السالفة، و خفايا القصص الماضية، و دقائق القرون الخالية، مثل أخبار آدم عليه السّلام و ابنيه، و مسائل نوح عليه السّلام، و أمور إبراهيم عليه السّلام، و قصّة أصحاب الكهف، و قضايا موسى ..... ممّا لم يطّلع عليها أحد إلا بعض خواصّ الأحبار و الرهبان الذين لم يكن النبيّ الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم معاشرا لهم، بل كان بعيدا عن مخالطتهم.

فكتاب كهذا من النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى لم يتعلّم عند أحد يكشف قطعا عن كونه من اللّه العالم بجميع الأمور.

علما بأنّ ما بيّنه النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من أخبار القرآن لم يكن اقتباسا من كتبهم، بل نقلا لحقيقة الأمر و واقعه الموجود عندهم، و إلّا لكانوا يرمونه بالسرقة من كتبهم و هم غير آبين من توجيه التهمة مع توفّر الدواعى الكافية فى ذلك.

٨- من حيث اشتماله على الأخبار عن ضمائر المنافقين و بواطن

الكافرين و نوايا المشركين الخفيّة التى لم يطلع عليها أحد حتّى إنّهم كانوا يحذرون من أن تنزل فيهم آية تفضحهم، و تكشف نواياهم.

بل أخبر عن الأمور المستقبليّة و الحوادث المقبلة و الغيب الصادق و النبأ المطابق ممّا لم يطّلع عليه إلّا علّام الغيوب مع كمال المطابقة و الصدق كما فى قوله تعالى: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ «١»، و قوله تعالى لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ «٢» إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

هذا مضافا إلى إخباراته عن الحقائق العلميّة التى لم ينكشف اليسير منها إلّا فى الآونة الأخيرة و القرون المتأخّرة على رغم تطوّر العلوم

و المعارف.

۹- من حیث خواصّه المعنویّهٔ و خصائصه الذاتیّهٔ فی التأثیر علی الأرواح، و شفائه للقلوب و الضمائر، و علاجه للأجسام، و طمأنته للقلوب، و برکاته فی النفوس، فضلا عن الآثار الوضعیّهٔ الأخری التی تلازمه فی النظر و القراءهٔ و الاستشهاد و الاحتفاظ و نحو ذلک.

۱۰- من حیث طراوته و حلاوته و عدم الملل منه عند تلاوته و قراءته مهما زادت و تکرّرت، و بعد کلّ ذلک فإنّه لا یخلق علی طول الأزمان، و لا یبلی، بل یستفاد منه فی کلّ قراءهٔ جدیدهٔ نکتهٔ جدیدهٔ، و یجد القارئ المتدبّر فیه إلماعات و إشارات و حقائق و لطائف لم تظهر له من قبل،

فهو کلام اللّه البالغ، و حکمه الساطع، و هو نور لا یطفأ، و سراج لا یخبو کما ورد فی خطبهٔ مولانا أمیر المؤمنین علیه السّلام فی نهج البلاغهٔ

«۳».

إلی غیر ذلک من جهات و أسرار لا یسع المجال لبیانها هنا.

---

(۱) القمر: ۴۶.

(۲) الفتح: ۲۸.

(۳) نهج البلاغهٔ: ص ۳۱۵، الخطبهٔ ۱۹۸.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۱۸

الشیعهٔ و الاهتمام البالغ بالقرآن الکریم

إنّ القرآن الکریم أحدث فی الحیاهٔ البشریهٔ أعظم انقلاب و تغییر شمل کلّ مناحی الحیاهٔ، و امتدّ شعاعه إلی أبعد الأصقاع، و أذهل أقوی الأدمغهٔ، و اکتسح أعظم الحضارات، و أقام فوق رکامها أنظف حضارهٔ و أجمل حیاهٔ و أکمل سیادهٔ و سیاسهٔ.

هذا و قد کان للشیعهٔ الید الطولی و السهم العظیم فی الاهتمام به، و العمل علی دراسته و تفسیره، و بیان معانیه و مضامینه، و اکتشاف أسراره و آیاته و بیّناته بهدی من أئمّتهم علیهم السّلام الذین هم عدل القرآن و أهله الذین أنزل القرآن فی بیوتهم.

فکتبوا و نشروا و حثّوا أیما حثّ علی قراءته و حفظه و نشره و تجویده و الاستناد إلیه فی کلّ حقول المعرفهٔ، و کان السبب فی اهتمام الشیعهٔ بالقرآن فی الدرجهٔ الأولی هو أهمّیّهٔ القرآن نفسه و عظمهٔ أمره، ثمّ الاقتداء بالنبیّ الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الأئمهٔ من أهل بیته علیهم السّلام فی ذلک.

فمن ینظر إلی الأحادیث المرویّهٔ عن أئمّهٔ أهل البیت علیهم السّلام و التی تحدّثوا فیها عن القرآن الکریم یواجه عنایهٔ بالغهٔ و کبیرهٔ منهم بهذا الکتاب الإلهی الخالد، ثم من یطّلع علی بقیّهٔ أحادیثهم فی شتی جوانب الدین یجدها ملیئهٔ بالاستدلالات من القرآن الکریم ممّا یکشف عن شدّهٔ حرصهم علی البقاء إلی جانب القرآن و الانطلاق منه و الرجوع إلیه، و یشهد بذلک ما ألّفه علماء الإمامیهٔ سدّدهم اللّه تعالی و رواتهم حول فضل القرآن و خصائصه و علومه و مزایاه و فی شتی المجالات. نذکر منها علی سبیل المثال لا الحصر

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۱۹

ما یلی:

۱- کتاب فضل القرآن لیونس بن عبد الرحمن من أصحاب الإمام الرضا علیه السّلام.

۲- کتاب فضل القرآن لمحمّد بن الحسن الصفّار المتوفّی سنهٔ ۲۹۰ ه.

۳- كتاب نوادر القرآن لعلىّ بن إبراهيم بن هاشم فى القرن الثالث الهجرى.

۴- كتاب فضل القرآن لمحمّد بن مسعود العيّاشى فى القرن الثالث الهجرى.

۵- كتاب فضائل القرآن لأحمد بن محمّد بن عمّار المتوفّى سنة ۳۴۶ ه.

كما عقد جمع من علماء الإمامية أبوابا خاصّة حول القرآن فى كتب الحديث مثل:

۱- كتاب فضل القرآن فى الجزء الثانى من (أصول الكافى) للكلينى.

۲- كتاب فضل القرآن فى الجزء الثانى من موسوعة (من لا يحضره الفقيه).

۳- كتاب القرآن فى الجزء الرابع من موسوعة (وسائل الشيعة).

۴- كتاب القرآن فى الجزء الأوّل من (مستدرک وسائل الشيعة).

۵- كتاب القرآن فى الجزء الثانى و التسعين من موسوعة (بحار الأنوار).

و هذا يدلّك على مدى اهتمام الشيعة بالقرآن الكريم، كما أنّ التأريخ يشهد لهم مدى تفانيهم و بذلهم لأرواحهم على مدى التأريخ فى سبيل القرآن الكريم و العترة الطاهرة عليهم السّلام. و قبل كلّ ذلک كان الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۰

هو أوّل من سمع القرآن من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خالجته آياته، و هو أوّل من جمعه بأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كتب تفسيره و تأويله و شأن نزوله كما فى متضافر الأدلّة «۱».

أمّا فى علوم التفسير فكان الشيعة لهم القدم الأوّل فى ذلک، و قد ذكر الشيخ الذهبى من علماء الأزهر فى كتابه التفسير و المفسّرون عددا من ذلک بعد أن استعرض بنحو مجمل من كتب فى العصر الإسلامى الأوّل، و عدّ على رأسها تفسير الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، فهو أوّل من كتب فى التفسير، ثم قال فى كتابه: و قد عدّ السيوطى فى الإتقان من اشتهر بالتفسير من الصحابة و سمّاهم، و من سمّاهم ابن مسعود، و ابن عبّاس، و أبى بن كعب، و زيد بن ثابت و غيرهم ... ثمّ قال: أمّا علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فهو أكثر الخلفاء الراشدين رواية عنه فى التفسير «۲».

و فى مكان آخر قال: جمع علىّ عليه السّلام إلى مهارته فى القضاء و الفتوى علمه بكتاب اللّه، و فهمه لأسراره و خفى معانيه، فكان أعلم الصحابة بمواقع التنزيل و معرفة التأويل، و قد روى عن ابن عباس أنه قال: ما أخذت من تفسير القرآن فعن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام. «۳» و ليس الذهبى منفردا فى هذا القول، فقد ذكر هذا الكثيرون غيره «۴».

أمّا أوّل من صنّف فى التفسير فهو ترجمان القرآن عبد اللّه بن العبّاس المتوفّى سنة ۶۸، ثم تلميذه سعيد بن جبير الذى قتله الحجاج عام ۹۴ «۵»، و قيل: سنة ۹۵ و كان من المشهورين فى التفسير، بل روى عن قتادة أن

---

(۱) انظر تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص ۳۱۶- ۳۱۷؛ الذريعة: ج ۴، ص ۲۳۱.

(۲) التفسير و المفسّرون: ج ۱، ص ۶۳- ۶۴.

(۳) التفسير و المفسّرون: ج ۱، ص ۸۹- ۹۰.

(۴) بين الجدران: ج ۱، ص ۱۷- ۱۸؛ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: ج ۱۱، ص ۵۲.

(۵) الذريعة: ج ۴، ص ۲۳۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۱

سعيدا كان أعلم معاصريه بالتفسير «۱». و أسند أبو عمر الكشى فى كتاب الرجال عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السّلام أنه قال: سعيد بن جبير كان يأتمّ بعلىّ بن الحسين عليه السّلام، و كان علىّ بن الحسين عليه السّلام يثنى عليه. و ما كان سبب قتل الحجّاج له إلّا على

هذا الأمر- یعنی التشیّع- و کان مستقیما «۲».

و قد اهتمّ الشیعة اهتماما کبیرا بالتفسیر، و کتبوا فیه الکثیر من الکتب، منها فی تفسیر کل القرآن، و منها فی بعضه.

القرآن و أهل البیت علیهم السّلام

إنّ من یتتبع أحادیث العترة النبویّة الطاهرة یجدها تسیر جنبا إلی جنب مع القرآن، تتمسّک بآیاته، و تستدلّ بإشاراته، کما أنّ القرآن الکریم نفسه یشید بمواقفهم و أقوالهم علیهم السّلام؛ إذ وصفهم بالطهارة من الرجس المعنوی و المادیّ ذلک الوصف المؤکّد الذی یقتضی تنزیههم عن أیّ خطأ و خطل، و مخالفة للکتاب، بل یقتضی کونهم مع القرآن فی هدف واحد، و علی جادّة واحدة، و لا غرابة إذا قیل: إنّهم علیهم السّلام ورثوا الکتاب و علمه و فهمه و فقه أسراره و مقاصده و أبعاده و بطونه دون غیرهم، فذلک أمر قد جری بعض منه فی الأنبیاء السابقین و أوصیائهم کما یصرّح القرآن الکریم بذلک.

و قد صرّح أئمّة أهل البیت المطهّرون علیهم السّلام بهذا الأمر فی تصریحات مستقلّة، مثلما

روی عن الإمام موسی بن جعفر علیهما السّلام إذ قال

«نحن الذین اصطفانا اللّه عزّ و جلّ، و أورثنا هذا الذی فیه تبیان کلّ شیء»

«۳» علی أنّ العقل یحتمّ مثل هذه الوراثة للکتاب و علمه و فهمه و فقهه؛ إذ لو لا الصفوة التی ترث مسئولیّة الحفاظ علی الرسالة لضاعت الرسالة،

---

(۱) دائرة المعارف الإسلامیة الشیعیة: ج ۱۱، ص ۵۵؛ انظر الإتقان فی علوم القرآن: ج ۲، ص ۱۲۳۴؛ تأسیس الشیعة لعلوم الإسلام: ص ۳۲۴.

(۲) رجال الکشی: ج ۱، ص ۳۳۵.

(۳) أصول الکافی: ج ۱، ص ۲۲۶، ح ۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۲۲

و ضاعت جهود صاحبها، و انتقض الغرض من بعثته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و من البدیهی أنّ أولی الناس بذلک هو من یرتبط بصاحب الرسالة بوشائج القربی، و یکون علی درجة عالیة من الطهر و التقی و الورع و الذکاء و النبوغ لیزداد حرصه علی الرسالة و علی میراث صاحبها من العلوم و المعارف؛ و لهذا اختصّ نسب الرسول و ذرّیّته علیهم السّلام بعلم الکتاب العزیز، فهم تحمّلوه و حملوه کمسؤولیة کبری، و تجشّموا فی سبیل المحافظة علیه عناء کبیرا و نصبا کثیرا، و قاتلوا الناس علی تنزیله، ثمّ قاتلوهم علی تأویله، ثم إنّ البراهین و الأدلّة العملیّة التی قدّمها الأئمة علیهم السّلام فی مجال تفسیر القرآن و فکّ رموزه و بیان بطونه و أبعاده بنفسها خیر شاهد علی ذلک، و نذکر هنا جملة من الأحادیث الواردة بهذا الشأن تیمّنا و تبرّکا:

-۱

عن أبی سعید الخدری قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «إنی تارک فیکم الثقلین، ما إن تمسّکتم بهما لن تضلّوا بعدی: کتاب اللّه و عترتی أهل بیتی و إنّهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض»

«۱».

-۲

عن أبی جعفر علیه السّلام قال: «قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: أنا أوّل وافد علی العزیز الجبّار یوم القیامة و کتابه و أهل

بيتى، ثمّ أمّتى، ثمّ أسألهم ما فعلتم بكتاب اللّه و أهل بيتى»

«(۲).

۳- و

قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «هم مع القرآن و القرآن معهم لا يفارقونه حتى يردوا علىّ الحوض»

«(۳).

و لا يخفى على اللبيب دلالة (المعيّة و عدم المفارقة) على التلازم و عدم الافتراق أو الاختلاف فى كل شىء حتّى يوم القيامة.

---

(۱) مستدرك الوسائل: ج ۷، ص ۲۵۴- ۲۵۵، ح ۸۱۸۱، باب ۴۷ من كتاب الزكاة؛ بحار الأنوار: ج ۲، ص ۱۰۰، ح ۵۹؛ و انظر الإرشاد: ج ۱، ص ۲۳۳.

(۲) وسائل الشيعة: ج ۶، ص ۱۷۰، ح ۲، باب ۲ من أبواب قراءة القرآن.

(۳) بحار الأنوار: ج ۲۲، ص ۱۵۰، ح ۱۴۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۳

۴- و

عن علىّ عليه السّلام قال: «سلونى فو اللّه لا تسألونى عن شىء إلّا أخبرتكم به و اسألونى عن كتاب اللّه فو اللّه ما من آية إلّا و أنا أعلم أ بليل نزلت أم بنهار، أم فى سهل أم فى جبل»

«(۱).

۵- و

عنه عليه السّلام قال: «و اللّه ما نزلت آية إلّا و قد علمت فيم نزلت و أين نزلت ... إنّ ربّى وهب لى قلبا عقولا و لسانا سؤولا»

«(۲).

۶- و

عنه عليه السّلام قال: «سلونى قبل أن تفقدونى، سلونى عن كتاب اللّه، فما من آية إلّا و أعلم حيث نزلت بحضيض جبل أو سهل أرض»

«(۳).

۷- و

عن أبى الصباح قال: و اللّه لقد قال لى جعفر بن محمّد عليهما السّلام: «إنّ اللّه علّم نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التنزيل و التأويل، فعلّمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليّا عليه السّلام قال: و علّمنا و اللّه»

«(۴).

۸- و

عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبى عبد اللّه الصادق عليه السّلام يقول: «و اللّه إنّى لأعلم كتاب اللّه من أوّله إلى آخره، كأنّه فى كفّى، فيه خبر السماء و خبر الأرض و خبر ما كان و خبر ما هو كائن. قال اللّه عزّ و جلّ: تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ»

«(۵) «(۶).

۹- و

عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السّلام فى قول اللّه عزّ و جلّ: «بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ «(۷) قال: هم الأئمّة عليهم

السّلام»

.«۸»

---

(۱) الإتقان فی علوم القرآن: ج ۲ ص ۱۲۲۷؛ و انظر الغدیر: ج ۶، ص ۱۹۳؛ بحار الأنوار: ج ۴۰، ص ۱۷۹، ح ۶۱.

(۲) المناقب: ج ۲، ص ۴۳؛ الإتقان فی علوم القرآن: ج ۲، ص ۱۲۲۷.

(۳) بحار الأنوار: ج ۴۰ ص ۱۹۰، ح ۷۴.

(۴) الکافی: ج ۷، ص ۴۴۲، ح ۱۵؛ التهذیب: ج ۸، ص ۲۸۶، ح ۱۰۵۲، وسائل الشیعة: ج ۲۳، ص ۲۲۴، ح ۲۹۴۲۶، باب ۱۲ من أبواب کتاب الأیمان.

(۵) النحل: ۹۰.

(۶) أصول الکافی: ج ۱، ص ۲۲۹، ح ۴، و فیه «فیه تبیان کلّ شیء».

(۷) العنکبوت: ۵۰.

(۸) أصول الکافی: ج ۱، ص ۲۱۴، ح ۲.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۲۴

و

فی روایة أخری: «هم الأئمّة علیهم السّلام خاصّة»

.«۱»

۱۰- و

عن أبی جعفر الباقر علیه السّلام فی تفسیر قول اللّه عزّ و جلّ: هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ «۲» قال علیه السّلام: «إنّما نحن الذین یعلمون، و الذین لا یعلمون عدوّنا، و شیعتنا أولو الألباب»

.«۳»

۱۱- و

عن علیّ أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: «إنّ اللّه تبارک و تعالی طهّرنا و عصمنا و جعلنا شهداء علی خلقه، و حجّته فی أرضه، و جعلنا مع القرآن، و جعل القرآن معنا لا نفارقه و لا یفارقنا»

.«۴»

۱۲- و

عنه علیه السّلام قال: «نحن أهل البیت لا یقاس بنا أحد، فینا نزل القرآن، و فینا معدن الرسالة»

.«۵»

۱۳- و

عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله تعالی: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ «۶» قال علیه السّلام: «الذکر القرآن، و نحن أهله»

.«۷»

۱۴- و

عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قوله عزّ و جلّ: سَنَفْرُغُ لَکُمْ أَیُّهَ الثَّقَلانِ «۸» قال علیه السّلام: «الثقلان نحن و القرآن»

«٩».

١٥- و

عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «إنّ اللّه جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن»

«١٠».

هذا و قد تواترت الأخبار الدالّة على كونهم عليهم السّلام عدل القرآن و الثقل الذى أوصى به النبيّ الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و الدالّ على تلاحمهم المطلق مع القرآن فكرا و قولا و عملا، بل هم القرآن الناطق الذى لا ينطق عن الهوى، و قد وردت أكثر من ثلاثين رواية بهذا الشأن عن طرقنا، و أكثر من ستّ عشرة

---

(١) أصول الكافى: ج ١، ص ٢١۴، ح ۵.

(٢) الزمر: ١٠.

(٣) أصول الكافى: ج ١، ص ٢١٢، ح ١.

(۴) بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٣۴٣، ح ٢۶.

(۵) بحار الأنوار: ج ٢۶، ص ٢۶٩، ح ۵.

(۶) النحل: ۴۴.

(٧) بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ١٨١، ح ٣٧.

(٨) الرحمن: ٣٢.

(٩) بحار الأنوار: ج ٢۴، ص ٣٢۴، ح ٣٧.

(١٠) بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ٢٧، ح ٢٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢۵

رواية من طرق العامّة تدلّ على ذلك، كما أورده العلّامة البحرانى «١» و غيره.

و من هنا اتّفق أصحابنا على أنّ تفسير القرآن لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح عن النبيّ الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمّة الطاهرين عليهم السّلام، و حرّموا القول فيه بالرأى و الاجتهاد، و هذا ما رواه العامّة أيضا

عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «من فسّر القرآن برأيه و أصاب الحقّ فقد أخطأ»

«٢» و الظاهر أنهم التزموا به من حيث الكبرى و إن خالف جمع غير قليل من مفسّريهم الالتزام بذلك من حيث الصغرى. خصوصا ما يتعلّق بالآيات الواردة بشأن أهل البيت عليهم السّلام و بيان فضائلهم و مقاماتهم الربّانيّة.

و من الواضح أنّه لا يجوز أن يكون فى كلام اللّه عزّ و جلّ و حججه المعصومة عليهم السّلام تناقض أو تضادّ أو تعارض حقيقى لما فيه من القبح و نقض الغرض و غيرهما من المحالات.

كيف لا و قد عرفت أنّهم عليهم السّلام عدله، بل و الناطق من كلماته و آياته، كما أنّه الميزان الذى يفصل بين منطقهم و حديثهم و منطق و حديث غيرهم، و ممّا يؤكّد ذلك ما

روى عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمّة عليهم السّلام: «إذا جاءكم منّا حديث فاعرضوه على كتاب اللّه فما وافق كتاب اللّه فخذوه، و ما خالفه فاطرحوه أو ردّوه علينا»

«٣».

و لعلمائنا الأعلام فى علمى التفسير و الأصول كلام مفصّل فى بيان المقصود من التفسير بالرأى و حلّ بعض التشابه البدوى الذى قد

يتصوّره البعض تعارضا واقعا بين الآيات و الروايات بما لا يسعنا المجال لبيانه هنا «۴».

---

(۱) البرهان فی تفسير القرآن: ج ۱، ص ۹- ۱۵ و ۲۶- ۲۸.

(۲) التبيان: ج ۱، ص ۴، مقدّمة المؤلّف.

(۳) التهذيب: ج ۷، ص ۲۷۵، ح ۱۱۶۹.

(۴) من أراد الاطّلاع يمكنه مراجعة مجمع البيان: ج ۱، ص ۶؛ تفسير الصافی: ج ۱، ص ۳۲- ۳۵؛ البرهان فی تفسير القرآن: ج ۱، ص ۱۷- ۱۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۶

هذا مضافا إلى ما تواتر نقله فی كتب العامّة فضلا عن الخاصّة من حديث الثقلين الدالّ على تلاحم القرآن و أهل البيت عليهم السّلام، فقد أوردوا فی كتبهم من روايته عن الصحابة الذين سمعوه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أكثر من ثلاثين صحابيا، و بقی على ذلك متواترا فی كلّ عصر إلى العصر الحاضر، و نصّ الحديث هو

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إنّی تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب اللّه و عترتی أهل بيتی، و إنّهما لن يفترقا حتى يردا علیّ الحوض»

«۱».

و لا يخفى أنّ لفظ العترة و الأحاديث الكثيرة الصحيحة الواردة فی تعيين أهل البيت عليهم السّلام يعيّنان المراد من أهل البيت عليهم السّلام، فضلا عن دلالة الإجماع و العقل.

و

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا»

مع

قول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «و إنهما لن يفترقا حتّى يردا علیّ الحوض»

يعيّنان الأئمّة الاثنی عشر المعصومين عليهم السّلام من عترة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ذرّيّته كما ذكره العلّامة البلاغی (قده) و لعلّ من دلائل ذلك أيضا إجماع المسلمين على أنّ من عاداهم عليهم السّلام ليس معصوما، و لا يتّصف بأنّه مثل كتاب اللّه لا يضلّ من تمسّك به. و هذه أسماء الصحابة السامعين لهذا الحديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ۱- علیّ أمير المؤمنين عليه السّلام ۲- عبد اللّه بن عبّاس ۳- أبو ذرّ الغفاری ۴- جابر الأنصاری ۵- عبد اللّه بن عمر ۶- حذيفة بن أسيد ۷- زيد بن أرقم ۸- عبد الرحمن ابن عوف ۹- ضميرة الأسلمی ۱۰- عاصم بن ليلى ۱۱- أبو رافع ۱۲- أبو هريرة ۱۳- عبد اللّه بن حنطب ۱۴- زيد بن ثابت ۱۵- أم سلمة ۱۶- أم هانی أخت أمير المؤمنين علیّ عليه السّلام ۱۷- خزيمة بن ثابت ۱۸- سهل بن سعد ۱۹- عدی بن حاتم ۲۰- عقبة بن عامر ۲۱- أبو أيوب الأنصاری ۲۲-

---

(۱) وسائل الشيعة: ج ۲۷، ص ۳۴، ح ۳۳۱۴۴، باب ۶ من أبواب صفات القاضی و ما يجوز أن يقضی به؛ و انظر الخصال: ج ۱، ص ۶۵، ح ۹۷؛ سنن الترمذی: ج ۵، ص ۶۶۳، ح ۳۷۸۸؛ مسند أحمد: ج ۳، ص ۱۴ و ۱۷ و ۲۶؛ المستدرك على الصحيحين: ج ۳، ص ۱۴۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۷

أبو سعيد الخدری ۲۳- أبو شريح الخزاعی ۲۴- أبو قدامة الأنصاری ۲۵- أبو ليلى ۲۶- أبو الهيثم بن التيهان.

و هؤلاء الـذين ذكرنا أسـماءهم من بعـد أم هانى قـد رواه كلّ منهم منفردا كمن تقدّمه، و قاموا فى رحبة الكوفة مع سبعة من قريش، فشـهدوا أنّهم سـمعوه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فهؤلاء ثلاثة و ثلاثون، و رواه أبو نعيم الإصبهانى فى كتاب (منقبة المطهّرين) مسندا عن جبير بن مطعم، و أسنده أيضا عن أنس بن مالك، و أسنده عن البراء بن عازب، و رواه موفّق بن أحمد أخطب خوارزم عن عمرو بن العاص. و قلّما يخلو عن روايـة هذا الحديث مسند أو جامع أو كتاب فى الفضائل لأهل السنّة من أوّل ما أخرج الحـديث من الحفظ و صدور الحفّاظ إلى صحف المحدّثين و لا زالت يروى فيها عن صحابى واحد أو أكثر، و ربّما روى فى واحد منها عن أكثر من عشرين صحابيا إمّا مجملا كما فى الصواعق، و إمّا مسندا مفصّلا كما فى كتب السخاوى و السيوطى و السمهودى و غيرهم، و من أراد الاطلاع فليرجع إلى الجزأين المكتوبين فى أسانيد هذا الحديث من كتاب العبقات.

كما و رواه الإماميّة فى كتبهم و أسانيدهم المتكرّرة عن الباقر و الصادق و الكاظم و الرضا عليهم السّلام، عن آبائهم عليهم السّلام، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بالأسانيد الأخر عن أمير المؤمنين عليه السّلام و عمر و أبى ذرّ و جابر و أبى سعيد و زيد بن أرقم و زيد بن ثابت و حذيفة بن أسيد و أبى هريرة و غيرهم عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما فى غاية المرام «١».

أهل البيت عليهم السّلام عدل القرآن

تضافرت الأدلـة من الآيات و الروايات بل و هو ممّا يحكم به العقل أيضا فضلا عن الإجماع أنّ أهل البيت عليهم السّلام عدل القرآن الكريم، و هما القيمتان

---

(١) انظر علوم القرآن عند المفسّرين: ج ١، ص ٢٠۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٨

المتكاملتان و المتلاحمتان فى الجوهر و المضمون، و لا يفصل بينهما مكان أو زمان أو رأى أو مفهوم، و لا يوزّعهما فكر أو تطبيق، شعاعان من نور واحد، و طريقان فى هدف واحد، يشتركان معا فى إضاءة عقل الإنسان و روحه و قلبه، و يوجّهانه إلى حيث سعادته و بناء حياته و حضارته الحرّة الكريمة، فلو لا القرآن لم يكن للحياة هدى، و لا للإنسان رشد، و لا علق فى طرفه نور، و لو لا أهل البيت عليهم السّلام لم يكن للرشد مرشد، و لا للعلم معلم أو تعليم، و لا للنور شعاع أو مصباح. فالقرآن أصل العلم، و أهل البيت عليهم السّلام معرفته و معدنه و بيانه؛ و لذا كان أكثر ما نزل به القرآن ما يرتبط بهم عليهم السّلام من قريب أو بعيد، فبعضه فى ولايتهم و مودّتهم و طاعتهم عليهم السّلام، و بعضه فى فضح أعدائهم، و بعضه فى الأحكام و الفضائل التى لا تصل غايتها و لا تقع مقبولة عند الخالق تبارك و تعالى إلّا إذا اقترنت بمحبّتهم، و وصلت من طرقهم.

فيمن نزل القرآن

-١

عن أبى الجارود قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: «نزل القرآن على أربعة أرباع، ربع فينا، و ربع فى عدوّنا، و ربع فى فرائض و أحكام، و ربع سنن و أمثال، و لنا كرائم القرآن»

«١».

-٢

عن عبد اللّه بن سنان قال سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن القرآن و الفرقان قال: «القرآن جملة الكتاب و أخبار ما يكون، و الفرقان المحكم الذى يعمل به، و كلّ محكم فهو فرقان»

.«(۲)

۳- و

عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: «نزل القرآن أثلاثا، ثلث فينا و فى عدونا، و ثلث سنن و أمثال، و ثلث فرائض و أحكام»

.«(۳)

---

(۱) تفسير العياشى: ج ۱، ص ۹، ح ۱.

(۲) تفسير العياشى: ج ۱، ص ۹، ح ۲.

(۳) تفسير العياشى: ج ۱، ص ۹، ح ۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۹

-۴

عن محمّد بن خالد بن الحجّاج الكرخى، عن بعض أصحابه رفعه إلى خيثمة قال: قال أبو جعفر: «يا خيثمة، القرآن نزل أثلاثا، ثلث فينا و فى أحبّائنا، و ثلث فى أعدائنا و عدوّ من كان قبلنا، و ثلث سنّة و مثل، و لو أنّ الآية إذا نزلت فى قوم ثمّ مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقى من القرآن شىء، و لكن القرآن يجرى أوّله على آخره ما دامت السماوات و الأرض، و لكلّ قوم آية يتلونها و هم منها من خير أو شرّ»

.«(۱)

و لا تنافى بين هذه الأخبار؛ لأنّ بناء هذا التقسيم ليس على التسوية الحقيقيّة، و لا على التفريق من جميع الوجوه، بل على أصل التصنيف، فإطلاقه لا ينفى ما عداه لكونه ليس فى مقام البيان، و عليه فلا بأس باختلاف الأخبار بالتثليث و التربيع، و لا بزيادة بعض الأقسام على الثلث أو الربع أو نقصه عنهما، و لا دخول بعضها فى بعض.

هذا و قد وردت أخبار جمّة عن أهل البيت عليهم السّلام فى تأويل كثير من آيات القرآن بهم و بأوليائهم و أعدائهم، حتّى إنّ جماعة من أصحابنا صنّفوا كتبا فى تأويل القرآن على هذا النحو، جمعوا فيها ما ورد عنهم عليهم السّلام فى تأويل آية آية، إمّا بهم أو بشيعتهم أو بعدوّهم على ترتيب القرآن، و قد روى فى الكافى و فى تفسيرى العياشى و علىّ بن إبراهيم القمّى و التفسير المسموع من الإمام أبى محمّد الزكى أخبار كثيرة من هذا القبيل «(۲)»، منها ما

رواه فى الكافى عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله تعالى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (۱۹۴) عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (۱۹۵) بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ «(۳)». قال: «هى الولاية لأمير المؤمنين عليه السّلام»

.«(۴)

و

فى تفسير الصافى نقلا عن العيّاشى عن محمّد بن مسلم عن أبى

---

(۱) تفسير العياشى: ج ۱، ص ۱۰، ح ۷.

(۲) انظر علوم القرآن عند المفسّرين: ج ۱، ص ۲۰۹.

(۳) الشعراء ۱۹۴- ۱۹۶.

(۴) أصول الكافى: ج ۱، ص ۴۱۲، ح ۱. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۰

جعفر علیه السّلام قال: «یا أبا محمّد، إذا سمعت اللّه ذکر قوما من هذه الأمّة بخیر فنحن هم، و إذا سمعت اللّه ذکر قوما بسوء ممّن مضی فهم عدوّنا»

«۱».

و

فیه عن عمر بن حنظلة عن أبی عبد اللّه علیه السّلام سأله عن قول اللّه تعالی: قُلْ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتابِ «۲».

قال: فلمّا رآنی أتتبّع هذا و أشباهه من الکتاب قال: «حسبک کلّ شیء فی الکتاب من فاتحته إلی خاتمته، مثل هذا فهو فی الأئمّة عنوا به»

«۳».

و قد أشار الفیض الکاشانی (قدّس سرّه) إلی بعض السرّ فیه فی تفسیره، فقال: إنّه لمّا أراد اللّه أن یعرّف نفسه لخلقه لیعبدوه، و کان لم یتیسّر معرفته کما أراد علی سنّة الأسباب إلّا بوجود الأنبیاء و الأوصیاء؛ إذ بهم تحصل المعرفة التامّة و العبادة الکاملة دون غیرهم، و کان لم یتیسّر وجود الأنبیاء و الأوصیاء إلّا بخلق سائر الخلق لیکون أنسا لهم، و سببا لمعاشهم؛ فلذلک خلق سائر الخلق، ثمّ أمرهم بمعرفة أنبیائه و أولیائه و ولایتهم، و التبرّی من أعدائهم، و ممّا یصدّهم عن ذلک، لیکونوا ذوی حظوظ من نعیمهم، و وهب الکلّ معرفة نفسه علی قدر معرفتهم بالأنبیاء و الأوصیاء؛ إذ بمعرفتهم إیّاهم یعرفون اللّه، و بولایتهم إیّاهم یتولّون اللّه، فکلّ ما ورد من البشارة و الإنذار و الأوامر و النواهی و النصائح و المواعظ من اللّه سبحانه فإنّما هو لذلک، و لمّا کان نبیّنا سیّد الأنبیاء و وصیّه سید الأوصیاء لجمعهما کمالات سائر الأنبیاء و الأوصیاء و مقاماتهم مع مالهما من الفضل علیهم و کان کلّ منهما نفس الآخر صحّ أن ینسب إلی أحدهما من الفضل ما ینسب إلیهم لاشتماله علی الکلّ، و جمعه لفضائل الکلّ، و حیث کان الأکمل یکون الکامل لا محالة؛ و لذلک خصّ تأویل الآیات بهما، و بسائر أهل البیت علیهم السّلام الذین هم منهما ذرّیّة بعضها من بعض، و جیء بالکلمة الجامعة التی هی الولایة فإنها مشتملة

---

(۱) تفسیر الصافی: ج ۱، ص ۲۳- ۲۴.

(۲) الرعد: ۴۴.

(۳) تفسیر الصافی: ج ۱، ص ۲۴.

علی المعرفة و المحبّة و المتابعة و سائر ما لا بدّ منه فی ذلک.

و أیضا فإنّ أحکام اللّه سبحانه إنّما تجری علی الحقائق الکلّیّة و المقامات النوعیّة دون خصائص الأفراد و الآحاد، فحیثما خوطب قوم بخطاب أو نسب إلیهم فعل دخل فی ذلک الخطاب و ذلک الفعل عند العلماء و أولی الألباب کلّ من کان من سنخ أولئک القوم و طینتهم، فصفوة اللّه حیثما خوطبوا بمکرمة أو نسبوا إلی أنفسهم مکرمة یشمل ذلک کلّ من کان من سنخهم و طینتهم من الأنبیاء و الأولیاء و کلّ من کان من المقرّبین، إلّا مکرمة خصّوا بها دون غیرهم، و کذلک إذا خوطبت شیعتهم بخیر أو نسب إلیهم خیر أو خوطب أعداؤهم بسوء و نسب إلیهم سوء یدخل فی الأوّل کلّ من کان من سنخ شیعتهم و طینة محبّیهم، و فی الثانی کلّ من کان من سنخ أعدائهم و طینة مبغضیهم من الأوّلین و الآخرین؛ و ذلک لأنّ کلّ من أحبّه اللّه و رسوله أحبّه کلّ مؤمن من ابتداء الخلق إلی انتهائه، و کلّ من أبغضه اللّه و رسوله أبغضه کلّ مؤمن کذلک، و هو یبغض کلّ من أحبّه اللّه تعالی و رسوله، و کلّ مؤمن فی العالم قدیما أو حدیثا إلی یوم القیامة فهو من شیعتهم و محبّیهم، و کلّ جاحد فی العالم قدیما أو حدیثا إلی یوم القیامة فهو من مخالفیهم و

مبغضيهم.

و قد وردت الإشارة إلى ذلك فى كلام الصادق عليه السّلام فى حديث المفضّل بن عمر، و هو الذى

رواه الصدوق طاب ثراه فى كتاب علل الشرائع بإسناده عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: بم صار علىّ بن أبى طالب عليه السّلام قسيم الجنّة و النار؟ قال: «لأن حبّه إيمان، و بغضه كفر، و إنّما خلقت الجنّة لأهل الإيمان، و خلقت النار لأهل الكفر، فهو عليه السّلام قسيم الجنّة و النار لهذه العلّة، و الجنّة لا يدخلها إلّا أهل محبّته، و النار لا يدخلها إلّا أهل بغضه».

قال المفضّل: يا ابن رسول اللّه فالأنبياء و الأوصياء هل كانوا يحبّونه و أعداؤهم يبغضونه؟ فقال «نعم» قلت: فكيف ذلك؟ قال: «أما علمت أنّ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٢

النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال يوم خيبر: لأعطين الراية غدا رجلا يحبّ اللّه تعالى و رسوله، و يحبّه اللّه و رسوله، ما يرجع حتّى يفتح اللّه على يده؟» قلت: بلى. قال:

«أما علمت أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا أوتى بالطائر المشوى قال: اللهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك يأكل معى هذا الطير و عنى به عليّا؟» قلت: بلى. قال:

«يجوز أن لا يحبّ أنبياء اللّه و رسله و أوصياؤهم عليهم السّلام رجلا يحبّه اللّه و رسوله، و يحبّ اللّه و رسوله؟» فقلت: لا. قال: «فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أممهم لا يحبّون حبيب اللّه و حبيب رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنبيائه؟» قلت: لا- قال: «فقد ثبت أنّ جميع أنبياء اللّه و رسله و جميع المؤمنين كانوا لعلىّ بن أبى طالب عليه السّلام محبّين، و ثبت أنّ المخالفين لهم كانوا له و لجميع محبّيه مبغضين» قلت: نعم. قال: «فلا يدخل الجنّة إلّا من أحبّه من الأوّلين و الآخرين، فهو إذا قسيم الجنّة و النار».

قال المفضل بن عمر، فقلت له: يا ابن رسول اللّه، فرّجت عنّى فرّج اللّه عنك فزدنى ممّا علّمك اللّه تعالى، فقال: «سل يا مفضل» فقلت: أسأل يا ابن رسول اللّه فعلىّ بن أبى طالب عليه السّلام يدخل محبّه الجنّة و مبغضه النار أو رضوان و مالك؟ فقال: «يا مفضّل، أما علمت أنّ اللّه تبارك و تعالى بعث رسوله و هو روح إلى الأنبياء و هم أرواح قبل خلق الخلق بألفى عام؟» قلت: بلى. قال: «أما علمت أنّه دعاهم إلى توحيد اللّه و طاعته و اتّباع أمره، و وعدهم الجنّة على ذلك، و أوعد من خالف ما أجابوا إليه و أنكره النار؟» فقلت: بلى. قال: «أ فليس النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ضامنا لما وعد و أوعد عن ربّه عزّ و جلّ؟» قلت: بلى. قال: «أ و ليس علىّ بن أبى طالب عليه السّلام خليفته و إمام أمّته؟» قلت: بلى. قال: «أ و ليس رضوان و مالك من جملة الملائكة و المستغفرين لشيعته الناجين بمحبّته» قلت: بلى. قال: «فعلىّ بن أبى طالب عليه السّلام إذا قسيم الجنّة و النار عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و رضوان و مالك صادران عن أمره بأمر اللّه تبارك و تعالى، يا مفضّل، خذ هذا فإنّه من مخزون العلم و مكنونه لا تخرجه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣

إلّا إلى أهله»

«(١).

عن تفسير الإمام العسكرى عليه السّلام عن الحسن بن علىّ عليهما السّلام أنّه قال

«من دفع فضل أمير المؤمنين عليه السّلام فقد كذّب بالتوراة و الإنجيل و الزبور و صحف إبراهيم و سائر كتب اللّه المنزّلة، فإنّه ما نزل شىء منها إلّا و أهمّ ما فيه بعد الأمر بتوحيد اللّه تعالى و الإقرار بالنبوّة الاعتراف بولاية علىّ و الطيّبين من آله عليهم السّلام»

«(٢).

و

عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: ما قبض اللّه نبيّا حتّى أمره أن يوصى إلى عشيرته من عصبته، و أمرنى أن أوصى،

فقلت: إلى من يا ربّ؟ فقال:

أوص يـا محمّـد إلى ابن عمّـك علىّ بن أبى طالب عليه السّـلام، فإنّى قـد أثبتّه فى الكتب السالفـة، و كتبت فيها أنّه وصيّك، و على ذلـك أخـذت ميثاق الخلائق و مواثيق أنبيائى و رسـلى. أخـذت مواثيقهم لى بالربوبيّـة، و لك يا محمّـد بالنبوّة، و لعلىّ بن أبى طالب بالولاية

«۳».

و

عن جابر الجعفى عن الباقر عليه السّـلام فى روايـة طويلة قال: «فنحن أوّل خلق اللّه و أوّل خلق عبد اللّه و سبّحه، و نحن سـبب خلق، و سبب تسبيحهم و عبـادتهم من الملائكـة و الآدميين، فبنـا عرف اللّه، و بنا وحّـد اللّه، و بنا عبـد اللّه، و بنا أكرم اللّه من أكرم من جميع خلقه، و بنـا أثـاب من أثـاب، و بنـا عـاقب من عاقب، ثمّ تلا قوله تعالى: وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (۱۶۶) وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ «۴». و قوله تعالى: قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ «۵».

فرسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أوّل من عبـد اللّه تعالى، و أوّل من أنكر أن يكون له ولـد و شـريك، ثمّ نحن بعـد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»

«۶».

فظهر من جميع ما ذكر أنّ حقيقة الدين و روح الأحكام معرفتهم

---

(۱) تفسير الصافى: ج ۱، ص ۲۴- ۲۶.

(۲) تفسير الإمام العسكرى: ص ۸۳ ح ۴۶.

(۳) بحار الأنوار: ج ۲۶، ص ۲۷۲، ح ۱۱.

(۴) الصافات: ۱۶۶- ۱۶۷.

(۵) الزخرف: ۸۲.

(۶) بحار الأنوار: ج ۲۵، ص ۲۰، ح ۳۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۴

و ولايتهم، و جميع الخلق راجع إليهم، فجميع آيات الكتاب تكون فيهم و ما يتعلّق بهم و بشؤونهم فى دلالة اللفظيّة أو اللبيّة أو النقليّة، فتأمل.

لمحة تأريخيّة عن علوم القرآن

لقد أدركت الطلائع المؤمنة من أصـحاب رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أهميّة العلم، و وعت أن الشخصيّة الإسلاميّة عمادها الأسـاس هو التوحيـد، و أنّ طريق التوحيـد هو العلم، فـانبرت للعلم تنهله، و ترتـاد رياضه، و طلبت العلم ليهـديها إلى حقائق الكون، و لتبلغ المراتب الساميـة فى مدارج الرقى الحضارى، و تنافست فى مصداق قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ «۱». و تسابقت كسـبا للـدرجات العليا عنـد اللّه تعالى، و نيلا للرفعـة و المنزلـة السامية لديه ... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ «۲».

و فهم المسـلمون الأوائـل البون الشـاسع بين الجهـل و العلم فى اعتبـارات القرآن حين ثقفوا قوله تعـالى: كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ «۳» فى الوقت الـذى أشاد اللّه تعالى بشـهادة أهل العلم على وحـدانيّته: شَـهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا

الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «۴».

و لقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم النمير العذب و السلسل الرقراق لمختلف العلوم و المعارف، فأحاط به جمع من الصحابة الأجلّاء، يقتبسون منه سناء العلم، و يستضيئون بهداه.

غير أن هذه العلوم القرآنية لم تدوّن جميعها عند تدوين القرآن فى العهد الرسالى؛ و ذلك لأسباب عديدة عدّ بعضهم منها ما يلى:

---

(۱) الزمر: ۱۰.

(۲) المجادلة: ۱۲.

(۳) الروم: ۶۰.

(۴) آل عمران: ۱۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۵

۱- وجود الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بين المسلمين يوضّح لهم ما أشكل عليهم فهمه، و يبصّرهم بحقائق التفسير، و يوجّههم نحو المقاصد القرآنيّة، فهو ... يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ .... «۱».

۲- قدرتهم على الفهم المباشر و الاستيعاب الصحيح، لفصاحتهم و بلاغتهم العربيّة الأصيلة؛ و لأنّ القرآن الكريم: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (۱۹۴) عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (۱۹۵) بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ «۲».

۳- لعسر الكتابة و ندرة أدواتها و قلّة الكتّاب للتعلّم و التعليم، و بعد أن اختار اللّه سبحانه و تعالى الصادق الأمين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى جواره تبارى المسلمون الغيارى على الدين فى تدوين العلوم و تصنيفها حسبما توفّرت لديهم من الوسائل و الأدوات، و لعلّ من أهمّ الأسباب التى دفعتهم إلى التدوين:

أ- الرغبة فى أن يكونوا مصاديق تتحقّق فيهم إرادة اللّه الأزلية فى حفظ القرآن و تخليده بالبحث فيما احتواه من علوم و ما تضمّنه من معارف لما يترتّب على ذلك من هداية و تعليم و تربية.

ب- خدمة الأمّة الإسلاميّة جيلا بعد جيل بإشاعة العلم بينها، و نقله لها دون خطأ أو اشتباه بتدوينه، لا سيّما بعد أن اختلط العرب بغيرهم من الأعاجم.

ج- تزكية ما لديهم من العلم بنشره بين المسلمين، فإنّ فى نشره زكاة له.

د- نيل الثواب العظيم فى طلب العلم و نشره و ترويجه، حيث رفع اللّه سبحانه درجات العلماء فى الدنيا و الآخرة، و جعل طلب العلم فى أعلى مراتب المستحبات و المندوبات، و فى بعض مراتبه من أهمّ الفرائض

---

(۱) آل عمران: ۱۶۵.

(۲) الشعراء: ۱۹۴- ۱۹۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۶

و الواجبات، كما ظلّل أهل العلم بأجنحة ملائكته، و سخّرهم للاستغفار عنهم و الدعاء لهم كما هو فى متضافر الأخبار على تفصيل لا يسعنا المجال لبيانه.

هذا و قد كان مولانا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام الرجل الأوّل، و المحرز لقصب السبق فى مضمار تدوين القرآن و تفسيره و بيان علومه.

قال فى الإتقان: أخرج ابن أبى داود من طريق ابن سيرين قال: قال علىّ عليه السّلام: «لما مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

آليت ألا آخذ علىّ ردائى إلّا لصلاة جمعة حتّى أجمع القرآن».

و كذلك ابن الضريس فى فضائله، و ابن أشتة فى المصاحف من وجه آخر، و فيه أنّه كتب فيه الناسخ و المنسوخ «١».

و الجدير بالذكر أنّ جمع مولانا أمير المؤمنين القرآن لا يعنى أنّه لم يكن مدوّنا، بل كان مدوّنا فى الرقاع و العسب و نحوها، و قام أمير المؤمنين عليه السّلام بتدوينه مصحفا، و ذلك بترتيب (الجذاذات) المدوّن عليها و توحيدها.

و المشهور أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام أمر أبا الأسود الدؤلى (ت ٦٩ ه) بوضع بعض قواعد اللغة حفاظا على سلامتها، فكان عليه السّلام أوّل من وضع الأساس لعلم إعراب القرآن.

و أمّا فى مضمار التفسير فقد جاء: أمّا الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علىّ بن أبى طالب، و الرواية عن الثلاثة نزرة جدّا «٢».

و

عن نصير بن سليمان الأحمسى عن أبيه عن على بن أبى طالب أنّه قال: «و اللّه ما نزلت آية إلّا و قد علمت فيما أنزلت و أين أنزلت، إنّ ربّى

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن: ج ١، ص ١٨٣.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن: ج ٢، ص ١٢٢٧. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٣٧

وهب لى قلبا عقولا و لسانا سؤولا»

«١».

و

عن الأصبغ بن نباته أنّه عليه السّلام قال فى خطبة له: «سلونى قبل أن تفقدونى، فو الذى فلق الحبّة و برأ النسمة، لو سألتمونى عن أيّة آية لأخبرتكم بوقت نزولها، و فيم نزلت، و أنبأتكم بناسخها من منسوخها، و خاصّها من عامّها، و محكمها من متشابهها، و مكيّها من مدنيّها»

«٢».

و

عن ابن الطفيل قال: شهدت عليّا يخطب و هو يقول: «سلونى ...

فو اللّه ما من آية إلّا و أنا أعلم أ بليل نزلت أم بنهار، أم فى سهل أم فى جبل»

«٣».

و فتق الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام سائر العلوم القرآنية و صنّفها، فلقد أملى ستّين نوعا من أنواع علوم القرآن، و ذكر لكلّ نوع مثالا- يخصّه، و هو فى كتاب نرويه عنه من عدّة طرق موجود بأيدينا إلى اليوم، و قد أخرجه بتمامه العلّامة المجلسى «٤» (قده) فى الجزء الأربعين من بحار الأنوار.

و ليس عجبا أن ينال الإمام علىّ عليه السّلام هذه المرتبة، و أن يدّخر هذه الكنوز العلميّة، و أن يبلغ هذا الشأن؛ لأنّه العلم الهادى و الحجّة فى الخلق.

و من هنا يرى البعض أنّه لا يصحّ فيه ما اشتهر قوله: إنّه عليه السّلام أوّل الصحابة إسلاما، و أقدمهم إيمانا- لأنّ عليّا عليه السّلام هو وصىّ رسول ربّ العالمين، و حجّة اللّه على خلقه، ولد مؤمنا مسلما معيّنا من قبل اللّه تعالى للوصيّة و الخلافة و الإمامة قبل أن يخلق اللّه الخلق- إلّا على نحو الإضافة أو المجاز على ما هو المستفاد من بعض الروايات، كما أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الإرشاد: ج ١، ص ٣٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ۴٠، ص ١٧٩، ح ۶١.

(۴) هو المحدث الكبير محمد باقر بن محمد تقى الأصفهانى المشهور بالمجلسى (١٠٣٧- ١١١٠ ه).

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٣٨

نبيّا قبل أن يخلق فى الحياة الدنيا، و من تلك الأحاديث و الروايات التى ذكرت و هى صريحة فى عموم أخذ الميثاق للجميع بالنبوّة و الولاية فى عالم الذر «١».

الحديث الشريف: «كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين»

«٢».

و فى آخر: «كنت حيّا و آدم بين الماء و الطين»

«٣». و كذلك

الحديث القدسى: «لولاك لما خلقت الأفلاك»

«۴». إلى غيرها من الروايات و الأحاديث المعتبرة.

و قد ورد فى كتاب «إليا» و الذى نشرته دار المعارف الإسلامية فى لاهور فى باكستان فى تموز عام ١٩۵١ م تحت عنوان «أسماء مباركة توسّل بها نوح عليه السّلام» حيث عثر العلماء السوفيت فى منطقة «وادى قاف» على خشبة قديمة قالوا: إنها تعود إلى سفينة نوح عليه السّلام مكتوب عليها مجموعة من الحروف باللغة السامانيّة، و هى أقدم لغات العالم، و ترجم حروف هذه اللوحة إلى اللغة الإنجليزيّة العالم البريطانى «إيف ماكس» أستاذ الألسن القديمة فى جامعة مانشستر، و لا يخفى أنّ «إيليا» و «شبر» و «شبير» هى أسماء باللغة السامانية، و معناها بالعربيّة «علىّ» و «حسن» و «حسين» و قد

جاء فى دعاء النبىّ نوح عليه السّلام بعد ترجمته: «إلهى بلطفك و رحمتك و بالذوات المقدّسة محمّد إيليا شبّر شبير فاطمة خذ بيدى، فإنّ هؤلاء الخمسة عظماء يجب احترامهم، و من أجلهم خلق اللّه تعالى هذه الدنيا، إلهى فأمدّنى ببركة أسمائهم و أنت قادر على هدايتنا جميعا»

«۵».

إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان حافظا و مستودعا لعلوم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث

قال عليه السّلام: «كنت أدخل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كلّ يوم دخلة، و كلّ ليلة دخلة، فيخلينى فيها أدور معه حيثما دار، و قد علم أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

---

(١) انظر أصول الكافى: ج ٢، ص ٨ ح ١ و ٢.

(٢) عوالى اللآلئ: ج ۴، ص ١٢١، ح ٢٠٠.

(٣) عوالى اللآلئ: ص ١٢۴، ح ٢٠٨.

(۴) مفاتيح الغيب: ص ١۴.

(۵) موسوعة أهل البيت (ع) الكونية: ج ١، ص ٢٣٣. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٣٩

أنّه لم يصنع ذلك بأحد غيرى ... و كنت إذا سألته أجابنى، و إذا سكتّ و فنيت مسائلى ابتدأنى، فما نزلت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم آية من القرآن إلا أقرأنيها و أملاها علىّ، فكتبتها بخطّى، و علّمنى تأويلها و تفسيرها، و ناسخها و منسوخها و

محکمها و متشابهها، و خاصّها و عامّها، و دعا اللّه أن یؤتینی فهمها و حفظها»

«۱».

و

عن عبد اللّه بن مسعود قال: استدعی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علیّا علیه السّلام فخلا به، فلمّا خرج إلینا سألناه: ما الذی عهد به إلیک؟ فقال علیه السّلام: «علّمنی ألف باب من العلم، فتح لی کلّ باب ألف باب»

«۲».

و لقد أبان القرآن الکریم عن منزلة أمیر المؤمنین علیه السّلام و مقامه فی آیة المباهلة فی قوله تعالی: فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَی الْکاذِبِینَ «۳». فقد أجمع المفسّرون علی أنّ المقصود من الأبناء فی الآیة الشریفة هم الحسنان علیه السّلام، و النساء فاطمة علیها السّلام، و الأنفس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و علیّ علیه السّلام إلی غیرها من الآیات الشریفة و الروایات المتواترة کما فی حدیث الثقلین «۴» و المنزلة «۵».

---

(۱) الخصال: ج ۱، ص ۲۵۷.

(۲) الإرشاد: ج ۱، ص ۳۴.

(۳) آل عمران: ۶۲.

(۴)

قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «إنّی تارک فیکم الثقلین أحدهما أکبر من الآخر کتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلی الأرض و عترتی أهل بیتی، و إنّهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض» انظر مسند أحمد: ج ۳، ص ۱۴.

(۵)

قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «أنت منی بمنزلة هارون من موسی إلّا أنّه لا نبیّ بعدی» انظر الکافی: ج ۸، ص ۱۰۷، ح ۸۰. تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۴۰

بعض مفسّری الشیعة

من الصحابة الأوائل فی التفسیر و التأویل عبد اللّه بن عبّاس بن عبد المطّلب (ت ۶۸ ه). و هو أوّل من أملی فی تفسیر القرآن الکریم، و قد حکی عن أبی الخیر قوله فی طبقات المفسّرین عند ذکره ابن عبّاس: فهو ترجمان القرآن و حبر الأمّة، و رئیس المفسّرین «۱».

و قال الزرکشی: و صدور المفسّرین من الصحابة علیّ ثم ابن عبّاس، إلّا أنّ ابن عبّاس کان قد أخذ عن علیّ علیه السّلام «۲».

و قال أیضا کان لعلیّ علیه السّلام فیه- التفسیر- الید السابقة قبل ابن عبّاس، و

هو القائل: «لو أردت أن أملی وقر بعیر عن الفاتحة لفعلت».

و قال ابن عطیة فأمّا صدر المفسّرین و المؤیّد فیهم فعلیّ بن أبی طالب، و یتلوه ابن عبّاس رضی اللّه عنهما «۳».

و

قد ورد أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم دعا لابن عباس بقوله «اللهم فقّهه فی الدین»

«۴» فخرج بحرا فی العلم و حبرا للأمّة.

و من المفسّرین جابر بن عبد اللّه الأنصاری (ت ۷۴ ه) الذی عدّه أبو

(۱) انظر تأسیس الشیعة لعلوم الإسلام: ص ۳۲۲، الذریعة: ج ۴، ص ۲۳۳.

(۲) البرهان فی علوم القرآن: ج ۲، ص ۱۵۷.

(۳) البرهان فی علوم القرآن: ج ۱، ص ۸.

(۴) مناقب آل أبی طالب: ج ۱، ص ۸۴.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۴۱

الخیر فی طبقات المفسّرین من الطبقة الأولی «۱»، و منهم عبد اللّه بن مسعود، و منهم الصحابی الجلیل أبی بن کعب، و هو أوّل من صنّف فی فضائل القرآن، و هو سیّد القرّاء، و عدّه أبو الخیر فی الطبقة الأولی من المفسّرین، و هو ممّن جمع القرآن علی عهد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «۲»، و منهم سعید ابن جبیر التابعی، و هو أعلم التابعین فی التفسیر، و قال قتادة: کان سعید ابن جبیر أعلمهم بالتفسیر «۳»، و قال خصیف فیه: کان من أعلم التابعین بالطلاق سعید بن المسیّب، و بالحجّ عطاء، و بالحلال و الحرام طاووس، و بالتفسیر أبو الحجّاج مجاهد بن جبر، و أجمعهم لذلک کلّه سعید بن جبیر «۴».

و ممّن اهتمّوا بعلوم القرآن و عنوا بها: أبان بن تغلب (ت ۱۴۱ ه)، فهو أوّل من صنّف فی القراءة، و دوّن علمها، و أوّل من صنّف فی معانی القرآن، و أوّل من صنّف فی غریب القرآن، و منهم طاووس بن کیسان (ت ۱۰۶ ه)، و هو من أصحاب الإمام علیّ بن الحسین علیهما السّلام، عدّه ابن تیمیّة من أعلم الناس بالتفسیر، و منهم محمد بن السائب الکلبی من أصحاب الإمام محمّد الباقر علیه السّلام، و هو أوّل من صنّف فی أحکام القرآن (ت ۱۴۶ ه)، و هو صاحب التفسیر الکبیر، و منهم أبو حمزة الثمالی صاحب الإمام زین العابدین علیه السّلام و قد ذکر تفسیره ابن الندیم.

و من المشاهیر المهتمّین بعلوم القرآن الفراء یحیی بن زیاد فقد صنّف فی معانی القرآن، و منهم علیّ بن إبراهیم القمّی، و له کتاب تفسیر القرآن،

(۱) انظر تأسیس الشیعة لعلوم الإسلام: ص ۳۲۳.

(۲) انظر تأسیس الشیعة لعلوم الإسلام: ص ۳۱۹- ۳۲۳.

(۳) انظر تأسیس الشیعة لعلوم الإسلام: ص ۳۲۲ فما بعدها؛ مجمع البیان: ج ۱، ص ۷؛ التفسیر و المفسّرون: ج ۱، ص ۱۰۲- ۱۰۳.

(۴) التفسیر و المفسّرون: ج ۱، ص ۱۰۲- ۱۰۳.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۴۲

و علیه المعوّل إلی الیوم؛ لأنّه تفسیر بالمأثور عن أهل البیت علیهم السّلام، عاصر الإمام الحسن العسکری علیه السّلام و هو من أعیان القرن الثالث.

و منهم محمد بن أحمد بن جنید، و هو من الفقهاء الأعاظم، ألّف فی الفقه المقارن، و هو أوّل من صنّف فی أمثال القرآن. ذکر ابن الندیم فی الفهرست ما لفظه: کتاب الأمثال لابن الجنید. و له مصنّفات کثیرة، و هو من معاصری والد الشیخ الصدوق، و منهم العیّاشی محمّد بن مسعود، فله ما یقرب من مائتی مصنّف، منها کتاب التفسیر المعروف ب «تفسیر العیاشی».

و الحسن بن علیّ بن فضال، له کتاب «الناسخ و المنسوخ» و کان من خواصّ الإمام الرضا علیه السّلام، و توفّی سنة (۲۲۴ ه) و محمّد بن العبّاس بن علیّ المعروف بابن الحجّام، له فی کلّ علوم القرآن کتب مفردة، و له کتاب «ما نزل فی أهل البیت علیهم السّلام من القرآن» و هو ألف ورقة.

و منهم أبو علیّ الکوفی (ت ۳۴۶ ه) له کتاب «فضائل القرآن» و منهم ابن جریر الطبری (ت ۳۱۰ ه) و تفسیره مشهور باسمه.

و منهم ابن عقدة أبو العبّاس، و هو وحيد دهره فى حفظ الحديث (ت ٣٣٣ ه) له كتاب فى تفسير القرآن من طريق أهل البيت عليهم السّلام.

و فى هذا القرن ازداد ازدهار المؤلّفات، و كثرت المصنّفات، فظهر منها «البرهان فى علوم القرآن» و «البيان فى علوم القرآن» للشيخ المفيد محمّد بن النعمان (ت ۴۰۹ ه) و قيل (ت ۴۱۳ ه) و كتاب «تلخيص البيان فى مجازات القرآن» للسيد الشريف الرضى (ت ۴۰۶ ه) و كتاب «التبيان فى تفسير القرآن» للشيخ أبى جعفر محمّد بن الحسن الطوسى (٣٨٥- ۴۶۰ ه) و منهم الشيخ رشيد الدين محمّد بن عليّ بن شهر آشوب (ت ۵۸۸ ه) له كتاب «أسباب النزول» و كتاب «متشابه القرآن»، و منهم الشيخ أبو الفتوح الرازى له كتاب «روض الجنان فى تفسير القرآن» فى عشرين مجلّدا، و منهم أمين الدين الطبرسى (ت ۵۴۸ ه) و قيل (ت ۵۶۱ ه) صاحب «مجمع

البيان فى تفسير القرآن» «١».

ثم استمرّ العلماء فى إغناء المكتبة الإسلاميّة بصنوف المؤلّفات و الأبحاث المتعلّقة بالقرآن الكريم أمثال زبدة البيان للمقدّس الأردبيلى، و كنز العرفان للفاضل المقداد، و تفسير الصافى للفيض الكاشانى، و الميزان للسيّد الطباطبائى، و غيرها الكثير المصنّف فى هذا الشأن بنحو جامع شامل أو مختصّ بباب أو مجال من المجالات. و لا يزال البحث و التأليف مستمّرا فى أصقاع العالم الإسلامى، و العلماء عاكفين على دراسة ما فى القرآن الكريم من أصناف المعارف و العلوم، حيث ظهرت بدائع المؤلّفات و نفائس المصنّفات التى كشفت عمّا فى القرآن الكريم من ذخائر و كنوز المعرفة و العلم، و هو يمدّ البشريّة بأنوار الهداية و الرشاد، و يدلّهم على الطريق المستقيم و الحياة الحرّة السعيدة الكريمة.

علم التفسير أساس علوم القرآن

التفسير فى اللغة الكشف و الإظهار و الإبانة، و فى الاصطلاح بيان معانى الآيات القرآنيّة و شأنها و ظروفها بلفظ يدلّ عليه دلالة ظاهرة «٢».

و أما التفسير بوصفه علما فهو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم بوصفه كلاما للّه تعالى «٣».

فالنظر فى القرآن الكريم من حيث كونه كلاما له دلالة و معنى و لله تعالى فيه غرض و قصد، و من أجل بيان هذه الدلالة و شرح المعنى و إيضاح القصد و الإفصاح عن الغرض نشأ علم التفسير الذى تكفّل بتلك الغايات.

---

(١) لمزيد الاطلاع راجع كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام؛ مجمع البيان لتفسير القرآن، مقدّمة الكتاب.

(٢) أنظر لسان العرب: ج ۵، ص ۵۵، «فسر»؛ مجمع البيان: ج ١، ص ١، كلمة فى التفسير؛ دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعية: ج ١١، ص ۴٧.

(٣) دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعية: ج ١١، ص ۴٩.

و لعلّ على هذا المعنى جاء قوله سبحانه: وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً «١» و بذلك يختلف عن التأويل؛ لأنّ التأويل من الأول؛ أى الرجوع إلى الأصل كما فى مفردات الراغب «٢»، و التفسير أعمّ منه، كما و أنّ أكثر ما يستعمل التفسير فى الألفاظ و التأويل فى المعانى، كتأويل الرؤيا، كما أنّ التفسير أكثره يستعمل فى المفردات بينما التأويل فى الجمل، مضافا إلى أنّ التأويل يستعمل أكثره فى الكتب الإلهيّة، بينما التفسير قد يستعمل فى الأعمّ، و لا يخفى عليك أنّ تفسير القرآن و العلم بتأويله من أشرف الصناعات و أسمى المعارف، و ذاك لما ثبت فى المنطق من أنّ الصناعات الحقيقيّة إنّما تتشرّف بأحد ثلاثة أمور:

الأول: شرف موضوعاتها، و هو المشهور الغالب فی مختلف العلوم، کما قالوا بأشرفیّة علم الکلام علی الفقه، و الثانی علی الأصول؛ لکون الأوّل یبحث فی موضوع المبدأ و المعاد، و هما یعودان إلی الخالق تبارک و تعالی، و فی العرف یقولون: الصیاغة أشرف من الدباغة؛ لأنّ موضوعها الذهب و الفضّة، و هما أشرف من جلد الحیوان المذکّی أو المیتة الذی هو موضوع الدباغة.

الثانی: شرف أغراضها و غایاتها، کما شرّف علم الطب علی غیره؛ لکونه یهدف إفادة صحّة الإنسان و سلامته، و الإنسان أشرف مخلوقات اللّه سبحانه، و کما شرّف علم الفقه علی غیره؛ لکونه یهدف الرفعة بالإنسان إلی الکمالات المعنویّة العالیة. و فیه قد قیل: موضوعه فعل المکلفیناغایته الفوز بعلیینا «۳».

الثالث: شرف معلومه، و بعضهم أضاف شدّة الحاجة إلیه؛ لوقوع مسائله کثیرا فی محلّ حاجة العالم و استنفاد أغراضه.

---

(۱) الفرقان: ۳۴.

(۲) مفردات الراغب: ص ۹۹، «أول».

(۳) انظر الذریعة: ج ۷، ص ۲۱۳.

و هذا ما حازه جمیعا علم التفسیر؛ و ذلک لأنّ موضوعه کلام اللّه سبحانه و تعالی الذی هو ینبوع کلّ حکمة، و معدن کلّ فضیلة، و مخزن العلوم و المعارف، و غرضه هدایة الناس إلی التی هی أقوم فی الدنیا و الآخرة.

کما أنّ معلومه ما أودعه اللّه سبحانه من قوانین و معان و أسرار فی عالمی التکوین و التشریع، فعلم التفسیر هو من أجلّ العلوم قدرا؛ لأنّه الموصل إلی فهم مراد الباری عزّ و جلّ فی کتابه، و معرفة أحکامه فی وحیه و تنزیله، و ما فرضه علی عباده، و هذه الغایة من أشرف الغایات و أحسن الطرق لنیل السعادات.

هذا و قد نشأت للتفسیر أسالیب و مذاهب، و دوّنت للمفسّرین شرائط و آداب، و صار المفسّرون طبقات.

و لأهمّیّة الدور الذی یمارسه علم التفسیر صار هذا العلم أساسا لکافة العلوم و أهمّها، و ما من علم إلا و یعوّل علیه، و لقد بیّن العلماء الشروط التی یجب توفّرها فی العالم لیکون قادرا علی التفسیر، و لعلّ من أهمّها ما یلی:

۱- اللغة: لیعرف بها شرح المفردات و مدلولاتها بحسب الوضع، فلا یکفی معرفة الیسیر منها.

۲- النحو: بما أنّ المعنی یتغیّر و یختلف باختلاف الإعراب فلا بدّ من وجود الإعراب لتحدید المعنی المراد من الترکیب بناء علی معرفة إعرابه.

۳- التعریف: و به یعرف المفسّر أبنیة الکلم و موازینها و صیغها، فإذا وجد کلمة مهمة استطاع تصریفها، فاستطاع معرفة مادّتها و معناها.

۴- الاشتقاق: و هو معرفة المصدر الذی صدرت عنه الکلمة، فالاسم إذا کان من مادّتین مختلفتین اختلف معناه باختلافهما، کالمسیح مثلا: أ هو من السیاحة أم من المسح؟.

۵- علوم البلاغة: و بها یعرف المفسّر طریق المعانی، و خواصّ التراکیب.

۶- علم القراءات: و به یعرف کیف ینطق بالقرآن، و به کذلک یرجّح بعض وجوه التفسیر المحتملة علی بعض آخر؛ لتواتر قراءة، أو شهرتها، أو شذوذها.

۷- أصول الدین: و هی قواعده المتعلّقة بذات اللّه و صفاته و أفعاله و الإیمان به و ما إلی ذلک، و بهذا العلم یستدلّ المفسّر علی ما یستحیل بحقه تعالی، و ما یجب، و ما یجوز.

۸- أصول الفقه: و به يستطيع أن يدرك وجه الاستدلال على الأحكام فيه.

۹- أسباب النزول: إنّ معرفة أسباب النزول توضّح إلى حدّ بعيد مرامى تلك الآية و مدلولها.

۱۰- الناسخ و المنسوخ: يعلم به الآيات المحكمة و الآيات المنسوخة و ما بطل العمل به و ما بقى و هكذا.

۱۱- الحديث النبوى: و ما حديث الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلّا تفسير للقرآن و الشريعة، فكم من حديث فسّر القرآن، و كم من مغلق فتحه.

۱۲- علم الموهبة: و هو علم يورثه اللّه لمن عمل بما علم، كما ربّما يستفاد من بعض الأخبار.

۱۳- علم المنطق: و هو علم مهمّ للغاية يحتاجه المفسّر طريقا إلى الفهم الصحيح، لكونه ضابطا للتفكير.

إضافة إلى كلّ هذا يجب أن يكون المفسّر أديبا، ذكيا، واسع العقل، كبير القلب، تقيّا، صالحا، يخشى اللّه فى السرّ كما يخشاه فى العلانيّة؛ لأنّ هذه تهيئ فى نفسه الاستعداد لشروق الروح و صفاء الضمير، فيفيض البارى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۷

عزّ و جلّ عليه من أنواره و عناياته و ألطافه.

أنواع التفسير

ربما ينقسم التفسير إلى نوعين أساسيين:

الأول: تفسير لفظى لا يتجاوز غالبا حلّ الألفاظ و إعراب الجمل و بيان ما يحتويه نظم القرآن من نكات بلاغيّة و إشارات فنّيّة، و هذا النوع أقرب إلى التطبيقات اللغويّة و البلاغيّة منه إلى التفسير و بيان مراد اللّه سبحانه من هداياته.

الثانى: تفسير المعنى و هو يجاوز اللغة، و يجعل هدفه الأعلى تجلية معانى القرآن و تعاليمه، و حكمة اللّه تبارك و تعالى فيما شرّع للناس فى كتابه العزيز على وجه يزكّى الأرواح، و يفتح القلوب، و يرفع النفوس إلى الاهتداء بهديه، و هذا هو الأصل فيه.

هذا و للمفسّرين فى مساعيهم مذاهب مختلفة ترجع إلى اختلاف الهدف أو الجهة التى أراد كلّ مفسّر أن يستنطق القرآن و يستهدى بهديه فيها، و لعلّ من أبرز هذه المذاهب ما يلى:

۱- التفسير بالمأثور ۲- التفسير بالدراية، و المراد بالدراية هنا الاجتهاد بعد معرفة المفسّر كلام العرب و أساليبهم فى القول، و بعد وقوفه على أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه و نحوها من مسائل و فنون مختلفة.

۳- التفسير الباطنى ۴- التفسير العقلى الفلسفى أو الكلامى ۵- التفسير الفقهى ۶- التفسير العلمى، و يقصد به التفسير الذى يتحدّث عن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۸

الاصطلاحات العلميّة فى القرآن، و يجتهد فى استخراج مختلف العلوم و الآراء القائمة على الأسس الفلسفيّة منها، أو العلوم التجريبيّة.

۷- التفسير الاجتماعى ۸- التفسير الأدبى ۹- التفسير التدبرى الذى يعتمد غالبا على الفهم العميق و الإدراك المركّز لمعانى الألفاظ القرآنيّة بعد إدراك مدلول العبارات القرآنيّة و فهم دلالاتها فهما عميقا و دقيقا، ثم ربطها بواقع الحياة البشريّة، و فهم أبعادها و جوانبها المختلفة فى الآمال و الآلام و الطموحات و المشاعر و التفكّرات.

۱۰- التفسير الشمولى، و هو الذى يجمع بين كلمات اللّه سبحانه و كلمات حججه الطاهرة عليهم السّلام بما لهما من ظلال و تطابق و تكامل فى آن واحد، و يجعل من كلّ منهما ميزانا و مفسّرا للآخر؛ لأنّ القرآن و السنّة نور واحد و رسالة واحدة تجلّى أحدهما فى كلمات الوحى الإلهى و الآخر فى كلمات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمة الطاهرين عليهم السّلام.

مضافا إلى اعتماده فى ذلك على تجارب الحياة و عبقريّة البشر و طاقاته العقليّة و تدبّره فى مختلف المسائل و الشؤون؛ و ذلك للتطابق الجوهرى بين النقل و العقل لكونهما يرجعان إلى خالق واحد و نظام واحد و رؤية واحدة.

و بالتالی فإنّ ما یبینانه من مفاهیم و معان هی عین الحقّ و الصواب لا یخالجه خطأ أو جهل أو قصور، و لعلّ هـذا أفضل أنواع التفسیر و أکمله و أدقّه لما له من خصوصیّة فهم القرآن فی أصل معناه أو حدوده أو مصداقه الأکمل علی میزان أهل البیت علیهم السّلام و رؤیتهم، کما أنّ القرآن المیزان الذی یمیّز کلامهم علیهم السّلام من غیره المشتبه علی الناس فی السند أو فی الدلالة، و هذا ما قد نجده جلیّا فی تفسیر المرجع الدینی الإمام السیّد محمّد الحسینی الشیرازی (أعلی اللّه مقامه) حیث جمع بین اللغة و العقل و النقل الوارد عن المعصومین علیهم السّلام فی فهم معانی الآیات و کشف مضامینها.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۴۹

هذا و لا یخفی علیک أنّ إعجاز القرآن لا ینحصر بألفاظه و ظواهره، بل فی رموزه و إشاراته و لطائفه و حقائقه، ففی کلّ سورة بحار من المعارف، و تتجلّی فی کل آیة منه أنوار من الحقائق و الهدایات، و کیف لا یکون کذلک و قائله عزّ و جلّ لا نهایة لعلمه و کماله، و لا حد لعظمته و جلاله، و ما حصل من التحدیدات إنّما هو من مقتضیات الاستعدادات لطفا بالعباد، لا أن یکون تحدیدا منه.

و ربّما یتوصّل من یراجع مختلف أنحاء التفاسیر أنّه فسّر کلّ صنف من العلماء القرآن بما هو المأنوس عندهم، فالفلاسفة و المتکلّمون فسّروه بمذاهبهم من الآراء الفلسفیّة و الکلامیّة، و العرفاء و الصوفیّة علی طریقتهم، و الفقهاء فسّروا ما یرتبط بغرضهم فی فقه الأحکام و المسائل، و المحدّثون فسّروه بخصوص ما ورد من السنّة الشریفة من الآیات، کما أنّ الأدباء فسّروه من زاویتهم الأدبیّة، و هکذا أهل المعارف و العلوم الإنسانیّة و الطبیعیّة.

و مع کلّ ذلک یظهر العجب فی أنّه کلّما کثر فی هذا الوحی المبین و النور العظیم من هذه البیانات و التفاسیر فهو علی کرسی رفعته لا ینقص، و جماله یزداد علی مر العصور تلألؤا و جلالا، فما نجده من مزایا و خصوصیّات لبعض التفاسیر إنّما هی قضیّة نسبیّة تعتمد علی ذکاء المفسّر وسعة اطّلاعه و طول باعه فی العلوم المختلفة، و هذا ما امتاز به الإمام الشیرازی (قدّس سرّه)؛ إذ له فی کلّ فنّ معرفة، و له فی مختلف مجالات الثقافة و الفکر رؤیة و منهج، و من هنا کانت له إشراقات و إلماعات ربّما لم یصل إلیها قبله مفسّر أو یسبقه إلیها ذهن عالم أو أدیب، کما ستجد ذلک جلیّا من خلال مطالعتک لهذا السفر القیّم.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۵۰

الطریقة الجدیدة فی تفسیر القرآن الکریم

تقریب القرآن إلی الأذهان ج۱ ۹۹

إنّ مفسّری القرآن و بالأخصّ القدامی منهم أبلوا بلاء حسنا فی تفسیر الآیات الشریفة المتعلّقة بالعقائد و الأحکام، و خصوصا مواضیع التوحید و الشرک و النبوّة و الإمامة و نحوها، و التی تشکّل جوهر الإسلام، و العنصر الذی اتّفقت علیه الشرائع الإلهیّة، لکن الملحوظ أنّ منهج القدماء قام علی أساس التسلسل السوری فی القرآن؛ إذ أخذوا فی تفسیرهم سورة بسورة و آیة بآیة؛ لذلک لم یبحثوا مجموع الآیات الواردة حول موضوع واحد دفعة واحدة إلّا نادرا، مما أدّی إلی توزیع الکثیر من المضامین و المعانی فی الشیء الواحد علی مختلف السور و الآیات، فصار الطالب یحتاج إلی المزید من الجهد و التتبع حتّی یحصل علی الحقیقة کاملة جلیّة علی الرغم من وجود نقاط قوّة عدیدة فی هذا النهج.

أمّا طریقة التفسیر الجدیدة فهی جاءت تکملة لجهود المتقدّمین و إغناء لتجاربهم و دراساتهم لتعطی لنا صورة بالغة الوضوح و مکمّلة لما أعدّه السابقون من المفسّرین، و هذا التفسیر یسمّی «التفسیر الموضوعی» و هو یعنی بتفسیر آیات القرآن الکریم حسب الموضوعات و المفاهیم، أی حسب التبویب و التقسیم الموضوعی للقرآن الکریم.

و تتلخّص هذه الطریقة فی جمع الآیات المتعلّقة بالموضوع الواحد فی مکان واحد، ثمّ تصنیفها علی حسب التسلسل الموضوعی، ثمّ القیام بعملیّة جمع بین الأصناف لاستنباط نظرة واحدة متکاملة و فکرة جامعة شاملة من مجموع هذه الآیات، خصوصا أنّ القرآن

الكريم تِبْياناً لِكَلِّ شَیْءٍ «۱» كما أنّنا نستفيد فائدة أخرى من هذا الجمع لمجموع الآيات المتعلّقة بموضوع معيّن بالإضافة إلى فائدة الوقوف على النظرة القرآنيّة المتكاملة، و هى أنّنا

(۱) النحل: ۹۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۱

ربّما يصعب علينا فهم آية ما من الآيات، أو معرفة الهدف منها لابتعادنا عن عصر الوحى و عدم اطّلاعنا على ملابسات نزول تلك الآية بنحوها الكامل و القرائن الحاليّة أو المقاميّة و نحوها السائدة فى المجتمع الإسلامى آنذاك، فيأتى أسلوب «جمع الآيات إلى جانب بعضها» ليساعدنا على رفع بعض الغموض و إزالة شىء من الإبهام، و تنكشف لنا بسبب هذا الجمع ملامح الحقيقة من خلال غيوم الاحتمالات و سحب الأوهام التى قد تكتنف آية من الآيات؛ و لهذا

قيل: «إنّ القرآن يفسّر بعضه بعضا»

«۱» و

ورد عن مولانا أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام تأكيد لذلك: «كتاب اللّه تبصرون به و تنطقون به، و تسمعون به، و ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض»

«۲».

هذا و التفسير الشريف الذى نتحدّث عنه و إن كان قد جارى طرق القدامى فى نهجه و طريقته إلّا أنّه حاول فيه المصنّف (أعلى اللّه مقامه) أن يقترب بعض الشىء إلى الطريقة الجديدة، فسعى إلى إيجاد ربط بين الآيات المختلفة، و أشار إلى الجهات الأخرى المكمّلة لمعانى الآيات المفسّرة فى موردها، و فى بعضها أشار إلى عنوانها، و بذلك يكون قد سهّل على القارئ الوصول إلى بعض الحقيقة كاملة، و كان موفّقا فى ذلك؛ لأنّ من أصعب ما يجده الكاتب فى مثل هذا النوع من الكتابات أن يجمع المعانى المتعدّدة فى عبارة موجزة و مختصرة، خصوصا و أنّه يفسّر القرآن.

القرآن يفسّره الزمان

إنّ تطور الزمن و تقدّم العلوم أكسب المحقّقين و المفكّرين نمطا جديدا من الرؤية، حيث تتأكّد هنا أهمّيّة و ضرورة التفسير الموضوعى، فقد أصبح كلّ فريق من هؤلاء المفكّرين و المحقّقين و بالاعتماد على هذا النوع من التفسير يستخرج من القرآن الكريم مفاهيم و أمورا علميّة جديدة تطابق

(۱) بحار الأنوار: ج ۵۴، ص ۲۱۸، تبيين.

(۲) نهج البلاغة: ص ۱۹۲، الخطبة ۱۳۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۲

اختصاصه، فالاستفادة من القرآن الكريم على الأصعدة الاجتماعيّة و السياسيّة و الأخلاقيّة فى تصاعد و اتّساع مستمرّين.

و قد استخرج المحقّقون الإسلاميّون المعاصرون بفضل ما أوتوا من الطرق الحديثة المبتكرة فى البحث العلمى و الدراسة و التحليل حقائق مهمّة من القرآن الكريم ربّما لم تخطر على بال المفكّرين و المحقّقين القدامى، فأضافوا على علوم القرآن الكثير، كما اكتشفوا من المعانى و المضامين الشىء الكثير.

إنّ القرآن الكريم كتاب أبدى خالد ينطوى على أبعاد مختلفة، و بطون متنوّعة، بحيث يمكن للعقل البشرى المتطوّر أن يكتشف فى

کلّ مرّة معنی جدیدا فیه، و بحیث یمکن لدارسیه من أهل التحقیق أن یکتشفوا فی کلّ عصر بعدا جدیدا من أبعاده فی شتی مجالات المعارف الإنسانیة، و من هنا اتّفقت الکلمة علی أنّ الاستفادة من القرآن الکریم لا ـ تنحصر بالعرفاء و الفقهاء و الفلاسفة و أرباب العلوم القدیمة و الإلهیّات خاصّة.

إنّ استنباط نکات دقیقة و جدیدة من القرآن من قبل علماء الطبیعة و الریاضیین و رواد العلوم الإنسانیة کعلم النفس و علم الاجتماع و علم فلسفة التأریخ خیر دلیل و أفضل شاهد علی أنّ هذه المعجزة الخالدة تنطوی علی بطون عدیدة و أبعاد متنوعة، و أنّها تتّسع لمفاهیم واسعة کثیرة یضیق عن استیعابها أو تحصیلها أیّ تصوّر بشری و ذهن إنسانی و برنامج ثقافی عادی مهما ادّعی من الشمولیّة و الغزارة و الإحاطة.

إنّ مرور الزمن و تقدّم العلوم لم یمنحا علماء الطبیعة وحدهم إمکانیّة استنباط حقائق و أبعاد مهمّة و جدیدة عن القرآن فی حقول علوم الطبیعة و خلقة الإنسان و الأرض و السماء و غیرها من الظواهر الطبیعیّة، بل و مکّنا المفسّرین أیضا من استخراج حقائق مهمّة و جدیدة من هذا السفر الإلهی الخالد جنبا إلی جنب مع توسّع العلوم و اتّساع نطاق المعارف و تفتّحها و ظهور المناهج العلمیّة الإنسانیّة الجدیدة.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۵۳

و الآن نحن نشاهد شروع التحقیقات العلمیة حول القرآن من طریق أجهزة الحاسوب (الکمبیوتر) و قد کشفت للأجیال الحاضرة و القادمة الکثیر من الحقائق و الآفاق التی عجز العقل و الذهن البشری العادی عن اکتشافها و التوصّل إلیها بمجرّده، فبواسطة هذا الجهاز العجیب تمکّن العلماء من إزالة الکثیر من نقاط الإبهام التی دارت سابقا حول مضامین بعض الآیات و الروایات بسبب قصور الناس عن درکها، و سیأتی زمان أیضا یفسّر لنا الکثیر من الغوامض فیهما التی ربّما تصوّرها بعض الناس أنّها شیء من الغریب أو المستهجن، فإنّ للقرآن الکریم معانی و درجات و صورا و حقائق، و حینما یتّصل عقل الإنسان بنور الوحی یزداد انشراحا و بهاء و تألّقا و معرفة، فتفتح له من العلم أبواب و أبواب.

قال سبحانه و تعالی: وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما یَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ «۱» و قال عزّ من قائل: هذا بَصائِرُ لِلنَّاسِ وَ هُدیً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ یُوقِنُونَ «۲» و

جاء فی الحدیث الشریف عن الصادق علیه السّلام «کثرة النظر فی العلم یفتح العقل»

«۳» و

عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أنه قال: «سلونی عن القرآن فإنّ فی القرآن علم الأوّلین و الآخرین، لم یدع لقائل مقالا، و لا یعلم تأویله إلّا اللّه و الراسخون فی العلم»

«۴» و

روی عن الإمام الباقر علیه السّلام أنّه قال: «إنّ اللّه تعالی لم یدع شیئا تحتاج إلیه الأمّة إلی یوم القیامة إلّا أنزله فی کتابه، و بیّنه لرسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم»

«۵» لکن المشکلة فی البشر أنفسهم لعجزهم و قصورهم أو تقصیرهم فی الإمعان فیه و اکتشاف أسراره و غوامضه، لکن کلما سعی البشر فی فهمه و دراسته وصل إلی

---

(۱) العنکبوت: ۴۳.

(۲) الجاثیة: ۲۱.

(۳) بحار الأنوار: ج ۱، ص ۱۵۹، ح ۳۲.

(۴) بحار الأنوار: ج ۲۴، ص ۱۷۹، ح ۱۱.

(۵) بحار الأنوار: ج ۸۹، ص ۸۴، ح ۱۶؛ تفسير الصافى: ج ۱، ص ۵۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۱، ص: ۵۴

مطلوبه؛ لأنّ القرآن كتاب هدى و نور، و من الهدى الإيصال إلى المطلوب.

و لعلّ ممّا يؤيّد ذلك ما ورد فى بعض الأخبار من أنّ القرآن الكريم يفسّره الزمان، و الذى قد يكون من معانيه أمور:

۱- أنّ القرآن الكريم صالح لكلّ عصر و زمان، و يتناسب مع أىّ تطوّر حضارى و علمى و تأريخى، بل هو الأساس فى دعم أىّ حضارة و أىّ مدنيّة مؤمنة بأهداف إنسانيّة، و يعطيها الروح و الديموميّة.

۲- أنّ تطوّر العلم و التكنولوجيا الحديثة كشف الكثير من الحقائق القرآنيّة، و لعلّ من ذلك أنّ الشمس وردت فى القرآن الكريم (۳۳) مرّة و بمعان فلكية رائعة تحكى الحقيقة العلميّة بكلّ وضوح، و لعلّ أهمّها تلك الآيات التى تتحدّث عن حركتها أو حركاتها الكثيرة و بأسلوب علمى جمالى يخلب الألباب ... و تلك الآيات التى تتحدث عن هرم الشمس و شيخوختها و موتها فى آخر الأمر كبقيّة المخلوقات التى نشرها اللّه تعالى فى كونه الكبير ... وردت الشمس كما وردت بقيّة الأجرام الكونيّة و الظواهر السماويّة الأخرى ضمن أسلوب و هدف القرآن ككلّ، و هو الهداية و إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم و الحياة؛ و لأنّ القرآن ليس كتابا علميّا خاصّا لم يتعرّض إلى قطرها، و لا إلى حجمها، و لا إلى كثافتها، و لا إلى درجة حرارتها أو جاذبيّتها، و لا لأى رقم علمى محدّد ممّا تتعرّض له الدراسات الكونيّة المعاصرة. و لكن يمكن لقارئ القرآن و الباحث فى الآيات الكونيّة أن يحصل على معلومات ممتازة عن الشمس لكن فى حدود، و يمكن أن يأتى باحث آخر و يلتقط معلومات أخرى و ضمن حدود معيّنة أخرى، و يبقى الباحثون الجادّون غائصين فى بحر القرآن كلّ يلتقط ما يستطيع من لآلئه، مستفيدين من علوم عصرهم، فهى أضواء إضافيّة تنير الطريق للغوص فى طرق الشمس و الآيات الكونيّة الأخرى الزاخرة فى القرآن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۱، ص: ۵۵

الكريم «۱». فإنّ ما يتوصّل إليه العلماء فى مجال الفلك فى هذا العصر الحديث الملىء بالاكتشافات الباهرة حول هذا الجرم السماوى هو يؤكد و يؤيّد يوما بعد آخر ما ذكره ديننا الإسلامى حول الشمس فى جميع خصوصيّاتها.

۳- أنّ عقول البشر فى تطوّر و نموّ، و الحياة سائرة نحو المزيد من العلم و المعرفة، و التجارب تتراكم على كشف الكثير من الأسرار، و كلّما تطوّر الإنسان توصّل إلى مراق و آفاق جديدة فى القرآن لم يكن قد وصلها من قبل، بل لم يكن يدركها لقصوره و عجزه، فكلّما تطوّر الزمن و تطوّر معه الإنسان توصّل إلى حقائق و أبعاد جديدة فى فهم الآيات، و استنار بهديها، فكلّ جيل منهم يختلف عن السابق كما سيختلف عن اللاحق حتّى تكتمل العلوم باكتمال الإنسان فى عصر ظهور ولى اللّه الأعظم (عجل اللّه فرجه الشريف)، فحينئذ يصل إلى درجات سامية من المعرفة و الفهم و الإدراك.

هذا التفسير

مهما كانت الدوافع الكامنة وراء كتابة التفسير و ضمن الشروط التى ذكرناها فيما تقدّم و التى يجب أن تتوفّر فى المفسّر فإنّ ما كتب فى هذا المجال يعدّ إنجازا علميّا له خصائصه و مميّزاته، حيث إنّ كلّ تفسير كتب- و ضمن الشروط الموضوعة و المقرّرة لذوى الاختصاص- يضيف معلومات جديدة و فنّا و ذوقا آخر لهذا العلم الذى لا ينضب، لكن تبقى لمن اتّخذ أهل البيت عليهم السّلام نهجا و طريقا و مدرسة و تألّقا و علوّا و ارتفاعا فيما يستنبط من آراء و يبنى من أفكار و يؤسّس من رؤى السمة العليا فى ذلك، و هذا ما اتّسم به السيّد الراحل أعلى اللّه مقامه، و تميّزت به كتبه الوفيرة، و خصوصا هذا

(١) موسوعة أهل البيت الكونية: ج ٢، ص ٣٥٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٦

التفسير، حيث زانته من ضمن ما زانته اعتماده المطلق على ما ورد منهم عليهم السّلام، مسلّما لهم، منقادا إليهم فيما يقولون و يعملون و يهذّبون، و هذه سمة لا ينالها إلّا الفائزون الناجحون، و العالمون الصادقون؛ لأنّهم صلوات اللّه عليهم باب اللّه الذى منه يؤتى، و هم عيبة علمه، و حبلة المتين، و صراطه المستقيم، و عندهم عليهم السّلام جوامع الكلم و العلم كما

ورد عن ابن عبّاس أنّه قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «أعطانى اللّه خمسا، و أعطى عليا خمسا، أعطانى جوامع الكلم، و أعطى عليا جوامع العلم»

.«(١)

و

عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إنّا أهل بيت عندنا معاقل العلم و أبواب الحكم و ضياء الأمر»

.«(٢)

و

عن الصادق عليه السّلام قال: «عندنا أهل البيت أصول العلم و عراه و ضياؤه و أواخيه»

.«(٣) «(٤)

فالاعتماد عليهم صلوات اللّه عليهم يكشف الكثير من الحقائق و المعارف مع تطوّر الزمن و الاكتشافات؛ حيث أشاروا صلوات اللّه عليهم و بيّنوا جميع الأمور للبشريّة، و بقى علينا أن نجدّ أكثر و نسعى لإظهار هذه الحقائق و الاغتراف من منهلهم العذب، و هذا لا يأتى إلّا بالمعرفة التامّة لأهل البيت عليهم السّلام، معرفة المؤمنين بهم و بمقاماتهم السامية و المستسلمين فى مدرستهم بكل خشوع و انقياد؛ و ذلك لأنّ العلم نور يقذفه اللّه سبحانه فى قلب من يشاء، و ليس ذلك إلّا من تنوّر بمحبّتهم عليهم السّلام، و تواضع لعظمتهم، و اقتدى بهم، و تعلّم فى مدرستهم، و

قد ورد عن الصادق عليه السّلام: «فمن عرف

---

(١) بحار الأنوار: ج ٨، ص ٢٨، ح ٣١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢۶، ص ٣٠، ح ۴٢.

(٣) الأخيّة و الآخيّة- بالمد و التشديد- واحدة الأواخى: عود يعرّض فى الحائط، و يدفن طرفاه فيه، و يصير وسطه كالعروة تشدّ إليه الدابّة. أى بنا يشدّ و يستحكم أمر الدين و لا يفارقنا علمه. انظر لسان العرب: ج ١۴، ص ٢٣، «أخا»؛ بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢١۴، ح ٣.

(۴) بحار الأنوار: ج ٢۶، ص ٣١، ح ۴۴. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧

من أمّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم واجب حقّ إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه، و علم فضل طلاوة إسلامه؛ لأنّ اللّه تبارك و تعالى نصب الإمام علما لخلقه، و جعله حجّة على أهل موادّه و عالمه، و ألبسه اللّه تاج الوقار، و غشّاه من نور الجبّار، يمدّ بسبب إلى السماء ... إلى أن قال: حجج اللّه و دعاته و رعاته على خلقه، يدين بهديهم العباد، و تستهلّ بنورهم البلاد، و ينمو ببركتهم التلاد ... فليس يجهل حقّ هذا العالم إلّا شقى، و لا يجحده إلّا غوى، و لا يصدّ عنه إلّا جرىّ على اللّه جلّ و علا»

.«(١)

و

فى حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال «يا سلمان، من عرفهم حقّ معرفتهم و اقتدى بهم ... فهو و اللّه منّا، يرد حيث نرد،

و يسكن حيث نسكن ...»

«٢» و إلى ذلك

أشار الإمام الصادق عليه السّلام بقوله: «ما جاءكم منّا ممّا يجوز أن يكون فى المخلوقين و لم تعلموه و لم تفهموه فلا تجحدوه، و ردّوه إلينا»

«٣».

و

عن الإمام الباقر عليه السّلام «هم و اللّه نور اللّه الذى أنزل، و هم و اللّه نور اللّه فى السماوات و فى الأرض»

«۴».

و

عن أبى ذرّ (رضوان اللّه عليه) قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول

«خلقت أنا و علىّ بن أبى طالب من نور واحد»

«۵».

و

فى رواية أنّهم جميعا عليهم السّلام من نور اللّه الأعظم

«۶».

كما أنّ علمهم عليهم السّلام و ورثوه من النبىّ الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،

فعن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «إنّ علىّ بن أبى طالب كان هبة اللّه

---

(١) أصول الكافى: ج ١، ص ٢٠٣- ٢٠۵، ح ٢.

(٢) إلزام الناصب: ج ٢، ص ٣٣٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢۵، ص ٣۶۴، ح ١.

(۴) أصول الكافى: ج ١، ص ١٩۴، ح ١.

(۵) بحار الأنوار: ج ١۵، ص ١١، ح ١٢.

(۶) انظر إرشاد القلوب: ج ٢، ص ۴٠۴. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ۵٨

لمحمّد، و ورث علم الأوصياء و علم من كان قبله»

«١».

و

عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى حديث جاء فيه «و ربّ الكعبة و ربّ البيت- ثلاث مرّات- لو كنت بين موسى و الخضر عليهما السّلام لأخبرتهما أنّى أعلم منهما، و لأنبأتهما بما ليس فى أيديهما؛ لأنّ موسى و الخضر عليهما السّلام أعطيا علم ما كان و لم يعطيا علم ما هو كائن، و أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أعطى علم ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة، فورثناه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وراثة»

«٢».

فمن هنا كانت مدرسة أهل البيت عليهم السّلام هى الأولى و الأخيرة فى هداية البشر و نقلهم إلى شاطئ الأمان، و التأريخ هو خير

دليل و شاهد على ذلك.

و أعظم مدرسة للإسلام كانت مدرسة الإمام الصادق عليه السّلام حيث كانت جامعة كبرى شملت كلّ العلوم و الفنون و المعارف، و قد خرّجت الكثير من العلماء الذين قدّموا للبشريّة و الحضارة الإنسانيّة بكلّ إخلاص و تفان الشيء الكثير.

و الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليهما السّلام هو سادس أئمّة أهل البيت عليهم السّلام، و قد تهيّأت له عليه السّلام الظروف السياسيّة فى نشر علومهم و تأسيس دعائم العلم فى مختلف المجالات حتّى أقام تلك الجامعة العظيمة التى لا زالت إلى يومنا هذا تخرّج الفطاحل من العلماء ممّن ينتسبون إليها.

فإنّ الذى يتتبّع كتب الرجال و تأريخ الأعلام يجد أنّ لعلماء الشيعة الذين ورثوا علوم أهل البيت عليهم السّلام دورا أساسيا و مهمّا فى تأسيس فنون المعرفة، حيث تقدّموا فى تأسيس العلوم فى الصدر الأوّل، و برعوا، و سادوا فى حضارتهم و علمهم على جميع المعاهد و الجامعات، و علومهم مبتنية على أسس الأخلاق و مكارمها التى ورثوها عن آل محمّد صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين. و كما يقال: إنّ المحروم من حرم منهم عليهم السّلام.

---

(١) أصول الكافى: ج ١، ص ٢٢۴، ح ٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٧، ص ١۴۴- ١۴۵، ح ٣٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ۵٩

السيد صاحب التفسير أعلى اللّه مقامه

إنّ الأمم الحيّة و الشعوب اليقظة فى كلّ عصر من عصور التأريخ و على امتداد الأرض المعمورة تعرف بتقديرها للعلم و احترامها للعلماء و الأخذ عنهم و الاغتراف من مناهلهم العذبة الرويّة، فهم المقياس الحقّ لحياة الأمم و الشعوب أو موتها. و أمّتنا الإسلاميّة أشرف الأمم، و يزخر تأريخها بالمكانة السامية التى يحتلّها العلماء فى نفوس الناس، و المنزلة الرفيعة التى بلغوها فى قلوبهم، و بالأخصّ العلماء الذين تخرّجوا من تلك المدرسة العظيمة التى بنى أساسها الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليهما السّلام، كما و نجد القرآن الكريم يعطى العلماء منزلة تجعلهم فى مصافّ الملائكة المنزّهين فيقول:

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «١» كما نراه جلّ و علا يمنحهم منزلة الخشية منه سبحانه و تعالى على سبيل الحصر، فيقول جلّ و علا: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ «٢».

و هو بعد هذا و ذاك يرفعهم درجات فيقول: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ «٣» إلى كثير من الآيات القرآنيّة التى تكشف عن مكانة العلماء عند اللّه سبحانه و تعالى.

و هكذا برز العلماء، و خرّجت الحوزات العلميّة المقدّسة الفطاحل منهم الذين تركوا آثارا و تراثا استقوه من فكر و نهج أهل البيت عليهم السّلام، ينير البشريّة جمعاء، و من بين هؤلاء النوادر الذين أثروا المكتبة الإسلاميّة بمؤلّفاتهم و علمهم صاحب هذا التفسير العظيم «تقريب القرآن إلى الأذهان» المرجع الدينى الكبير الإمام السيّد محمد الحسينى الشيرازى (أعلى اللّه

---

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) فاطر: ٢٩.

(٣) المجادلة: ١٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ۶٠

درجاته)، المولود فی عام ۱۳۴۷ ه و المتوفّی فی شوال عام ۱۴۲۲ ه، فهو (رضوان اللّه علیه) من أجلی مصادیق
قول النبیّ الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «إذا مات المؤمن الفقیه ثلم فی الإسلام ثلمة لا یسدّها شیء»
«۱» و مـا ذاک إلّا لأنّ العالم فی الأمّـة کالروح من الجسـد، و ما هو إلّا المثل الصالـح فی زهـده و ورعه و تقواه و السـمات الإسـلامیّة الفاضـلة و الصـفات الحمیدة، جلیل القدر، عالی المنزلة، جمع إلی جانب العلم الغزیر الأخلاق الفاضـلة، و السـلوک الحسن، و السـیرة العطرة، و حبّ الناس، و علوّ الهمّة، و مکارم الأخلاق.

و بعد ذلک کلّه فهو حامل هموم المسـلمین و هدفیّة الإسـلام، و قرنها بشـجاعة و إقدام فائقین یعجز عن بلوغهما الأبطال الأشاوس فی مختلف المجالات و الأصـعدة. لقـد تمیّز الإمام الشـیرازی (قـدس سـرّه) بفکره المعطاء الغنی المختصـر بالتجارب، و المفعم بالنضج و النظرة الواقعیـة إلی الأـمور، و الأصـیل المسـتلهم من الکتاب الکریم و السـنّة المطهّرة، و الـذی یعالـج شتی القضایا الحیویـة و مشاکل العصر.

و رغم الحیاة الصـعبة و القاسـیة جدا التی کان یعیشها الإمام الراحل (قدس سرّه) طوال حیاته الشریفة و الظروف التی ألمّت به من کلّ حـدب و صوب من البعیـد و ربّمـا القریب کـان کمـا قـالوا عنه: نادرة التألیف فی التأریـخ و سـلطان المؤلفین «۲»، حیث عرف بکـثرة الإنتـاج و العطـاء الفکری و العلمی و التربوی، حیث تنوّعت مؤلّفاته من حیث المادّة العلمیّـة، و بلغت ألفا و ثلاثمائـة کتاب و کتیب و موسوعـة، فشـملت الفقه و الأـصول و الفلسـفة و الکلاـم و البلاغـة و النحو و سائر العلوم الحوزویـة من جهـة، و السـیاسة و الاقتصاد و الاجتماع و النفس و الحقوق و الإدارة و القانون و البیئة و الأخلاق و التأریخ و الطبّ و إدارة

---

(۱) أصول الکافی: ج ۱، ص ۳۸، ح ۲.

(۲) لقب أطلقه علیه الاتّحاد العامّ للکتّاب العرب بدمشق الشام خلال الحفل التأبینی الذی أقیم فی سوریا فی الحوزة الزینبیّة (مجلة النبأ العدد ۶۶- ۱۴۲۳ ه ص ۱۶۸).

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۶۱

الدولة الإسلامیّة و سائر العلوم الإنسانیّة المستحدثة من جهة أخری، حتی عجزت أصابعه عن الإمساک بالقلم من کثرة ما کتب.

فکـان أعلی اللّه مقـامه یسـتعین أحیانـا بجهاز التسـجیل لیحفظ ما یریـد کتابته، ثمّ بعـد ذلک یکتب علی الورق، و کان (طاب ثراه) لا یضیّع لحظة واحدة من عمره الشریف دون الاستفادة منها، و لا یبالغ من یقول: إنّه کان یعمل فی الیوم أکثره، و من العمر کلّه أو جلّه؛ إذ کـان طاقـة متفجّرة من النشاط و الحیویّـة و العمل، و لا یعرف الکلل أو الملل، و لا یعیقه عن ذلک مرض أو همّ أو ألم، و أرقی ما فی ذلک کلّه أنّه کان مجاهـدا مخلصا، و أبیّا نزیها، لا یطلب فیما یقـدّم أو یعطی و یجود إلّا رضا اللّه سـبحانه و رضا أولیائه الطاهرین علیهم السّلام.

و فی ذلک قال عنه أخوه المرجع الدینی سماحة آیة اللّه العظمی السیّد صادق الحسینی الشیرازی (دام ظله) الذی رافقه فی جلّ حیاته، و شارکه فی همومه و مهامّه فی کلمته التی ألقاها بعد رحیله: و کان رحمه اللّه یمتاز بخصائص جمّة أهمّها خصـلتان بارزتان کانتا فی حیاته (رضوان اللّه علیه)، و کنت ألمسهما بشکل دقیق:

الأـولی: هی إخلاـصه التـامّ و المطلق لله تعـالی و لأهـل البیت علیهم السّـلام، و خیر مثـال للواقع العملی لـذلک تأسـیسه العشـرات من المؤسّـسات و المساجد و الحسـینیّات و المدارس و المکتبات و دور النشـر و فی مختلف أنحاء العالم، و لم یسمّ أیا من هذه باسـمه، و قـد أصـرّ الکثیرون من الـذین تبرّعوا أن یذکروا اسـمه، فکان یرفض ذلک رفضا شدیدا و یقول: أنا ذاهب و اللّه سـبحانه و أهل البیت علیهم السّـلام بـاقون، فالأفضل أن تسـمّی هـذه المراکز جمیعا باسـمهم علیهم السّـلام؛ و لـذلک فإنّه قـد سـمّی جمیع هـذه المراکز و المؤسّسات و الحسینیّات و دور النشر و غیرها بأسماء اللّه سبحانه و أسماء أهل البیت علیهم السّلام.

الثانیة: نشاطه المتواصل و روحیّته العالیة، حیث إنّ المرحوم

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۶۲

الراحل (قدس سرّه) کان قبل وفاته بلحظات ملیء بالحیویّة و النشاط رغم مرضه، و لم یتوان عن أیّ شیء، و إذا أردنا تشبیهه بالبرکان فإن ذلک فیه خطأ؛ لأنّ البرکان ینفجر ثم یبرد و یهدأ، أمّا بالنسبة للمرحوم الإمام (قدس سرّه) فقد کان لم یهدأ لحظة، فکان یمسک القلم حتّی إبان لحظات عمره الأخیرة، و یستفید من أیّ فرصة تسنح له بالتألیف و الکتابة و تشجیع الآخرین علی أعمال الخیر و الاستفادة من فرص الحیاة، و کان حتّی فی کتابته یستخدم الدقّة فی انتخاب نوع القلم الذی یسهل معه الکتابة اختصارا للوقت «۱».

و کان (قدس سرّه) بارعا بعلوم التفسیر، و مطّلعا علی ما کتب فی هذا المضمار، و قد نقل عن بعض تلامذته «۲» أنّه کان حاضرا فی مجلس مع الإمام الراحل (قدس سرّه) و وجّه إلیه أحد الحاضرین سؤالا مفاجئا حول تفسیر إحدی آیات کتاب اللّه العزیز، فأجابه الإمام الراحل (قدس سرّه) ذاکرا عشرة آراء لعشرة کتب من أشهر التفاسیر الموجودة من دون استعداد أو تحضیر مسبق، و قد حدث مثل هذا کثیرا للسیّد (قدس سرّه).

و هذا الکتاب الذی بین یدیک هو حصیلة جهد مبارک قام به السیّد المؤلّف (قدس سرّه)، حیث ساهم به فی إغناء التراث الحضاری و المکتبة الإسلامیّة، و لا یبالغ من یقول فیه: إنّه قلیل النظیر فی خصوصیّاته و مزایاه، ممّا سیجعله مصدرا کبیرا، من أهمّ مصادر التفسیر فی مختلف شؤون المعرفة، و قد تحدّث السیّد (قدس سرّه) عن کتابه للمرحوم آیة اللّه السیّد أحمد الإمامی (طاب ثراه) قائلا:

عند ما کنت فی کربلاء و حینما کنت مشغولا فی کتابة تفسیری هذا «تقریب القرآن إلی الأذهان» رأیت فی المنام نورا یخرج من بیتنا، و یسطع فی السماء، و حینما استیقظت أیقنت أنّ هذا النور هو تفسیر القرآن الکریم،

---

(۱) مترجم عن کتاب قصص و خواطر (باللغة الفارسیّة): ج ۱، ص ۱۰۸.

(۲) الناقل فضیلة الخطیب الشیخ علی حیدر المؤید دام عزّه.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۶۳

ففرحت و سألت اللّه عزّ و جلّ أن یتقبّل منّی العمل.

قلنا فیما تقدّم: لکلّ تفسیر مزایاه و خصوصیّاته، لکن امتاز هذا التفسیر الشریف بجملة أمور قلما حظی بها غیره منها:

أولا: أنّ السیّد المؤلّف (قدس سرّه) إضافة لکونه مرجعا و زعیما دینیّا متمیّزا فإنّه یعدّ أحد رجالات الفکر المعاصرین الذین نظّروا للعالم البشری فی مجالات مختلفة، و طابقت تنظیراته و رؤاه الواقع فی العدید من الموارد و الحقول، و هذا ما یجده المتتبّع فی کتبه القیّمة من رؤی حدیثة تتناسب مع التطوّر الحضاری و الفکری المعاصر، حیث إنّه (طاب ثراه) جمع بین الفکر الجدید و القدیم فی التفسیر، فانعکس ذلک علی فهمه للآیات الشریفة فی بیانه و شرحه لمضامینها، جامعا بین أصالة الأمس و حداثة الیوم و تطلّعات المستقبل، و قد وفّق فی ذلک إلی حدّ کبیر، و هذا أحد دواعی خلود هذا التفسیر و عظمته التی ستکشفها الأیّام.

ثانیا: اعتمد السیّد المؤلّف (قدس سرّه) بشکل أساسی فی تفسیره علی منهجیّة أهل البیت علیهم السّلام، و علی الأخبار و الآثار المرویّة عنهم علیهم السّلام، فنأی بعیدا عن شبهة التفسیر بالرأی، و نزّه کلام اللّه عن آراء البشر.

ثالثا: وضوح فی الرؤیة و نضوج فی الأفکار، و ردّ للشبهات التی أثیرت أو قد تثار بما یملأ الخافقین علما و یقینا هنا و هناک، و خصوصا ما یتعلّق بالآیات الواردة بشأن أهل البیت علیهم السّلام.

رابعا: أنّ أسلوب الکتاب و طریقة بحثه تمتاز بأنّها بعیدة عن العبارات المنمّقة و الاصطلاحات المعقّدة، حیث إنّه بیّن المعانی بأسهل الألفاظ و الکلمات، کما أنّه امتاز بالاختصار و شمولیّة المطلب، و هذه الصفات جعلته سهل الفهم علی جمیع المستویات، فکان سهلا ممتنعا علی ما یعبّرون، ممّا سمح لکلّ بیت و أسرة مهما کان مستواها و مستوی أفرادها أن تتّخذه منارا و معلّما و مربّیا یغنیها عن

الكثير من المصادر و الكتب.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۴

خامسا: التعرّض فی تفسير الآيات الكريمة إلى الدقائق العلميّة و الأحكام المتعلّقة بها و بيان مفرداتها بشكل دقيق و مفصّل، كما أنّه اعتمد على جانب التدبّر فی الآيات و استنباط النتائج و قراءة ما وراء الألفاظ بالاعتماد على نهج أهل البيت عليهم السّلام، و هذه سمة هامّة قلّما أتّسم بها تفسير.

سادسا: الربط الوثيق بين القرآن و الحياة فی مختلف المجالات الشخصيّة و العامّة و العباديّة و الاجتماعيّة و السياسيّة و الاقتصاديّة و غيرها، و هذه محاولة كبيرة تعيد الناس إلى القرآن، كما ترتفع بتعامل الناس معه إلى ما أراده اللّه سبحانه له أن يكون نورا و هدى و قائدا و مرشدا و مربّيا و معلّما فی مختلف المجالات و الأصعدة، حيث دعا السيّد المؤلّف (قدس سرّه) إلى:

۱- الأمّة الواحدة لتحرير بلاد المسلمين من التفرقة العنصريّة و القوميّة و الإقليميّة مستندا فی ذلك إلى قوله تعالى: إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ «۱» و قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ «۲» و علّل أفضليّة الأمّة الإسلاميّة و أسباب رقيّها بخصال ثلاث هی:

أ- الأمر بالمعروف ب- النهی عن المنكر ج- الإيمان بالله سبحانه إيمانا صحيحا.

بلحاظ أنّ المجتمع إذا خلا عن الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر يهوى نحو السفل؛ لما جبل عليه من الفساد و الفوضى و الشغب، فإذا تحلّى

---

(۱) الأنبياء: ۹۳.

(۲) آل عمران: ۱۱۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۵

المجتمع بهذين الأمرين أخذ يتقدّم نحو مدارج الإنسانيّة و الحضارة الحقيقيّة حتى يصل إلى قمّة البشريّة، و بلحاظ أنّ الصحيح رأس الفضائل لكونه إدراكا لأعظم حقيقة كونية من جهة، و لكونه محفّزا شديدا نحو جميع أنواع الخير، و منفّرا قويّا من جميع أصناف الشرّ من جهة أخرى، و هذه فی مجموعها تكوّن أهمّ العناصر التی تقوم عليها سعادة البشريّة و أمنها و سلامها.

۲- الأخوة الإسلاميّة ليزيد فی أواصر المجتمع الواحد، و يرفع الحواجز الطبقيّة أو الفئويّة و نحوها، مستندا إلى قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ «۱» و كذلك قوله سبحانه: فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً «۲».

۳- الحرّيّة الإسلاميّة لكونها غاية البعثة و هدف الرسل و الأنبياء عليهم السّلام، و خصوصا خاتمهم و سيّدهم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، مستندا إلى قوله تعالى: وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی كانَتْ عَلَيْهِمْ «۳» فإنّ النبیّ الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خلّص الناس من أغلال الاستبداد و الجاهليّة بصورها المختلفة، و فی هذا قال (قدس سرّه): أغلال: جمع غلّ، و هو ما يقيّد الإنسان يده أو رجله أو غيرهما، فإنّ من خواصّ الإسلام أنّه يطلق الحرّيّات المعقولة، فالسفر و الإقامة و التجارة و الزراعة و الصناعة و البيع و الاشتراء و الكلام و الكتابة و التجمّع و غيرها كلّها مباحة لا قيود لها إلّا بعض الشرائط الطفيفة التی هی فی صالح المجتمع و الفرد، و لا يعلم مدى ذلك إلّا بالمقايسة إلى الأنظمة و المناهج الدنيويّة التی كلّها كبت و استعباد و استغلال «۴».

۴- الشورى على مختلف الأصعدة و المجالات ابتداء من الأسرة إلى

---

(۱) الحجرات: ۱۱.

(۲) آل عمران: ۱۰۴.

(۳) الأعراف: ۱۵۸.

(۴) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ۹، ص ۶۲، ذيل الآية ۱۵۸ من سورة الأعراف.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۶

الدولة و نظام الحكم و بالنحو الإسلامى الخاصّ، مستندا إلى قوله تعالى:

وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ «۱» و قد ردّ الطرق الغربيّة و نحوها القائمة على أساس غير عادل فى الانتخاب «۲».

۵- اللاعنف طريقا و منهجا للتعامل مع الآخرين من أهل الإسلام أو غيره من الأديان و المذاهب، مستندا لقوله سبحانه: ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً «۳» و قوله عزّ و جلّ: وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ «۴».

و من الواضح أنّ هذه هى الأسس البارزة لتكوين الحضارة الصحيحة و الدولة الناجحة و المجتمع السعيد. و الظاهر أنّ هذا الربط و التكامل و التطابق بين القرآن و الحياة العامّة قلّما يلحظ فى كتب التفسير حتّى الجديدة منها.

سابعا: أنّ من خصائص هذا التفسير كذلك و التى تضفى عليه طابعا متميّزا آخر هو:

أ- فى تفسيره للكلمات و الحروف المقطّعة فى القرآن الكريم، حيث أجرى استقراء لهذه الحروف و قال فى مستهلّ تفسيره عنها: يأتى زمان يدرك الناس هذا الكنز المعنوى، كما أنّه لا يمرّ زمان إلّا و يدرك الناس كنوزا كونيّة، فإنّ العلوم كلّها قوانين وضعها اللّه فى الكون، مثل:

قانون جاذبيّة الأرض، و قانون أرخميدس فى الماء، و قانون الأطياف فى النور و غيرها، و إذا كان رمزا لم يلزم أن يعرفه الكلّ، فإنّ الرموز بين رؤساء الحكومات و كبار أعضاء الدولة فى صلاح الناس و إن كان كلّ

---

(۱) الشورى: ۳۹.

(۲) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ۲۵، ص ۴۷، ذيل الآية ۳۹ من سورة الشورى.

(۳) البقرة: ۲۰۹.

(۴) آل عمران: ۱۶۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۷

الناس لا يعرفونها، و فى ذلك يقول (قدس سرّه): و هذا رمز بين اللّه و رسوله و الراسخين فى العلم «۱».

و على الرغم من ذلك فإنّه لم يقف عند هذا السرّ العظيم بين اللّه سبحانه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، بل حاول أن يظهر فى كلّ مورد من موارده بعض غموضه، أو يسلّط الضوء على بعض لغزه، فمثلا فى سورة يونس: فسّر حروفها المقطّعة بالتحدّى و الإعجاز؛ لكون «الم» التى تفتح بها السورة تركّب منها القرآن المعجز، فإنّه من جنس كلام البشر لكنه معجز لا يتمكّن أحد أن يأتى بمثله، كما أنّ من جنس المعادن و النبات يتركّب الإنسان لكن لا أحد يقدر على أن يأتى بمثله، و كذلك جميع صنع اللّه سبحانه ... على الاختلاف فى أوائل السور «۲».

و فى سورة هود قال عنها أيضا: إنّها رموز بين اللّه و الخلق «۳».

و فى سورة يوسف فسّرها بالأخصّ من ذلك، فقال عنها: رمز بين اللّه و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كالرموز بين رؤساء الحكومات و سفرائها «۴».

و فى سورة الرعد ذكر أنّ الأقوال فى بيان معانى الحروف فى فواتح السور تبلغ أربعة عشر قولا «۵»، لكنّه قال (قدس سرّه): الظاهر أنّه يمكن الجمع بين كثير منها «۶»، و لعلّ جامعها هو الرمزيّة التى مال إليها بين اللّه و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فإنّه المتيقّن من المعانى.

ب- امتاز تفسيره (قدس سرّه) بالترابط الموضوعی بين معانی الآيات،

---

(۱) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ۲۶، ص ۱۸، ذيل الآية ۲ من سورة الأحقاف.

(۲) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ۱۱، ص ۶۴، ذيل الآية ۲ من سورة يونس.

(۳) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ۱۱، ص ۱۶۰، ذيل الآية ۲ من سورة هود.

(۴) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ۱۲، ص ۱۱۰، ذيل الآية ۲ من سورة يوسف.

(۵) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ۱۳، ص ۷۰، ذيل الآية ۲ من سورة الرعد.

(۶) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ۱۴، ص ۱۴، ذيل الآية ۲ من سورة الحجر.

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۶۸

و هذه ميزة قلّما فعلها مفسّر أو وردت فی تفسير إلّا فی موارد قليلة، فمثلا:

* الآيات (۲۰۵- ۲۵۴) من سورة البقرة، تعرّضت إلى مواضع عديدة بعضها يرتبط بأحكام الحجّ، و بعضها بصفات الجاهلين و تعصّبهم، و بعضها بالمنافقين، و بعضها بالمجاهدين، و بعضها بحركة الأنبياء عليهم السّلام فی داخل المجتمع و علاقة الناس بهم، و بعضها تعرّض إلى وعود اللّه سبحانه و تعالى للمؤمنين بدرجات الآخرة، و بعضها إلى أسئلة وجّهها المشركون إلى رسوله الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و بعضها تضمّن السؤال عن جملة من المحرّمات، و بعضها تعرّض إلى جملة من أحكام الأسرة و أحكام النساء و أحكام الولادة و الإرضاع، و بعضها إلى حقيقة الموت و الحياة، و بعضها إلى القتال و الجهاد فی سبيل اللّه، و بعضها إلى الإنفاق، و بعضها إلى غير ذلك. هذه العناوين و المواضيع المختلفة التی قد لا تتراءى للناظر بدوا بينها ترابط وثيق يجمعها السيّد (قدس سرّه) بسياق واحد، فيجمع سابقها بلاحقها و بالعكس حتى يحصل من الكلام حديث عن صورة واحدة بكلّ ما يحتفّ بها من قرائن و شواهد تكمّل المعنى و تثير الغرابة و الإعجاب. «۱»* و الآيات (۶۳- ۶۵) من سورة المائدة، تعرّضت إلى صفات المنافقين و أهل الكتاب و آثارهم السلبية على المجتمع، و قد امتاز فی تفسيره لها، حيث يوضح ظاهرة الازدواجيّة الثقافيّة عندهم، و الصفات الانحرافيّة الأخلاقيّة الأخرى، و أوجه التشابه بينهم. و كذلك الربط بين قيام الدول و هزيمتها و قوّة التلاحم و التفاهم و ضعف التفرّق و الاختلاف فی آيات سورة الأنفال كقوله سبحانه: وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ «۲» قال (قدس سرّه): إنّ التنازع يوجب تبديد القوى المعنويّة بالإضافة إلى تبديده

---

(۱) و لمزيد الاطّلاع يمكنك ملاحظة الربط العميق فی آيات سورة الحجرات و دور الإيمان فی تكوين المجتمع المؤمن. انظر سورة الحجرات: الآية ۲- ۱۹.

(۲) الأنفال: ۴۷.

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۶۹

و إضاعته للقوى الماديّة، و تذهب ريحكم أی دولتكم، فإنّ الريح بمعناها لغة، و شبّهت بها الدول؛ لأنّ الدولة تشبه الريح لهبوبها و سيطرتها على الأشياء و نفوذ أمرها. يقال: هبت ريح فلان إذا نفذ أمره، و التنازع ليس يقسّم القوى إلى سلب و إيجاب فقط، بل فوق ذلك يضعف القوى الإيجابيّة، فلو فرضنا أنّ طاقة زيد تقدّر بألف مقاتل فإذا خالفه عمرو قدّرت طاقته بخمسمائة حتّى إنّه لو كان وحده بدون مخالف لكان قدر على الألف؛ و ذلك لأنّ الخلاف يحدّ من النشاط، و يضعف من القوى، بخلاف التجمّع فإنّه يزيد الطاقة الألفية إلى الألفين؛ و لذا ثبت فی علم النفس أنّ الإنسان إذا رأى خلافا فالأفضل أن يصمّ عن المخالف حتّى يبقى على قواه الذاتيّة، و لا تحدّ من نشاطه الطاقة المناوئة «۱».

و مضافا إلى ذلک کلّه أوجد ترابطا موضوعيّا بين تفسير أوّل سورة و آخر سورة من القرآن الکريم، و الترابط بين السور المتسلسلة و الآيات المتسلسلة يجعل سور القرآن و آياته منظومة واحدة مترابطة کجملة واحدة نظّمت فى غاية الإعجاز فى اللفظ و المعنى و الإحکام و الإتقان «٢».

ثامنا: أورد السيّد المؤلّف (قدس سرّه) أسباب تسمية السور قبل الشروع فى تفسيرها، ثمّ بيّن الجو العامّ للسورة و المحور الکلّى الذى تدور حوله آياتها، فعبّر عن بعضها أنّها بشأن التوحيد، و أخرى بشأن الأسرة، و ثالثة بشأن العقيدة، و هکذا، ثم ذکر مائة و عشرين معنى للبسملة فى تفسيره هذا، حيث يضيف إليه امتيازا بارزا آخر، فمثلا: فى سورة الحمد فسّرها بالاستعانة، و فى سورة البقرة علّلها بفرض التعليم و التربية على الابتداء فى کلّ عمل أو نشاط بالاسم المبارک؛ لما له من الأثر البالغ فى الصبر

---

(١) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١٠، ص ١٩، ذيل الآية ۴٧ من سورة الأنفال.

(٢) انظر التسلسل و الربط بين سور الممتحنة و الصفّ و الجمعة و المنافقون و التغابن و الطلاق و التحريم و الملک و القلم و الحاقّة، و هکذا بين سور النساء و المائدة و الأنعام و الأعراف و الأنفال و التوبة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٧٠

و الاستقامة و النجاح «١». و فى سورة الأنفال شرحها بالعلاقة على إحکام ما قبلها و افتتاح ما بعدها من الآيات «٢». و فى سورة يونس علّلها بتلطيف الجوّ و إعطاء الإنسان الأمن و الطمأنينة؛ لأنّ الناس اعتادوا أن يروا الظلم و الجور من الکبراء فکيف بأکبر الکبراء؟ لکنه سبحانه ليس کذلک؛ لأنّه رحمان بعباده، رحيم بالمؤمنين منهم، فلا خوف من ظلمه، و لا خشية من جوره «٣».

و فى سورة النحل جعلها الحد الفاصل بين الإيمان و الکفر و المؤمن و الکافر، حيث يفتتح المؤمن باسم اللّه خالق کلّ شىء، الجامع لجميع الصفات الکماليّة، خلافا للکفّار و مواليهم، حيث يفتتحون کتبهم بشىء فى غير لونه، أو يفتتحون بأسامى الأصنام، و قد جرت عادة من بهرتهم المدنية الحديثة أن يقتدوا أثر أولئک، فلا يفتتحون الکتاب إلّا بالمقدّمة أو الإهداء أو الفصل بدون ذکر لاسم اللّه سبحانه إطلاقا «۴».

و فى سورة هود علّلها بما فى الاسم المبارک من الخواصّ المعنويّة على نفس القارئ، و يجعله فى حصن وثيق من مساوئ الشياطين و فضائل الأخلاق و محاسنها؛ و لذا نرى أنّ سماع اسم المحبوب يزيد الإنسان نشاطا، کما أنّ سماع اسم المکروه يزيد الإنسان انقباضا بالإضافة إلى أنّ اسم اللّه سبحانه يطرد الشياطين، و يوجب عناية اللّه عزّ و جلّ للذى ذکره، و ترکيزا لصفة الرحمة فى نفوس الناس، إنّه هو الرحمن الرحيم، فليتخلّق الإنسان بأخلاقه سبحانه «۵».

---

(١) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: تفسير سورة الحمد و البقرة.

(٢) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٩، ص ١٠٩، تفسير سورة الأنفال.

(٣) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١١، ص ۶٣، تفسير سورة يونس.

(۴) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١۴، ص ۶۵- ۶۶، تفسير سورة النحل.

(۵) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١١، ص ١۵٩، تفسير سورة هود.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٧١

و فى سورة الرعد علّل الابتداء بالاسم دون الذات؛ لأنّ اللّه سبحانه لا يبتدأ به و إنّما يبدأ باسمه. إنّه اللّه الرحمن الرحيم الذى أظهر صفاته الرحمة و التفضّل لا الانتقام و العقاب و القوّة و العذاب «١».

و فى سورة الحجر قال عنها: نستعين بالله الرحمن الرحيم فى أمورنا، و نجعله بدء أعمالنا؛ ليکون عونا لنا فى ختم العمل، و أن يطبع

بطابعه، فإنّ ما لمسته رحمة اللّه العظيم لا يكون إلّا صالحا باقيا موجبا للسعادة، و لنستمطر شآبيب رحمته فيرحمنا بلطفه و إحسانه «۲».
و هكذا يذكر معانى عديدة لأصل البسملة، أو بيانا لفوائدها و أغراضها، و هذه ميزة أخرى من مزايا هذا التفسير العظيم الذى قلّما يحظى بمثله تفسير، حيث يكتفى غالبا بذكر بعض معانيها فى أول سورة الحمد ثمّ يوكل إليه فى تفسير سائر السور.
تاسعا: تصدّى أعلى اللّه مقامه للإجابة عن جملة من الشبهات التى قد يثيرها البعض تجاه الإسلام فى العقائد أو فى الأحكام، و لم يتوقّف على بيان المعانى الظاهرة للآيات، و هذا نهج جديد قلّما نجده فى التفاسير، و هو أن يتّخذ المفسّر نهج الدفاع و الذود عن الشبهات و إبطال الادّعاءات الباطلة؛ ليجعل من التفسير معلّما و مربّيا و محاميا فى آن معا، فمن باب المثال: فى بيان معنى قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ «۳» تعرّض إلى فلسفة الحكم بنجاسة الكفار، فبيّنها و اختصرها فى أمور ثلاثة:
۱- الوقاية الفكريّة من الخرافة.
۲- الحماية الاجتماعيّة من التأثير بسلوكه.

---

(۱) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ۱۳، ص ۶۹، تفسير سورة الرعد.
(۲) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ۱۴، ص ۱۳، تفسير سورة الحجر.
(۳) التوبة: ۲۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۷۲
۳- تحفيزه لترك عقيدة الكفر و الالتزام بالإسلام.
يقول (قدس سرّه): النجاسة فى الشريعة هى القذارة التى توجب الغسل للشىء الذى يباشره برطوبة، و هذه النجاسة قد تكون لأضرار خارجيّة كالبول و الغائط، و قد تكون لأضرار معنويّة كالكافر، فإنّه و إن كان نظيف الجسم إلّا أنّ معتقده السخيف أوجب الحكم بنجاسته، و ذلك خير وقاية للمسلمين من أن يعاشروه فيتلوّثوا بعقيدته الفاسدة، فإنّهم إذا عرفوه نجسا و إنّه مهما باشر شيئا برطوبة تنجّس فورا منه اجتنبوه فى المأكل و الملبس، فلا يتعدّى إليهم ما انطوى عليه من العقيدة الباطلة، و هو بدوره إذ يعرف أنّه عند المسلمين كذلك لا بدّ و أن يسأل عن السبب، و يريد إزالة هذه الوصمة، و لدى تحقيق ذلك تظهر له خرافة معتقدة ممّا يسبب تركه له و اعتقاده بالعقيدة الصحيحة.
و هناك بعض المتفلسفين يقولون: كيف يحكم بنجاسة إنسان و لزوم الاجتناب عنه لمجرد انحراف عقيدة و هذا مناف لحرية الآراء؟
و الجواب: أنّه كيف يحكم بالاجتناب عن إنسان لمجرد أنّه مصاب بالجذام و نحوه لمجرد انحراف مزاج، و هذا مناف لكرامة الإنسان. فإذا كان الخوف على الجسم يبيح الاجتناب فالخوف على الروح أولى بالإباحة «۱».
و من ذلك أيضا ما أجاب به أعلى اللّه مقامه عن بعض مزاعم العامّة فى فضل الأوّل استنادا إلى آية الغار من سورة التوبة، و أبطل الدعوى، و علّل تصدّيه لذلك بالدفاع عن حريم القرآن لكيلا يقحم فيه ما ليس منه، و جرّ الآيات إلى الأنظار و الأفكار جرّا بدون دلالة أو برهان بعد أن ورد الذمّ لمن فسّر القرآن برأيه «۲».

---

(۱) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ۱۰، ص ۷۳، ذيل الآية ۲۸ من تفسير سورة التوبة «بتصرف».
(۲) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ۱۰، ص ۸۹، ذيل الآية ۴۰ من تفسير سورة التوبة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۷۳
و فى سورة العلق ردّ مزاعم من نسب جمع القرآن إلى الأوّل و الثالث بما ينفى الشكّ و يزيل الإبهام بعد تصريح القرآن بأنّ الذى جمعه و رتّبه هو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «۱».

عاشـرا: و بعد ذلک کلّه فإنّ من سـمات هذا التفسـير الضخم هو التواضع و الإقرار بالعجز أمام کتاب اللّه سبحانه، ابتداء من عنوانه إلى أخر ما ذکر مصنّفه الکبير (قدس سرّه) في هذا المجال.

فعنوانه تقريب القرآن إلى الأذهان و ليس تفسيره، و هو دالّ على إعظام و إجلال و إکبار للقرآن و تنزيه له من أن تناله عقول البشر؛ و لذا هم بحاجة إلى تقريب لما في التقريب من اعتراف بالقصور عن درک معانيه.

و قد تکرّر من السـيّد المؤلّف نفسه (قدس سرّه) في أکثر من مرّة بأنّ ما يذکره من مضامين مجرّد معان محتملة و ليست بتفسير «۲»، و هـذا منطق من التزم الحقيقـة العارف بقـدرة الإنسان و حـدوده و مـداه، و العارف بکلام اللّه سـبحانه اللامحـدود في مضامينه و معانيه الـذي يسـتحيل أن يحيط به المحدود، و في مقدّمة مصـنّفه الشـريف هذا قال (قدس سـرّه) في توجيه ما ورد في بعض الأخبار: من أنّ القرآن الکريم له ظاهر و بـاطن، و لاـ يعلم تفسـيره و لاـ ظـاهره و لاـ باطنه و لا تأويله إلّا اللّه سبحانه ... إنّ فهم کلّ ظواهر الأشـياء و بواطنها کذلک، فإنّ البشـر لا يعلم إلّا بعض السـطحيّات، مثلا ما هي حقيقة اللحم و الدم؟ و ما هي حقيقة الماء و الکهرباء؟ و إلى غير ذلـک، فإذا رأى الإنسان سيّارة لا يعلم ما هي؟ فإنّه لا يعلم هل هي حديـد أو نحاس (ظاهرها)، و لا يعلم ما ذا في ماکنتها (باطنها)، و لا يعلم ما نفعها (تفسيرها)، و لا يعلم إلى أيّ شيء يکون أوّلها (تأويلها)، و کذلک القرآن لا يعرف المراد الکامل من

---

(۱) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ۳۰، ص ۱۸۷- ۱۸۸، تفسير سورة العلق.

(۲) تقريب القرآن إلى الأذهـان: ج ۳، ص ۴۹، تفسـير سورة آل عمران، حيث قال في معنى (آلم): «تقدّم ما يحتمل أن يکون تفسـيرا له».

ظاهره و لا من باطنه، کما لا يعرف الفائدة الکاملة منه حالا، و لا أوّل القرآن للمستمسک به و التارک له.

و السؤال هنا: إذا کان لا يعلم ظاهرها و لا باطنها و لا تفسيرها و لا تأويلها فما فائدة ذلک؟

و الجواب: الإشارة و التلميح و إن کانت الحقيقة مخفيّة.

مثلاـ إنّـک إذا سـمعت من إنسـان ما لاقاه من الأهوال في حرب ضـروس، و أراک بعض التصاوير التي التقطها من تلک الحرب، فإنّ الکلام و الصورة لا شکّ يلمحان إلى حقيقـة، لکن هل تـدرک بذلک هول تلک الحرب و انفعالات أولئک المحاربين؟ إنّ نسـبة ما نفهم من القرآن إلى حقيقته کنسبة الصور و الکلام إلى حقيقة تلک الحرب، و للحرب ظاهر هي المعرکة، و باطن هو الاستعمار الذي يريد التسـلّط مثلا، و تفسير هو ما تنتجه الحرب الآن من غلاء الأسعار و انسداد الطرق، و تأويل هو ما يترتّب من الأثر على هذه الحرب من سقوط إمبراطورية و دخول إمبراطورية أخرى إلى الحياة «۱».

أقول: و في الختـام فـإنّ مـا امتاز به تفسـير التقريب (تقريب القرآن إلى الأذهان) عن غيره من التفاسـير الشـيء الکثير. أشـرنا نحن إلى بعض مزاياه و خصوصياته، و سيجد القارئ الکريم الکثير منها أثناء تتبعه و قراءته.

و في الختام أشـکر دار العلوم الموقّرة و القائمين عليها على اهتمامها بطباعته طباعة جديدة منقّحة، و أسأل اللّه سبحانه لها مزيد التوفيق و التسديد في ترويج معارف القرآن و الشريعة الغرّاء آمين يا ربّ العالمين.

کمـا و أسأله سـبحانه و تعالى أن يتغمّـد السـيّد مؤلّف هـذا السـفر القيّم برحمته الواسـعة، و يجعل القرآن رفيقه و مؤنسه و نوره، و أن يتقبّله منه بقبول

---

(۱) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ۱، ص ۲۴- ۲۶، المدخل.

حسن، و أن يـدّخره له فى ضـمن الباقيـات الصالحات التى قام بها فى دنياه لأخراه، كما و نسأله سـبحانه أن يعفو عن زلّاتنا، و يتقبّل ما كتبناه فى هـذه السـطور أداء لبعض حقوقه الكثيرة و الكبيرة التى له طاب ثراه فى رقابنا، و أن يهدى ثواب ما بذلناه إلى وليه الأعظم و حجّته على الأمم سيّدنا و مولانا صاحب العصر و الزمان عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف، و أن يرضيه عنّا بحقّ محمّد و آله الطاهرين.

فاضل الصفّار ٢٠- جمـادى الثانيـة من عام ١۴٢٣ هجريـة فى جوار عقليـة الرسالـة السـيدة زينب عليهـا و على آبائها آلاف التحيات و الصلوات الحوزة العلميّة الزينبيّة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ٧۶

المصادر

١- الإتقان فى علوم القرآن: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١۴٠٧ ه- ١٩٨٧ م.

٢- اختيار معرفة الرجال المعروف ب «رجال الكشى»: للشيخ أبى جعفر الطوسى، مؤسسة آل البيت عليهم السّلام، ١۴٠۴ ه.

٣- الإرشـاد: لأبى عبـد اللّه محمـد بن محمـد بن النعمان العكبرى البغـدادى، مؤسـسة آل البيت عليهم السّـلام لإحياء التراث- بيروت، الطبعة الأولى ١۴١۶ ه- ١٩٩۵ م.

۴- إرشاد القلوب: لأبى محمد الحسن بن محمد الديلمى، مؤسسة الأعلمى- بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ ه- ١٩٧٨ م.

۵- إلزام الناصب: للشيخ على اليزدى الحائرى، مؤسسة الأعلمى- بيروت، الطبعة الخامسة ١۴٠۴ ه- ١٩٨۴ م.

۶- الأـصول من الكـافى: لأبى جعفر محمـد بن يعقوب بن إسـحاق الكلينى الرازى، دار صـعب و دار التعارف- بيروت، الطبعـة الرابعة ١۴٠١ ه.

٧- أقرب الموارد: لسعيد الخورى الشرتونى اللبنانى، دار الأسوة للطباعة و النشر، الطبعة الأولى ١٣٧۴ ه ش- ١۴١۶ ه ق.

٨- بحار الأنوار: للشيخ محمد باقر المجلسى، مؤسسة الوفاء- بيروت، الطبعة الثانية المصححة ١۴٠٣ ه- ١٩٨٣ م.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ٧٧

٩- البرهان فى تفسير القرآن: للسيد هاشم البحرانى، مؤسسة الوفاء- بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣ م- ١۴٠٣ ه.

١٠- البرهان فى علوم القرآن: لبـدر الـدين محمد بن عبد اللّه الزركشـى، دار إحياء الكتب العربيـة- القاهرة، الطبعة الأولى. ١٣٧۶ ١١- بين الجدران: للسيد محمد السويج، دار البيان العربى، الطبعة الأولى ١۴١١ ه- ١٩٩١ م.

١٢- تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: للسيد حسن الصدر، شركة النشر و الطباعة العراقيّة المحدودة.

١٣- التبيان فى تفسير القرآن: لأبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى، دار إحياء التراث العربى- بيروت.

١۴- تجريد الاعتقاد: للشيخ أبى جعفر محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسى، مركز النشر- مكتب الاعلام الإسلامى، الطبعة الأولى ١۴٠٧ ه ق.

١۵- تفسـير تقريب القرآن إلى الأذهان: لآية اللّه العظمى السيد محمد الحسينى الشيرازى، مؤسسة الوفاء- بيروت، الطبعة الأولى ١۴٠٠ ه- ١٩٨٠ م.

١۶- تفسير الصافى: للفيض الكاشانى، مؤسسة الأعلمى- بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩ ه- ١٩٧٩ م.

١٧- التفسير و المفسّرون: للدكتور محمد حسين الذهبى، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية ١٣٩۶ ه- ١٩٧۶ م.

١٨- تفصـيل وسائـل الشـيعة: للشـيخ محمـد بن الحسن الحر العـاملى، مؤسـسة آل البيت عليهم السّـلام لإحيـاء التراث- بيروت، الطبعة الأولى ١۴١٣ ه- ١٩٩٣ م.

١٩- تهذيب الأحكام: لأبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى، دار صعب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۷۸
و دار التعارف- بيروت، ۱۴۰۱ ه- ۱۹۸۱ م.
۲۰- الجامع الصحيح «سنن الترمذى»: لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة، المكتبة الإسلاميّة.
۲۱- خواطرى عن القرآن: للشهيد السيد حسن الشيرازى، دار العلوم- بيروت، الطبعة الأولى ۱۴۱۴ ه- ۱۹۹۴ م.
۲۲- دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعية: لمحسن الأمين، دار التعارف- بيروت، الطبعة الثانية ۱۴۰۱ ه- ۱۹۸۱ م.
۲۳- داستانها و خاطراتى: لآية اللّه العظمى السيد محمد الحسينى الشيرازى، انتشارات سلسلة، الطبعة الأولى ۱۳۸۱ ه.
۲۴- الذريعة إلى تصانيف الشيعة: للشيخ آغا بزرگ الطهرانى، مؤسسة إسماعيليان- قم.
۲۵- علوم القرآن عند المفسرين: لمركز الثقافة و المعارف الإسلاميّة، مكتب الاعلام الإسلامى، الطبعة الأولى ۱۴۱۶ ق- ۱۳۷۴ ش.
۲۶- عوالى اللآلئ العزيزية: لمحمد بن على بن إبراهيم الأحسائى، مطبعة سيد الشهداء- قم، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م.
۲۷- الغدير: لعبد الحسين أحمد الأمينى النجفى، دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة الثانية ۱۳۶۶ ه.
۲۸- الفروع من الكافى: لأبى جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى الرازى، دار صعب و دار التعارف- بيروت، الطبعة الثالثة ۱۴۰۱ ه.
۲۹- كتاب التفسير: لأبى النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندى المعروف «بالعياشى»، المكتبة العلمية الإسلاميّة- طهران.
۳۰- كتاب الخصال: للشيخ الصدوق أبى جعفر محمد بن على بن الحسين ابن بابويه القمى، منشورات جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية- قم.
تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۷۹
۳۱- لسان العرب: لابن منظور، نشر أدب الحوزة- قم، ۱۴۰۵ ه- ۱۳۶۳ ق.
۳۲- مجمع البحرين: لفخر الدين الطريحى، مؤسسة الوفاء- بيروت، الطبعة الثانية المصححة ۱۴۰۳ ه- ۱۹۸۳ م.
۳۳- مجمع البيان: للشيخ أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى، دار إحياء التراث العربى- بيروت، ۱۳۷۹ ق- ۱۳۳۹ ش.
۳۴- المستدرك على الصحيحين: لأبى عبد اللّه الحاكم النيسابورى، دار المعرفة- بيروت.
۳۵- مستدرك الوسائل: للميرزا حسين النورى الطبرسى، مؤسسة آل البيت عليهم السّلام لإحياء التراث- بيروت، الطبعة الثالثة ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۱ م.
۳۶- مسند أحمد بن حنبل: لأحمد بن حنبل، دار صادر- بيروت.
۳۷- مفاتيح الغيب: لصدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازى، مؤسسة مطالعات و تحقيقات فرهنگى، الطبعة الأولى ۱۳۶۳.
۳۸- مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهانى، الدار الشامية- بيروت، و دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى ۱۴۱۶ ه- ۱۹۹۶ م.
۳۹- مناقب آل أبى طالب: لأبى جعفر رشيد الدين محمد بن على بن شهر آشوب السروى المازندرانى، مؤسسة انتشارات العلامة- قم.
۴۰- موسوعة أهل البيت الكونية: لمجموعة من المؤلفين، بإشراف فاضل الصفّار، سحر للطباعة و النشر- بيروت، الطبعة الأولى ۱۴۲۳ ه- ۲۰۰۲ م.
۴۱- نهج البلاغة: ضبط نصه و ابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحى الصالح، دار الكتاب اللبنانى و دار الكتاب المصرى، الطبعة الثانية ۱۹۸۰ م.
تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۸۱

مقدمة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد للّه رب العالمين، و الصلاة و السّلام على محمد و آله الطاهرين، و لعنة اللّه على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين. لعل سبحانه يوفقنى لشرح ألفاظ من القرآن الحكيم، ليسبب تسهيلا على الطالب، و يفتح لى سبيل فهم كتابه، الذى هو سبب سعادة الدنيا و الآخرة. و يتقبله بقبول حسن، ليكون مصداقا ل: «كتب علم ينتفع بها» فى الدنيا، و موجبا للأجر و الثواب فى الآخرة.

هذا ما يرجوه «محمد بن المهدى الحسينى الشيرازى» عند افتتاح كتابه التفسير، المسمى ب: «تقريب القرآن إلى الأذهان» و اللّه الموفق، و هو المستعان.

كربلاء المقدسة ۲۹ ربيع الأول سنة ۱۳۸۳ هجرية.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۸۲

المدخل

كتاب كل عصر و مصر

قد اشتهر عند أتباع المستعمرين من المسلمين الجدد أصحاب الثقافات الشرقية و الغربية، أن القرآن لا يلائم العصر من جهة وجود أحكام فيه تصلح لعهد البداوة، مثل قطع يد السارق و جلد الزانى و رجمه، و تقرير الاستعباد و القصاص و حرمة الربا و المكس و الحريات الكثيرة و الأحكام الخاصة بالمرأة، و من جهة عدم وجود أحكام فيه يتطلبها العصر، مثل أحكام السياسة و الاقتصاد و الأمن و ما أشبه ذلك، ثم قالوا بأن الإسلام حيث ينطلق من القرآن فالقرآن أيضا لا يصلح للعصر الحديث، فاللازم فصل الدين عن الدولة، و هذه الفكرة إن لم تعم كافة المثقفين فهى بلا شك تعم أكثرهم، و حيث أن الاستعمار الفكرى يستتبع الاستعمار العسكرى، فبلاد الإسلام تعيش فى استعمار عسكرى صريح أو مغلف، و الواجب الاهتمام لتغيير هذه الفكرة بمختلف وسائل التغيير، فإن اللّه سبحانه لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ «۱» وَ إِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ «۲» فإنهم إذا لم يغيروا ما بأنفسهم من أسباب الضعف و الانحطاط أراد اللّه بهم سوءا إرادة تكوينية تابعة لخلق المسببات بعد أسبابها.

---

(۱) الرعد: ۱۲.

(۲) الرعد: ۱۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۸۳

و الكلام حول رد هذه الإشكالات طويل نكتفى بالتلميح إليه فنقول:

أما الجهة الأولى فيرد على إشكال قطع يد السارق، أن الإسلام لا يقطع يد السارق إلا بعد توفير أوليات العيش المتوسط له، و إذا وفر له أوليات العيش المتوسط فهل الأفضل أن يردعه- إذا سرق- بعقاب صارم يجعل المجتمع فى أمن بعد توفر زهاء عشرين شرطا فى السرقة يشترط بها القطع؟ أو أن يحبسه أو ما أشبه الحبس؟ مما لا يكون رادعا، بل أحيانا يكون مشجعا كما لا يخفى على من طالع أحوال المجتمعات الغربية و الشرقية.

و على إشكال جلد الزانى، إن الإسلام لا يجلد إلا إذا اضطر، و إذا عرفنا أن الإسلام يوفر المناخ الملائم للعفة برفع الاضطرار إلى اقتراف الجنس حراما، كان زنى الرجل أو المرأة خرقا للعفاف الاجتماعى و تعريضا له إلى الانهيار فى أقدس روابطه و هدما للعائلة، و أيهما خير العقاب الصارم المناسب للذة الزنى- إذ الجلد إيلام يناسب ما اقترفه الزانى من الإثم- أو عقوبة خفيفة لا تسد هذا الباب

الخطر؟

أما الرجم فهو للزانى المحصن، و كل إنسان عاقل يعترف بأنه إذا كانت له زوجة يشبعها جنسيا ثم خانته كان اللازم إنزال أشد العقوبات بحقها، و كذلك العكس و إلّا لزم انهيار المجتمع و انهدام العائلة و عدم الأمن و كثرة الطلاق و قلة النكاح و اختلاط الأنساب و كثرة الأمراض الجنسية و توسيع المجال للمستهترين، إلى غيرها من المفاسد التى وقع فيها الشرق و الغرب و قد رفع عقلائهم أصواتهم بوجوب وضع حد لهذه الاستهتارات.

و على إشكال تقرير الاستعباد، إنه أفضل حل لمشكلة أسارى الحرب، بعد الوضوح أن الإمام مخير بين الأسر و بين السجن و بين الفدية و بين الإطلاق كل منها حسب ما يراه من المصلحة، فلنفرض أن المصلحة عدم القتل، لأنه تضييع لقوى بناءة يحتاج إليها المسلمون، و عدم السجن، لأنه إرهاق لكاهل الدولة، و عدم الإطلاق بمال أو بدون مال، لأنه يخشى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۸۴

من تآمرهم على الدولة الإسلاميّة، فما ذا يكون الحل المعقول غير استعبادهم بتسليمهم إلى سادة يكونون تحت إشرافهم دائما مع عدم إضاعة قدراتهم البناءة؟ و من السهل نقد الإسلام فى تقريره قانون الرقة، لكن من المحال إيجاد حل أفضل منه، و لذا نرى أن الذين انتقدوا الإسلام فى هذا القانون، لما جاء دور العمل أخذوا يقتلون مناوئيهم بالملايين لا ـ الألوف، ففرنسا قتلت مليونا أو مليونى جزائرى، و أمريكا قتلت خمسة ملايين فيتنامى، و إنكلترا قتلت عشرين مليون صينى، و ألمانيا قتلت ما يقارب الخمسين مليون فى الحرب العالمية الثانية، و روسيا قتلت خمسة ملايين فلاح فى نظام المزارع الجماعية- على ما ذكرت كل ذلك الكتب و الجرائد و الإذاعات-.

ثم نظام التعذيب الذى اخترعه الغرب و الشرق أبشع بكثير من نظام الرق بل هو نظام استعباد الشعوب الكامل تحت غطاء الاستعمار مما أوقع العالم كله فى دوامة الثورات و الحروب.

و على إشكال القصاص، إنه أمر طبيعى، فهل يشفى غيظ من فقأ عينه عمدا أن يأخذ المال فى قبال عينه التالفة؟ و هل من الإنصاف أن يترك مثل هذا الإنسان الجانى يعبث بالمجتمع بدون عقاب صارم يردعه و يردع غيره من العابثين؟ خصوصا إذا كان الجانى غنيا لا يهتم بالمال، فقد أجاز الإسلام ذلك فى صورة طلب المجنى عليه، مع إنه أعطى الحق له فى أن يعفو، و أن يأخذ الدية مع إعطاء الصلاحية للحاكم الإسلامى فى تعزيره بما يؤلمه، لأنه خرق حق اللّه سبحانه. بما يسمى فى الاصطلاح بحق الادعاء العام.

نعم قد لا يكون للقصاص مجال فى الحى، أو فى الميت، كما فى من قطع عضو ميت، حيث أفتى الإمام الصادق عليه السّلام بأن ديته كدية الجنين، فيمن قطع رأس ميت- لوضوح اشتراكهما فى أنهما إنسانان لا روح لهما-

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۸۵

فى قصة مشهورة «۱» و حينذاك يرجع الأمر إلى الدية و التعزير إن صدرت الجناية عن عمد، و إلى الدية فقط، إن لم يكن عمد فى البين.

و أما إشكال حرمة الربا، فإنه و إن أورد عليها أن الربا حق معقول، لأن أمر صاحب المال دائر بين أن يتاجر بماله فيربح، و بين أن يدفعه قرضا فيربح من ورائه، و لذا قالوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا «۲» لكن هو إشكال غير وارد، لا لما أورد عليه الشيوعيون بأن تجارة غير الدولة سرقة لأتعاب العمال، إذ أى حق للتاجر أن يستربح ثم يأخذ لأجل ماله شيئا من أتعاب و جهود الكادحين؟ فكل من الربا و الاتجار المربح حرام.

و لا ـ لما أورد عليه بعض الاقتصاديين الجدد بأن الاتجار مطلقا «سواء كان من الدولة، كما فى الشيوعية، أو من غير الدولة، كما فى الرأسمالية» حرام، إذ فى كلا الحالين استفاد من لم يتعب ممن تعب فهو سرقة تحت اسم القانون، إذ يرد عليهما أنه لا بد من مخزون مالى للقيام بخدمات المجتمع، و أفضل طريق الخزن هو جمع المال عند التجار لئلا يجتمع المال و السلاح و القوة فى مكان، فيكون

الظلم و الدیکتاتوریة کما نشاهدهما بأبشع صورهما فی البلاد الشیوعیة .. مع لزوم مراقبة الدولة لأجل إعطاء الناس ما یحتاجون من مسکن و أثاث، حتی لا یبقی فقیر، و لأجل عدم إفساد الرأسمالی- کما فی النظام الإسلامی-.

بل لأن الربا علی إطلاقه ظلم، إذ لیس کل تجارة مربحة، و لیس کل إعطاء للمال یستحق المعطی أن یأخذ شیئا فی مقابل الإعطاء و توضیح ذلک أن لمال التاجر أربع صور:

---

(۱) الکافی: ج ۷ ص ۳۴۹.

(۲) إشارة إلی سورة البقرة: ۲۷۶.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۸۶

الأولی: أن لا تکون هناک تجارة یتمکن ما له من التقلب فیها.

الثانیة: أن تکون تجارة غیر مربحة إطلاقا، أو مربحة بقدر أقل من التعب، أو بمقدار التعب.

الثالثة: أن یصرف المال فی الحوائج الضروریة، لا فی التجارة.

الرابعة: أن یصرف المال فی تجارة مربحة ربحا أزید من التعب، و الربا أخذ التاجر المال ممن أعطاه المال فی کل الصور الأربعة، مع أنه فی الثلاثة الأولی ظلم.

أما فی الصورة الأولی: فلوضوح أن قول المستشکل «إن أمر صاحب المال دائر بین أن یتاجر بماله فیربح، و بین أن یدفعه قرضا فیربح» غیر تام، إذ المفروض أنه لا یمکن الاتجار بالمال فی هذه الصورة.

و أما فی الصورة الثانیة: فإن المال ربح بقدر التعب- علی أحسن الفرضین- و الأحق بهذا الربح من تعب لا من لم یتعب.

و أما فی الصورة الثالثة: فإن أخذ التاجر الربح خلاف الإنسانیة، لأنه استغلال لحاجة الإنسان فی تدمیره، فالمفترض أخذ المال لأجل قوته، أو دواء مریضه، فهل یحق لصاحب المال أن یستغل هذه الحاجة فی إنماء ماله؟

و تبقی الصورة الرابعة فقط مما یحق لصاحب المال أن یأخذ بعض الربح «أخذا لأجل وجود المخزون المالی الذی هو لأجل المجتمع أیضا- کما تقدم-» و حل الإسلام له بالمضاربة التی هی أقرب إلی العدالة بالنسبة إلی التاجر و المضارب، أفضل من الربا الذی قد یکون الترجیح فیه لصاحب المال، و قد یکون الترجیح للعامل و کلاهما اعتباطا لا یقره العقل و المنطق.

و یرد علی إشکال حرمة المکس، أن غایة ما یقال لتبریر المکس أمران:

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۸۷

الأول: إنّه إذا رفع المکس أضر ذلک بالاقتصاد، إذ الدولة تجنی من وراء المکس مقادیر کبیرة من المال تساعدها فی إدارة شؤون الدولة.

الثانی: إنّه إذا رفع المکس لزم تحطم الاقتصاد الوطنی، لأن البضائع الأجنبیة ترد فی البلاد بما یوجب تحطم الاقتصاد، و لا یخفی أن هذین الأمرین و إن تمّا فی الجملة، إلّا أن الحرمة الذاتیة للمکس لا ترتفع بهما، بل اللازم للدولة الإسلامیّة أن تلاحظ الأهمیة و تأخذ بالأهم فی البین، فکل من المکس و تحطم الاقتصاد «المذکور فی الأمرین» حرام، فإذا دار الأمر بین الحرامین یجب الأخذ بأقلهما حرمة من باب قاعدة الأهم و المهم.

و منه یعلم أن حرمة المکس لیست مطلقة حتی یستشکل علی الإسلام بأنه حرم المکس، و أن الحرمة لا تلائم الدول الحدیثة.

و یرد علی إشکال الحریات الکثیرة، أن توهم أن الإسلام یعطی حریات تضر بالاجتماع باطل، وجه التوهم أن الإسلام یعطی حریة البناء و حریة الحرکة، و حریة السکنی، و حریة التجارة، إلی غیر ذلک، و بذلک یختل النظام، فکل أحد یبنی ما یضر الطریق، و کل أحد یترک بدون ملاحظة قوانین المرور، و لملیون مسلم مثلا، أن یأتوا للسکنی فی بلد بحیث یضیق بهم هذا البلد، و للتاجر أن یصدر

کل بضائعه بحیث یقع أهل البلد فی ضیق، إلی غیر ذلک.

و الجواب: أن الإسلام إنما یعترف بالحریة المسؤولة «أی غیر الضارة» لا الحریة غیر المسؤولة، فلیس لأحد أن یستفید من الحریة الضارة بالآخرین، و یجب علی کل مسلم احترام قوانین الدولة الإسلامیّة الموضوعة تحت نظر المجتهد الجامع للشرائط و إن أضرت القوانین بمصالحه الخاصة، فإذا رأت الدولة أن استیراد هذه البضاعة مثلا تضر بالاقتصاد الإسلامی فمنعت عن ذلک لیس لأحد أن یستورد هذه البضاعة، إلی غیر ذلک.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۸۸

لا یقال: فأی فرق بین مثل قوانین أمریکا، و بین قوانین الدولة الإسلامیّة، إذ کل منهما توضع حسب المصلحة؟

لأنه یقال: الفرق أن قوانین الدولة الإسلامیّة توضع فی الإطار الإسلامی، بخلاف قوانین مثل أمریکا، فالفرق بینهما کالفرق بین قوانین أمریکا، حیث توضع فی الإطار الرأسمالی و قوانین روسیا، حیث توضع فی الإطار الشیوعی، مع أن کلتا الدولتین تدعی أنها تلاحظ مصالح بلادها.

و یرد علی إشکال الأحکام الخاصة بالمرأة أن المنطق و البرهان دلّا علی صحة تلک الأحکام الخاصة، بحیث إنها لو تساوت مع الرجل فی الأحکام کان خباله مثل تساویها معه فی خصوصیات الجسم، فکما أنه لو کان کل البشر رجلا کان ذلک من أبشع الفساد، کذلک لو کان کل البشر متساوین فی کل الحقوق و الواجبات کان ذلک من أبشع الفساد، و قد فصلنا بعض أسباب الاختلاف بینهما فی جملة من الأحکام فی کتاب «فی ظل الإسلام» «۱» و فی «الفقه: الحکم فی الإسلام» «۲» و غیرهما.

و یرد علی إشکال القصاص، أنه حکم إنسانی رادع کما تقدم، و الإنسانیة و الردع لا توجدان فی الغرامة و السجن، مع أن الإسلام جعل اختیار العفو و أخذ الغرامة بید المجنی علیه، رخص القصاص، بما إذا کان الجانی عامدا- کما هو واضح-.

أ لیس من الحق أن جانیا عامدا إذا قطع ید إنسان کان جزاءه أن تقطع یده، فیما إذا أراد المجنی علیه ذلک؟ و إذا لم یکن هذا من الحق، لنا أن نسأل الفرق بین المال و النفس، فإذا أخذ السارق منک دینارا کان لک أن

---

(۱) للمؤلف.

(۲) راجع موسوعة الفقه المجلد ۹۹.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۸۹

تأخذ منه دینارا، و إن قیل فلما ذا لا یقتص فی العرض؟ فإذا زنی زان بزوجة زید کان لزید أن یزنی بزوجة الزانی، قلنا الفرق واضح، إذ یکون ذلک اعتداء علی بریء هو زوجة الجانی بخلاف القصاص، فإنه رد اعتداء علی نفس المعتدی، هذا کله بالنسبة إلی الجهة الأولی.

أما الجهة الثانیة فالقول بأن الإسلام لیس فیه اقتصاد و سیاسة و أمن، کلام بلا دلیل، فالاقتصاد الإسلامی لیس فیه مضار الاقتصادیات الثلاثة الرأسمالیة و الشیوعیة بفرعیها الاشتراکیة و الفوضویة «التی تدعی أن لکل نتاجه، و من کل عمله» بینما فیه الاقتصاد المعتدل الذی یعطی کل ذی حق حقه، کما أن السیاسة فی الإسلام أفضل سیاسة، حیث تجمع بین حکم اللّه سبحانه و الشوری فی انتخاب الحاکم، و الأمن موجود فی الإسلام لا للکبت بل لجمع المعلومات و إرصاد المخربین و إیقاف المفسدین عند حدهم، و قد ذکرنا طرفا من هذه المسائل الثلاثة «الاقتصاد و السیاسة و الأمن» فی کتاب «الفقه: الحکم فی الإسلام» و لذا فلا نعید التفاصیل.

و حیث أن القرآن مصدر لکل هذه الأحکام، حیث بین فیها الخطوط العریضة للحیاة السعیدة، فالقرآن هو الکتاب الوحید الصالح لتطبیقه فی العصر، و کل کتاب و قانون غیر القرآن لیس له هذه الصلاحیة، و الظاهر أن العالم أخذ أخذا حثیثا نحو السیر إلی القرآن و أحکامه، لأنه الکتاب الوحید الصالح للتطبیق بعد أن ظهر فشل ما عداه فی تأمین الحیاة السعیدة، فهو مثل الکهرباء بالنسبة إلی

النفطیات، حیث إنها تعطی مکانها للکهرباء- تلقائیا- طال الزمان أو قصر، و لذا قال سبحانه لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ «۱».

---

(۱) التوبة: ۳۳.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۹۰

تطبیق الفکر و العمل علی القرآن

یجب تطبیق الفکر و العمل علی القرآن، و ذلک ببیان مقدمات:

الأولی: إن اللّه سبحانه خلق الکون الواسع بما فیه الدنیا و الآخرة و الحیاة و غیر الحیاة علی کیفیة خاصة من الحقائق و الأبعاد و الحدود و المزایا و الخصوصیات و هذا واضح لا یحتاج إلی الدلیل.

الثانیة: إنّ القرآن هو الکتاب الوحید الذی بقی مما أنزله اللّه سبحانه فی أیدی البشر، أما سائر الکتب المنزلة فقد حرفت و بدلت، کما قال سبحانه: یُحَرِّفُونَ الْکَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ «۱» و فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُکِّرُوا بِهِ «۲» بل قامت الضرورة منا علی عدم تمامیة الکتب الباقیة، کالتوراة و الإنجیل، بالإضافة إلی فقدان بعض الکتب المنزلة من أساسها بحیث لم یبق منها عین و لا أثر، بالإضافة إلی أنه لم یعلم أن سائر الکتب المنزلة کانت لأجل الهدایة الکاملة المستوعبة للفکر و العمل بصورة مطلقة.

الثالثة: إنّ القرآن نزل بقصد توجیه الفکر و توجیه العمل، و المراد بالعمل أعمال الجوارح کلها بما فیها اللسان، و قد دلت الأحادیث المتواترة علی أن الهدایة خاصة بالقرآن- أن من طلب الهدایة فی غیر القرآن أضله اللّه- أی کان ضالا و النسبة إلی اللّه سبحانه باعتبار أن الآلة منه سبحانه، و لذا نسب

---

(۱) المائدة: ۱۴.

(۲) المائدة: ۱۵.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۹۱

کل شیء إلی نفسه.

قال سبحانه: وَ ما رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ «۱».

و قال: یُضِلُّ مَنْ یَشاءُ «۲».

و قال: أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ «۳».

و قال: کُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ «۴».

و قال: وَ اللَّهُ خَلَقَکُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ «۵» علی فرض أن یراد به کل عمل الإنسان حتی المعصیة باعتبار أن الآلة منه سبحانه- و إنما کان یضل من طلب الهدایة فی غیر القرآن، لأنه لا هدایة فیما عداه، مثل أن یکون الطریق إلی البلد الفلانی خاصا بطریق واحد فیقال: أن من سلک غیر هذا الطریق ضل، فإن وجهه أنه لا طریق غیره.

الرابعة: أن ظرفیة البشر فی عالم الدنیا لیست أکثر من القرآن، فإنه و إن احتمل أن یکون الکون- بمعناه العام- أکبر من المقدار المذکور فی القرآن، إلا أن المقدار الذی یستوعبه الإنسان من الکون- استیعابا فی فکره و فی عمله- لیس أکثر مما أرشد إلیه فی القرآن، مثلا إذا کانت صحراء بمقدار مائة فرسخ، لکن زیدا لا یتمکن من عمران أکثر من عشرین فرسخا منها، کان مقتضی الحکمة أن یکون المنهاج الذی یضعه مربی زید بقدر تعمیر عشرین فرسخا فقط، إذ الزائد لغو لا یصدر من الحکیم، و یؤید أوسعیة الکون عن مقدار ظرفیة الإنسان

قوله عليه السّلام «ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر»

إلا أن يقال أن هذا لا يدل على أوسعية الكون عن القرآن، لأن

---

(١) الأنفال: ١٨.

(٢) الرعد: ٢٨.

(٣) الواقعة: ۶۵.

(۴) النساء: ٧٩.

(۵) الصافات: ٩٧.

للقرآن بطونا، و لأنه لا تفنى غرائبه كما فى الحديث، فلعله سبحانه جعله يتدرج فى الظهور كما جعل حقائق كونه، فى الدنيا و فى الآخرة تتدرج فى الظهور.

و كيف كان فيدل على المقدمة الرابعة عدم وجود الهداية فى ما عدا القرآن كما نص بذلك متواتر الروايات، فلو كان البشر أوسع للزم وجود الهداية فى ما عدا القرآن الأزيد من القرآن لا بد و أن يكون له طريق مستقيم و طريق غير مستقيم، و معرفة البشر الطريق المستقيم فى المقدار الأزيد هداية، و المفروض أنه لا هداية فى ما سوى القرآن.

إذا تحققت هذه المقدمات الأربع قلنا: ثبت أن فكر البشر فى أحوال المبدأ و المعاد و المعاش بكل أصنافه من عبادة و معاملة بأقسام المعاملات، و أخلاق و غيرها لا يعدو القرآن كما ثبت أن أعماله بكل أنواعها لا تعدو القرآن، فاللازم تطبيق فكره و عمله فى إطار القرآن إذ القرآن مرماة للكون و البشر مأمور بفهم هذا الكون و العمل على طبق ذلك الفهم، فمثلا إذا فرضنا أن المريض كان مأمورا بشفاء نفسه و وصف المرض و وصف الدواء كان مكتوبا بكتاب، و قال الآمر: أفهم داءك و دوائك و أعمل لشفائك، كان اللازم على المريض أن يفهم الكتاب و ألّا يبقى مريضا.

و عليه فإذا أفرغ البشر فكره و عمله فى إطار القرآن هدى، و إلا ضل عن سواء السبيل، و للتوضيح نقول: حقيقة المبدأ و حقيقة المعاد و حقيقة المخلوقات، أى خلق السماوات و الأرض و الجبال و الرعد و البرق و الجنة و النار و الموت و الحياة و غيرها، شىء ثابت مسلّم سواء فهمها البشر أم لا.

كما أن سعادة البشر فى الصلاة و الصيام و الزكاة و البيع و النكاح و الحرية و الحدود و القصاص و غيرها، و الواقع فى باب الفهم و أسلوب العمل المسعد فى باب العمل فى القرآن الحكيم، فإن صب البشر فكره فى

قالب فهم القرآن أدرك الحقائق و إن صب البشر عمله فى قالب العمل الذى أرشد إليه القرآن سعد، و إلّا أخطأ فى فكره و شقى فى عمله مثلا قال القرآن:

الإله واحد، و قال: أقيموا الصلاة، فإن لم يصب البشر فكره و عمله فى هذين، لقال بأن الإله اثنان، و لم يصل، و الأول يوجب انحراف فهمه عن الواقع، و الثانى يوجب شقائه حتى فى الدنيا، لأنه كما قال سبحانه: أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ «١» و قال تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى «٢».

ثم أن هنا ثلاثة أمور:

الأول: إن للقرآن ظهرا و بطنا، و لبطنه بطن و هكذا، و إذا لاحظنا ذلك فى التكوينات التى خلقها اللّه سبحانه ظهر نوع شبه لفهم المقصود بذلك، فمثلا التفاح له ظهر هو قشره، و بطن هو لبه، و لبطنه بطن هو نواته، و لنواته بطن هو مخه، و هكذا الإنسان له ظهر هو

جلده المرئی منه، و له بطن هو لحمه، و لبطنه بطن هو القلب و الکبد و الکلیة، و کل بطن بمنزلة مخ النواة، و فی القرآن مثلا ـ قال سبحانه: وَ نُرِیَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما کانُوا یَحْذَرُونَ «۳» فظهره هؤلاء الثلاثة فی قبال موسی علیه السّلام، و بطنه أمثالهم فی قبال محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثم أمثالهم فی قبال علی علیه السّلام و هکذا، و یؤید هذا المعنی ما ورد من أن القرآن کالشمس تجری کل یوم، فله انطباق فی کل زمان علی أفراد و أعمال و حالات.

ثم أن من الطبیعی أن یکون القرآن کذلک، لأنه کتاب اللفظ فی قبال کتاب الکون، فاللازم انطباق هذا الکتاب علی ذلک الکتاب، و إلا لم یکن کامل الانطباق.

---

(۱) الرعد: ۲۹.

(۲) طه: ۱۵.

(۳) القصص: ۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۹۴

الثانی: ورد بالنسبة إلی بعض أسامیه سبحانه أنه لا ـ یعلم ظاهرها و لا باطنها و لا تفسیرها و لا تأویلها إلا اللّه سبحانه، کما فی دعاء السمات، و قد یظهر من بعض الروایات أن القرآن کذلک کما ذکر فی قصة بلوهر مع یوذاسف.

و هنا سؤالان:

السؤال الأول: أنه ما معنی ذلک؟

و الجواب: أن فهم کل ظواهر الأشیاء و بواطنها کذلک، فإن البشر لا یعلم إلا بعض السطحیات، مثلا ما هی حقیقة اللحم و الدم؟ و ما هی حقیقة الماء و الکهرباء؟ و إلی غیر ذلک، فإذا رأی الإنسان سیارة لا یعلم ما هی؟ فإنه لا یعلم هل هی حدید أو نحاس «ظاهرها» و لا یعلم ماذا فی ماکنتها «باطنها» و لا یعلم ما نفعها «تفسیرها» و لا یعلم إلی أی شیء یکون أولها «تأویلها» و کذلک القرآن لا یعرف المراد الکامل من ظاهره و لا من باطنه، کما لا یعرف الفائدة الکاملة منه حالا و لا أول القرآن للمستمسک به و التارک له.

السؤال الثانی: إذا کان لا یعلم ظاهرها و لا باطنها و لا تفسیرها و لا تأویلها فما فائدة ذلک؟

و الجواب: الإشارة و التلمیح و إن کانت الحقیقة مخفیة، مثلا أنک إذا سمعت من إنسان ما لاقاه من الأهوال فی حرب ضروس، و أراک بعض التصاویر التی التقطها من تلک الحرب، فإن الکلام و الصورة لا شک یلمحان إلی حقیقة، لکن هل تدرک بذلک هول تلک الحرب و انفعالات أولئک المحاربین؟ إن نسبة ما نفهم من القرآن إلی حقیقته، کنسبة الصور و الکلام إلی حقیقة تلک الحرب، و للحرب «ظاهر» هی المعرکة و «باطن» هی الاستعمار الذی یرید التسلط مثلا، و «تفسیر» هو ما تنتجه الحرب الآن من

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۹۵

غلاء الأسعار و انسداد الطرق و «تأویل» هو ما یترتب من الأثر علی هذه الحرب من سقوط امبراطوریة و دخول امبراطوریة أخری إلی الحیاة.

الثالث: قد ورد فی باب القرآن أنه لا ـ تنقضی غرائبه و المراد بذلک، إما بعض حقائقه التی لا نعلم بها، أو أن الطریق الذی أرشد القرآن البشر إلیه طریق لا تنقضی غرائبه، مثلا أرشد القرآن البشر إلی السیر فی الأرض و النظر و العبرة و هکذا یؤدی دائما إلی اطلاع البشر علی معلومات جدیدة غریبة و اکتشافات حدیثة مدهشة، و اللّه سبحانه العالم.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۹۶

فلسفة کاملة عن الحیاة

حيث أن القرآن الحكيم فلسفة كاملة للحياة و لا فلسفة كاملة غيره، لا بد و أن يسيطر على الحياة، إن عاجلا أو آجلا، فإنه إنما يسيطر إذا عرف البشر هذين الأمرين:

إنه فلسفة كاملة و لا فلسفة كاملة غيره:

إذ البشر بحاجة إلى فلسفة كاملة ليسعد، و السعادة هى الغاية المتوخاة لكل بشر، و ليس وراءها مقصد، فإن الذاتى لا يعلل بغيره.

أما أن القرآن فلسفة كاملة، فلأنه يعطى شؤون الروح، و يعطى متطلبات الجسد و يستند إلى ما لا يتغير، و هذه العناصر الثلاثة هى التى تشكل السعادة الكاملة لأن الإنسان روح و جسد، و لكل واحد منهما متطلبات، ثم إذا كان متطلباتهما غير مستندة إلى قوة أزلية لا تتغير، كانت محلّا للتغيير، مما يسلب الثقة، و سلب الثقة ينتهى إلى الشقاء، فهو مثل أن تراجع طبيبا لا تثق به أو تركب طائرة أو سفينة لا تثق بهما حيث أن فى الكل احتمال العطب الذى يوجب الشقاء النفسى و شقاء النفس كسعادتها، تسريان إلى الجسد للتفاعل بين الروح و الجسد، و لذا كان القلق يوجب قرحة المعدة، و أمراضا أخر، و لذا كان أيضا المرض الجسدى يوجب اضطراب العقل، و منه قيل: «العقل السليم فى الجسم السليم».

و على هذا فإذا لم تكن المتطلبات مستندة إلى قوة أزلية توجب الثبات و الاستقرار، كان الإنسان يعيش فى ألم و عذاب، و حيث أن من طبيعة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٩٧

الإنسان الفرار من الألم كان لا بد له أن يتطلب فلسفة صحيحة ليدفع بها ألمه، و ينتهى به المطاف إلى فلسفة القرآن، التى هى الفلسفة الصحيحة للكون و الحياة، بكلا شقى الحياة: الروح و الجسد، بالإضافة إلى أنها مستندة إلى اللّه سبحانه، الذى لم يزل و لا يزال و لا تتبدل قوانينه فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا «١».

إذا ثبت هذا قلنا: أمهات الفلسفات الموجودة فى عالم اليوم خمسة:

١- فلسفة الإسلام، ٢- فلسفة اليهود، ٣- فلسفة النصارى، ۴- فلسفة الرأسمالية، ۵- فلسفة الشيوعية، و ما عدا الإسلام من سائر الفلسفات ليست صالحة للحياة، فلا تبقى إلا فلسفة الإسلام، التى ينتهى البشر فى آخر المطاف إليها.

و لذا قال سبحانه: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ «٢» فهو بالإضافة إلى كونه غيبيا، يؤيده المنطق و البرهان.

أما عدم تمكن الفلسفة اليهودية و النصرانية من الصمود أمام الحياة، فلوضوح أنهما مشوبتان بأبشع أنواع الخرافة، و العقل إن سبت ساعة لا- يسبت إلى قيام الساعة، و لذا بمجرد أن ترجم كتابيهما بعض المترجمين، و عرف الغرب و الشرق ما يحتويان من الخرافة لفظوهما، بالإضافة إلى أنهما كانا مصادر لمحاكم التفتيش و ما أشبهها، مما اصطدم بالعلم حين نهوض العلم، فانسحبا عن الميدان بعد مجازر بشرية رهيبة- هذا أولا- بالإضافة إلى أن اليهودية و النصرانية لا تشتملان على قوانين الإنسان فى معاملاته و أحواله الشخصية و سائر شؤونه، بل منطقهما: «دعوا ما لقيصر لقيصر، و ما

---

(١) فاطر: ۴۴.

(٢) التوبة: ٣٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٩٨

للّه للّه» الذى يعيش تحت مظلتهما، لا بد له من وضع قوانين لحياته، و حيث أنها ليست مستندة إلى قوة أزلية لا تصلح للإسعاد «كما تقدم بيان ذلك»، و هذا ثانيا.

و قد ظهرت آثار انهزام اليهودية و النصرانية فى هذا القرن بما لا يرجى فى بقائهما و إن حقنتا بآثار الحضارة الحديثة، فالخشبة اليابسة لا تحيى، و إن سقيت بألف كر من الماء.

و أما عدم تمكن فلسفة الشيوعية و الرأسمالية من الصمود أمام الحياة، فلأنهما أولا: ناقصتان من حيث عدم وفائهما بجانب الروح، و إنما تتعرضان لجانب الجسد فقط، و لذا كان الغرب القائل بالروح اضطر إلى التشبث باليهودية و المسيحية لأجل إملاء الروح، و لكنهما لم ينفعاه أيضا، لخواء ما فيهما من الروحيات، و أسوأ الاثنين هى الشيوعية التى لا تعترف بالروح أصلا.

و ثانيا: لا يستمدان قوانينهما الجسدية من قوة أزلية، و قد عرفت أن القانون المستمد من الإنسان و نحو الإنسان، مترجرج، و لا ينفع استقرار الإنسان و ثقته.

أما أمثال القومية، و البعثية، و الوجودية، و الديمقراطية و الاشتراكية، و نحوها، فهى ليست فلسفات أصلا، و إنما هى فكر منحرفة لبقعة صغيرة من بقع الحياة، فالقومية معناها جمع القوم، و البعثية معناها بعث القوم، و الوجودية إفراط فى الفردية مقابل إفراط الماركسية فى الدولة، و الديمقراطية حكم الشعب، و الاشتراكية توزيع قسم من الثروة، و من الواضح أن أيّا منها ليست فلسفة للحياة، هذا مع الغض مما سبب جملة منها من المآسى للإنسان، إذا .. لم يبق فى الميدان إلا القرآن، ففى أى وقت اجتهد حملته فى إيصاله إلى العالم، استقبله العالم بكل ترحاب، كما استقبله العالم بكل حفاوة إبان ظهوره.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۹۹

۱ سورة الفاتحة مكية- مدنية/ آياتها (۷)

سميت السورة باسم «الفاتحة» لافتتاح المصاحف بكتابتها و لقراءتها فى الصلاة فهى فاتحة لما يتلوها من السور و تسمى ب «الحمد» و من أسمائها «سبع المثانى» و «الواقية» و «الكافية» و ذكروا لها أسماء أخرى و هى مكية و قيل إنها مدنية و لعلها نزلت مرة فى مكة و مرة فى المدينة.

[سورة الفاتحة (۱): آية ۱]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۱)

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ أى أستعين باللّه، و إنما لم يقل «باللّه» تعظيما، فكأن الاستعانة بالاسم، و اللّه علم له سبحانه، و الرحمن و الرحيم صفتان تدلان على كونه تعالى عين الرحمة، فلا يرهب جانبه، كما يرهب جانب الطغاة و السفاكين، و تكرير الصفة للتأكيد.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۰۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ۱ ۱۴۹

[سورة الفاتحة (۱): الآيات ۲ الى ۶]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۲) الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۳) مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (۴) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (۵) اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (۶)

[۲] الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ فإنه هو الذى يستحق الحمد، لأن كل جميل منه، و كل خير من عنده، و هو رب العالمين، الذى أوجدهم و رباهم.

و التربية تطلق على الإنشاء و الاستمرار، و العالمين إشارة إلى عوالم الكون، من جن و ملك، و إنسان و حيوان، و نبات و جماد، و روح و جسد، و غيرها.

[۳] الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ تكرار للتأكيد، لإفادة أن الرب ليس طاغيا، كما هو الشأن فى غالب الأرباب البشرية.

[۴] مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ الدين هو الجزاء، فيوم الدين: «القيامة»، و اللّه مالك ذلك اليوم، لا يشرك فيه أحد (وَ لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى «۱»).

[۵] إِيَّاكَ نَعْبُدُ أى عبادتنا و خضوعنا لك، و قدم «إياك» لإفادة الحصر.

وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ أى نطلب الإعانة، فإنه هو الذى بيده كل شيء، فالاستعانة منه، و الإتيان بالتكلم مع الغير، لإفادة كون المسلمين كلهم

منخرطين فى هذين السلكين: سلك العبادة للّه، و سلك الاستعانة به.

[۶] اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ غير المنحرف، و الهداية هو إرشاد الطريق،

---

(۱) الأنبياء: ۲۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۰۱

[سورة الفاتحة (۱): آية ۷]

صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لا الضَّالِّينَ (۷)

فإن الإنسان فى كل آن يحتاج إلى من يرشده و يهديه، و إن كان مهديا، و حيث لم يذكر متعلق الصراط المستقيم، دلّ على العموم، فالمسلم يطلب منه سبحانه أن يهديه الصراط المستقيم، فى العقيدة، و العمل، و القول، و الرأى، و غيرها.

[۷] صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ إنه تفسير ل: «الصراط المستقيم» أى إن الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعمت عليهم، بهدايتهم من النبيين و الأئمة عليهم السّلام و الصالحين غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ فإن من أنعم اللّه عليه بالهداية، لا يكون مغضوبا عليه وَ لَا الضَّالِّينَ أى الضال المنحرف عن الطريق، و الضال يمكن أن يكون مغضوبا عليه إذا كان عن تقصير، و يمكن أن يكون غير مغضوب عليه إذا كان عن قصور، و المسلم يطلب من اللّه تعالى أن لا يكون من هؤلاء و لا هؤلاء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۰۲

۲ سورة البقرة مدنية/ آياتها (۲۸۷)

[سورة البقرة (۲): آية ۱]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الم (۱)

سميت السورة باسم «البقرة» لاشتمالها على قصة البقرة و هى مدنية.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ابتدأت السورة باسم اللّه تعالى، لتكرر الاستعانة به، و ليتعلم المسلم كى يبتدئ جميع أعماله بهذا الاسم المبارك، و ليتركز هذا الاسم الكريم فى الأذهان، فإن للتكرار أثرا بالغا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۰۳

[سورة البقرة (۲): الآيات ۲ الى ۴]

ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (۲) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (۳) وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (۴)

[۲] الم أى من جنس هذه الحروف المقطعة: «أ»، «ل»، «م».

[۳] ذلِكَ الْكِتابُ و الإشارة بالبعيد، للإشارة إلى كون القرآن سامى المقام، عالى المنزلة لا رَيْبَ فِيهِ أى ليس محلّا للريب، و إن ارتاب فيه الكفار، كما أن النهار لا ريب فيه، و إن ارتاب فيه السوفسطائيون، و «لا رَيْبَ فِيهِ» صفة للكتاب هُدىً لِلْمُتَّقِينَ صفة بعد صفة، أى أن هذا القرآن هداية لمن اتقى، و خاف من التردى، فإنه هو الذى يهتدى بالقرآن، و إن كان القرآن صالحا، لأن يهدى الكل.

[۴] الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ صفة للمتقين، و المراد بالإيمان الاعتقاد به، و الغيب هو الذى غاب عن الحواس الظاهرة، أى ما وراء الطبيعة، فالروح غيب، و أحوال القبر غيب، و اللّه سبحانه غيب، و هكذا وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ إقامة الصلاة، الإتيان بها دائما على الوجه المأمور بها،

و لـذا تـدل على معنى أرفع، من معنى «صـل» وَ مِمَّا رَزَقْنـاهُمْ يُنْفِقُونَ و الرزق أعم من المـأكول، و الملبوس، و المسـكون، و العلم و الصحهٔ، و غيرها، و إنفاق كل شيء بحسبه.

[۵] وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ من الوحى و القرآن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۰۴

[سورهٔ البقرهٔ (۲): الآيات ۵ الى ۶]

أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۵) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۶)

وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ فإن من شرائط الإيمان، الإيمان بكل الأنبياء عليهم السّلام (لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) «۱» وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ و اليقين بالآـخرهٔ هو الاعتقـاد بها، و العمل بمقتضاها، و بعض هـذه الأمور، و إن كانت داخلـهٔ فى «الإيمان بالغيب»، لكنها ذكرت لزيادهٔ الاهتمام بها، و ذكر الخاص بعد العام.

[۶] أُولئِكَ عَلى هُـدىً مِنْ رَبِّهِمْ أى على بصيرهٔ، و هذه البصـيرهٔ أتت إليهم من ناحيهٔ اللّه سبحانه وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الناجحون، فهم فى الـدنيا على بصـيرهٔ، و فى الآـخرهٔ فى زمرهٔ النـاجين، ثم أن القرآن لمـا ذكر المؤمنين، ثنّاهم بـذكر الكـافرين، ثم ثلّثهم بـذكر المنافقين، فإن كل دعوهٔ، لا بد و أن ينقسم الناس أمامها إلى ثلاثهٔ أقسام: مؤمن بها و كافر بها، و مذبذب بين ذلك يجامل الطرفين.

[۷] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا و الكفر هو الستر، كأن الكافر يستر الحقيقـهٔ، و لا يبـديها سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْـذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ و المراد ب «الذين كفروا» هنا هم المعاندون منهم، لأنهم المصداق الأجلى للكافر، و إلا فالذين آمنوا بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الناس كانوا كفارا ثم

---

(۱) البقرهٔ: ۲۸۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۰۵

[سورهٔ البقرهٔ (۲): آيهٔ ۷]

خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (۷)

آمنوا، و من المعلوم أن المعانـد يتساوى فى حقه الإنـذار و عدمه، نعم يجب إنذاره إتماما للحجهٔ، و هذا تسـليهٔ للنبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم، حتى لا تذهب نفسه عليهم حسرات.

[۸] خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ طبعها بالكفر، أى جعلها بحيث يصـعب إيمانها، لأنها اعتادت الكفر، و عـدم الاسـتماع إلى الحق، و إنما ختم اللّه، لأنها لم تقبل الهدايـهٔ، كمن يطرد ولـده عن داره بعـد ما أرشده مرات، فلم يفد فيه النصح، كما قال تعالى طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ «۱» أى بسـبب كفرهم، و إنما فسرنا «الختم» ب «يصـعب» لبداهـهٔ أن الإنسان و لو كان معانـدا، لا يخرج عن قابليهٔ القبول و الاهتداء وَ عَلى سَـمْعِهِمْ بمعنى إنهم لاـ يسـتفيدون من السـمع، كالأـصم، لأـن فى سـمعهم خلـل وَ عَلى أَبْصـارِهِمْ غِشـاوَةٌ تشبيه للغشاوهٔ المعنويهٔ بالغشاوهٔ الظاهريهٔ، فكما أن من على بصـره غشاوهٔ، لا يرى المحسوسات، كذلك من يعاند يكون على بصـره مثل الغشاوهٔ، و هو تنزيل لفاقـد الوصف منزلـهٔ فاقد الأصل، كما تقول لمن لا ينتفع بالعلم، هو جدار وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ فى الدنيا و الآخرهٔ، فإن من ينحرف عن قوانين اللّه تعالى، يكون لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى «۲».

---

(۱) النساء: ۱۵۶.

(۲) طه: ۱۲۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۰۶

[سورة البقرة (۲): الآيات ۸ الى ۱۰]

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (۸) يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ ما يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (۹) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ (۱۰)

[۹] وَ مِنَ النَّاسِ المنافقون، و هم القسم الثالث، فهو مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ قولا باللفظ فقط وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ حقيقة، فلا يعملون أعمال المؤمنين، و إن كانت قلوبهم أيضا متيقنة بحقائق الإيمان.

[۱۰] يُخادِعُونَ اللَّهَ أى يفعلون مع اللّه تعالى، فعل المخادع، الذى يريد الخديعة، فيظهر ما لا يريده، و يريد ما لا يظهره وَ الَّذِينَ آمَنُوا فيرونهم خلاف ما يضمرونه، لكن عملهم هذا ليس خدعة حقيقية للّه و للمؤمنين، فإنهما يعلمان نواياهم، فلا ينخدعان بهم، بل وَ ما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ إذ يجرى عليهم أحكام المؤمنين ظاهرا، و لا يشتركون معهم فى أسرارهم، كما لا يشتركون معهم فى آخرتهم، فهم مخدوعون من حيث ظنوا أنهم خادعين وَ ما يَشْعُرُونَ بأنهم خدعوا أنفسهم، لا أنهم خدعوا اللّه و المؤمنين، إذ لو شعروا بأنهم يخدعون أنفسهم، لم يقدموا على ما ظنوه خدعة لغيرهم، و الحال أنها خدعة لهم حقيقة و واقعا.

[۱۱] فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فإن قلب المنافق ملتو، و نفسه معوجة، لا تريد الاستقامة فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً إذ نزول الآيات، و نصب الرسول،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۰۷

[سورة البقرة (۲): الآيات ۱۱ الى ۱۳]

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ (۱۱) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لكِنْ لا يَشْعُرُونَ (۱۲) وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَما آمَنَ النَّاسُ قالُوا أَ نُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ وَ لكِنْ لا يَعْلَمُونَ (۱۳)

أوجب أن يزيدوا فى التوائهم، لئلا يسلط النور عليهم، فيعرفوا وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ أى مؤلم بِما كانُوا يَكْذِبُونَ أى بسبب كذبهم، بمخالفة ظاهرهم لباطنهم، فإنه نوع من الكذب، و إن كان كلامهم مطابقا للواقع، لكنهم حيث أخبروا عن إيمانهم- و لم يكونوا مؤمنين- كان ذلك كذبا.

[۱۲] وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ أى للمنافقين لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ فإن النفاق يلازم الإفساد، إذ يعمل المنافق ضد الدعوة، و يؤلب عليها، و هو إفساد حينما تريد الدعوة الإصلاح و التقدم قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ فإنهم يظنون أن الدعوة إفساد، و أنهم بوقوفهم ضدها يصلحون فى الأرض.

[۱۳] أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ لأنهم بوقوفهم النفاقى ضد الإسلام، يكونون مفسدين إفسادا بالغا أكثر من إفساد الكفار، و لذا قال تعالى فى آية أخرى هُمُ الْعَدُوُّ «۱» على نحو الحصر وَ لكِنْ لا يَشْعُرُونَ بذلك، بل يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

[۱۴] وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ أى للمنافقين، و القائل هم جماعة من المؤمنين

---

(۱) المنافقون: ۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۰۸

[سورة البقرة (۲): الآيات ۱۴ الى ۱۵]

وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ (۱۴) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ (۱۵)

الذين لا يخافونهم آمِنُوا كَما آمَنَ النَّاسُ إيمانا لا يشوبه نفاق قالُوا أَ نُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ يعنون بالسفهاء المؤمنين الحقيقيين أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ و أية سفاهة أعظم من كون الإنسان حائد عن طريق الحق مع كونه متصفا بصفة النفاق الرذيلة وَ لكِنْ لا يَعْلَمُونَ إنهم هم السفهاء، لأنهم يظنون أن طريقتهم النفاقية، أصلح الطرق.

[١۵] وَ إِذا لَقُوا من «لقى» أى التقى المنافقون ب الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا لهم آمَنَّا وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ أى أشباههم من المنافقين قالُوا لهم إِنَّا مَعَكُمْ يريدون بذلك إرضاء الجانبين إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ بالمؤمنين، فى إظهار الإيمان لهم، و هذا هو دليل نفاقهم، و إلّا لو كان الأمر بالعكس، بأن أظهروا الكفر تقية لم يزيدوا على إظهاره.

[١۶] اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ أى يفعل لهم فعل المستهزئ، فيجرى عليهم فى الدنيا أحكام الإيمان، و فى الآخرة يجازيهم بجزاء الكفار، و فى بعض الأحاديث إنه يستهزئ بهم فى الآخرة فى النار وَ يَمُدُّهُمْ إمداد اللّه سبحانه و تعالى، بعدم الضرب على أيديهم كما يقال: الملك يمد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٠٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ١۶ الى ١٧]

أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ (١۶) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ (١٧)

قطّاع الطريق حيث لا- يستأصلهم فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ الطغيان تجاوز الحد، و العمه التحير، فإن المنافق، كالشخص المتحير، و إنما يمدهم اللّه سبحانه، لأن الدنيا دار اختبار و امتحان، فلا جبر و لا إلجاء.

[١٧] أُولئِكَ المنافقون الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى فكأنهم أعطوا الهداية، و أخذوا مكانها الضلالة، أو كأنهم أعطوا أنفسهم بدل الضلالة، بينما كان الذى ينبغى أن يعطوا أنفسهم بدل الهداية، كما قال الشاعر:

أنفاس عمرك أثمان الجنان فلاتشرى بها لهبا فى الحشر تشتعل

فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ المعنوية، بل خسروا رأس المال الذى هو أنفسهم وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ فى هذه التجارة و الاشتراء.

[١٨] مَثَلُهُمْ أى مثل هؤلاء المنافقين كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً استوقد بمعنى أوقد، أو بمعنى طلب الوقود الذى هو الحطب و نحوه، و المعنى أشعل نارا ليستضىء و يدفأ بها فَلَمَّا أَضاءَتْ النار ما حَوْلَهُ و انتفع بها ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ بأن أرسل ريحا فأطفأها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١٠

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٨ الى ١٩]

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا- يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَ اللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ (١٩)

وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ ما حولهم و إنما كان هذا مثلا لهم، لأن المنافق بإيمانه الظاهرى، يعبّد لنفسه سبيل الحياة، و ينور فى طريقه، فإن الإيمان نور، و سبب لهداية الإنسان إلى الحق و العدل و الخير، فإذا قبض اللّه أرواحهم تركهم، كسائر الكفار فى نار و عذاب، حين يقبض اللّه أرواح المؤمنين، إلى نور أوسع و رحمة أكبر، فهؤلاء المنافقون:

[١٩] صُمٌّ جمع أصم، لأنهم لا ينتفعون بالحق، فهم و الأصم سواء بُكْمٌ جمع أبكم، و هو الأخرس، لأنهم لا يقولون الحق فهم و الأبكم سواء عُمْيٌ جمع أعمى، لأنهم لا يبصرون الحق، فهم و الأعمى سواء فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ عن غيهم و ضلالهم، و «ف»، للإشارة إلى أنهم حيث صموا و أبكموا و عملوا لم يرج فيهم الخير، فإنه وَ لا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ «١».

[٢٠] أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ مثال آخر لحال المنافقين، و الفرق بين المثالين، إن المثال الأول، كان مثالا للمنافق نفسه، و هذا المثال مثال الحق الذى يغمر المنافق، لكنه لا ينتفع به و الصيب هو المطر، فالحق الذى يغمر هؤلاء كمطر ينزل من السماء فِيهِ ظُلُماتٌ ظلمة السحاب و ظلمة المطر، لأنه يحول بين الضياء و بين الأرض، و ظلمة

---

(١) الأنبياء: ۴۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۱۱

[سورة البقرة (۲): آية ۲۰]

يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَ إِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۲۰)

سحاب فوق سحاب وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ من الأمور المخوفة يَجْعَلُونَ أى من ابتلى بهذا الصيب أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ خشية الصَّواعِقِ فإن الصاعقة إذا نزلت، قرعت الأسماع بصوتها الشديد حَذَرَ الْمَوْتِ فإن الصوت الشديد يوجب انخلاع القلب، فيموت الشخص، لكن هؤلاء المنافقين الذين هم كفار فى الباطن لا- يظنون أنهم يتمكنون الفرار من بأس اللّه تعالى وَ اللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ إحاطة علم و قدرة.

[۲۱] يَكادُ الْبَرْقُ اللامع فى السحاب يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ أى أبصار من ابتلى بالصيب، و خطف البصر كناية عن عماه كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ بأن أبرق، و رأوا طريقهم مَشَوْا فِيهِ أى فى البرق- بمعنى استفادتهم من نوره فيمشون وَ إِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ بأن لم يبرق قامُوا فى أماكنهم- أى وقفوا- وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ بسبب صاعقة قوية فتصمهم وَ أَبْصارِهِمْ بسبب برق قوى، إذ النور إذا قوى أوجب ذهاب البصر إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فلا يمنعه أن يحتمى الإنسان بإصبعه، أو بغمض بصره عن أن يذهب بسمعه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۱۲

[سورة البقرة (۲): آية ۲۱]

يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (۲۱)

أو بصره، و هذا توضيح المثال بتطبيقه على المورد أن «الصيب» هو الحق النازل على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و «البرق» هو تقدم المسلمين، و ما يسبب لهم إنارة الطريق، و «الرعد و الصاعقة» إيعادات الرسل، و الأهوال المكتنفة بالدعوة، و المنافقون كمن ابتلى بهذا الصيب فى الصحراء، فالحق كالمطر فيه الحياة، لكن فيه ظلمات غلبة الكفار، و ذهاب الأنفس و الأموال و الثمرات، و فيه برق ينير طريق الحياة السعيدة، و فيه رعد و صاعقة مواعيد الرسول، و فضيحة المنافقين، و هؤلاء المنافقون تكاد سرعة تقدم المسلمين، تعميهم، فإن العين إذا نظرت إلى ما لا يسرها اضطربت و دمعت، كلما أضاء لهم، بأن غلبوا فى الحرب، و حصلوا على الغنائم، اتبعوا الرسول، و إذا أظلم عليهم، بأن غلب عليهم الكفار، وقفوا و قاموا فى مكانهم، لا يعلمون و لا يتقدمون و هم يخافون من الفضيحة، إن نزلت آية فى شأن المنافقين، فيجعلون أصابعهم فى آذانهم، حتى لا يسمعونها، أو يتغافلون عنها، كى لا يرى أثر الانهزام فى وجوههم، فإن الإنسان المجرم إذا سمع ما يمس إجرامه ظهرت الصفرة و آثار الانهزام على وجهه، لكن اللّه قادر على إماتتهم، كما هو قادر على فضحهم و الذهاب بسمعهم و بصرهم، فليسوا هم فى راحة من نفاقهم- كما زعموا- بل هم فى أشد ابتلاء و محنة.

[۲۲] يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ خلق الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ و كان السبب فى الخلق لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أى خلقكم للتقوى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۱۳

[سورة البقرة (۲): الآيات ۲۲ الى ۲۳]

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَ السَّماءَ بِناءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۲۲) وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۲۳)

و العبادة، كما قال تعالى وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ «۱».

[۲۳] الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً كالفراش الذى يكون راحة للبدن و زينة و جمالا وَ السَّماءَ بِناءً أى مبنيا، و هذا يلائم كون السماء طبقة تحطم القذائف إلى الأرض، فإن البناء ليس المراد منه أن يكون المبنى من جسم كثيف وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً و المراد من السماء هنا جهة العلو، أو المراد من تلك الناحية فَأَخْرَجَ بِهِ أى بسبب الماء مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ فإذا كان الخلق و سائر النعم من اللّه

سبحانه فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً شركاء من الأصنام أو غيرها وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنها باطلة، و أنه ليس للّه شريك.

[۲۴] وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا محمد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و تزعمون أنه ليس من اللّه سبحانه فَأْتُوا بِسُورَةٍ واحدة مِنْ مِثْلِهِ أى من مثل هذا المنزل، و لو كان قصر سورة نحو قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ «۲» أو إِنَّا أَعْطَيْناكَ «۳» وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ الذين يشهدون

---

(۱) الذاريات: ۵۷.

(۲) الإخلاص: ۲.

(۳) الكوثر: ۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۱۴

[سورة البقرة (۲): الآيات ۲۴ الى ۲۵]

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ (۲۴) وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ كُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً وَ لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۲۵)

معكم، أن محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليس بنبى مِنْ دُونِ اللَّهِ أى كائن ما كان غير اللّه سبحانه، كما يقال ما دون اللّه مخلوق إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى ريبكم و زعمكم، أن محمدا ليس بنبى، و أن القرآن ليس منزلا من عند اللّه تعالى، إذ لو لم يكن محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نبيا، لكان إنسانا عاديا، فيمكن الإتيان بمثل كلامه.

[۲۵] فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا و لم تأتوا بسورة من مثل هذا القرآن وَ لَنْ تَفْعَلُوا هذا إخبار بأنهم لن يفعلوا ذلك أبدا، إذ القرآن معجز، فلا يمكن الإتيان بمثله فَاتَّقُوا عاقبة تكذيبكم، لرسول اللّه، و لكتاب اللّه، التى هى النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا أى حطبها، و ما يسبب إيقادها النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ جمع حجر و لعل المراد بها أصنامهم، كما قال تعالى إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ «۱» و تخصيص الحجارة بالذكر للتهويل، إذ الحجارة لا تفنى، فتكون النار دائمة أُعِدَّتْ هذه النار لِلْكافِرِينَ هذه عاقبة من يكذب.

[۲۶] وَ بَشِّرِ يا رسول اللّه الَّذِينَ آمَنُوا بقلوبهم و ألسنتهم

---

(۱) الأنبياء: ۹۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۱۵

وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ بجوارحهم أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ الجنة باعتبار كونها بستانا ذات أشجار و نخيل، تكون أرضها «من تحتها» فالأنهار جارية من تحت الجنة على أرضها كُلَّما رُزِقُوا أى رزق المؤمنون مِنْها أى من الجنات مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً بأن أتى لهم بفاكهة و ثمرة قالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ فإنهم يألفون تلك الثمار لما رأوا منها فى الدنيا، و ليسوا كأصحاب الجحيم الذين لا يألفون طعامهم الذى من ضريع، و لا شرابهم الذى من حميم وَ أُتُوا بِهِ أى بذلك الرزق مُتَشابِهاً يشبه بعضه بعضا فى الجودة و الجدة، لا- كأثمار الدنيا، بعضها ناضج، و بعضها غير ناضج، و بعضها جيد، و بعضها ردىء وَ لَهُمْ فِيها أى فى الجنات أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ من القذارات الخلقية، كالأوساخ و الدماء، و القذارات الخلقية، كالسب و الشتم و الحسد، و نحوها وَ هُمْ فِيها أى فى تلك الجنات خالِدُونَ أبدا لا- يموتون، و لا- يتحولون عنها، و حيث قسم اللّه الناس إلى أقسام ثلاثة، مؤمن و منافق و كافر، و مثل للمنافق، ثم أمر الناس عامة بالعبادة، و دعاهم إلى حضيرة الإيمان، و ذكر لهم فوائده، و احتج على من أنكر الرسالة، أجاب عن سؤال سأله الكفار و من إليهم تعنتا،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١۶

[سورة البقرة (٢): آية ٢۶]

إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفاسِقِينَ (٢۶)

و هو: أن اللّه لما ذا يضرب المثل، كما مثل للمنافق هنا، و مثل فى سور أخرى بالعنكبوت و نحوها؟ فإن المثال أوقع فى النفوس، و موجب لتقريب المطلب إلى الأذهان.

[٢٧] إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما فإن الحياء من الأشياء القبيحة، أو نحوها، و ليس فى تمثيل اللّه الكبير بالأشياء الصغيرة الحقيرة، فى النظر حياء، أى مثل كان، و هذا معنى قوله «ما» أى شيئا من الأشياء، بَعُوضَةً و هى البقة فَما فَوْقَها و لعل ذكر البعوضة هنا لأنها أصغر حيوان متعارف يراه كل أحد فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ أى المثل الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ و أتى به لغرض التوضيح و التبيين وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ معترضين ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا و مثلا تمييز فى معنى «بهذا المثل» و لماذا يأتى اللّه بهذا المثل- غير المناسب لجلال اللّه- ف يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيراً و يوجب انقسام الناس، و من المحتمل أن يكون «يضل ...» جوابا عن اعتراضهم، أى أن المقصود من المثل الإضلال و الهداية، لكنه ينافى السياق، فإن المقصود بالمثل ليس ذلك، و إنما التوضيح و التقريب وَ ما يُضِلُّ بِهِ أى بالمثل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١٧

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٧ الى ٢٨]

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (٢٧) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)

إِلَّا الْفاسِقِينَ الذين فسقوا أى خرجوا عن طاعة ربهم و مقتضى عقولهم، ثم بين الفاسقين بإبراز سماتهم بقوله:

[٢٨] الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ الميثاق ما وقع التوثيق به، و ميثاق اللّه هو ما أخذ عليهم فى الكتب السالفة من الإيمان، أو هو ما أودع فيهم من الفطرة بعرفان الحق وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ من صلة الأرحام، أو صلة الرسول و المؤمنين وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بالكفر و النفاق و إتيان المحرمات أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ الذين خسروا أعمارهم، فذهبت دنياهم ضنكا و آخرتهم عذابا و نارا.

[٢٩] ثم عاد سبحانه إلى حال الكافر، و وجه الخطاب إليه مستدلا على بطلان كفره بقوله: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْواتاً لا روح فيكم، فإن أصل الإنسان التراب، ثم يكون نباتا، ثم يكون حيوانا و ما أشبه، فيأكله الإنسان، فيتولد منه المنى، ثم يصير إنسانا، ثم يموت و يرجع ترابا، ثم يعاد يوم القيامة إنسانا فَأَحْياكُمْ نباتا أو حيوانا أو إنسانا ثُمَّ يُمِيتُكُمْ وقت موتكم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ يوم القيامة ثُمَ بعد الحياة الثانية إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ لتساقون إلى المحاكمة الكبرى، و كون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١١٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٩ الى ٣٠]

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ (٣٠)

الرجوع إليه، مع إن الإنسان فى جميع الأحوال، بدءا و ختاما، تحت سلطة اللّه و قدرته و علمه، باعتبار محاسبته تعالى للإنسان.

[٣٠] هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ لمنفعتكم ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فمن خلقها غيره، و كون الخلق للإنسان، لا يدل على تحليل كل شىء، بل كل

شيء بحسبه، فالأسماك المحرمة، و الحيوانات المفترسة لتمتع السمع و البصر، لا للأكل و نحوه و هكذا ثُمَّ اسْتَوى أي توجه بالخلق و الأمر إِلَى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ مدارات للنجوم السيارة، فإن السماء في اللغة بمعنى المدار- هذا إذا قلنا بالنظر الفعلي حول السماوات- و يؤيده حديث عن الإمام الرضا عليه السّلام- كما في «الهيئة و الإسلام» «١»- وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فلا يغيب عنه شيء، فمن كفر كان اللّه مطلعا عليه لا يفوته ذلك، و لا يخفى أن خلق الأرض كان أولا، ثم خلق السماء، ثم دحو الأرض، كما قال (وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها) «٢».

[٣١] و حيث ذكر سبحانه قصة خلق السماء و الأرض، و ثم البناء، توجه الحديث إلى من استخلف فيها وَ اذكر إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ الذين هم مخلوقين في الملإ الأعلى لا يرون بالعين إلّا لمن شاء اللّه

---

(١) للعلامة الشهرستاني.

(٢) النازعات: ٣١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ١١٩

[سورة البقرة (٢): آية ٣١]

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٣١)

إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً يخلفني في الأمر و النهي و الإرشاد، و هذا الحوار إنما كان لأجل إظهار كوامن، و بيان حقائق قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها أي في الأرض مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ و هذا استفهام حقيقي، يريدون بذلك استيضاح السبب، و لعلهم إنما علموا بذلك، لما كانوا يدرون من كدرة الأرض و ثقلها الموجبة للفساد و التكدر، أو لما رأوا من فعل بني الجان سابقا وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ففينا الكفاية، و ليس هذا تزكية، بل كقول العبد المطيع لمولاه: إني أقوم بخدمتك فلما ذا تأتي بغيري الذي لا يقوم بالواجب، و معنى التسبيح التنزيه، و كان المراد من التسبيح بحمده، التنزيه المقترن بالحمد، مقابل التنزيه غير المقترن به، كتنزيه الجوهرة الثمينة عن النقائص، لكن التنزيه فيها لا يقترن بالحمد، إذ ليس ذلك باختيارها بخلافه تعالى المقترن أفعاله و أعماله بالإرادة وَ نُقَدِّسُ لَكَ أي أن تقديسنا و تنزيهنا لأجلك لا يشوبه رياء و سمعة قالَ اللّه تعالى في جواب الملائكة السائلين عن السبب إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ فإن في استخلاف البشر، مصالح أهم من الفساد الواقع منهم، كما أن استخلافهم أهم من استخلافكم فإن منهم من الأخيار و الصالحين من لا يلحقه الملك المقرب، بالإضافة إلى أنه خلق يظهر من عظمة الصانع نوعا جديدا.

[٣٢] و إذا أراد اللّه تعالى إعلام الملائكة ببعض مزايا البشر، و إنه من جنس

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ١٢٠

[سورة البقرة (٢): آية ٣٢]

قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)

أرفع منهم، علّم آدم عليه السّلام، علوما يتمكن هو من فهمها و هضمها، بينما لا يقدر الملائكة على ذلك، ثم قال تعالى للملائكة: هل تتحملون مثل ذلك؟ فأبدوا عجزهم، و إذا رأوا من آدم التحمل و القدرة، اعترفوا بالتفوق، و إنه أحق بالخلافة، و توضيح ذلك بمثال أنه إذا كان لإنسان خادم لا يقدر فطرة على بناء دار جميلة، ثم أراد استخدام مهندس، فقال الخادم: لماذا تستخدم غيري و أنا حاضر؟ يقول له السيد: إني أعلم ما لا تعلم، ثم يستخدم المهندس، و يبين له ما يريده من الدار، فيقدر المهندس من بنائها، بينما لا يقدر الخادم على النزول عند رغبة السيد، و هناك يعترف بالعجز، و أن السيد كان عارفا حيث تركه إلى غيره وَ عَلَّمَ اللّه تعالى آدَمَ عليه السّلام الْأَسْماءَ كُلَّها أسماء الأشياء و علائمها، و ذلك يستلزم تعليم المسميات و المعلومات، فإذا علمت أحدا اسم زيد و عمرو و بكر، كان اللازم تعريفهم له أيضا، و لذا قال ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ بإتيان ضمير «هم» تغليبا للعقلاء على غيرهم، و العرض على الملائكة

فَقالَ أَنْبِئُونِی بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ صدقا خبریا یطابق کلامکم الواقع فی أنکم کافین فی الاستخلاف، و لعل تعلیم آدم کان بالإلهام، و خلق العلم فیه، مما هو قابل له، دون الملائکهٔ، فإنهم لم یکونوا قابلین لهذا العلم و الإلهام، فلا یقال لماذا لم یعلّم اللّه تعالی الملائکهٔ.

[۳۳] قالُوا سُبْحانَکَ أنت منزه عن القبیح و العبث

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۱۲۱

[سورهٔ البقرهٔ (۲): الآیات ۳۳ الی ۳۴]

قالَ یا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ (۳۳) وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِیسَ أَبی وَ اسْتَکْبَرَ وَ کانَ مِنَ الْکافِرِینَ (۳۴)

لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا فلیس لنا هذا العلم الذی لآدم مما هو قابل له، و لسنا قابلین له إِنَّکَ أَنْتَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ و الحکیم هو الذی یفعل الأشیاء عن حکمهٔ، بمعنی وضع الأشیاء فی مواضعها اللائقهٔ بها.

[۳۴] قالَ یا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ أی بأسماء ما عرضهم علی الملائکهٔ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ و عرفت الملائکهٔ کون قابلیهٔ آدم فوق قابلیتهم قالَ اللّه تعالی لهم أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ ما غاب عن إدراککم وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ أی تظهرون وَ ما کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ من حسد بعضکم- و هو الشیطان- لآدم علیه السّلام: ثم أن مقتضی اللطف العام و الرحمهٔ الواسعهٔ أن یخلق اللّه تعالی أنواع المخلوقات الممکنهٔ، التی لا یمنع عن خلقها مانع، و لذا خلق الملائکهٔ دون البشر، و خلق بعض کل من الصنفین أرفع من البعض الأخر، فلا مجال للتساؤل، فلما ذا لم یجعل اللّه تعالی هذه القابلیهٔ البشریهٔ فی الملائکهٔ؟ و ثم خلق آدم علیه السّلام، و انتهی کل شیء.

[۳۵] وَ أذکر إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ إما بأن یکون هو قبلتهم و یکون السجود للّه سبحانه، و إما أن یکون السجود لآدم، و لا دلیل عقلی علی إنه لا یجوز لغیر اللّه تعالی، نعم ورد الشرع بذلک بالنسبهٔ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۱۲۲

[سورهٔ البقرهٔ (۲): آیهٔ ۳۵]

وَ قُلْنا یا آدَمُ اسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّةَ وَ کُلا مِنْها رَغَداً حَیْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَکُونا مِنَ الظَّالِمِینَ (۳۵)

إلی المسلمین فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِیسَ هو الشیطان أَبی وَ اسْتَکْبَرَ أی امتنع و أنف وَ کانَ مِنَ الْکافِرِینَ التفات، کما نقول نحن «کان أبو جهل کافرا» و لیس حکایهٔ، عطفا علی «أبی» حتی یستلزم کونه کافرا من قبل ذلک.

[۳۶] وَ قُلْنا یا آدَمُ اسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ حواء علیها السّلام، قال لهما ذلک، بعد ما خلق حواء أیضا، خلقا کخلق آدم ابتداء من غیر أب و أم الْجَنَّةَ الجنهٔ هو البستان، و قد کانت للّه تعالی جنهٔ أسکنها آدم و حواء وَ کُلا مِنْها رَغَداً أکلا واسعا، بلا زحمهٔ و تکلف حَیْثُ شِئْتُما من أطراف الجنهٔ وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فقد نهوا عن شجرهٔ واحدهٔ، اختبارا و امتحانا، و کانت الشجرهٔ علی قول جمع «الحنطهٔ» و قد کان النهی إرشادیا، کنهی الطبیب مریضه أن لا یأکل ما یضره، و قد کانت فائدهٔ عدم أکلهما لها أنهما یبقیان فی الجنهٔ، کما قال سبحانه إِنَّ لَکَ أَلَّا تَجُوعَ فِیها وَ لا تَعْری وَ أَنَّکَ لا تَظْمَؤُا فِیها وَ لا تَضْحی «۱» فَتَکُونا مِنَ الظَّالِمِینَ فإن الإنسان إذا حرم نفسه من الخیر، کان ظالما لها، إذ الظلم بمعنی وضع الشیء فی غیر موضعه، کما إن العدل معناه وضع الشیء موضعه.

---

(۱) طه: ۱۱۹ و ۱۲۰.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۱۲۳

[سورهٔ البقرهٔ (۲): الآیات ۳۶ الی ۳۸]

فَأَزَلَّهُمَا الشَّیْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمَّا کانا فِیهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُکُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَکُمْ فِی الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلی حِینٍ (۳۶) فَتَلَقَّی

آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (۳۷) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۳۸)

[۳۷] فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها أى حمل الشيطان آدم و حواء على الزلة عن الجنة، بسبب إنه حملهما على الأكل من الشجرة فَأَخْرَجَهُما مِمَّا كانا فِيهِ من النعيم وَ قُلْنَا اهْبِطُوا الخطاب لآدم و حواء و الشيطان، و الهبوط إما حقيقى، إن كان محل أعلى إلى أسفل، أو رتبى بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فإن الشيطان عدوهما، و هما عدوان له وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ محل القرار وَ مَتاعٌ أى استمتاع إِلى حِينٍ إلى حين انقضاء الدنيا، أو موت كل أحد، و إذ ارتكب آدم خلاف الأولى بأكل الشجرة، و أهبطه اللّه تعالى من الجنة تداركته الرحمة.

[۳۸] فَتَلَقَّى أى أخذ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ تسبب التوبة و الرجوع عن الزلة، و كان ذلك بتعليم اللّه تعالى له أن يجرى تلك الكلمات على لسانه، فأجراها فَتابَ اللّه عَلَيْهِ أى على آدم إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ أى كثير القبول للتوبة الرَّحِيمُ بعباده.

[۳۹] قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً إنما كرر الأمر بالهبوط توطئة لموضوع آخر، و هو أمر الهداية، بعد ذكر المقر و المتاع، كما يقال: قلت له اذهب تربح، قلت له اذهب تسلم فَإِمَّا أصله «إن» الشرطية، و «ما»

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۲۴

[سورة البقرة (۲): الآيات ۳۹ الى ۴۰]

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۳۹) يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ (۴۰)

الزائدة، دخلت عليها لتصحيح نون التأكيد، يعنى فإن يَأْتِيَنَّكُمْ أيها البشر الذى فى صلب آدم مِنِّي هُدىً يهديكم إلى الحق فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فى الدنيا و لا فى الآخرة وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ إذ الخوف الكامل، إنما يكون من أمر مكروه، و لا يعوض، و كذلك الحزن و مصائب المؤمنين تعوّض، فلا خوف كامل منها، و الفرق بين الخوف و الحزن: أن الأول لأمر مترقب، و الثانى لأمر حادث- غالبا- و لا مانع من الخطاب إلى المعدوم إذا كان المقصود منه الوصول إليه بعد وجوده، هذا مع الغض عن عالم الذر، كما لا مانع من الجمع بين «إن» و «نون التوكيد» إذ المعنى إن أتاكم إتيانا قطعيا مقابل الإتيان المظنون.

[۴۰] وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فلم يؤمنوا بعد أن تمت عليهم الحجة، و لعل هذا سر قوله «كذبوا» بعد «كفروا» إذ الكفر لا يلازم التكذيب، إذا كان عن قصور أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ أبدا و لا يخفى أن المقصر المعاند خالد أبدا أما غيره فيمتحن هناك.

[۴۱] و لما أتم القرآن الكريم قصة «آدم» و استخلافه فى الأرض، وجه الكلام إلى «بنى إسرائيل» الذين هم نموذج للجنس البشرى، و قد أتتهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۲۵

[سورة البقرة (۲): آية ۴۱]

وَ آمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ وَ لا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَ إِيَّايَ فَاتَّقُونِ (۴۱)

الأنبياء عليهم السّلام «هدى» و أنعم عليهم اللّه تعالى، فكفروا بالنعم، و قتلوا الأنبياء، ليكون فذلكة لقصة آدم، و درسا لأمة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يا بَنِي إِسْرائِيلَ هم اليهود، و إسرائيل اسم يعقوب النبى عليه السّلام، نسبوا إلى أبيهم الأعلى، كما نسب البشر إلى أبيهم الأعلى، فى قوله يا بَنِي آدَمَ «۱» اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ و حيث لم يذكر المتعلق أفاد العموم، فيشمل كل نعمة مادية أو معنوية وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي و حيث لم يذكر المتعلق أفاد كل عهد عهده، سواء كان ذلك وقت أخذ موسى عليه السّلام عنهم العهد بالإيمان بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، أم كان وقت أخذ اللّه عنهم العهد فى عالم الذر، ثم أودع فيهم الفطرة دليلا عليه أُوفِ بِعَهْدِكُمْ بإعطائكم الدنيا و الآخرة، فإن اللّه سبحانه ضمن لمن و فى بعهده، أن يعمر دنياه و آخرته وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ الرهبة هى

الخوف، يعنى يجب أن يكون الخوف من اللّه، لا من الناس.

[۴۲] وَ آمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ من القرآن مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ من التوراة، فإن التوراة الأصلية، كانت مصدقة، حتى فى زمان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلا ما نسخ منها، و النسخ ليس إبطالا لها، كما أن نسخ بعض الأحكام فى

(۱) الأعراف: ۲۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۲۶

[سورة البقرة (۲): آية ۴۲]

وَ لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۴۲)

القرآن- على القول به- ليس إبطالا له وَ لا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ أى أول من يكفر بما أنزلت، و إنما كانوا أول كافر، لأنهم بسبب علمهم كانوا مرجعا للجهال، فيكون كفر الجهال بمرتبة ثانية وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلًا أى بمقابل آياتى، بأن تعطوا الآيات- بمعنى عدم الإيمان بها- فى مقابل ثمن قليل، هو رئاسة الدنيا و كونها قليلا لانقطاعها وَ إِيَّايَ فَاتَّقُونِ فالتقوى يجب أن تكون منه تعالى، لا أن يكون الاتقاء من غيره، لأن اللّه بيده النفع و الضر دون غيره، كما قال تعالى قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ «۱».

[۴۳] وَ لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ اللبس هو التعمية، أى لا تخلطوا الحق بالباطل، فتأخذوا ببعض التوراة الذى هو فى نفعكم، و تتركوا بعضها الذى يضركم و هو بعض الأحكام التى تركوها، و منها التبشير بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ لا تَكْتُمُوا الْحَقَ الذى هو أوصاف النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعض الأحكام الأخر، كما قال سبحانه قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «۲» وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بصنعكم و أنه تلبيس المحق بالباطل، و كتمان الحق.

(۱) النساء: ۷۹.

(۲) آل عمران: ۹۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۲۷

[سورة البقرة (۲): الآيات ۴۳ الى ۴۵]

وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (۴۳) أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۴۴) وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ وَ إِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخاشِعِينَ (۴۵)

[۴۴] وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ كما يأمر الإسلام وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ الذين هم المسلمون.

[۴۵] أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ استفهام إنكارى، أى لم تأمرون الناس بالأعمال الخيرية وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ فلا تعملون بها و النسيان كفاية عن عدم العمل لشبهه به فى النتيجة، كما قال سبحانه نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ «۱» فقد كان اليهود يخالفون أحكام التوراة، و يرتشون و يفسدون و يكذبون وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ جملة حالية، أى و الحال أنتم تقرءون كتاب اللّه، فاللازم أن تكونوا أول العاملين به أَ فَلا تَعْقِلُونَ أى ألا تعلمون أن ما تأتون به قبيح؟.

[۴۶] وَ اسْتَعِينُوا فى رجوعكم عن دينكم و إلغائكم لرؤسائكم- بما يجر ذلك عليكم من سلب بعض دنياكم- بِالصَّبْرِ فإنكم إذا صبرتم على ما تكرهون من اتباع النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عاد ذلك عليكم بخير مما أنتم فيه وَ الصَّلاةِ فإن الصلاة توجب تهدئة النفس، و اطمئنان الخاطر أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ «۲» وَ إِنَّها أى الاستعانة بالصبر و الصلاة

(۱) التوبة: ۶۷.

(۲) الرعد: ۲۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۲۸

[سورة البقرة (۲): الآيات ۴۶ الى ۴۷]

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ (۴۶) يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ (۴۷)

لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ فإن الصبر ليس أمرا هينا، و الصلاة الكاملة ليست عملا سهلا، و إنما قيدنا الصلاة بالكاملة، لأنها هى التى يستعان بها، أو أن المراد الصلوات اليومية، و هى صعبة جدا إلا على الذين يخشون اللّه سبحانه.

[۴۷] ثم فسر الخاشعين بأنهم الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ الظن إما بمعنى اليقين، و إما بمعنى الرجحان، و لعل السر فى هذا التعبير دون اليقين، للإشارة إلى أدنى مراتب الرجحان يوجب الخشوع، فإن من يظن أنه يلاقى الملك لبعثه ذلك على التهيئة، فكيف بمن يظن أنه يلاقى مالك الملوك، و ملاقاة اللّه كناية عن الحضور للمحاسبة، و إلا فاللّه سبحانه ليس أدنى إلى الناس فى القيامة منه إليهم فى الدنيا وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ و الرجوع إليه معنوى كما تقدم.

[۴۸] يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ تكرار للتركيز و الإلفات، فإن الإنسان ربما كان غافلا- حين التذكير الأول، فيذكر ثانيا و ثالثا، بالإضافة إلى أن النفس، إذا كررت عليها الموعظة، رسخت فيها وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ التفضيل على عالم زمانهم لا على كل العوالم، فإن الظاهر من هكذا تفضيلات هو الاختصاص، فلو قيل أن «الدولة الفلانية أقوى الدول» لم يفهم منه إلا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۲۹

[سورة البقرة (۲): الآيات ۴۸ الى ۴۹]

وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ وَ لا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (۴۸) وَ إِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (۴۹)

الإقوائية من الدول المعاصرة لها، لأكل دولة أتت أو تأتى، ثم أن تفضيلهم على العالمين إنما كان لأجل إيمانهم بموسى عليه السّلام، بينما كان العالم بين كافر به عنادا، كفرعون و من تبعه، أو جهلا- كمن كان فى البلاد البعيدة التى لم تبلغهم دعوة موسى فكانوا قاصرين.

[۴۹] وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً أى لا تغنى، فلا تدفع نفس عن نفس مكروها، و إنما الأمر كله للّه، حتى أن الشفاعة تكون بإذنه، و المراد بذلك اليوم- القيامة- و معنى التقوى منه الاستعداد له وَ لا يُقْبَلُ مِنْها أى من النفس شَفاعَةٌ إلا- إذا أذن اللّه للشفيع وَ لا يُؤْخَذُ مِنْها أى من النفس عَدْلٌ أى فدية، و إنما سميت الفدية عدلا، لأنها تعادل المفدى وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ فإن طريق الخلاص فى الدنيا إحدى هذه الأربعة، و ليست شىء منها فى الآخرة، إلا إذا أذن اللّه فى الشفاعة، و عدم الاستثناء من «شفاعة» لأجل أن المراد منها الشفاعات الارتجالية، كما هو المعتاد فى الدنيا.

[۵۰] وَ اذكروا يا بنى إسرائيل نعمة أنعمناها عليكم إِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ و من المتعارف، أن ينسب الشىء المرتبط ببعض الأمة إلى جميعها، إذ يجمعهم العطف و الهدى و الانتصار، فيقال بنو تميم قتلوا فلانا، و إنما قتله بعضهم، أو عشيرة فلان شجعان، و إنما جماعة منهم كذلك، و لذا قال سبحانه «نجيناكم» و قد كانت التنجية بالنسبة إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۳۰

[سورة البقرة (۲): آية ۵۰]

وَ إِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْناكُمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (۵۰)

أسلافهم، و المراد بآل الرجل قومه و خواصه و إن لم تكن بينهم قرابة، كما يقال «آل اللّه» لأهل البيت عليهم السّلام يَسُومُونَكُمْ سُوءَ

الْعَذابِ و سامه خسفا عذابا بمعنى ألقاه فيه، ثم فسر سوء العذاب بقوله يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ التذبيح هو التكثير فى الذبح وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ أى يدعونهن أحياء، فإن فرعون ملك القبط، لما علم من الكهان، أنه يولد فى بنى إسرائيل- الذين كانوا طائفة خاصة من آل يعقوب عليهم السّلام- أمر بذبح الأولاد و إبقاء النساء للاسترقاق و النكاح وَ فِي ذلِكُمْ «كم» خطاب فقط، و «ذا» إشارة، فإذا كان طرف الخطاب واحد يقال «ذلك» و إذا كان اثنين يقال «ذلكما» و إذا كانوا جماعة يقال «ذلكم» و «ذا» هنا اسم إشارة إلى سوء العذاب بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ أنها كانت بالنسبة إلى اللّه تعالى، لأنه لم يحل بين فرعون، و بين هذا العمل، كما يقال، إن الأب أفسد ولده إذا لم يحل بينه و بين عمله الفاسد، و عدم حيلولة اللّه تعالى، لأجل الامتحان و الاختبار- كما تقدم- و الإنجاء، إنما كان بإهلاك فرعون و قومه.

[۵۱] وَ اذكروا يا بنى إسرائيل إِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ أى جعلنا فواصل فى البحر، حتى صارت بين الماء شوارع، و كان عملنا هذا بسببكم و لأجلكم، و المراد بالبحر- البحر الأحمر فى مصر- و قد كان طول

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۳۱

[سورة البقرة (۲): آية ۵۱]

وَ إِذْ واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ (۵۱)

الشوارع التى أسفرت عنها الماء ما يقرب من أربعة فراسخ، فإن موسى عليه السّلام و بنى إسرائيل فروا من فرعون فوصلوا إلى البحر و عقبهم فرعون و قومه، فأمر اللّه موسى عليه السّلام أن يضرب بعصاه البحر، فضرب فانحسر الماء عن الشوارع حتى عبر بنوا إسرائيل، و أتبعهم فرعون و جنوده و لما توسطوا الماء، و خرج موسى عليه السّلام و قومه، رجع الماء إلى حالته الأولية، فأغرق فرعون و قومه فَأَنْجَيْناكُمْ من عدوكم وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ مع فرعون، و لم يذكر تغليبا للآل عليه وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ كيف أغرقناهم لأجلكم، و لا يخفى أن الإعجاز هين بالنسبة إلى اللّه سبحانه، فتأويل بعض الناس للمعاجز انهزام مادى غربى.

[۵۲] وَ اذكروا يا بنى إسرائيل إِذْ واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً واعد بمعنى وعد، و إن موسى عليه السّلام قبل، و لذا جىء بصيغة المفاعلة، و لا ينافى كون الوعد هنا أربعين ليلة، و فى آية أخرى ثلاثين، فإن هذه الآية بالنسبة إلى الوعدين، و فى الآية الأخرى بالنسبة إلى الوعد الأول، فقد كان اللّه سبحانه وعد موسى أولا ثلاثين، ثم مدده و أضاف عشرا، و الوعد كان لإعطاء الثروة التى فيها أحكام اللّه، و تنظيم أمور بنى إسرائيل الذى هو نعمة عظيمة ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ أى من بعد موسى عليه السّلام أى وقت ذهابه إلى الطور للوعد، فإنهم بعد ما ذهب موسى عليه السّلام، لميقات ربه صنعوا عجلا من ذهب، و جعلوه إلها لهم و سجدوا له، فقابلوا نعم اللّه عليهم بالكفران، و عبادة العجل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۳۲

[سورة البقرة (۲): الآيات ۵۲ الى ۵۴]

ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۵۲) وَ إِذْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ الْفُرْقانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۵۳) وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (۵۴)

وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ جملة حالية، و المراد ظلمهم بأنفسهم.

[۵۳] ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ عبادتكم للعجل مِنْ بَعْدِ ذلِكَ الاتخاذ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمنا عليكم، فتعملوا بأوامرنا.

[۵۴] وَ اذكروا يا بنى إسرائيل إِذْ آتَيْنا مُوسَى نبيكم الْكِتابَ و هو التوراة وَ الْفُرْقانَ أى الفارق بين الحق و الباطل، فهو أهم من الكتاب لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ و لعل ليس ترجيا من اللّه سبحانه بل بمعنى عاقبة الترجى.

[۵۵] وَ اذكروا يا بنى إسرائيل إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ الذين عبدوا العجل وقت ذهاب موسى إلى الطور لتلقى التوراة و الأوامر من اللّه

سبحانه يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ إلها فإن اتخاذه موجب للغضب و الذلة فى الحياة الدنيا و الآخرة فَتُوبُوا توبة إِلى بارِئِكُمْ الذى برءكم و خلقكم و هو إلهكم فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بأن يقتل من لم يعبد العجل من عبده و لو كان قريبا له، فإنه كفارة للقاتل حيث سكت و لم يتكلم، و للمقتول حيث عبد العجل ذلِكُمْ القتل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣٣

[سورة البقرة (٢): الآيات ٥٥ الى ٥٦]

وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦)

خَيْرٌ لَكُمْ إذ الألم القليل خير من عذاب النار الدائم عِنْدَ بارِئِكُمْ متعلق بخير، أى إن هذا العمل خير عند اللّه تعالى، و فى حكمه و إرادته، و ذلك مقابل الخير عند الناس الذى هو بالبقاء و العيش فى الدنيا فَتابَ عَلَيْكُمْ بعد ما سمعتم الأمر بأن تبتم، و قتل بعضكم بعضا، و معنى تاب عليكم، قبل توبتكم إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ بكم، فلم يغضب حتى لا يقبل توبتكم أبدا.

[٥٦] وَ اذكروا يا بنى إسرائيل إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ بأن لنا إلها خلقنا و بيده أمورنا، أو لن نؤمن لك بأنك نبى مبعوث من قبل اللّه سبحانه حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً أى علانية و عيانا، فيخبرنا بذلك، و ذلك أن موسى عليه السّلام اختار من قومه سبعين رجلا يحضرون معه إلى الميقات، لما طلبت بنو إسرائيل منه ذلك، و لما جاءوا طلبوا رؤية اللّه تعالى فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ و هى نار تنزل من السماء، أو مادة مذابة من المعدن و نحوه، فتصيب الإنسان فتقتله، فإنهم لما طلبوا رؤية اللّه سبحانه، نزلت صاعقة من السماء فقتلتهم جميعا وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ حال نزولها، و سبب موتكم، فكان ذلك دليلا لكم على ذنبكم و خطإكم و لم يكن موتا لم يعرف سببه حتى تقولوا إنه أمر طبيعى.

[٥٧] ثُمَّ بَعَثْناكُمْ أى أحييناكم لما طلب موسى عليه السّلام ذلك لئلا يقول

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣٤

[سورة البقرة (٢): الآيات ٥٧ الى ٥٨]

وَ ظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)

الباقى من بنى إسرائيل، إنه عليه السّلام قتلهم فى الطور مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ بسبب الصاعقة لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمنا عليكم.

[٥٨] وَ اذكروا يا بنى إسرائيل، إذ كنتم فى «التيه» حين أمرتم بحرب العمالقة فعصيتم فبقيتم فى الصحراء مدة مديدة، و كنتم تتأذون من حر الشمس، و لم يكن لكم مأكل ف ظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الْغَمامَ بأن جعلناه سترة لكم تقيكم حر الشمس و برد القمر وَ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى المن شىء يشبه «الترنجبين» مادة حلوة، كانت تقع على أشجارهم فيأكلوها و السلوى طير السمانى، و إنزال السمانى، إما بكون هذا الطير، كان كثيرا فى التيه، فكانوا يصطادونه، أو بأنه كان ينزل عليهم الطير المشوى، و قلنا لكم كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ طيب مذاقا، و حقيقة لكونه حلالا لكنهم كفروا بعد كل هذه النعم وَ ما ظَلَمُونا بكفرانهم، فإنهم لن يضروا اللّه شيئا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ لأنهم أورثوا لأنفسهم ذلة فى الدنيا و عذابا فى الآخرة.

[٥٩] وَ اذكروا يا بنى إسرائيل إِذْ قُلْنَا لكم بعد أن خرجتم عن التيه ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ بيت المقدس، أو «أريحا» و هى بلدة قريبة من بيت المقدس فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ من الأماكن أو المآكل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣٥

[سورة البقرة (٢): الآيات ٥٩ الى ٦٠]

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩) وَ إِذِ اسْتَسْقى مُوسى لِقَوْمِهِ

فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۶۰)

رَغَداً واسعا وَ ادْخُلُوا الْبابَ أى باب القرية سُجَّداً جمع ساجد، أى فى حال كونكم ساجدين وَ قُولُوا حِطَّةٌ أى سجودنا للّه حطة لذنوبنا، و محو لسيئاتنا، فإن فعلتم ذلك نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ السالفة وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ منكم من خير الدنيا و خير الآخرة على ما يستحقون، كما قال سبحانه لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ «۱».

[۶۰] فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فقالوا «حنطة حمراء خير لنا» عوض «حطة» كما إنهم دخلوا بأستاهم عوض أن يدخلوا سجدا فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فيما فعلوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ الرجز العذاب بِما كانُوا يَفْسُقُونَ أى بسبب عصيانهم.

[۶۱] وَ اذكروا يا بنى إسرائيل إِذِ اسْتَسْقى مُوسى لِقَوْمِهِ أى سأل موسى عليه السّلام من اللّه تعالى أن يسقيهم، و ذلك حين كانوا فى التيه،

---

(۱) فاطر: ۳۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۳۶

[سورة البقرة (۲): آية ۶۱]

وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَ قِثَّائِها وَ فُومِها وَ عَدَسِها وَ بَصَلِها قالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ (۶۱)

و لم يكن لهم ماء فظمئوا فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ و عصاه هى التى صارت ثعبانا، و الحجر، إما كان حجرا خاصا، أو مطلق الحجر فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً بعدد أسباط بنى إسرائيل، فإنهم كانوا اثنتى عشرة قبيلة، فكانت تجرى لكل قبيلة عين قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ أى كل قبيلة مَشْرَبَهُمْ أى موضع شربهم كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ أكلهم المن و السلوى، و شربهم ماء العين المنفجر وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ الفساد مُفْسِدِينَ حالة مؤكدة.

[۶۲] وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى حين كنتم فى التيه، و ينزل عليكم المن و السلوى لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ أى قسم واحد من الطعام، و لو كان ذى لونين، فالمراد بالوحدة التكرر فى كل يوم فَادْعُ أى فاسأل لَنا أى لأجلنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ أى من نباتها مِنْ بَقْلِها البقل أنواع الخضر وَ قِثَّائِها الخيار وَ فُومِها الحنطة وَ عَدَسِها وَ بَصَلِها حتى نتقوت بها و نأكلها عوض

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۳۷

المن و السلوى قالَ لهم موسى عليه السّلام أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أى تتركون ما هو الأفضل مما اختاره اللّه لكم، إلى ما هو الأدون مما ترغبون إليه، و كونها أفضل و أدون، أما باعتبار السهولة و الصعوبة، أو باعتبار الطعم و اللذة، أو باعتبار التقوية و التغذية، و على أى حال، دعا موسى و استجاب اللّه دعاءه، و قال لهم اهْبِطُوا مِصْراً من الأمصار فَإِنَّ لَكُمْ فى المصر ما سَأَلْتُمْ من الأطعمة وَ لكن اليهود بسبب تمردهم و عصيانهم و لجاجتهم المستمرة ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ فهم أذلاء فى الأرض لا حكومة لهم مستقلة و لا عزة لهم عند الناس وَ الْمَسْكَنَةُ فإنهم مع ثروتهم أحيانا لا يفارقون المسكنة، حيث إنهم دائمو التشكّى لمخافتهم من الفقر، و هذه الآية من معاجز القرآن الكثيرة، فإن اليهود لم تقم لهم حكومة من تاريخ القرآن إلى هذا اليوم، إلا بحبل من الناس، و اتصال بالحكومات القوية وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ باء أى رجع، و المراد أنهم بعملهم السيئ غضب اللّه عليهم ذلِكَ المذكور من ضرب الذلة و المسكنة، و الرجوع بالغضب بسبب أنهم كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ المنزلة على موسى عليه السّلام حيث لم يكونوا يطيعون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۳۸

[سورة البقرة (٢): الآيات ٦٢ الى ٦٣]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ النَّصارى وَ الصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣)

وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ فإن الأنبياء تواترت إليهم لكثرة لجاجتهم، فكانوا يقتلونهم، و قوله تعالى بِغَيْرِ الْحَقِ قيد توضيحى، إذ لا يكون قتل النبى حقا أبدا، و ذلك بخلاف ما لو قيل يقتل البشر بغير الحق ذلِكَ المذكور من كفرانهم و قتلهم الأنبياء بِما عَصَوْا أى بسبب عصيانهم للأوامر العقلية و الشرعية وَ كانُوا يَعْتَدُونَ فإن عصيانهم و اعتداءهم صار سببا للقتل و الكفر، و هما سببا ضرب الذلة و المسكنة و الغضب.

[٦٣] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا من المسلمين وَ الَّذِينَ هادُوا أى صاروا يهودا باليهودية وَ النَّصارى المؤمنين بعيسى عليه السّلام وَ الصَّابِئِينَ و فيهم غموض و خلاف، و ربما قيل أنهم عبدة النجوم مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ حقيقة وَ عَمِلَ صالِحاً مما أمر به اللّه سبحانه فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ لا فى الدنيا و لا فى الآخرة- كما تقدم- وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ فلا ييأس أحد من روح اللّه ما دام فى الدنيا، و إنما قيدنا «من آمن» ب «حقيقة» لئلا ينافى ما فى صدر الآية «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا».

[٦٤] وَ اذكروا يا بنى إسرائيل إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ العهد الشديد، و قد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٣٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ٦٤ الى ٦٥]

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَلَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ (٦٤) وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ (٦٥)

تقدم مكان أخذ العهد وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ و ذلك أن موسى عليه السّلام لما جاءهم بالتوراة لم يقبلوها، فقطع جبرائيل عليه السّلام قطعة من جبل طور و رفعها فوق رؤوسهم مهددا، إنهم إن لم يقبلوا التوراة قذفها على رؤوسهم، فقبلوا قبول التوراة مجبرين، و قلنا لكم خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ أى بجد و يقين و شدة لا تحيدوا عنه وَ اذْكُرُوا أى احفظوا و اعملوا ب ما فِيهِ أى فى «ما آتيناكم» و هو التوراة لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أى كى تخافون، فإن العامل بأوامر اللّه سبحانه يكون خائفا متقيا.

[٦٥] ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ أى أعرضتم أيها اليهود مِنْ بَعْدِ ذلِكَ الميثاق الأكيد، فلم تعملوا بما فى التوراة، و لم تتمثلوا أوامرنا فَلَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ حيث تفضل عليكم بالتوبة وَ رَحْمَتُهُ بأن رحمكم فلم يؤاخذكم بسيئات عملكم لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ فى الدنيا و الآخرة، فإن من ينسلخ عنه الإيمان يكون من أخسر الناس.

[٦٦] وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ أى عرفتم أيها اليهود الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ أى جاوزوا حدود اللّه فيه، و ذلك أنهم حرم عليهم اصطياد السمك فى السبت فكانت الأسماك تأتى و تتجمع فى هذا اليوم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٤٠

[سورة البقرة (٢): الآيات ٦٦ الى ٦٧]

فَجَعَلْناها نَكالاً لِما بَيْنَ يَدَيْها وَ ما خَلْفَها وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٦٦) وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ (٦٧)

لشعورها بأمنها فى هذا اليوم، فكان اليهود يحتالون لأخذها بإيصال الماء إلى أحواضهم، فلما تأتى إليها الأسماك يوم السبت سدوا طريقها، ثم يصطادونها يوم الأحد، و كان هذا خرقا لحرمات اللّه فَقُلْنا لَهُمْ أى للمعتدين كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ أى مبعدين عن الخير دنيا و آخرة، فإنكم أيها اليهود الذين شاهدتم هذا المسخ بالنسبة إلى المعتدى منكم كيف تعملون خلاف أوامر اللّه سبحانه.

[٦٧] فَجَعَلْناها أى جعلنا المسخة التى مسخوا بها، و العقوبة التى عوقبوا فيها نَكالًا أى عبرة لِما بَيْنَ يَدَيْها أى من كان فى زمانهم من

سائر الیهود و الأمم وَ ما خَلْفَها الذین یأتون من بعدهم مما یسمعون بأخبارهم، أو یکون معنی «نکالا» «عقوبة» فالمعنی جعلنا المسخة عقوبة للمعاصی التی ارتکبوها مما کانت بین یدی المسخة، و هو «الاعتداء» و ما خلف المسخة من سائر المعاصی التی کانوا یرتکبونها بعد اعتدائهم فی السبت وَ جعلناها مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِینَ لئلا یرتکبوا خلاف أمر اللّه سبحانه.

[۶۸] وَ اذکروا أیها الیهود قصة البقرة، و هی أنهم وجدوا قتیلا لم یعرفوا قاتله، فرجعوا إلی موسی علیه السّلام، فأمرهم اللّه تعالی، أن یذبحوا بقرة، ثم یضربوا القتیل بها لیحیی القتیل و یخبرهم بالقاتل، و کان هذا اختبارا لإیمانهم، حیث أن کون ضرب میت بمیت موجبا للحیاة مما لا یصدقه ضعفاء الإیمان، و لهذا جعلوا یسألون أسئلة تافهة من موسی علیه السّلام حول البقرة

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۱۴۱

[سورة البقرة (۲): الآیات ۶۸ الی ۶۹]

قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما هِیَ قالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَ لا بِکْرٌ عَوانٌ بَیْنَ ذلِکَ فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ (۶۸) قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما لَوْنُها قالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النَّاظِرِینَ (۶۹)

إِذْ قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ بنی إسرائیل إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً لإحیاء القتیل قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً أی أ تسخر منا و تتخذنا سخریة، فما الربط بین القتیل، و بین ذبح البقرة، أو کیف تکون البقرة المیتة سببا لإحیاء القتیل قالَ موسی علیه السّلام أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَکُونَ مِنَ الْجاهِلِینَ الذین یستهزئون بالناس، فإن السخریة من شأن الجهال و السفهاء.

[۶۹] قالُوا ادْعُ لَنا أی اطلب من أجلنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما هِیَ أی ما هی البقرة، من حیث سنها و عمرها قالَ موسی علیه السّلام إِنَّهُ تعالی یَقُولُ إِنَّها أی البقرة یلزم أن تکون بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَ لا بِکْرٌ الفارض الکبیرة الهرمة و البکر الصغیرة عَوانٌ أی وسط العمر بَیْنَ ذلِکَ أی المذکور بین الصغیر و الکبیر فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ من ذبح هکذا بقرة.

[۷۰] قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ أی اسأل من ربک لأجلنا یُبَیِّنْ لَنا ما لَوْنُها أی ما لون البقرة التی أمرنا بذبحها قالَ موسی علیه السّلام إِنَّهُ تعالی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۱۴۲

[سورة البقرة (۲): الآیات ۷۰ الی ۷۱]

قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما هِیَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَیْنا وَ إِنَّا إِنْ شاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (۷۰) قالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِیرُ الْأَرْضَ وَ لا تَسْقِی الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِیَةَ فِیها قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوها وَ ما کادُوا یَفْعَلُونَ (۷۱)

یَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ اللون فاقِعٌ لَوْنُها أی حسنة الصفرة لا تضرب إلی السواد لشدتها، و لا إلی البیاض لقلتها تَسُرُّ النَّاظِرِینَ إلیها إی تعجب الناظرین و تفرحهم بسبب حسن لونها.

[۷۱] و لما بین سبحانه سن البقرة، و لونها سألوا عن صفتها قالُوا یا موسی ادْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما هِیَ البقرة، أ تکون من العوامل، أو من السوائم التی لا تعمل، ف إِنَّ الْبَقَرَ الذی أمرتنا بذبحه تَشابَهَ أی اشتبه عَلَیْنا و إنه کیف ینبغی أن یکون وَ إِنَّا إِنْ شاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ إلی صفة البقرة بتعریف اللّه سبحانه لنا کیف یجب أن یکون، و فی الحدیث

عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إنهم لما شددوا علی أنفسهم، شدد اللّه علیهم، و لو لم یستثنوا ما بینت لهم إلی آخر الأبد «۱».

[۷۲] قالَ موسی علیه السّلام إِنَّهُ سبحانه یَقُولُ إِنَّها أی البقرة التی أمرتم بذبحها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ یذلها العمل تُثِیرُ الْأَرْضَ أی تعمل و تکرب لإثارة الأرض وَ لا تَسْقِی الْحَرْثَ الحرث الزرع، فلا

---

(۱) مستدرک الوسائل: ج ۱۶ ص ۵۴، باب حکم الحلف علی ترک الطیبات.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۱۴۳

[سورة البقرة (۲): الآیات ۷۲ الی ۷۳]

وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (۷۲) فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۷۳)

تسقیه بالناعور، و الدلاء، و المعنی أن لا تکون عاملة مُسَلَّمَةٌ أی سالمة لا نقص فیها فهی بریئة من العیوب لا شِيَةَ من الوشی بمعنی اللون فِيها أی لا لون فیها یخالف لونها، و هذا لیس تأکید لما سبق، إذ کونها صفراء، لا تدل علی عدم الوشی فیها قالُوا لموسی علیه السّلام الْآنَ و بعد هذه التوضیحات لصفات البقرة جِئْتَ بِالْحَقِ الواضح، أو بما هو حق الکلام مقابل الإجمال الذی قاله علیه السّلام سابقا بقوله «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً» فَذَبَحُوها أی ذبح الیهود تلک البقرة المأمور بذبحها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ أی کاد، أن لا یذبحوا تلک البقرة لغلاء ثمنها، فإنها انحصرت فی بقرة واحدة، لم یعطها صاحبها إلا بثمن فاحش.

[۷۳] وَ اذکروا یا بنی إسرائیل إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها ادارأتم بمعنی اختلفتم، و أصله تدارأتم وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ من أمر القاتل، و إنه من القاتل، و لماذا قتل.

[۷۴] فَقُلْنا اضْرِبُوهُ أی اضربوا القتیل بِبَعْضِها أی ببعض البقرة المذبوحة التی أمروا بذبحها كَذلِكَ أی مثل هذا الإحیاء يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى فی یوم القیامة، فإن القتیل لما ضرب بالبقرة قام حیا و أوداجه تشخب دما، و أخبر بسبب قتله، و بالذی قتله وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ فی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۱۴۴

[سورة البقرة (۲): آیة ۷۴]

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَ إِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَ إِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (۷۴)

الکون و فی أنفسکم، أو بمعنی یریکم معجزاته لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ أی کی تستعملوا عقولکم، و لعل وجه تأخیر آیة «و إذ قتلتم» علی الآیات السالفة، مع إن النظم یقتضی تقدیمها، أن السیاق لبیان لجاجة الیهود، و عدم إطاعتهم الأوامر، فکان المقتضی تقدیم ما یدل علی ذلک.

[۷۵] ثُمَ من بعد ما رأیتم هذه الآیات أیها الیهود قَسَتْ قُلُوبُكُمْ أی غلظت مِنْ بَعْدِ ذلِكَ المذکور من آیات اللّه تعالی، أو من بعد ذبح البقرة، و ما رأیتم من إحیاء اللّه المیت فَهِيَ كَالْحِجارَةِ فی القسوة للمعقول بالمحسوس أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً و بین سبب أشدیتها قسوة، بقوله وَ إِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما اللام للتأکید، و «ما» موصولة، أی الحجر الذی يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ فیکون مبعثا للخیر نافعا، بخلاف قلوبکم التی لا یأتی منها إلا الشر وَ إِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ أصله تشقق فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ فیکون عینا، و إن لم یجر، و بهذا یفترق عن السابق، و هو ما یتفجر منه الأنهار وَ إِنَّ مِنْها أی من الحجارة لَما يَهْبِطُ أی ینزل من الجبل و یسقط مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فإن کل حجارة تسقط، لا بد و أن تکون سقطتها بإذن اللّه، و من خشیته خشیة واقعیة

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۱۴۵

[سورة البقرة (۲): الآیات ۷۵ الی ۷۶]

أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۷۵) وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَ إِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قالُوا أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۷۶)

أو تشبیه، کالذی یخشی کثیرا فیسقط علی وجهه، و قلوبکم أیها الیهود أقسی من تلک الحجارة، إذ لا تخشی من اللّه سبحانه، و لا تتواضع لعظمته وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أیها الیهود، فیجازیکم بسیئات أعمالکم.

[۷۶] أَ فَتَطْمَعُونَ أیها المسلمون أَنْ يُؤْمِنُوا أی یؤمن الیهود لَكُمْ أی لنفعکم، إذ کل من آمن یکون فی نفع المؤمنین السابقین، أو بمعنی الإیمان بمبادئکم، و هذا استفهام إنکاری، أی لن یؤمن هؤلاء الیهود بالإسلام وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ أی من هؤلاء، و هم

أسلافهم، و إنما صحت النسبة إليهم، لأن الأمة الواحدة، و القبيلة الواحدة، تكون متشابهة الأعمال و الأفعال و الأقوال يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ الذى يتلوه الأنبياء عليهم ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ بالزيادة و النقصان لفظا أو معنى، كما هو المتعارف عند من يريد نقل كلام لا يرضيه، فإنه إما أن ينقص فيه أو يزيد- لو وجد إلى ذلك سبيل- و إما أن يفسره بغير ما أراد المتكلم مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ و فهموه وَ هُمْ يَعْلَمُونَ فكيف يؤمن هؤلاء الذين كانوا يعملون بكلام اللّه بعد تعقل هذا العمل.

[۷۷] وَ إِذا لَقُوا من الملاقاة، أى لقى اليهود و كانت هذه خصلة بعضهم نسبت إلى الجميع، كما هو المتعارف من نسبة ما يقوم به البعض إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۴۶

[سورة البقرة (۲): آية ۷۷]

أَ وَ لا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ (۷۷)

الجميع الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا بأن محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هذا موجود فى كتبنا بوصفه و حليته، و لم يقصدوا الإيمان الحقيقى كسائر المسلمين، و لا- الإيمان الظاهرى كالمنافقين، و إنما أريد الإيمان بمعناه اللغوى، و هذا ذم لهم، حيث إنهم اتصفوا بصفات المنافقين وَ إِذا خَلا- بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ و جمع هؤلاء اليهود و غيرهم من سائر اليهود، مجلس خال من المؤمنين قالُوا أى قال من لم يكن يظهر الإيمان لمن أظهره أَ تُحَدِّثُونَهُمْ أى لماذا تحدثون المسلمين بِما فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أى بما عرفكم اللّه فى كتابكم، بأن محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حق، يقال فتح عليه باب العلم إذا أرشده إليه و علمه به لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أى إذا أظهرتم أنتم أيها اليهود للمسلمين، أن فى كتابكم صفات محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حاجوكم يوم القيامة عند اللّه فيقول المسلمون لليهود المظهرين أنتم ذكرتم أن فى كتابكم صفات النبى، فلم لم تؤمنوا به أَ فَلا تَعْقِلُونَ أيها اليهود المظهرون للمسلمين، أن إظهاركم سبب لغلبة المسلمين عليكم فى الحجة عند اللّه.

[۷۸] أَ وَ لا- يَعْلَمُونَ يعنى اليهود المنافقون أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ يسر بعضهم إلى بعض وَ ما يُعْلِنُونَ و ما الفائدة فى أن لا يظهروا صفات

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۴۷

[سورة البقرة (۲): الآيات ۷۸ الى ۷۹]

وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا- يَعْلَمُونَ الْكِتابَ إِلاَّ أَمانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ (۷۸) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (۷۹)

النبى، فإن اللّه يعلم أنهم يعلمون صفاته، و لا يؤمنون به عنادا.

[۷۹] وَ مِنْهُمْ أى من اليهود أُمِّيُّونَ منسوب إلى الأم، بمعنى من لا- يقرأ و لا- يكتب كأنه نشأ تحت تربية أمه، لا تحت تربية المعلم لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ إِلَّا أَمانِيَ الأمانى جمع أمنية، كالأغانى جمع أغنية، و الأمانى الأحاديث المختلفة، أى أنهم لا يعرفون ما فى التوراة من صفات النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و غيرها، و إنما هم جهلاء، يأخذون أمور الكتاب عن علمائهم محرفة مختلفة، فلا يميزون بين الحق و الباطل وَ إِنْ هُمْ أى ما هم إِلَّا يَظُنُّونَ بصحة ما يسمعون، و لا يتيقنون لأنهم لم يطالعوا الكتاب بأنفسهم، حتى يعرفون ما فيه.

[۸۰] فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ أى لعلمائهم الذين يَكْتُبُونَ الْكِتابَ أى التوراة بِأَيْدِيهِمْ كناية عن أنها غير منزلة، و إنما مكتوبة مبعثها الأيدى لا الوحى و الإلهام ثُمَّ يَقُولُونَ هذا المكتوب مِنْ عِنْدِ اللَّهِ و إنه منزل منه لِيَشْتَرُوا بِهِ أى بما يكتبونه ثَمَناً قَلِيلًا لأنهم لو كانوا يظهرون ما فى التوراة حقيقة رجع مقلدوهم إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فلم يكونوا يبذلون لهم الأموال و الاحترام فَوَيْلٌ لَهُمْ أى للذين يكتبون الكتاب بأيديهم مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ فإنه يوجب عذابا، لأنه تحريف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۴۸

[سورة البقرة (۲): الآيات ۸۰ الى ۸۱]

وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۸۰) بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۸۱)

لكلام اللّه تعالى وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ من الأموال إزاء تحريفاتهم، فإن ثمن الحرام حرام آخر، و ذلك موجب للعذاب فإنه أكل للأموال بالباطل، و الويل أصله الهلاك و العذاب، ثم استعمل فى كل واقع فى الهلكة.

[۸۱] وَ قالُوا أى قال قسم من اليهود لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً فلن نعذب فى جهنم إلا سبعة أيام أو ما أشبه، على تقدير كفرنا و عصياننا، فلما ذا نترك رئاسة الدنيا خوفا من عذاب قليل قُلْ يا رسول اللّه لهم أَتَّخَذْتُمْ أى هل اتخذتم عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً بذلك فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ كذبا و زورا ما لا تَعْلَمُونَ و من أدراكم أن العذاب أيام معدودة.

[۸۲] بَلى ليس الأمر كما قالوا و لكن مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ لم ينقلع عنها بل أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ كالإنسان الذى يقع فى دخان حيث يحيط به الدخان، حتى لا يتنفس و لا يبصر و لا يسمع إلا فى الدخان، و كذلك المشرك المنحرف فى الخطيئة فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ إلى الأبد.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۴۹

[سورة البقرة (۲): الآيات ۸۲ الى ۸۳]

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۸۲) وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ ذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (۸۳)

[۸۳] وَ الَّذِينَ آمَنُوا بقلوبهم و ألسنتهم وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ التى أمر بها الإسلام أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ بها لا انقطاع لها و لا زوال.

[۸۴] وَ اذكروا يا بنى إسرائيل إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ عهدهم الأكيد على لسان أنبيائهم، بأن لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وحده وَ بأن أحسنوا بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً و لا تسيئوا إليهما وَ أحسنوا إلى ذِي الْقُرْبى أقربائهم وَ الْيَتامى الذين مات والدهم وَ الْمَساكِينِ الفقراء وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً و ذلك يشمل جميع أنواع الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و الإرشاد ورد الاعتداء بالحسن وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ و هما فى سائر الأمم، لم يكونا بهذا الشكل الموجود فعلا فى هذه الأمة ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ أعرضتم إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ الذين عملوا بأوامرنا وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ تأكيدا لقوله «توليتم».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۵۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ۱ ۱۹۹

[سورة البقرة (۲): الآيات ۸۴ الى ۸۵]

وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (۸۴) ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (۸۵)

[۸۵] وَ اذكروا يا بنى إسرائيل إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ عهدكم الأكيد على لسان الأنبياء لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ أى لا يسفك بعضكم دماء بعض وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أى لا يخرج بعضكم بعضا من الديار، بأن يسفرهم و يبعدهم ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ بذلك الميثاق، بأن أعطيتمونا العهود بذلك وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ أيها اليهود، بوقوع هذا الميثاق بيننا.

[۸۶] ثُمَّ بعد ذلک المیثاق أَنْتُمْ هؤُلاءِ الذین تَقْتُلُونَ أَنْفُسَکُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِیقاً مِنْکُمْ مِنْ دِیارِهِمْ مخالفة لأوامرنا تَظاهَرُونَ أنتم أی یتعاون بعضکم مع بعض فی إخراجکم لهم تظاهرا عَلَیْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ لا إخراجا بالحق وَ الحال إِنْ یَأْتُوکُمْ أُساری تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَیْکُمْ إِخْراجُهُمْ أی کیف یخرج بعضکم بعضا، و یقتل بعضکم بعضا، مع أنکم إذا وجدتم بعضکم أسیرا فی أیدی غیرهم، تعطون الفدیة لخلاصهم، فإن کان بینکم عداء، فما هذه الفدیة، و إن کان بینکم وداد فما هذا القتل و الإخراج. روی عن ابن عباس: أن قریظة و النضیر، کانا أخوین، کالأوس و الخزرج، فافترقوا فکانت

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۱۵۱

[سورة البقرة (۲): آیة ۸۶]

أُولئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الْحَیاةَ الدُّنْیا بِالْآخِرَةِ فَلا یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ (۸۶)

النضیر مع الخزرج، و کانت قریظة مع الأوس، فإذا اقتتلوا عاونت کل فرقة حلفاءها، فإذا وضعت الحرب أوزارها فدوا أسراها تصدیقا لما فی التوراة «۱»، و روی عن آخر أن الیهود کانوا إذا استضعفوا جماعة آخرین أخرجوهم من دیارهم أَ فَتُؤْمِنُونَ أیها الیهود بِبَعْضِ الْکِتابِ أی التوراة القائل بوجوب إعطاء الفدیة لأسراکم وَ تَکْفُرُونَ بِبَعْضٍ القائل بحرمة القتل و الإخراج و التظاهر بالإثم و العدوان فَما جَزاءُ مَنْ یَفْعَلُ ذلِکَ مِنْکُمْ احکموا أنتم بأنفسکم إِلَّا خِزْیٌ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا بالتفرقة و الضعف و المهانة عند سائر الأمم وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ یُرَدُّونَ إِلی أَشَدِّ الْعَذابِ بمخالفتهم أوامر اللّه سبحانه وَ مَا اللَّهُ أی لیس اللّه بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ فإنه یعلم أعمالکم، فیجازیکم علیها.

[۸۷] أُولئِکَ الیهود الذین خالفوا الأوامر بتلک الأفعال الَّذِینَ اشْتَرَوُا الْحَیاةَ الدُّنْیا بِالْآخِرَةِ فباعوا الآخرة، و أخذوا الدنیا بدلها

---

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۱۶۶.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۱۵۲

[سورة البقرة (۲): الآیات ۸۷ الی ۸۸]

وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ وَ قَفَّیْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَیْنا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّناتِ وَ أَیَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَ فَکُلَّما جاءَکُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوی أَنْفُسُکُمُ اسْتَکْبَرْتُمْ فَفَرِیقاً کَذَّبْتُمْ وَ فَرِیقاً تَقْتُلُونَ (۸۷) وَ قالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِکُفْرِهِمْ فَقَلِیلًا ما یُؤْمِنُونَ (۸۸)

فَلا یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ یوم القیامة وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ هناک.

[۸۸] وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ أعطینا التوراة إیاه وَ قَفَّیْنا أی أردفنا و أتبعنا بعضهم خلف بعض مِنْ بَعْدِهِ أی بعد موسی بِالرُّسُلِ رسول یتبع رسولا وَ آتَیْنا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّناتِ جمع بینة، أی الدلالة الواضحة، و هی المعجزات التی أعطیت لعیسی علیه السّلام من إبراء الأکمه و الأبرص، و إحیاء الموتی وَ أَیَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ التأیید التقویة، و روح القدس، إما جبرئیل علیه السّلام، أو روح قویة من اللّه سبحانه فیه تقویة علی التبلیغ و الإرشاد مع کثرة أعدائه أَ فَکُلَّما جاءَکُمْ أیها الیهود رَسُولٌ بِما لا تَهْوی أَنْفُسُکُمْ و لا یمثل إلیه من الأحکام اسْتَکْبَرْتُمْ و تکبرتم عن قبول أحکام اللّه سبحانه فَفَرِیقاً کَذَّبْتُمْ کعیسی و محمد صلوات اللّه علیهما وَ فَرِیقاً تَقْتُلُونَ کزکریا و یحیی علیها السّلام؟ و هذا استفهام إنکاری علیهم.

[۸۹] وَ قالُوا أی قالت الیهود للنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قُلُوبُنا غُلْفٌ جمع أغلف، بمعنی إنها فی غطاء و غلاف عن هدایتکم، فلا تصل الهدایة إلیها،

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۱۵۳

[سورة البقرة (۲): آیة ۸۹]

وَ لَمَّا جاءَهُمْ کِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ کانُوا مِنْ قَبْلُ یَسْتَفْتِحُونَ عَلَی الَّذِینَ کَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا کَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ

عَلَى الْكافِرِينَ (٨٩)

كما فى آيـة أخرى وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ «١» بَلْ ليس كذلك، و إنما لَعَنَهُمُ اللَّهُ و أبعدهم عن الخير بسبب كفرهم فإنهم لما كفروا و لم يمتثلوا أوامر اللّه، أبعـدهم اللّه عن الخير، كمن لاـ يسمع شـخصا أمره فيتركه و لاـ يعتنى به فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ لما ران على قلوبهم، و أظلمت نفوسهم بالكفر.

[٩٠] وَ لَمَّا جاءَهُمْ أى اليهود كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هو القرآن مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ أى الكتاب الـذى مع اليهود، و هو التوراة، فإن القرآن يصدق التوراة الحقيقى المنزل على موسى عليه السّلام إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ «٢» وَ كانُوا أى اليهود مِنْ قَبْلُ أى قبل أن يأتى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو ينزل القرآن يَسْتَفْتِحُونَ أى يطلبون الفتح من اللّه عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فإنهم كانوا يدعون اللّه، أن يبعث الرسول، حتى يكونوا أرجح كفة من الكفار فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا أى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى عرفوه بصفاته و مزاياه كَفَرُوا بِهِ و أخذوا يحاربوه، بل فوق ذلك أنهم كانوا يرجحون الكافرين على

---

(١) فصلت: ۶.

(٢) المائدة: ۴۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ١٥۴

[سورة البقرة (٢): آية ٩٠]

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ (٩٠)

الرسول و المؤمنين قائلين (هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا) «١» فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليهود الْكافِرِينَ بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بالقرآن، و هم يعرفون ذلك.

[٩١] بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أى بئس الشىء الـذى باع اليهود بـذلك أنفسهم، فأعطوا أنفسهم للعـذاب الأبدى، و اشتروا الكفر أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ بـدل «ما» أى بئس الكفر الذى أخذوه مقابل أنفسهم، و ذلك تشبيه، فكأن الكفر و الإسلام، سلعتان فمن أختار أحدهما باع نفسه بذلك الشىء، إذ يصرف نفسه فى سبيل ذلك، فإذا باع نفسه مقابل الإسلام كان نعم ما اشترى به نفسه، و إذا باع نفسه مقابل الكفر كان بئسما اشترى به نفسه، و اشترى هنا بمعنى البيع، كما قال (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ) «٢» بَغْياً أى حسدا، و هو علة لاشترائهم السيئ، أى كان سبب شرائهم الكفر الحسد، الذى كان فيهم لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، حيث أنه من ولد إسماعيل، لا من ولد جدهم إسحاق عليهما السّلام أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ الدين مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ و أن ينزل، متعلق ب «بغيا» أى أن الحسد من جهة نزول القرآن

---

(١) النساء: ۵٢.

(٢) البقرة: ٢٠٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ١٥۵

[سورة البقرة (٢): آية ٩١]

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)

على محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دون غيره فَباؤُ أى رجع اليهود بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ فإنهم كانوا مغضوب عليهم من جهة

تعدياتهم فى زمان موسى و عيسى، و سائر الأنبياء عليهم السّلام، فغضب اللّه عليهم مرة أخرى من جهة كفرهم بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ لِلْكافِرِينَ الذين من أظهر مصاديقهم اليهود عَذابٌ مُهِينٌ و هو العذاب الذى يذل صاحبه و يهينه.

[۹۲] وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ أى لليهود آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ على محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا من التوراة وَ يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ أى وراء ما نزل عليه من كتاب عيسى عليه السّلام و محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ هُوَ أى ما وراء كتابهم الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ و الجملة حالية قُلْ إنكم تكذبون فى قولكم «نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا» فإنكم لستم بمؤمنين، حتى بالتوراة و إلا فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ فى السابق إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بالتوراة، فإن كتابكم حرم قتل الأنبياء، فأنتم لستم بمؤمنين، لا بكتابكم، و لا بما بعد كتابكم من الإنجيل و القرآن.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۵۶

[سورة البقرة (۲): الآيات ۹۲ الى ۹۳]

وَ لَقَدْ جاءَكُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ (۹۲) وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمَعُوا قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَيْنا وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۹۳)

[۹۳] وَ كيف تقولون «نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا» و عملكم، يدل على خلاف ذلك، ف لَقَدْ جاءَكُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ أى بالحجج الواضحة ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ إلها لكم مِنْ بَعْدِهِ أى بعد رواحة إلى الطور وَ الحال أَنْتُمْ ظالِمُونَ لأنفسكم فى عبادة العجل، فلو كنتم مؤمنين بما نزل عليكم، لم تتخذوا العجل إلها؟.

[۹۴] وَ اذكروا يا بنى إسرائيل إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ عهدكم الشديد، بالعمل بالتوراة وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ أى قطعة من جبل الطور- كما تقدم- و قلنا لكم خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ أى بشدة، بمعنى العمل، بكل ما فى الكتاب عملا مستمرا قويا وَ اسْمَعُوا أوامر اللّه سبحانه قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَيْنا حكاية حالهم، و يحتمل أنهم قالوه بلفظهم استهزاء وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ فكما أن من شرب الماء يدخل الماء فى جوفه، كذلك اليهود، دخل العجل- أى حبه- فى قلوبهم بسبب كفرهم باللّه سبحانه قُلْ يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لهم بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ الذى قلتم «نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا» فإن الإيمان الذى يأمر باتباع العجل، ليس إيمانا، و إنما هو كفر.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۵۷

[سورة البقرة (۲): الآيات ۹۴ الى ۹۵]

قُلْ إِنْ كانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۹۴) وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (۹۵)

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ و هذا استهزاء لهم، ثم إنه إنما كرر «رفع الطور» للدلالة، على أنهم عكسوا الميثاق الذى أخذ منهم، حال الرفع، بل اتخذوا العجل إلها.

[۹۵] قُلْ يا رسول اللّه لهؤلاء اليهود، الذين يقولون أن الآخرة هى لهم وحدهم لا يشركون فيها غيرهم من النصارى و المسلمين و غيرهما إِنْ كانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ عند اللّه صفة للدار الآخرة، أى الدار التى هى عند اللّه، و من دون الناس صفة لخالصته، أو لقوله «لكم» فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ لأن من يدرى أن مصيره الجنة، لا بد و أن يتمنى الموت، حتى يخلص من آلام الدنيا و أتعابها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى مقالكم و كنتم تعتقدون ما تقولونه بألسنتكم.

[۹۶] ثم أخبر سبحانه بأنهم ليسوا صادقين وَ الدليل على ذلك أنهم لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أى الموت أَبَداً فى حين من الأحيان بسبب ما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ من المعاصى و المنكرات و الكفر، و إنما نسب التقديم إلى اليد لأنها الآلة الظاهرة فى تقديم الأشياء المحسوسة غالبا وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ فلا يغترون بمقالهم، أن لهم الآخرة، و أنهم أحباء اللّه دون سواهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۵۸

[سورة البقرة (٢): الآيات ٩٦ الى ٩٧]

وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَ ما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ (٩٦) قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧)

[٩٧] وَ كيف يتمنون الموت، و الحال أنك يا رسول اللّه لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ فإنهم أشد حرصا من سائر الناس على البقاء فى الدنيا، لأنهم يعلمون أن آخرتهم إلى النار و العذاب وَ حتى أنهم أحرص مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إذ المشرك، يزعم أنه لا شيء وراءه، فيكون حريصا على البقاء لئلا يفنى، و هؤلاء حيث يعلمون العقاب، فهم أحرص من المشركين يَوَدُّ أى يحب أَحَدُهُمْ أى كل واحد منهم لَوْ يُعَمَّرُ و يطول عمره أَلْفَ سَنَةٍ حتى لا- يذوق العذاب عاجلا- وَ الحال ما هُوَ أى ليس التعمير ألف سنة بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ زحزحه أى نحاه، و قوله أَنْ يُعَمَّرَ بدل «هو» أى ما التعمير بمزحزحه من العذاب، فما الفائدة فى البقاء ألف سنة لمن عاقبته النار وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ من الكفر و السيئات، فيجازيهم عليها يوم القيامة بالنار و العذاب.

[٩٨] قُلْ يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لليهود الذين جاءوك و قالوا لك لو أن الملك الذى يأتيك ميكائيل لآمنّا بك فإنه ملك الرحمة يأتى بالسرور و الرخاء و هو صديقنا و جبرائيل ملك العذاب ينزل بالقتل و الشدة و الحرب و هو عدونا فإن كان ينزل عليك جبرائيل لا نؤمن بك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٥٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ٩٨ الى ٩٩]

مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ (٩٨) وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آياتٍ بَيِّناتٍ وَ ما يَكْفُرُ بِها إِلاَّ الْفاسِقُونَ (٩٩)

مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ ليس سببا فيما يعمل حتى تتخذونه عدوا بل إنه نَزَّلَهُ أى القرآن عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ لا من عند نفسه مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ أى للكتاب الذى قبله و هو التوراة وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ فأى ذنب لجبريل عليه السّلام حتى تتخذونه عدوا و لا تؤمنون بالكتاب الذى يأتى به.

[٩٩] مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ أى يفعل فعل المعادى من الإتيان بما يكرهه سبحانه وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ و إنما خصهما بالذكر لأنهما موضع البحث مع اليهود فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ إذ كل من يعادى أحد هؤلاء يكون كافرا و اللّه عدو لمن كفر أى يفعل معه فعل المعادى من الإهانة و التعذيب و العقاب.

[١٠٠] وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم آياتٍ بَيِّناتٍ واضحات وَ ما يَكْفُرُ بِها إِلَّا الْفاسِقُونَ الفاسق هو الخارج عن طاعة اللّه سبحانه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦٠

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٠٠ الى ١٠٢]

أَ وَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَ لَمَّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللَّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَ ما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَ لكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَ ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوتَ وَ ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا- تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَ لَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)

[١٠١] أَ وَ كُلَّما عاهَدُوا أى اليهود عَهْداً نَبَذَهُ أى نقضه فَرِيقٌ مِنْهُمْ أى جماعة بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ و هذا إنكار عليهم فى نقضهم عهود الأنبياء السابقين بإطاعتهم و نقضهم عهود رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى قصة نضير و قريضة و المراد بالإيمان: إما

الإيمان بالعهود و إما الإيمان باللّه و رسله و إما الإيمان بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و إنما قال أكثرهم لأن بعضهم آمن كعبد اللّه بن سلام.

[۱۰۲] وَ لَمَّا جاءَهُمْ أى اليهود رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كعيسى عليه السّلام و محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ من التوراة نَبَذَ فَرِيقٌ أى جماعة مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ من اليهود الذين آتاهم اللّه التوراة كِتابَ اللَّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ و تركوا أوامره باتباع الأنبياء عليهم السّلام من بعد موسى عليه السّلام كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ أى من أحكام التوراة الإيمان بالأنبياء و اتباع الرسل.

[۱۰۳] وَ اتَّبَعُوا عوض الكتاب- السحر- فنبذوا الكتاب وراء ظهورهم و راحوا يتعلقون ب ما تَتْلُوا و تقر الشَّياطِينُ و السحرة عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ بن داود عليهم السّلام حيث أن الشياطين على لسان السحرة على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۶۱

زمان سليمان كانوا يتلون السحر للناس و «على» بمعنى «فى» كما قال ابن مالك «على للاستعلاء و معنى فى و عن» أى أن اليهود أخذوا يتعلقون بالسحر الذى كان فى زمان سليمان يريدون بذلك جلب الأموال و التقرب إلى الناس و كانوا يقولون أن سليمان عليه السّلام إنما أوتى الملك العظيم بسبب أنه كان يعمل بالسحر فرد اللّه عليهم بقوله وَ ما كَفَرَ سُلَيْمانُ فإن السحر موجب للكفر و لا يخفى أن الكفر على نوعين: كفر فى العقيدة و كفر فى العمل، فالكفر فى العقيدة هو إنكار أصول الدين، و الكفر فى العمل هو ترك واجب أو فعل، و لذا شاع استعمال الكفر على ترك الأوامر و فعل النواهى كقوله تعالى وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ «۱» فى قصة الحج و قوله وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ «۲» فى باب الشكر و

قول النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «كفر باللّه العظيم من هذه الأمة عشرة»

و عدّ منها النمام و نحوه و على أى حال فسليمان ما كان ساحرا و لم ينل ما نال بالسحر و إنما بالنبوة و الموهبة الإلهية.

وَ لكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا بعملهم بالسحر و تعليمهم للناس إياه و الشياطين أرواح شريرة تلقى الشر فى النفوس كما ثبت فى العلم الحديث أيضا و غيره فى باب التحضير و التنويم المغناطيسى يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ و السحر أمور غير طبيعية تأتى بعلاج خفى و منه التصرف

---

(۱) آل عمران: ۹۸.

(۲) إبراهيم: ۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۶۲

فى العين و فى النفس و فى العقل فيوجب عداوة بين الناس و مرضا و ما أشبه وَ ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ عطف على قوله «ما تتلوا» أى أن اليهود تركوا الكتاب و اتبعوا سحر الشياطين و سحر الملكين و من قصتهما أن بعد نوح عليه السّلام كثرت السحرة فأنزل اللّه ملكين فى «بابل» على نبى ذلك الزمان حتى يعلمان الناس إبطال السحر فكانا يقولان للناس «هذا السحر و هذا إبطاله» كالطبيب الذى يكتب كتاب الطب فيصف الداء و ما يسببه و الدواء المزيل له فيقول مثلا إن الشيء الفلانى سم و دواؤه كذا فكان الملكان يعلمان السحر و إبطاله و يحذران الناس أن يعملوا بالسحر و إنما يصران أن يبطلوا السحر فإذا تعلم منهما الناس أخذ بعضهم بالسحر كما أن الشخص يقرأ كتاب الطب فيسقى الناس السم لم يكن ذلك من ذنب المؤلف للطب و إنما هو من العامل بما يضر الناس.

فقد ترك اليهود كتاب اللّه و أخذوا بالعلم الذى أنزل- أى أنزل اللّه- على الملكين الذين نزلا بِبابِلَ و هما هارُوتَ وَ مارُوتَ و لا يظن أحد أنهما كيف يعلمان السحر للناس و هما ملكان من قبل اللّه تعالى وَ ذلك لأنه ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ أى ما يعلمان أحد السحر حَتَّى يَقُولا له إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ و امتحان لك و كان تعليم للعلاج لا للإضرار فَلا تَكْفُرْ بأعمال السحر فَيَتَعَلَّمُونَ أى الناس مِنْهُما أى من الملكين ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ و ما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۶۳

يوجب العداوة و البغضاء بين الزوجين مما يؤول إلى الفراق و الطلاق وَ لا يتوهم أن الأمر خرج من يد اللّه سبحانه كلا بل إنما شاء اللّه أن يختبر عباده كما أنه حين يخلق العنب و يعطى القدرة للبشر فيعصره خمرا لا- يخرج الأمر من يده سبحانه بل إنما ذلك للامتحان و الابتلاء و لهذا قال سبحانه ما هُمْ أى الملكان و متعلم السحر منهما بِضارِّينَ بِهِ أى بسبب السحر مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فإن شيئا لا- يؤثر فى شىء إطلاقا إلا بإذن اللّه و معنى إذنه أنه يخلى بين المؤثر و المتأثر و لو لم يخل كان عالم الجبر و بطل الامتحان و الاختبار و المراد بهذه الجملة أن شيئا لا يخرج من إرادة اللّه سبحانه حتى أن يتمكن من الردع لكنه لا يردع.

وَ يَتَعَلَّمُونَ أى يتعلم الناس من الملكين ما يَضُرُّهُمْ أى الشيء الذى يضرهم فى دنياهم و دينهم وَ لا يَنْفَعُهُمْ أكد بذلك ردّا لزعمهم أن السحر ينفعهم حيث يوصلهم إلى أغراضهم وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ أى علم المتعلمون للسحر أن من اشترى السحر و باع دينه ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ أى من نصيب وَ لَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ فإنهم أعطوا أنفسهم للنار مقابل اشتراء السحر الذى زعموا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۶۴

[سورة البقرة (۲): الآيات ۱۰۳ الى ۱۰۴]

وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (۱۰۳) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا راعِنا وَ قُولُوا انْظُرْنا وَ اسْمَعُوا وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ (۱۰۴)

إنه ينفع دنياهم لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ نزل العالم بالشيء منزلة الجاهل حيث لم يعمل بعلمه فإن من لا يعمل بعلمه هو و الجاهل سواء.

[۱۰۴] وَ لَوْ أَنَّهُمْ أى اليهود بدل اتباع السحر آمَنُوا حقيقة وَ اتَّقَوْا عن فعل المعاصى لَمَثُوبَةٌ أى ثواب مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لهم فى دنياهم و آخرتهم لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ لكنهم حيث لا يعملون بذلك فكأنهم لا يعلمونه.

[۱۰۵] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا للرسول حين كلامكم معه راعِنا فإن راعنا فى اللغة العربية من المراعاة و الرعاية، و لكنها فى لغة اليهود بمعنى «أسمعت لا سمعت» فهو سب و دعاء على المخاطب و قد كانت اليهود اغتنمت هذه الكلمة المتشابهة لسب النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بهذا العنوان فكانوا يأتون إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يقولون له «راعنا» يريدون بذلك سبه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فنهى اللّه المسلمين عن هذه اللفظة حتى لا يتمكن اليهود من التكلم بهذه الكلمة وَ قُولُوا عوض ذلك انْظُرْنا أى انظر إلينا بنظرتك الرحيمة وَ اسْمَعُوا أيها المؤمنون أوامرنا و أوامر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ لِلْكافِرِينَ من اليهود الشاتمين للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تحت ستار لفظة «راعنا» عَذابٌ أَلِيمٌ أى مؤلم فى الآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۶۵

[سورة البقرة (۲): الآيات ۱۰۵ الى ۱۰۶]

ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ لا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (۱۰۵) ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۰۶)

[۱۰۶] ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ من اليهود و النصارى و المجوس وَ لَا من الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ قبل رَبِّكُمْ سواء كان خيرا معنويا كالنبوة و الإرشاد و الوحى أو ماديا كالغلبة و النصر و المال وَ اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ فليس إرادة اللّه تبعا لإرادة الكفار و المشركين وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فليس فضله خاصا بقوم من الكفار كما كانت اليهود تزعم أن النبوة فيهم دون غيرهم.

[۱۰۷] ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ بأن نرفع حكمها و نجعل مكانه حكما آخر أَوْ نُنْسِها بأن نرفع رسمها و نبلى عن القلوب حفظها، و النسيان لا يقع بالنسبة إلى القرآن الكريم و إنما بالنسبة إلى الكتب السالفة و لذا لا يوجد كثير منها فعلا، أما النسخ فإنه وقع بالنسبة إلى القرآن- على الأشهر- و إلى غيره نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها و إنما يقع النسخ و الإنساء فيما يؤتى بالمثل لأن المثل أصلح من المنسوخ و المنسى،

فمثلا إذا سقطت ورقة مالية عن الاعتبار فيأتى الحاكم بورقة أخرى مثلها فى القيمة، كما أنه قد يأخذ درهما من زيد ليعطيه بدله دينارا أَ لَمْ تَعْلَمْ أيها اليهودى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦٦

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٠٧ الى ١٠٨]

أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ (١٠٨)

المنكر للنسخ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فإن اليهود كانوا يلقون الشبهة بأنه كيف يمكن نسخ كتابهم بالقرآن و أنه إن كان كتابهم صالحا فلما ذا ينسخ و إن لم يكن صالحا فلما ذا أنزله اللّه تعالى، و قد كان الجواب إن عدم النسخ إما لعدم مثل أو أصلح و إما لعدم قدرة اللّه تعالى على النسخ و كلا الأمرين مفقودان، فالمثل و الأصلح موجودان و اللّه على كل شىء قدير.

[١٠٨] أَ لَمْ تَعْلَمْ أيها المنكر للنسخ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فيتصرف فيما يشاء من الأوضاع و الأحكام كيف يشاء وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أى غير اللّه مِنْ وَلِيٍ يلى أموركم وَ لا نَصِيرٍ ينصركم فهو سبحانه يرى صلاحكم فى النسخ و الإنساء فإن المصالح تختلف حسب اختلاف الأعصار و الأشخاص، و لقد كان شأن آيات اللّه أن تنهض بالبشر مرتبة فمرتبة حتى وصلت النوبة لرسالة الإسلام و هذه بدلت بعض جزئياتها قبل تمامها و كمالها تحقيقا للتناسق بين الرسالة و بين العصر، حتى إذا كملت لم يبق مبرر أو تحوير بل تبقى إلى الأبد.

[١٠٩] أَمْ تُرِيدُونَ أيها المعاصرون للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من مسلم و كتابى و مشرك أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ أسئلة تعنت و لجاجة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦٧

[سورة البقرة (٢): آية ١٠٩]

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)

كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ حيث كانوا يقترحون عليه اقتراحات و يسألونه محالات كقولهم لن نؤمن لك حتى نرى اللّه جهرة، فإن المعاصرين كانوا يسألون ما لا يعنيهم أو ما أشبه كقولهم أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً «١» فقد زجرهم اللّه سبحانه لهذه الأسئلة التى لا ترتبط بمقام الرسول و الرسالة من بعد ما تبين لهم الهدى، و قوله «رسولكم» لا يختص بالمؤمنين إذ يكفى فى الإضافة أدنى ملابسة وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ بأن يأخذ الكفر و يترك الإيمان الذى من مصاديقه الأسئلة التعنتية إذ إنها من سمات الكفر و الانحراف فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ أى وسطه الموصل إلى المطلوب.

[١١٠] وَدَّ أى أحب كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ اليهود و النصارى و المجوس لَوْ يَرُدُّونَكُمْ أيها المسلمون مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً فتكونون مثلهم حَسَداً لكم كيف صرتم إلى حضرة الإيمان و تقدمتم فى الحياة و هذا الحب ليس من جهة أنهم متدينون فيأسفون عليكم لماذا تركتم الإيمان بل الحب مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ تشبيها

---

(١) الإسراء: ٩٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٦٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ١١٠ الى ١١١]

وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا

مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكَمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (١١١)

و حسب أهوائهم أى أن مبدأ الحب هوى النفس لا الدين مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُ فليس ذلك لجهلهم بدينكم و حقيقتكم فَاعْفُوا أيها المسلمون عنهم وَ اصْفَحُوا عن أعمال الكفار و لا تقابلوا إساءتهم بالمثل حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ فيأذن لكم فى المبارزة و المقاتلة و المقابلة بالمثل إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيأتى يوم يجعلكم أقوياء فتتمكنوا من محاربة هؤلاء الكفار فيأذن لكم فى المبارزة معهم.

[١١١] وَ أما إذا لم يأت اللّه بأمره ف أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ و لا تبارزوا وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ من إعطاء الزكاة و سائر الخيرات التى هى لأنفسكم لأنها تعود إليكم فى الدنيا بالألفة و فى الآخرة بالثواب مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ يوم القيامة و إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فلا يضيع شىء يصرف فى وجهه و لا عمل يؤتى لأجله.

[١١٢] وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى قالت اليهود: لن يدخلها إلا اليهود، و قالت النصارى: لن يدخلها إلا النصارى، و هود جمع هائد، كعود جمع عائد تِلْكَ المقالة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ١٦٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ١١٢ الى ١١٣]

بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) وَ قالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ وَ قالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)

أَمانِيُّهُمْ جمع أمنية أى رغبتهم الكاذبة قُلْ يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لهم هاتُوا أى احضروا و جيئوا بُرْهانَكُمْ و دليلكم على ما تدّعون إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى مقالتكم.

[١١٣] بَلى جواب سؤال تقديره أ فليس يدخل الجنة أحد و من هو؟ فقيل مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ و خص الوجه لأنه أشرف الأعضاء فإذا أسلمه الشخص فقد أسلم جميع جوارحه وَ هُوَ مُحْسِنٌ فى عمله فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ فهو يدخل الجنة سواء كان يهوديا فى زمان موسى أو نصرانيا فى زمان عيسى أو مسلما فى زمان محمد أو من سائر الأمم فى زمان أنبيائها عليهم السّلام.

و هذا كلام معه دليله إذ معيار الدخول فى الجنة الإيمان و العمل الصالح فلا يقال لمن يقول ذلك: هات برهانك.

[١١٤] وَ قالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ وَ قالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ من دين و إيمان و تقوى فكل طائفة تجعل نفسها الناجية و غيرها الهالكة وَ الحال إن هُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ و التالى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ١٧٠

[سورة البقرة (٢): آية ١١٤]

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَ سَعى فِي خَرابِها أُولئِكَ ما كانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوها إِلَّا خائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ (١١٤)

للكتاب لا يحق له أن يقول مثل هذه المقالة إذ كل منهم يعلم أن صاحبه على بعض الشىء، فإن اليهود يعرفون أن النصارى لهم إيمان فى الجملة و كذلك النصارى يعرفون أن اليهود لهم إيمان فى الجملة كَذلِكَ القول قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ من الكفار مِثْلَ قَوْلِهِمْ و هذا تأنيب للطائفتين حيث صاروا كمن لا كتاب له و هو جاهل فإن الجاهل يمكن إن يقول ليس اليهود أو النصارى على شىء لأنه يزعم بطلان كليهما فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ جميعا يَوْمَ الْقِيامَةِ و هناك يتبين لكل طائفة إنه على شىء أم لا فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ و لعل تخصيص الحكم بهناك لأن هناك لا تبقى شبهة فى الحكم بخلاف حكمه سبحانه فى الدنيا فإن من لا يؤمن بالإسلام لا يعترف بحكمه.

[١١٥] وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللَّهِ و هى عامة لكل مانع و إن كان ينطبق على أهل مكة الذين منعوا الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن المسجد الحرام و بخت نصّر الذى منع عن بيت المقدس أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ أى لا أحد أظلم من هكذا شخص و الحصر المستفاد من الآية إضافى و إلا فمن قتل الأنبياء أظلم وَ سَعى فِي خَرابِها خرابا معنويا بمنع المصلين عنها أو خراب العمارة و البناء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ١٧١

[سورة البقرة (٢): الآيات ١١٥ الى ١١٦]

وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥) وَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ (١١٦)

أُولئِكَ ما كانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوها إِلَّا خائِفِينَ من عذاب اللّه سبحانه، فمن يسعى فى خراب المساجد كيف يدخلها آمنا أو خائفين من المسلمين أن يعاقبوهم لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ بالعقاب الإسلامى لمن فعل ذلك أو إخبار بخزى عن اللّه سبحانه ينزل بمن يسعى فى خراب المساجد وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ حيث يذوق النار مهانا و لعل هاتين الآيتين أيضا تلميح إلى فعل اليهود بمنعهم عن المساجد.

[١١٦] وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فكلتا الجهتين له سبحانه خلقها و هما ملك له وحده فَأَيْنَما تُوَلُّوا وجوهكم فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ وجه اللّه جانبه أى أن اللّه سبحانه محيط بالعلم و القدرة على كل ناحية فإذا توجه الإنسان إلى المشرق فقد توجه إلى اللّه و إذا توجه إلى المغرب فقد توجه إلى اللّه، و ليس اللّه جسما حتى يكون له مكان معين يلزم التوجه إليه إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ علما و قدرة لأنه محيط بجميع الجهات عَلِيمٌ بما يفعله الإنسان من التوجه إلى أية ناحية، و ربما قيل بأنها نزلت فى رد اليهود الذين قالوا كيف انصرف محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن قبلة بيت المقدس إلى الكعبة.

[١١٧] وَ قالُوا اليهود عزير ابن اللّه و النصارى قالوا المسيح ابن اللّه و المشركون قالوا الملائكة بنات اللّه اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً أما بأن أولده

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ١٧٢

[سورة البقرة (٢): الآيات ١١٧ الى ١١٨]

بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧) وَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْ لا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)

كما زعم بعضهم أو أتخذ بعنوان التبنى سُبْحانَهُ أى أنزهه عن ذلك تنزيها بَلْ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فكيف يكون المملوك ولدا إذ الولد ليس ملكا للوالد، ثم إن المملوك تحت التصرف فالتبنى لماذا ...؟ كُلٌّ أى كل من السماوات و الأرض لَهُ تعالى قانِتُونَ أى خاضعون و مطيعون.

[١١٨] بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أى مبدعهما و منشئهما و خالقهما و هذا تأكيد لما فى الآية السابقة من أنه «لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» وَ إِذا قَضى أَمْراً و أراده فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ أى لذلك الأمر المراد كُنْ أى يأمره بأن يوجد فَيَكُونُ أى فيوجد عقيب أمره فالكون بهذا النحو طوع إرادته و أمره.

[١١٩] وَ بعد ذكر اختلاف أهل الكتاب و منعهم و سائر المشركين عن المساجد، و شركهم فى باب التوحيد، تعرض القرآن الحكيم حول كلامهم بالنسبة إلى الرسالة، فقال، و قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ موازين الوحى و الرسالة لَوْ لا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أى هلّا يكلمنا ربنا، بأن يأمرنا بأوامره، بدون احتياج إلى وسيط، أو يكلمنا بأنك نبى أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ و معجزة حسب اقتراحنا كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ لأنبيائهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ١٧٣

[سورة البقرة (٢): الآيات ١١٩ الى ١٢٠]

إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ (١١٩) وَ لَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ

إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِی جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِیرٍ (١٢٠)

مِثْلَ قَوْلِهِمْ لموسی علیه السّلام أرنا اللّه جهرة تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ فی الإنکار و فی الاقتراح و التعنت قَدْ بَیَّنَّا الْآیاتِ فلا حاجة إلی تکلیم اللّه، و لا- إلی الإتیان بخوارق اقترحوها، إذ لو کان مرادهم بیان الحق و البرهان، فقد فعلنا ذلک، و إن کان مرادهم غیر ذلک فلیس علی اللّه إلا إتمام الحجة لِقَوْمٍ یُوقِنُونَ إنما خصهم لأنهم الذین یستفیدون منها و ینتفعون بها.

[١٢٠] إِنَّا أَرْسَلْناکَ یا رسول اللّه بِالْحَقِّ تأکید للإرسال، إذ کل إرسال اللّه تعالی بالحق بَشِیراً تبشر المؤمنین المطیعین وَ نَذِیراً تنذر الکافرین و العاصین، فأنت رسولنا، و إن کانوا یشکون فی رسالتک، و یسألونک عن أشیاء تافهة وَ لا تُسْئَلُ أنت عَنْ أَصْحابِ الْجَحِیمِ فلست أنت مکلفا عنهم، و إنما علیک التذکیر فقط.

[١٢١] وَ حیث أن من طبیعة الحال أن کل صاحب مبدأ لیستمیله الخصماء إلی ناحیتهم، و یعدونه الرضا عنه، إذا مال نحوهم بیّن اللّه تعالی لنبیه، أن ذلک سراب خادع و یجب أن لا یغتر به الإنسان، إذ لَنْ تَرْضی عَنْکَ الْیَهُودُ وَ لَا النَّصاری إلی الأبد حَتَّی تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ و تدخل فی طریقتهم، إذ کل ذی طریقة لا یرض عن شخص إلا

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ١، ص: ١٧٤

[سورة البقرة (٢): الآیات ١٢١ الی ١٢٢]

الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ یَکْفُرْ بِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ (١٢١) یا بَنِی إِسْرائِیلَ اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ وَ أَنِّی فَضَّلْتُکُمْ عَلَی الْعالَمِینَ (١٢٢)

بدخوله فی طریقته تماما و کمالا قُلْ یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إِنَّ هُدَی اللَّهِ الذی هو الإسلام هُوَ الْهُدی فقط دون ما سواه من الیهودیة و النصرانیة وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ إشارة إلی أن دینهم لیس إلا هوی أنفسهم، و لیس من عند اللّه سبحانه بَعْدَ الَّذِی جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ بالإسلام و شرائعه و بطلان الیهودیة و النصرانیة ما لَکَ أی لیس لک مِنَ اللَّهِ أی من طرف اللّه مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِیرٍ أی فلا یلی اللّه تعالی أمورک و لا ینصرک.

[١٢٢] الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ التوراة و الإنجیل الموصوفین بکذبهم یَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ بالعمل بما فی الکتاب أُولئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ أی بالنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو بالقرآن أو بالإسلام أو بکتابهم إیمانا صحیحا، لا کإیمان المعاندین الذین یأخذون ببعض الکتاب دون بعض وَ مَنْ یَکْفُرْ بِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ فی الدنیا و فی الآخرة، أما فی الدنیا، فلأن منهاج اللّه سبحانه هو المنهاج المسعد فی الحیاة، فإذا عرض عنه الإنسان، کانت معیشته ضنکا، و أما فی الآخرة، فللعذاب المعد للکافرین.

[١٢٣] یا بَنِی إِسْرائِیلَ اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ من إرسال

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ١، ص: ١٧٥

[سورة البقرة (٢): الآیات ١٢٣ الی ١٢٤]

وَ اتَّقُوا یَوْماً لا- تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً وَ لا- یُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ (١٢٣) وَ إِذِ ابْتَلی إِبْراهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قالَ لا یَنالُ عَهْدِی الظَّالِمِینَ (١٢٤)

الرسل إلیکم، و إهلاک عدوکم، و جعلکم ملوکا و توسیع الدنیا لکم وَ أَنِّی فَضَّلْتُکُمْ عَلَی الْعالَمِینَ فی زمانکم، التی هی من أعظم النعم- و قد تقدم الکلام فی مثل هذه الآیة-.

[١٢۴] وَ اتَّقُوا یَوْماً أی یوم القیامة، الموصوف بأنه لا- تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً هناک و إنما تری کل نفس جزاؤها العادل، فلا یحمل أحد وزر أحد وَ لا یُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ أی فدیة تعادله، فیفک نفسه بالفدیة و المال وَ لا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ بدون رضی اللّه سبحانه وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ فلا ینصر أحد أحدا، و قد تقدمت مثل هذه الآیة، لکن أرید الانتقال إلی موضوع آخر کرر المطلب السابق تذکیرا و ترکیزا.

[١٢٥] وَ حيث تم بعض الكلام عن اليهود و النصارى و المشركين، انتقل السياق للكلام حول إبراهيم و إسحاق و يعقوب عليهم السّلام و بناء البيت مما يشترك فيه الجميع، و إن تاريخهم قبل تاريخ اليهودية و النصرانية، و قد اعتاد أن يتكلم المتكلم عن الظروف المعاصرة، ثم ينتقل إلى التواريخ الغابرة، و اذكر يا رسول اللّه إِذِ ابْتَلى امتحن إِبْراهِيمَ عليه السّلام رَبُّهُ فاعل ابتلى، أى امتحن اللّه إبراهيم بِكَلِماتٍ أى بأمور، فإن الكلمة تقال للأمر، و لا يبعد أن يكون المراد بالكلمة نفس معناها العرفى، فالمعنى ابتلاه بكلمات تكلم اللّه أو الملك معه عليه السّلام حولها لينفذها، و يأتى بمعناها، و لعل الكلمات كانت حول ذبح

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٧٦

[سورة البقرة (٢): آية ١٢٥]

وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَ أَمْناً وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى وَ عَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥)

إسماعيل عليه السّلام، أو حول مجابهة نمرود الطاغى فَأَتَمَّهُنَ بأن أطاع الأمر كاملا غير منقوص قالَ اللّه تعالى بعد إتمام الكلمات إِنِّي جاعِلُكَ يا إبراهيم لِلنَّاسِ إِماماً و الإمام هو المقتدى، و حيث أن «الناس» كالجمع المحلى باللام أفاد العموم، و لا منافاة بين كونه عليه السّلام سابقا نبيا و رسولا، و لم يكن إماما عاما، ثم صار كذلك جزاء إتمام الكلمات قالَ إبراهيم عليه السّلام سائلا اللّه تعالى وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي هل تجعل يا رب إماما؟ و هذا طلب المتأدب يأتى به فى لسان الاستفهام قالَ لا يَنالُ عَهْدِي بالإمامة الظَّالِمِينَ و هذا جواب مع زيادة، إذ المفهوم منه، نعم أجعل بعض ذريتك، لكن غير الظالم منهم، و إنما خص هذا بالذكر، لبيان عظم مقام الإمامة.

[١٢٦] وَ اذكر يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ الحرام بمكة المكرمة مَثابَةً بمعنى مرجعا فإن الناس يرجعون إليه كل عام، و الرجوع بمناسبة مجموع الناس، و إن لم يرجع إليه كل فرد لِلنَّاسِ وَ أَمْناً فلا يحل القتال فيه، و إن من التجأ إليه يكون آمنا، فلا يجرى عليه الحد، ثم صار فى الكلام التفات إلى الخطاب قائلا وَ اتَّخِذُوا أيها المسلمون مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ و هو الحجر الذى كان يضعه إبراهيم عليه السّلام تحت رجله لبناء أعالى الكعبة، الذى هو الآن بالقرب من الكعبة مُصَلًّى أى محل للصلاة، فإنه تجب الصلاة للطواف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٧٧

[سورة البقرة (٢): آية ١٢٦]

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلى عَذابِ النَّارِ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)

حول مقام إبراهيم فى الحج وَ عَهِدْنا أى ذكرنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ عليهما السّلام: الأب و الابن أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ طهارة معنوية، بعدم السماح لنصب الأصنام فيه و طهارة ظاهرية بالنظافة لِلطَّائِفِينَ أى الذين يطوفون حول البيت وَ الْعاكِفِينَ الذين يعتكفون فى المسجد الحرام، و للاعتكاف مسائل و أحكام مذكورة فى كتب الفقه «١» وَ الرُّكَّعِ جمع راكع السُّجُودِ جمع ساجد، أى المصلين.

[١٢٧] وَ اذكر يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ فى دعائه للّه تعالى رَبِّ اجْعَلْ هذا البلد و هو مكة، التى بنى فيها البيت بَلَداً آمِناً عن الأخطار، أو محكوما بحكم الأمن حكما شرعيا، و إن كان السياق يؤيد الأول وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فإن دعاء إبراهيم عليه السّلام كان خاصا بهم قالَ اللّه سبحانه فى جواب إبراهيم عليه السّلام ما يدل على استجابة دعائه مع الزيادة، و هى وَ مَنْ كَفَرَ من أهل هذا البلد، لا نقطع عنه الثمار بل فَأُمَتِّعُهُ أى أعطيه المتاع من الحياة و الرزق و الأمن، و سائر الأمور قَلِيلًا فإن

---

(١) راجع موسوعة الفقه ج ٧٧ ص ١٥١، فى أحكام الاعتكاف.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۷۸

[سورة البقرة (۲): الآيات ۱۲۷ الى ۱۲۸]

وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۱۲۷) رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنا مَناسِكَنا وَ تُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (۱۲۸)

عمر الدنيا قصير، و أمدها قليل ثُمَّ أَضْطَرُّهُ أى أدفعه إلى النار باضطرار منه، فما من أحد يرضى بالنار إِلى عَذابِ النَّارِ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ أى بئس المأوى و المرجع.

[۱۲۸] وَ أذكر يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ أى كان يبنى أساس البيت الحرام، و يرفعه من الأرض، و يعاونه فى ذلك وَ إِسْماعِيلُ ابنه، و هما يقولان فى حال البناء رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا بناء البيت إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ دعاءنا الْعَلِيمُ بما نعمله و نقصده.

[۱۲۹] رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ فى جميع أمورنا، و الدعاء بالإسلام، لا ينافى كونهما كذلك قبل الدعاء إذ الإسلام كسائر العقائد، و الأعمال بحاجة إلى الاستمرار، مما لا يكون إلا بهداية اللّه و توفيقه، فكما أن الابتداء لا يكون إلا بعونه سبحانه، كذلك الاستمرار، كما فى اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ «۱» وَ اجعل مِنْ ذُرِّيَّتِنا و أولادنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ و الإسلام هو تسليم الأمور إلى اللّه سبحانه فى الاعتقاد و القول و العمل وَ أَرِنا أى عرفنا مَناسِكَنا جمع منسك، أى المواضع التى

---

(۱) الفاتحة: ۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۷۹

[سورة البقرة (۲): آية ۱۲۹]

رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۱۲۹)

تتعلق النسك بها، و النسك العبادة، يقال رجل ناسك، أى عابد، و قد استجاب اللّه دعاءهما، حيث أراهما جبرائيل عليه السّلام موضع الصلاة، و الوقوف، و غيرها وَ تُبْ عَلَيْنا أى أرجع إلينا بالمغفرة و الرحمة، فإن التوبة بمعنى الرجوع، و لذا يقال اللّه «التواب» أى كثير الرجوع إلى عبيده، و من ذلك تعرف أنه لا دلالة للآية، على أنهما عليهما السّلام، كانا قد أذنبا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ بعبادك الرَّحِيمُ بهم.

[۱۳۰] رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ أى فى الأمة المسلمة- التى طلبناها منك- رَسُولًا مِنْهُمْ من نفس الأمة، لا من سائر الأمم، حتى يكون لهم الشرف بكون الرسول منهم يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ دلائلك، و براهينك، و أحكامك وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ إما المراد: القرآن، أو المراد: «كتابك» على نحو الكلى وَ الْحِكْمَةَ هى وضع كل شىء موضعه و المراد بتعلمهم إياها، تعليمهم العلوم الكونية و التشريعية، فإن الجاهل لا يتمكن، من وضع الأشياء مواضعها لجهله بها وَ يُزَكِّيهِمْ أى يطهرهم من الأدناس و القذارات الأخلاقية و الأعمالية إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ حقيقة، فإن العزة لا تكون إلا بقلة الوجود، و كثرة الاحتياج، و اللّه واحد لا شريك له، و جميع الاحتياجات إليه و تخصيص العزة هنا بالذكر، للتلميح إلى كون الاحتياج إليه الْحَكِيمُ فأفعالك صادرة عن حكمة، و ما طلباه إنما كان عين الحكمة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۸۰

[سورة البقرة (۲): الآيات ۱۳۰ الى ۱۳۲]

وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِي الدُّنْيا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (۱۳۰) إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ (۱۳۱) وَ وَصَّى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۳۲)

[۱۳۱] هذه هى طريقة إبراهيم عليه السّلام وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ أى من يعرض عن هذه الطريقة فى التوحيد و التسليم و سائر ما

ذکر مما یدل علی أنها من أفضل الطرق إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ أی لا یترک هذه الملهٔ، إلا من ضرب نفسه بالسفاههٔ و الحمق، و هل هناک طریقهٔ أفضل من هذه الطریقهٔ؟ و الاستفهام فی قوله «من یرغب» استنکاری وَ لَقَدِ اصْطَفَیْناهُ جملهٔ حالیهٔ، أی إنا بسبب هذه الطریقهٔ المستقیمهٔ، التی کانت لإبراهیم علیه السّلام اخترناه نبیا فِی الدُّنْیا وَ إِنَّهُ فِی الْآخِرَهِٔ لَمِنَ الصَّالِحِینَ الفائزین بالدرجات الرفیعهٔ.

[۱۳۲] إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ هذا متعلق بقوله «اصطفیناه» أی اخترناه لما قلنا له أَسْلِمْ فی جمیع أمورک للّه قالَ إبراهیم علیه السّلام أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِینَ وحده لا شریک له، و معنی أسلم استقم علی الإسلام، و اثبت علی التوحید، کقوله تعالی فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اسْتَغْفِرْ «۱» و کما یقول أحدنا لمن کان جالسا فی مکان: أجلس هنا حتی الساعهٔ العاشرهٔ- مثلا-.

[۱۳۳] وَ وَصَّی بِها أی بالملهٔ و الطریقهٔ التی کانت لإبراهیم علیه السّلام

---

(۱) محمد: ۲۰.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۱۸۱

[سورهٔ البقرهٔ (۲): آیهٔ ۱۳۳]

أَمْ کُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ یَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِیهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی قالُوا نَعْبُدُ إِلهَکَ وَ إِلهَ آبائِکَ إِبْراهِیمَ وَ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۱۳۳)

إِبْراهِیمُ بَنِیهِ أولاده، و خصهم بالذکر، مع أن دعوهٔ إبراهیم علیه السّلام کانت عامهٔ، إشارهٔ إلی لزوم دعوهٔ الأهل بصورهٔ خاصهٔ إلی الحق، کما قال سبحانه قُوا أَنْفُسَکُمْ وَ أَهْلِیکُمْ ناراً «۱» وَ وصی بها یَعْقُوبُ حفید إبراهیم من إسحاق، بنیه أیضا و خص یعقوب لأنه جد الیهود، و کانت الوصیهٔ یا بَنِیَ أی یا أبنائی، فهو جمع ابن، و أصله بنینی إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی أی اختار لَکُمُ الدِّینَ حتی تکونوا متدینین، و معنی اختار اللّه الدین لهم، أنه سبحانه أعطاهم الدین، و أراد ذلک منهم مقابل بعض الأمم الوحشیهٔ الذین ترکوا و شأنهم، فلم تبلغهم دعوهٔ الأنبیاء فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أی لا تترکوا الإسلام، فیصادفکم الموت علی ترکه، و إنما خص الموت، لأنه لو کان غیر مسلم قبل ذلک، ثم أسلم و مات مسلما لم یکن علیه بأس.

[۱۳۴] أَمْ کُنْتُمْ شُهَداءَ أیها المدعون إن الأنبیاء کانوا یهودا أو نصاری، فإن الیهود کانوا یقولون أن یعقوب النبی علیه السّلام أوصی بنیه بالیهودیهٔ، فأنکر اللّه تعالی علیهم ذلک بأنکم لم تکونوا حضورا إِذْ حَضَرَ یَعْقُوبَ الْمَوْتُ و اقترب من الوفاهٔ إِذْ قالَ لِبَنِیهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی علی طریقهٔ الاستفهام التقریری

---

(۱) التحریم: ۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۱۸۲

[سورهٔ البقرهٔ (۲): الآیات ۱۳۴ الی ۱۳۵]

تِلْکَ أُمَّهٌٔ قَدْ خَلَتْ لَها ما کَسَبَتْ وَ لَکُمْ ما کَسَبْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا کانُوا یَعْمَلُونَ (۱۳۴) وَ قالُوا کُونُوا هُوداً أَوْ نَصاری تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّهَٔ إِبْراهِیمَ حَنِیفاً وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ (۱۳۵)

قالُوا نَعْبُدُ إِلهَکَ وَ إِلهَ آبائِکَ إِبْراهِیمَ وَ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ إبراهیم جد یعقوب و إسماعیل عمه و إسحاق أبوه، و قدم إسماعیل لأنه کان الأکبر سنا، و الأعلی منزلهٔ، و سمی العم أبا تغلیبا، و لأن العرب تسمی العم أبا و الخالهٔ أما إِلهاً واحِداً بغیر شریک وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فکان دینهم الإسلام، و الإسلام هو دین جمیع الأنبیاء علیهم السّلام، لأن معناه التسلیم للّه فی أوامره و نواهیه و نفی اللّه سبحانه کون دین الأنبیاء الیهودیهٔ أو النصرانیهٔ، یراد به نفیها بالمعنی المتداول عند أهل الکتاب، و إلا فلا یهم الاسم، کما لا یخفی.

[۱۳۵] ثم بین اللّه حقیقهٔ هی أن الأمهٔ الماضیهٔ لیست تهمکم، أیها المعاصرون للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و إنما المهم

أعمالكم، فكيف كانت تلك الأمم، فإنها قد ذهبت و فنت تِلْكَ أى إبراهيم و أولاده عليهم السّلام أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ أى ذهبت و مضت لَها ما كَسَبَتْ فإن أعمالها ترتبط بها لا بكم وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ فإن أعمالكم ترتبط بكم لا بهم وَ لا تُسْئَلُونَ أنتم عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ فأصلحوا أعمالكم.

[۱۳۶] وَ قالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى أى قالت اليهود كونوا يهودا و قالت النصارى كونوا نصارى تَهْتَدُوا للحق و ترشدوا قُلْ يا رسول

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۸۳

[سورة البقرة (۲): آية ۱۳۶]

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۱۳۶)

اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بَلْ نتبع مِلَّةَ أى دين إِبْراهِيمَ الصافى من شوائب اليهودية و النصرانية، و إنما هى الإسلام المصفى، و إن كان فرق بين الإسلام و بين دين إبراهيم عليه السّلام فى بعض الخصوصيات التشريعية، فالمراد نفى النصرانية و اليهودية حَنِيفاً أى مستقيما عن الاعوجاج وَ ما كانَ إبراهيم مِنَ الْمُشْرِكِينَ كما أنتم أيها اليهود و النصارى مشركون، إذ تقولون عزير ابن اللّه، أو المسيح ابن اللّه، و على هذا فالمراد بإتباع ملة إبراهيم عليه السّلام إتباعها فى التوحيد.

[۱۳۷] قُولُوا أيها المسلمون، ما يجب عليكم أن تعتقدوا به، و ما هى خلاصة الأديان السابقة و اللاحقة، التى تعين زيف العقائد النصرانية و اليهودية و غيرهما آمَنَّا بِاللَّهِ وَ آمنا ب ما أُنْزِلَ إِلَيْنا من القرآن الحكيم وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ أحفاد يعقوب فإن كثيرا منهم كانوا أنبياء عليهم السّلام نزلت عليهم الصحف وَ آمنا ب ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ آمنا ب ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ قاطبة مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أى من الأنبياء عليهم السّلام، فإنا نعترف بالجميع وَ نَحْنُ لَهُ أى للّه سبحانه مُسْلِمُونَ فإن دين الأنبياء، عليهم السّلام كلهم يتلخص فى أصول و فروع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۸۴

[سورة البقرة (۲): الآيات ۱۳۷ الى ۱۳۸]

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۱۳۷) صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ لَهُ عابِدُونَ (۱۳۸)

و أخلاق فالأصول: التوحيد، و العدل، و النبوة، و الإمامة، و المعاد، فإن كل نبى كان يصدّق من سبقه و يبشّر بمن يلحقه، كما إن الإمامة بمعنى الوصاية، فإن كل نبى كان له أوصياء، و الفروع: الصلاة و الصوم و الزكاة و ما أشبه من العبادات، و أحكام المعاملات- بالمعنى الأعم- و كل الأديان كانت مشتركة فيها مع تفاوت يسير حسب اقتضاء الزمان و الأمة، فمثلا كان صوم الصمت فى بعض الأمم و ليس فى الإسلام و هكذا، و الأخلاق: الصدق و الأمانة، و الوفاء، و الحياء، و ما أشبه و كلها فطريات نفسيه كانت الأنبياء عليهم السّلام تأمر بها و تنهى عن أضدادها.

[۱۳۸] فَإِنْ آمَنُوا أى آمن غير المسلمين من سائر الأديان و الفرق بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ أى كما تؤمنون أنتم أيها المسلمون فَقَدِ اهْتَدَوْا إلى الحق وَ إِنْ تَوَلَّوْا عن مثل هذا الإيمان، و لزموا طريقتهم المنحرفة فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ أى فى خلاف فهم فى شق و أنتم فى شق فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ فإن اللّه يكفيك يا رسول اللّه و ينصرك عليهم وَ هُوَ السَّمِيعُ كلامهم الْعَلِيمُ بأعمالكم و نواياكم.

[۱۳۹] اتبعوا صِبْغَةَ اللَّهِ و اصبغوا أنفسكم بها، و هى الإسلام، فإن كل طريقة يتبعها الإنسان لون له، لكنه لون غير محسوس، تشبيها بالألوان المحسوسة وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً و هذا استفهام إنكارى، أى لا أحد أحسن من اللّه صبغة و دينا وَ نَحْنُ المسلمون لَهُ عابِدُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۱۸۵

[سورة البقرة (٢): الآيات ١٣٩ الى ١۴٠]

قُلْ أَ تُحَاجُّونَنا فِي اللَّهِ وَ هُوَ رَبُّنا وَ رَبُّكُمْ وَ لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطَ كانُوا هُوداً أَوْ نَصارى قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١۴٠)

لا لغيره من الشركاء الذين أنتم تعبدونها مع اللّه، أو من دون اللّه، و ربما يقال إن وجه التسمية ب «الصبغة» أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم بماء أصفر يعمدونهم فيه، و الآية من المشابهة كقوله سبحانه تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ «١».

[١۴٠] قُلْ يا رسول اللّه لهؤلاء اليهود و النصارى و غيرهم أَ تُحَاجُّونَنَا أى تباحثون معنا فِي دين اللَّهِ و إنه لم أنسخ أديانكم، و لم أختر من العرب رسولا، و لم أفعل كذا و كذا؟ وَ هُوَ رَبُّنا وَ رَبُّكُمْ أى أن اللّه ليس ربا لكم فقط حتى يكون معكم وحدكم إلى الأبد وَ لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ فليس عملنا غير منظور إليه عند اللّه، و عملكم منظور إليه، كما كانوا يزعمون قائلين نحن شعب اللّه المختار، و نحن أبناء اللّه و أودائه وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ إذ لا نشرك به أحدا بخلافكم حيث جعلتم له شريكا.

[١۴١] أَمْ تباحثون معنا فى أمر الأنبياء عليهم السّلام و تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطَ أحفاد يعقوب الذين كانوا أنبياء عليهم السّلام كانُوا هُوداً أى يهودا أَوْ نَصارى و هذا اشتباه منهم إذ اليهودية و النصرانية، تولدتا بعد إبراهيم عليه السّلام، فكيف يكون إبراهيم

(١) المائدة: ١١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨۶

[سورة البقرة (٢): آية ١۴١]

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ (١۴١)

أحدهما، كما قال سبحانه وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ «١» قُلْ يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لهؤلاء المدعين بيهودية هؤلاء الأنبياء، أو نصرانيتهم أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ فاللّه سبحانه يقول لم يكونوا يهودا و لا نصارى، و أنتم تقولون كانوا وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ أى لا أحد أظلم ممن يكتم الشهادة التى عنده من اللّه سبحانه، فإن اليهود كانوا يكتمون ما أنزل إليهم من البينات و الهدى حول الأنبياء السابقين و حول نبى الإسلام وَ مَا اللَّهُ أى ليس اللّه بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ فإنه يعلم أعمالكم التى منها كتمانكم للشهادة، ثم يجازيكم عليها.

[١۴٢] تِلْكَ الأنبياء عليهم السّلام و ما كانوا يعملون و يتدينون لا يرتبطون بكم أيها المعاصرون للرسول، فإنها أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ و مضت لَها ما كَسَبَتْ من الأعمال و الأفعال وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ من الخير و الشر وَ لا تُسْئَلُونَ أنتم عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ فلم هذه المباحثة و المحاجة و المجادلة.

(١) آل عمران: ۶۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨٧

تقريب القران الى الأذهان الجزء الثّانى سورة البقرة من آية (١۴٣) إلى (٢۵٣)

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨٨

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٨٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ١۴٢ الى ١۴٣]

سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (١۴٢) وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (١۴٣)

[١۴٣] سَيَقُولُ السُّفَهاءُ جمع سفيه، و هو الغر و الجاهل، و ناقص العقل مِنَ النَّاسِ ما وَلَّاهُمْ أى أىّ شىء صرف المسلمون عَنْ قِبْلَتِهِمُ السابقة الَّتِي كانُوا عَلَيْها يتوجهون فى صلاتهم، و هى بيت المقدس، فإن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المسلمون كانوا يصلون إلى بيت المقدس، و هو قبلة اليهود، ثم فى المدينة حولت القبلة إلى الكعبة، و كان السبب الظاهر لذلك أن اليهود عابوا النبى بأنه يصلى إلى قبلتهم، فحوله اللّه عنها إلى الكعبة، فأخذ اليهود يهرجون حول تحويل القبلة قُلْ يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فمتى شاء وجه عبيده إلى حيث يشاء، و ليست القبلة احتكارا حتى لا يمكن تحويلها يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ و كما كان الصراط المستقيم قبلا بيت المقدس حال التوجه، كذلك صار الصراط المستقيم، فعلا الكعبة.

[١۴۴] وَ كَذلِكَ أى كما أن للّه المشرق و المغرب، و أنه لا مناقشة فى ذلك جَعَلْناكُمْ أيها المسلمون، و فى التأويل، إن المراد بالخطاب الأئمة عليهم السّلام أُمَّةً وَسَطاً متوسطا، و الإطلاق و إن كان يفيد الوسطية فى كل شىء فى العقيدة، فلا جمود و لا إلجاء، و فى المكان فهم متوسطون بين شرق الأرض و غربها، و فى التشريع، فليس ناقصا و لا مغاليا، و هكذا إلا أن ظاهر قوله سبحانه بعد ذلك لِتَكُونُوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٩٠

شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً يفيد أن المراد بالتوسط الوسيطة بين الرسول و بين سائر الناس، فالأمة تأخذ من الرسول- و يشهد الرسول عليهم بأنهم أخذوا منه، حتى لا يقولوا ما عرفنا- و سائر الناس يأخذون من الأمة- و تشهد الأمة عليهم بأنهم أخذوا منها، حتى لا يقول الناس لم نعرف- و هذا هو الظاهر من «لام» العلة فى قوله «لتكونوا .. و يكون» و لعل ارتباط هذه الآية بما سبقها من حكم القبلة، و ما لحقها بيان أن المسلمين لهم مكان القيادة، لأنهم الآخذون عن الرسول المبلغون للناس فالذى ينبغى أن تكون لهم سمة خاصة فى شرائعهم، حتى لا يرمون بالذيلية، و الإتباع لقبلة الآخرين، ثم رجع السياق إلى حكم القبلة فقال سبحانه وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها و هى بيت المقدس الذى كان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يتوجه نحوه فى الصلاة، طيلة كونه فى مكة المكرمة، و مدة بعد الهجرة إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ معنى «لنعلم» أن يتحقق علمنا فى الخارج، بأن يظهر المتبع من المخالف، فإنه قد يقال لنعلم، و يراد به حصول العلم للمتكلم، و قد يقال لنعلم، و المراد به وقوع المعلوم فى الخارج، و فى بعض التفاسير أن قوما ارتدوا على أدبارهم لما حولت القبلة «١»، فظهر

---

(١) مجمع البيان: ص ۴١٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٩١

[سورة البقرة (٢): آية ١۴۴]

قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١۴۴)

إنهم لم يكونوا يتبعون الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حقيقة و إنما حسب الأهواء، و العقب مؤخر القدم، و المعنى التشبيه لمن

یرتـد کافرا، بمن یرجع القهقری وَ إِنْ کانَتْ مفارقـة القبلة الأولی إلی قبلة أخری لَکَبِیرَةً إذ هو خرق لاعتیاد قدیم مترکز إِلَّا عَلَی الَّذِینَ هَدَی اللَّهُ إیاهم بأن قوی قلوبهم بالإیمان وَ ما کانَ اللَّهُ لِیُضِیعَ إِیمانَکُمْ أیها المسلمون الراسخون الذین اتبعتم النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و هـذا تقـدیر لهم فی ثبـاتهم، و وعـد لهم فی الجزاء علی إیمـانهم الکامـل، و یحتمـل أن یکون جوابـا عن سؤال وقع من بعضـهم، و هو إنه کیف تکون حال صـلواتهم السابقة التی صلوها إلی بیت المقدس، و إن کان الظاهر من کلمة «إیمان» المعنی الأول إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ فلا یضیع أتعابهم و أعمالهم.

[۱۴۵] و بعد ما بین الحکم، و أن القبلة تحولت، بیّن اللّه سـبحانه قصة التحویل، فإنها کالعلة للحکم المتقدم، و العلة دائما تأتی متأخرة فی الکلام، و إن کانت سابقـة فی التحقیق، کما یقال إنه إنسان طیب لأن تربیته حسـنة قَدْ نَری «قد» هنا للتحقیق نحو قَدْ یَعْلَمُ اللَّهُ «۱» و إن کان الغالب فی «قد» الداخلة علی المضارع، أن تکون بمعنی التقلیل، و لعل سـر دخولها، إشراب الفعل معنی التقلیل، حیث لا یرید المتکلم

---

(۱) النور: ۶۴.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۱۹۲

إظهار العلم بالبت، مثله وَ إِنَّا أَوْ إِیَّاکُمْ لَعَلی هُـدیً «۱» تَقَلُّبَ وَجْهِکَ یا رسول اللّه فِی السَّماءِ أی فی ناحیة السـماء، فإن الرسول صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان یقلب وجهه فی أطراف السـماء، فینتظر الوحی حول القبلـة، و إن الیهود عیروه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم قائلین له أنک تابع لقبلتنا فلما کان فی بعض اللیل خرج صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم، یقلب وجهه فی آفاق السـماء، فلما أصـبح صلی الغـداة، فلما صـلی من الظهر رکعتین، جاء جبرائیل علیه السّـلام بهـذه الآیـة، ثم أخـذ بیـده فحول وجهه إلی الکعبـة، و حول من خلفه وجوههم، حتی قـام الرجـال مقام النساء، و النساء مقام الرجال فَلَنُوَلِّیَنَّکَ قِبْلَـةً تَرْضاها إذ الرسول کان یحب الکعبـة التی هی بناء جـده إبراهیم علیه السّـلام و عندها موطنه فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ الشطر الجزء، أی حول وجهک نحو جزء من المسجد الحرام، و المسـجد لکونه محیطا بالکعبة یکون المتوجه إلیه متوجها إلیها إذا کان من بعید وَ حَیْثُ ما کُنْتُمْ أیها المسـلمون فَوَلُّوا وُجُوهَکُمْ شَطْرَهُ و ذکر «الـوجه» فی المقـامین، لأنه الشـیء الـذی یتوجه به فی جسـد الإنسـان وَ إِنَّ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتـابَ من الیهود و النصـاری الـذین یستشکلون علیکم قائلین إن کانت القبلة

---

(۱) سبأ: ۲۵.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۱۹۳

[سورة البقرة (۲): آیة ۱۴۵]

وَ لَئِنْ أَتَیْتَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ بِکُلِّ آیَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَکَ وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ ما بَعْضُـهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَـةَ بَعْضٍ وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّکَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِینَ (۱۴۵)

السابقـة حقا، فهـذه باطلـة، و إن کانت هـذه حقا، فتوجهکم فی السابق إلی بیت المقـدس باطل لَیَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ أی تحویل القبلـة أو هـذه القبلـة حق من قبل اللّه، فإن اللّه سـبحانه یعبده عباده کیف یشاء، فمن الجائز أن یعبد الأمة بتشـریع إلی مدة، ثم یعبدهم بتشـریع آخر وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا یَعْمَلُونَ أی یعمل أهل الکتاب من الإرجاف و بث الأباطیل حول تحویل القبلة و سائر الأمور المرتبطة بالنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

[۱۴۶] وَ لَئِنْ أَتَیْتَ یا رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ من الیهود و النصاری بِکُلِّ آیَةٍ من الآیات الدالة علی أن قبلتـک حق ما تَبِعُوا قِبْلَتَکَ لأنهم معانـدون، و المعانـد لا ینفع معه الـدلیل وَ ما أَنْتَ یا رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم بِتابِعٍ

قِبْلَتَهُمْ بعد ما تعلم أن قبلتهم منسوخة، كقوله تعالى لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ* وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ «۱» وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ اليهود لا يتبعون قبلة النصارى، و النصارى لا يتبعون قبلة اليهود وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أَهْواءَهُمْ فى باب القبلة و سائر التشريعات مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ بأن

---

(۱) الكافرون: ۳- ۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۱۹۴

[سورة البقرة (۲): الآيات ۱۴۶ الى ۱۴۷]

الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۱۴۶) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (۱۴۷)

طريقتهم باطلة إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ و هذه الجملة، و إن كانت موجهة إلى الرسول، لكن المقصود منها العموم، و لا تنافى العصمة، فإن الاشتراط يلائم المحال، كقوله تعالى إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ «۱» و قد تقرر فى المنطق أن صدق الشرطية إنما هو بوجود العلية و نحوها، لا بصدق الطرفين.

[۱۴۷] الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ من اليهود و النصارى يَعْرِفُونَهُ أى الرسول، أو هذا الحكم، أعنى كون تغيير القبلة بأمر اللّه سبحانه، و إن كان الأول أقرب إلى سياق التشبيه كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ ممن لم يؤمن بالرسول لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ فليس عذر هؤلاء جهلهم، حتى يرجى زواله، و إنما العناد الذى لا علاج له.

[۱۴۸] الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، أى هذا هو الحق من عند اللّه فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ أى الشاكين فيه، فإن المحق إذا كثرت عليه التهجمات و رمى بأنه على غير حق، يكاد يشك فيه، و لذا يثبت اللّه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، كما قال تعالى وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا «۲».

---

(۱) الزخرف: ۸۲.

(۲) الإسراء: ۷۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۱۹۵

[سورة البقرة (۲): الآيات ۱۴۸ الى ۱۴۹]

وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۴۸) وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (۱۴۹)

[۱۴۹] وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ أى لكل أمة من الأمم طريقة هُوَ أى اللّه سبحانه مُوَلِّيها أى أمرهم بالتوجه إليها، فلا غرابة أن يكون للمسلمين وجهة خاصة فى قبلتهم فَاسْتَبِقُوا أى سارعوا إلى الْخَيْراتِ تنافسوا فيها، فإن اللّه موليكم هذه الطرائق، و لا تبقوا جامدين على طريقة منسوخة، فإن ذلك انصراف عن الخير إلى الشر، و من المحتمل أن يكون «هو» راجعا إلى «كل» أى لكل فرد أو أمة، طريقة فى العمل و التفكير فذلك الشخص مولى و موجه نفسه إياها، فليكن هم كل فريق و فرد أن يسابق غيره فى الخيرات أَيْنَ ما تَكُونُوا من بقاع الأرض يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً يوم القيامة، حتى يجازيكم على أعمالكم إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيتمكن من جمعكم، و لا يفوته شيء [۱۵۰] كان لتحويل القبلة نحو الكعبة أسباب و علل، العلة الأولى: رغبة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى أن تحول القبلة لما عيرته اليهود، العلة الثانية: أن التحويل كان للحق، و أن يكون للمسلمين ميزة خاصة يمتازون بها عن سائر الأمم، حتى فى اتجاه الصلاة، العلة الثالثة: أن التحويل كان لقطع حجة الناس، الذين كانوا يتعجبون من كون المسلمين، يدعون دينا جديدا، و مع ذلك

یتوجهون إلی قبلة بنی إسرائیل، و تبعا لهذه العلل، تکرر الأمر بالتوجه إلی المسجد الحرام، و قال سبحانه وَ مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ للسفر من البلاد فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرام

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۱۹۶

[سورة البقرة (۲): آیة ۱۵۰]

وَ مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَیْثُ ما کُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَکُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ یَکُونَ لِلنَّاسِ عَلَیْکُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِی وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِی عَلَیْکُمْ وَ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ (۱۵۰)

فإنه قبلة فی السفر کما هو قبلة فی الحضر، و فی هذا فائدة ثانیة للتکرار وَ إِنَّهُ أی توجیه الوجه نحو المسجد الحرام لَلْحَقُ الذی جاء مِنْ رَبِّکَ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ فمن أعرض عن هذه القبلة کان جزاءه سیئا، و من اتبعها کان جزاءه حسنا.

[۱۵۱] وَ مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ للسفر من البلاد فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ هذا للسفر وَ حَیْثُ ما کُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَکُمْ شَطْرَهُ و هذه الآیة، جمع بین الآیتین السابقتین «وَ مِنْ حَیْثُ خَرَجْتَ، الآیة: ۱۵۰» «وَ حَیْثُ ما کُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَکُمْ شَطْرَهُ الآیة: ۱۴۵» و قد عرفت إنه کرر لفائدة العلة المذکورة فی الآیة لِئَلَّا یَکُونَ لِلنَّاسِ عَلَیْکُمْ حُجَّةٌ أی إن تحویل القبلة، إنما هو لنقطع احتجاج الناس علیکم حیث یقولون: کیف إن المسلمین یدعون إلی دین جدید و قبلتهم هی قبلة أهل الکتاب إِلَّا الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فإن هؤلاء لا ینفعهم المنطق، فالمعاند لا تفیده الحجة فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِی فالخشیة، إنما تکون ممن بیده النفع و الضر، و هؤلاء لیس بیدهم شیء منهما، و إنما کل ذلک بید اللّه سبحانه، و لا یخفی أن الاستثناء منقطع کقولک: إنما فعلت الفعلة الفلانیة لیعرف الناس بالأمر، إلا من یرید

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۱۹۷

[سورة البقرة (۲): آیة ۱۵۱]

کَما أَرْسَلْنا فِیکُمْ رَسُولاً مِنْکُمْ یَتْلُوا عَلَیْکُمْ آیاتِنا وَ یُزَکِّیکُمْ وَ یُعَلِّمُکُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ یُعَلِّمُکُمْ ما لَمْ تَکُونُوا تَعْلَمُونَ (۱۵۱)

العناد وَ بعد ذلک فتحویل القبلة إنما کان لِأُتِمَّ نِعْمَتِی عَلَیْکُمْ بتمیزکم عن أهل الکتاب و قطع تعییر الیهود، و إرجاعکم إلی بناء جدکم إبراهیم الذی هو إحیاء لذکراکم وَ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ إلی الحق اهتداء کاملا، فإن فی تشریف الإنسان بشرف سببا لتقریبه إلی الهدایة الکاملة.

[۱۵۲] و قد أتممنا النعمة علیکم بتحویل القبلة کَما أنعمنا علیکم قبل ذلک بنعمة عظمی ف أَرْسَلْنا فِیکُمْ أیها المسلمون رَسُولًا مِنْکُمْ لا من غیرکم، فاخترتکم لأن تکون رسالتی بید واحد منکم یَتْلُوا عَلَیْکُمْ آیاتِنا و قرآننا تلاوة وَ یُزَکِّیکُمْ یطهرکم من أدناس الجاهلیة و القذارات الخلقیة، و النجاسات البدنیة- بإرشاده إیاکم إلیها- وَ یُعَلِّمُکُمُ الْکِتابَ و من المعلوم أن التلاوة غیر التعلیم، فرب تال غیر معلم، بالإضافة إلی أن التعلیم فیه معنی الترکیز و التثبیت وَ الْحِکْمَةَ یرشدکم بمواضع الأشیاء و مواقع الخطأ و الصواب، فالحکمة- کما عرفت- وضع کل شیء موضعه وَ یُعَلِّمُکُمْ ما لَمْ تَکُونُوا تَعْلَمُونَ بصورة عامة، فیشمل القصص و التواریخ المفیدة و أحوال الأنبیاء، و أحوال المعاد مما ینفعهم فی دینهم و دنیاهم.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۱۹۸

[سورة البقرة (۲): الآیات ۱۵۲ الی ۱۵۴]

فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ وَ اشْکُرُوا لِی وَ لا تَکْفُرُونِ (۱۵۲) یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اسْتَعِینُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِینَ (۱۵۳) وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ یُقْتَلُ فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْیاءٌ وَ لکِنْ لا تَشْعُرُونَ (۱۵۴)

[۱۵۳] فَاذْکُرُونِی أیها المسلمون بالطاعة و العبادة، و تنفیذ الأوامر أَذْکُرْکُمْ بالنعمة و الإحسان و الجنان وَ اشْکُرُوا لِی بإظهار النعمة و الحمد علیها وَ لا تَکْفُرُونِ کفرا فی الاعتقاد، أو کفرا فی العمل بأن لا تعملوا بأوامری.

[۱۵۴] یـا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اسْتَعِینُوا فی أمورکم الـتی تریـدونها سواء کـانت تحت اختیـارکم، أم لم تکن کالصـحهٔ و الغنی بِالصَّبْرِ و تحمـل النفس، فـإن کثیرا من الأـمور تتنجز بعـد حین، فـإذا صبر الإنسـان تنجزت أموره و نعم براحـهٔ البال، و اطمئنان النفس، و إذا لم یصبر جری القدر، و هو مضـطرب البال کئیب وَ الصَّلاةِ فإن الصـلاهٔ توجب توجه الإنسان إلی اللّه سـبحانه، و الانصراف عن الدنیا مما یشع فی النفس الهـدوء و السـکینهٔ، و عـدم الاهتمام بمکاره الـدنیا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِینَ باللطف و العنایهٔ و الرحمهٔ و الأجر و الثواب، و هکـذا یهـذب الإنسـان و الأمـهٔ و یرشـدهم إلی مهمتهم العظیمـهٔ، و یمرّنهم علی الصبر و التحمـل، و لـذا یخطوا القرآن الحکیم خطوهٔ أخری معهم بعـد الصبر و الصـلاهٔ، قائلا: إنکم لا بد و أن تتحملوا مشاق القیادهٔ من القتل و سائر أنواع المصائب التی تتعرض لمن أراد الإصلاح و الإرشاد، و لذا یقول سبحانه:

[۱۵۵] وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ یُقْتَلُ فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَمْواتٌ فالمیت من لا تأثیر له

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۱۹۹

[سورهٔ البقرهٔ (۲): الآیات ۱۵۵ الی ۱۵۶]

وَ لَنَبْلُوَنَّکُمْ بِشَیْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِینَ (۱۵۵) الَّذِینَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِیبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَیْهِ راجِعُونَ (۱۵۶)

فی الحیاهٔ و لا امتداد، و هؤلاء لیسوا کذلک بَلْ أَحْیاءٌ حیاهٔ واقعیهٔ فی الدنیا بتأثیراتهم و امتداداتهم، و فی الآخرهٔ، لأنهم فی نعیم مقیم، وَ لکِنْ لا تَشْعُرُونَ أنتم بحیاتهم، إذ الحیاهٔ فی نظرکم الحس و الحرکهٔ، مع إنها معنی سطحی للحیاهٔ.

[۱۵۶] وَ لَنَبْلُوَنَّکُمْ أی نمتحنکم أیها المسـلمون بِشَیْءٍ مِنَ الْخَوْفِ و کونه شیئا، إما باعتبار أنه لا یمتد، و إنما الخوف فی زمان یسیر، و إما باعتبار أنه لا یبلغ الخوف- غالبا- أشـده وَ الْجُوعِ و لم یـذکر العطش لأن الماء غالبا متوفر وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ المبذولهٔ فی الحرب، أو ما ینهب منها فی التصادم، أو الضـیق الاقتصادی، أو ما أشـبه وَ نقص من الْأَنْفُسِ ممن یقتل فی سبیل اللّه وَ نقص من الثَّمَراتِ بسبب النهب، أو الحصـاد قبـل أوانه من أجل الأعـداء، کما وقع فی قصـهٔ الخنـدق حیث أمر النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم المسـلمین أن یحصـدوها، لئلاـ ینتفع بهـا المشـرکون- کمـا فی بعض التواریـخ- أو بأسـباب أخر وَ بَشِّرِ یـا رسـول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم الصَّابِرِینَ فی هذه المکاره.

[۱۵۷] الَّذِینَ إِذا أَصـابَتْهُمْ مُصِیبَةٌ قـالُوا إِنَّا لِلَّهِ أی إنـا مملوکون له سـبحانه وَ إِنَّا إِلَیْهِ راجِعُونَ فهو مرجعنا و معه حسابنا و جزاؤنا، و فی هذه

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۲۰۰

تقریب القرآن إلی الأذهان ج۱ ۲۴۹

[سورهٔ البقرهٔ (۲): الآیات ۱۵۷ الی ۱۵۸]

أُولئِکَ عَلَیْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (۱۵۷) إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَیْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَیْهِ أَنْ یَطَّوَّفَ بِهِما وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَیْراً فَإِنَّ اللَّهَ شاکِرٌ عَلِیمٌ (۱۵۸)

الجملهٔ تسـلیهٔ للمصاب، إذ اعتراف الإنسان بأن کل شـیء له إنما هو للّه، یهوّن ذهاب بعضـها، فإن صاحب المال أخذه، کما أن اعتقاد الشـخص، بأن اللّه هو الذی یجازی یهوّن الأمر، فإن ما فقده سوف یعوّض و لذا من کرر هذه الجملهٔ فی المصـیبهٔ عارفا معناها متوجها إلی اللّه سبحانه، فی التسلیم و الرضا، یجد برد الاطمئنان فی قلبه.

[۱۵۸] أُولئِکَ عَلَیْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ و الصـلوات هی العطف، فإن صـلی بمعنی عطف، و هی من اللّه التوجه بالبرکـهٔ و الإحسان وَ رَحْمَةٌ ترحم فی الـدنیا و الآخرهٔ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ الـذین اهتـدوا إلی واقع الأمر مما ینفع دنیاهم و عقباهم، فبـذلوا ما بـذلوا فی سبیل اللّه راضین مرضین.

[۱۵۹] و حيث ألمع سابقا إلى الجهاد، أتى الإلماع إلى الحج، فإنهما صنوان فى التعداد و المشقة- فى الجملة- فقال سبحانه إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ و هما جبلان قرب المسجد الحرام مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ جمع شعيرة، و هى مشتقة من اللباس الملتصق بشعر البدن، فكل شيء مرتبط بشيء ارتباطا وثيقا يدل عليه يكون من شعائره، فالمراد أن هذين الجبلين من الأمور المرتبطة باللّه سبحانه، حيث جعلهما محلا لعبادته بالسعى بينهما فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أى قصد البيت الحرام، و الحج القصد أَوِ اعْتَمَرَ و العمرة هى الزيارة أخذ من العمارة، لأن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۰۱

[سورة البقرة (۲): آية ۱۵۹]

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (۱۵۹)

الزائر يعمر المكان بزيارته، و الحج و العمرة عملان من أعمال الحج فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما أى يسعى بينهما، و إنما عبر ب «لا جناح» لأن المسلمين تحرجوا من الطواف بهما ظنا منهم أنه من عمل المشركين، حيث كان على الصفا صنم يسمى «أساف» و على المروة صنم يسمى «نائلة» فهو ترخيص فى مقام توهم الحصر، و من المعلوم أن الإباحة فى مقام توهم الحصر، و النهى فى مقام توهم الوجوب، لا يدلان على مفادهما الأولية، لأنه لإثبات أصل الطرف الآخر، لا خصوصيته الإباحية و التمويمية وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً أى أتى بخير من الأعمال و الأفعال تطوعا، و التطوع التبرع بالشيء من الطوع بمعنى الانقياد فَإِنَّ اللَّهَ شاكِرٌ لعملهم و معنى شكره تقديره و جزائه للعامل عَلِيمٌ بأعمالهم، فلا يفوته شيء منها.

[۱۶۰] لعل ارتباط هذه الآية بما ورد قبلها، أن اليهود و النصارى لم يفعلوا مثل ما فعل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حول الصفا و المروة، فالرسول أبطل كل شيء حول الحج، و أقام كل حق فيه، فالصفا و المروة، حيث كانا حقا أثبتهما الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و إن ظن الناس أنهما من الباطل، لكن أهل الكتاب حشروا كل ما أتى به الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- مما عرفوه حقا- فى زمرة الباطل، و لذا صار الكلام السابق، فاتحة للتعريض بهم، فهو مثل أن يقول أحد أنا اعترفت بالحق، لكنه لم يعترف بما علم من الحق، و اللّه أعلم بموارده إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ فيخفون الأدلة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۰۲

[سورة البقرة (۲): الآيات ۱۶۰ الى ۱۶۱]

إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُوا فَأُولئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (۱۶۰) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (۱۶۱)

الدالة على حقية الإسلام، مما نزلت فى الكتب السالفة وَ الْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أى يكتمون الهدى الذى يرونه، و إن لم يكن منزلا و بيّنا أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ يبعدهم عن الخير فى الدنيا و فى الآخرة، بتضييق الأمور عليهم هنا و العذاب هناك وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ الذين يأتى منهم اللعن من الناس و الملائكة و الجن.

[۱۶۱] إِلَّا الَّذِينَ تابُوا منهم و اتبعوا الحق و أظهروه وَ أَصْلَحُوا ما فسد من عقائدهم و أعمالهم وَ بَيَّنُوا للناس ما أنزله اللّه من الهدى و البينات فَأُولئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ فالتوبة معناها الرجوع، و رجوع اللّه بمعنى إعادة الإحسان و الرحمة عليهم بعد انقطاعها عنهم بسبب كفرهم و كتمانهم وَ أَنَا التَّوَّابُ أى كثير الرجوع، فإن العاصى إذا عصى ألف مرة و رجع ألف مرة قبلت توبته، إذا تاب توبة نصوحا الرَّحِيمُ بالعباد.

[۱۶۲] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا و لم يتوبوا وَ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ بالعقائد الصحيحة أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ فإن الكل يلعنون الظالم، و الكافر ظالم، فإنه و إن لم يقصده اللاعن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۰۳

[سورة البقرة (۲): الآيات ۱۶۲ الى ۱۶۴]

خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ (۱۶۲) وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ (۱۶۳) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۱۶۴)

بالذات، لكنه داخل فى عموم اللعن.

[۱۶۳] خالِدِينَ فِيها أى فى تلك اللعنة، إذ لعنة الدنيا تتصل بلعنة الآخرة لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ إذ لا أمد لعذاب اللّه بالنسبة إلى الكافرين وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ فلا ينظر أحد إليهم نظرة رحمة و إحسان، أو لا يمهلون للاعتذار، أو لا يؤخر عنهم العذاب.

[۱۶۴] و لما تقدم حال الكافر صار السياق لبيان التوحيد، و الأدلة على الوحدانية وَ إِلهُكُمْ أيها الناس إِلهٌ واحِدٌ لا شريك له لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الموصوف ب الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ لا كما يصور الإله بعض الكتب السماوية من أنه إله انتقام و غضب و عذاب.

[۱۶۵] إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ بهذا النظام البديع و الترتيب الرائع وَ الْأَرْضِ بهذا الأسلوب المنظم المتكامل وَ فى اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ يأتى أحدهما عقب الأخر خليفة، لتنظيم الحياة على الأرض بأجمل صورة وَ فى الْفُلْكِ السفينة الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ فى أسفارهم و تجارتهم وَ فى ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ جهة العلو مِنْ ماءٍ ببيان «ما» فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۰۴

[سورة البقرة (۲): آية ۱۶۵]

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذابِ (۱۶۵)

بالإنبات بَعْدَ مَوْتِها أى جمودها و ركودها وَ بَثَّ أى نشر و فرق فِيها أى فى الأرض مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ تدب و تتحرك على وجه الأرض، و كلمة «بث» عطف على «أحيا» أى كان المطر سببا لإحياء الأرض، و انتشار الحيوانات فيها، إذ لو لا المطر لم يكن للحيوان ماء، و لا طعام فيهلك، و لم يبق له نسل وَ فى تَصْرِيفِ الرِّياحِ أى صرفها و نقلها من مكان إلى مكان لتروح و تذهب بالأمراض و العفونات، و تنقل السحاب من هنا إلى هناك، و لو كانت الريح راكدة لم تنفع أى شىء وَ فى السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ فإنه بما يكونه من أطنان من الماء، يبقى معلقا بين الجهتين، و يسير إلى كل ناحية لَآياتٍ و علامات دالة على اللّه، و وحدته و سائر صفاته لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ و يعملون عقولهم فى استفادة النتائج من المقدمات و المسبب عن الأسباب، و ينتقلون من العلم بالمعلول إلى العلم بالعلة.

[۱۶۶] وَ مِنَ النَّاسِ أى بعضهم مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أى غير اللّه أَنْداداً جمع ند، بمعنى الأشباه، و المراد بذلك آلهة يجعلها شبيهة للّه فى أنه يعبدها، و هى الأوثان يُحِبُّونَهُمْ أى يحب هؤلاء الناس

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۰۵

[سورة البقرة (۲): آية ۱۶۶]

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ (۱۶۶)

تلك الآلهة، و إنما أتى بجمع العاقل لكونها ردفت مع اللّه سبحانه، و القاعدة تغليب الرديف على رديفه كقوله تعالى مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ «۱» و قوله وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ «۲» كَحُبِّ اللَّهِ أى كحبهم للّه، أو حبا شبيها بما يستحق اللّه، و على الأول، فالمراد بهم المشركون الذين يعتقدون باللّه وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ من حب هؤلاء لأوثانهم، فالمؤمنين حيث يعرفون أن كل خير من اللّه يحبونه حبا بالغا وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً يعنى لو يرون هؤلاء المشركين يوم القيامة كون القوة جميعا لرأوا مضرة فعلهم، و سوء عاقبة شركهم، و حذف جواب لو، تهويلا للأمر، كما تقول لعدوك: لو ظفرت بك وَ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذابِ عطف على «أن القوة».

[۱۶۷] إن الرؤية من الظالم للعذاب، إنما يكون إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا من القادة مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا و هم التابعون لهم وَ رَأَوُا جميعا

(۱) النور: ۴۶.

(۲) آل عمران: ۴۴.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۲۰۶

[سورة البقرة (۲): الآیات ۱۶۷ الی ۱۶۸]

وَ قالَ الَّذِینَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا کَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ کَما تَبَرَّؤُا مِنَّا کَذلِکَ یُرِیهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَیْهِمْ وَ ما هُمْ بِخارِجِینَ مِنَ النَّارِ (۱۶۷) یا أَیُّهَا النَّاسُ کُلُوا مِمَّا فِی الْأَرْضِ حَلالاً طَیِّباً وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّیْطانِ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ (۱۶۸)

الْعَذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ أی فیما بینهم الْأَسْبابُ فما کان فی الدنیا یسبب وصلة بعضهم لبعض من المال و الرئاسة و القرابة و الحلف و أشباهها، تنقطع هناک، فلا داعی لنصرة الرؤساء أتباعهم الذین کانوا یتبعونهم فی الدنیا.

[۱۶۸] وَ قالَ الَّذِینَ اتَّبَعُوا إی التابعین لرؤسائهم لَوْ أَنَّ لَنا کَرَّةً أی یا لیت لنا عودة إلی دار الدنیا فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ أی من هؤلاء الرؤساء کَما تَبَرَّؤُا مِنَّا هنا فی القیامة حال حاجتنا إلی العون کَذلِکَ أی هکذا یُرِیهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ أی أعمال کل من التابعین و المتبوعین حَسَراتٍ عَلَیْهِمْ فإن صلاتهم و أعمالهم، کلها ذهبت أدراج الریاح، فیتحسرون لماذا لم یعملوا بأوامر اللّه سبحانه وَ ما هُمْ بِخارِجِینَ مِنَ النَّارِ فإن المشرک یبقی فی النار إلی الأبد، إن تمت علیه الحجة و عاند.

[۱۶۹] و إذ تم الکلام حول العقیدة، توجه إلی الحیاة التی هی مقصد الإنسان، و إلیها یرجع کثیر من حرکته و سکونه یا أَیُّهَا النَّاسُ کُلُوا مِمَّا فِی الْأَرْضِ من نباتها و حیوانها و مائها و معدنها حَلالًا طَیِّباً أی فی حال کون المأکول حلالا طیبا، إلا ما حرم منه، و فی قوله «طیبا»

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۲۰۷

[سورة البقرة (۲): الآیات ۱۶۹ الی ۱۷۰]

إِنَّما یَأْمُرُکُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَی اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۱۶۹) وَ إِذا قِیلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَیْنا عَلَیْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ کانَ آباؤُهُمْ لا یَعْقِلُونَ شَیْئاً وَ لا یَهْتَدُونَ (۱۷۰)

إشارة إلی أن کل حلال طیب، و لیس فیه خبث یوجب انحراف الصحة، أو انحراف الخلق وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّیْطانِ فکأن الشیطان یخطو نحو الآثام، و من أثم کأنه تتبع خطواته إذ مشی خلفه إِنَّهُ أی الشیطان لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ أی عدوا ظاهرا.

[۱۷۰] إِنَّما یَأْمُرُکُمْ بِالسُّوءِ أی الأعمال السیئة وَ الْفَحْشاءِ و هی الأعمال السیئة للغایة، فهو مشتق من الفحش، بمعنی التعدی وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَی اللَّهِ أی تنسبوا إلی اللّه ما لا تَعْلَمُونَ من العقائد و الأحکام، و عدم العلم هنا أعم من العلم بالعدم، کما قال سبحانه أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِما لا یَعْلَمُ «۱».

[۱۷۱] وَ إِذا قِیلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ من الأحکام و سائر الوحی قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَیْنا عَلَیْهِ آباءَنا أی وجدنا علیه آباءنا من التقالید، فأنکر اللّه ذلک علیهم بالاستفهام الإنکاری، بقوله أَ وَ لَوْ کانَ آباؤُهُمْ لا یَعْقِلُونَ شَیْئاً من أمور الدین و الدنیا وَ لا یَهْتَدُونَ إلی الحق فإذا

(۱) الرعد: ۳۴.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۲۰۸

[سورة البقرة (۲): الآیات ۱۷۱ الی ۱۷۳]

وَ مَثَلُ الَّذِینَ کَفَرُوا کَمَثَلِ الَّذِی یَنْعِقُ بِما لا یَسْمَعُ إِلَّا دُعاءً وَ نِداءً صُمٌّ بُکْمٌ عُمْیٌ فَهُمْ لا یَعْقِلُونَ (۱۷۱) یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُلُوا مِنْ

طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣)

ظهر لكم أن آباءكم لا يعلمون، فكيف تتبعونهم.

[١٧٢] ثم بين اللّه سبحانه، أن هؤلاء الكفار لعنادهم و تعصبهم، قد غلقت منافذ السمع و البصر عنهم، فلا يفيد فيهم وعظ و لا تذكير وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بعد ما يروا الآيات، و يسمعوا نداءك يا رسول اللّه كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ أي يرفع صوته بِما أي بالحيوان الذي لا يَسْمَعُ و لا يفهم الكلام، و إنما يسمع إِلَّا دُعاءً وَ نِداءً فالحيوان، إذا صحت به، لا يفهم من كلامك إلا مجرد الدعوة و النداء، فهؤلاء الكفار كذلك، إذ لا ينتفعون بكلامك أبدا، فهم صُمٌّ جمع أصم بُكْمٌ جمع أبكم عُمْيٌ جمع أعمى، فإنهم و لو كانت لهم آذان و ألسنة و عيون، لكنها كالمعطلة، لأنها لا تؤدي وظيفتها فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ [١٧٣] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ تكرارا لما تقدم لإلحاق مسألتي الشكر و المحرمات به وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ و لا تشكروا سائر الآلهة، كالمشركين الذين يزعمون أنهم يمطرون بالأنواء، و يرزقون بالآلهة المزعومة.

[١٧۴] إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ و هي التي لم تذبح على النحو الشرعي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٠٩

[سورة البقرة (٢): آية ١٧۴]

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولئِكَ ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (١٧۴)

وَ الدَّمَ و هو و إن كان مطلقا، إلا إنه مقيد بالمسفوح لقوله سبحانه إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً «١» وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ و خص اللحم بالكلام، و إن كانت جملته محرمة، لأن اللحم هو المعظم المقصود في الغالب وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ الإهلال في الذبيحة رفع الصوت بالتسمية، و قد كان المشركون عند ذبحهم، يرفعون أصواتهم بتسمية الأوثان، فنهى اللّه سبحانه عن أكل ذبيحة ذكر غير اسم اللّه عليها فَمَنِ اضْطُرَّ بصيغة المجهول، فإن «اضطر» متعد من باب الافتعال، و حيث لم يكن المقصود، سبب الاضطرار، ذكر مجهولا غَيْرَ باغٍ أي لم يكن باغيا و طالبا للذة في أكله و شربه وَ لا عادٍ أي متعد في الأكل و الشرب، عن حد الضرورة، أو غير باغ على إمام المسلمين، و لا عاد بالمعصية طريق المحقين فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ في تناول هذه المحرمات إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يستر العصيان إذا اضطر إليه، فغفر بمعنى ستر، و ستر العصيان، عدم المؤاخذة به رَحِيمٌ بكم، و لذا جاز تناول المحرم في حال الاضطرار.

[١٧۵] إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ و هم اليهود و النصارى الذين كانوا يكتمون العقائد الحقة الموجودة في كتابهم، و ينسبون إلى

---

(١) الأنعام: ١۴۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢١٠

[سورة البقرة (٢): آية ١٧۵]

أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى وَ الْعَذابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧۵)

الكتاب أحكاما لم توجد فيه، كما قال سبحانه قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «١» و لعل ارتباط هذه الآية بما قبلها من جهة الأمور التي كانوا يحرمونها، و لم يكن في كتبهم تحريم لها وَ يَشْتَرُونَ بِهِ أي بهذا الكتاب ثَمَناً قَلِيلًا من رئاسة الدنيا و أموالها، فإنها قليل بالنسبة إلى الآخرة أُولئِكَ ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ أي لا يجرون إلى بطونهم و لعل ذكر في بطونهم للاحتراز عن الأكل في بطن الغير، فإن العرب تقول شبع فلان في بطنه، إذا أكله بنفسه، و تقول شبع فلان في بطن غيره، إذا أكله من يتعلق به إِلَّا النَّارَ فإن ما أكلوه

ینقلب نارا تحرق بطونهم فی جهنم وَ لا یُکَلِّمُهُمُ اللَّهُ یَوْمَ الْقِیامَةِ فیهملهم لیذوقوا الهوان جزاء ما فعلوا وَ لا یُزَکِّیهِمْ أی لا یطهرهم عن الآثام، فإن البطن إذا ملیء حراما یقسو، فلا یهتدی حتی یتزکی الإنسان و یتطهر وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ مؤلم.

[۱۷۶] أُولئِکَ الذین یکتمون ما أنزل اللّه هم الَّذِینَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدی أی عوض الهدایة، فکأن نفس الإنسان ثمن لأحد أمرین الضلالة و الهدایة، فهم أعطوا أنفسهم، و اشتروا الضلالة عوض أن

---

(۱) آل عمران: ۹۴.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۲۱۱

[سورة البقرة (۲): الآیات ۱۷۶ الی ۱۷۷]

ذلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِی الْکِتابِ لَفِی شِقاقٍ بَعِیدٍ (۱۷۶) لَیْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَکُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لکِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلائِکَةِ وَ الْکِتابِ وَ النَّبِیِّینَ وَ آتَی الْمالَ عَلی حُبِّهِ ذَوِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینَ وَ ابْنَ السَّبِیلِ وَ السَّائِلِینَ وَ فِی الرِّقابِ وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَی الزَّکاةَ وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَ الصَّابِرِینَ فِی الْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِینَ الْبَأْسِ أُولئِکَ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (۱۷۷)

یشتروا الهدایة وَ اشتروا الْعَذابَ بِالْمَغْفِرَةِ فعوض أن یشتروا المغفرة لأنفسهم اشتروا العذاب فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَی النَّارِ تعجب عن صبرهم علی النار التی هی عاقبة عملهم، أی کیف أنهم یصبرون علی النار حینما فعلوا ما عاقبته النار.

[۱۷۷] ذلِکَ العذاب، إنما توجه إلیهم بسبب أن اللَّهَ نَزَّلَ الْکِتابَ أی التوراة بِالْحَقِّ وَ إِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِی الْکِتابِ بکتمان بعضه و إظهار بعض لَفِی شِقاقٍ و خلاف عن الحق بَعِیدٍ فهم إنما استحقوا العذاب، لأنهم خالفوا الحق، و کتموا ما لزم إظهاره، و من المحتمل أن یکون المراد بالکتاب «القرآن» أی أن عذابهم بسبب کتمانهم کون القرآن حقا و اختلافهم فیه، بأنه سحر و کهانة أو کلام بشر.

[۱۷۸] لَیْسَ الْبِرَّ کل البر أیها الیهود المجادلون حول تحویل القبلة الصارفون أوقاتکم فی هذه البحوث العقیمة أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَکُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ فإن ذلک أمر فرعی مرتبط بتکلیف اللّه سبحانه، و قد کلفنا أن نصرف الوجوه إلی الکعبة وَ لکِنَّ الْبِرَّ فعل، أی و لکن ذا البر مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ فذلک هو الأصل الذی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۲۱۲

یتفرع علیه أحکام الصلاة و غیرها وَ آمن ب الْمَلائِکَةِ وَ الْکِتابِ المنزل من عند اللّه علی أنبیائه وَ آمن ب النَّبِیِّینَ کلهم أولهم و أوسطهم و أخرهم وَ آتَی الْمالَ أی أعطاه و أنفقه عَلی حُبِّهِ أی مع أنه یحبه، أو علی حب اللّه تعالی ذَوِی الْقُرْبی أی قراباته و أرحامه وَ الْیَتامی الذین مات أبوهم وَ الْمَساکِینَ الذین لا یجدون النفقة لأنفسهم و أهلیهم وَ ابْنَ السَّبِیلِ الذی انقطع فی سفره، فلا مال له یوصله إلی أهله و مقصده، و سمی ابن السبیل، لعدم معرفة أبیه و عشیرته وَ السَّائِلِینَ من الفقراء الذین یسألون الناس وَ آتی المال فِی فک الرِّقابِ أی اشتراء العبید أو إعتاقهم، حتی یتحرروا عن ربق العبودیة وَ أَقامَ الصَّلاةَ أی أداها علی حدودها وَ آتَی الزَّکاةَ الواجبة و المستحبة وَ الْمُوفُونَ الذین یفون بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا سواء کان عهدا مع اللّه کالنذر و البیعة، أو مع الناس کالعقود، و هذا عطف علی قوله «من آمن» وَ الصَّابِرِینَ عطف علی من آمن علی طریق القطع بتقدیر المدح، کما قال ابن مالک:

و اقطع أو اتبع أن یکن معینابدونها أو بعضها اقطع معلنا

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۲۱۳

[سورة البقرة (۲): آیة ۱۷۸]

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِصاصُ فِی الْقَتْلی الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثی بِالْأُنْثی فَمَنْ عُفِیَ لَهُ مِنْ أَخِیهِ شَیْءٌ فَاتِّباعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَداءٌ إِلَیْهِ بِإِحْسانٍ ذلِکَ تَخْفِیفٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ رَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدی بَعْدَ ذلِکَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِیمٌ (۱۷۸)

و ارفع أو انصب إن قطعت مضمرامبتدءا أو ناصبا لن يظهرا

فإن عادة العربى أن يتفنن بالقطع رفعا و نصبا إذا طالت الصفات تقليلا للكلل و تنشيطا للذهن بالتلون فى الكلام فِي الْبَأْساءِ البؤس الفقر وَ الضَّرَّاءِ و المضر الموجع و العلة و كل ضرر وَ حِينَ الْبَأْسِ أى الصابرين حين القتال أُولئِكَ الموصوفون بهذه الصفات هم الَّذِينَ صَدَقُوا فى نياتهم و أعمالهم، لا من يجادل فى أمر كتحويل القبلة وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ الخائفون من اللّه سبحانه، و فى هذه الآية الكريمة إلماح إلى حال كثير من الناس حيث يتركون المهام و يناقشون فى أمر غير مهم عنادا و عصبية.

[۱۷۹] و حيث ذكر سبحانه ما هو البر عقبه ببعض الأحكام التى ينبغى لأهل البر المؤمنين باللّه و اليوم الآخر المتصفين بتلك الصفات أن يلتزموا بها يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ و معنى كتابته تشريعه إذ الشرائع تكتب فِي الْقَتْلى جمع قتيل، فقد ورد أنها نزلت فى حيين من العرب لأحدهما طول على الأخر، و كانوا يتزوجون نساء بغير حلال، و أقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم، و بالمرأة منا الرجل منهم، و بالرجل منا الرجلين منهم، و جعلوا جراحاتهم على الضعف من جراح أولئك، حتى جاء الإسلام، و أبطل تلك الأحكام، ف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۱۴

[سورة البقرة (۲): آية ۱۷۹]

وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (۱۷۹)

الحر بمقابل الحر يقتل لا مقابل العبد وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثى تقتل بمقابل الأنثى لا الذكر يقتل فى قبال الأنثى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ بأن عفى الأخ الولى للمقتول عن قتل القاتل، و بدله بالدية، أو عفى عن بعض الدية، و بقى بعضها الأخر فالواجب على الطرفين، مراقبة اللّه فى الأخذ و الإعطاء، فمن طرف الولى للمقتول فَاتِّباعٌ للقاتل بِالْمَعْرُوفِ بأن لا يشدد فى طلب الدية، و من طرف القاتل وَ أَداءٌ إِلَيْهِ أى إلى العافى بِإِحْسانٍ من غير مطل و تصعيب ذلِكَ الحكم فى باب القتيل بالمماثلة، أولا، و التخيير بين القتل و الدية و العفو ثانيا تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ عليكم وَ رَحْمَةٌ منه بكم، و فى المجمع أنه كان لأهل التوراة القصاص أو العفو، و لأهل الإنجيل العفو و الدية فَمَنِ اعْتَدى عن الحكم المقرر بَعْدَ ذلِكَ الذى قررناه من الأحكام فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ مؤلم فى الدنيا و الآخرة.

[۱۸۰] وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ فى باب القتل، بأن يقتل القاتل عمدا حَياةٌ للمجموع، لأن كل من افتكر إنه لو قتل قتل ارتدع إلا النادر، و أيضا إن القصاص يوجب عدم تعدى أولياء المقتول على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۱۵

[سورة البقرة (۲): آية ۱۸۰]

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (۱۸۰)

أقرباء القاتل، بأن يقتلوا منهم عددا كثيرا، كما كان هو المتعارف فى زمان الجاهلية، حتى ربما فنيت القبيلة لأجل قتيل واحد يا أُولِي الْأَلْبابِ جمع لب، بمعنى العقل، أى يا أصحاب العقول لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ القتل، أى شرع القصاص، حتى تتقون من القتل.

[۱۸۱] و حيث ألمح القرآن الحكيم إلى حكم القتل، أشار إلى ما يرتبط به من الوصية، فقال كُتِبَ عَلَيْكُمْ كتابة راجحة، فإن الكتابة تشمل الواجب و المندوب، و الوصية مندوبة، إلا إذا وجبت بالعارض إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ بأن رأى مقدماته من مرض و هرم و نحوهما إِنْ تَرَكَ خَيْراً أى مالا فإذا لم يترك الخير، لا داعى للوصية و إن كانت مستحبة أيضا، لكنها ليست مثل تأكيد من ترك الخير الْوَصِيَّةُ نائب فاعل «كتب» لِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ أى الأقرباء بِالْمَعْرُوفِ بأن يوصى لوالديه و أقربائه، و لو كانوا وراثا، شيئا من الثلث، و هذا يوجب نشر الألفة و المحبة أكثر فأكثر، و إنما قيده بالمعروف، حتى لا يوصى بما يوجب إثارة الشحناء، كأن يترك الأقرب، و يوصى للأبعد، أو يفضل بعضا على بعض بما يورث البغضاء، و المراد بالمعروف، الذى يعرف أهل التميز، إنه لا جور فيه و لا حيف، و هذه الوصية تكون حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ الذين يؤثرون التقوى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۱۶

[سورة البقرة (۲): الآيات ۱۸۱ الى ۱۸۲]

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ ما سَمِعَهُ فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۱۸۱) فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۸۲)

[۱۸۲] فَمَنْ بَدَّلَهُ أى بدل الإيصاء و غيّره و زوّره بَعْدَ ما سَمِعَهُ أى علمه، فالسماع يستعمل بمعنى العلم فَإِنَّما إِثْمُهُ أى إثم التبديل عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ و ليس إثم على الذى يأكل المال إرثا بغير علم، و الذى يأكله زيادة على حصته، من غير علم فإن الغالب، أن يبدل الجيل الأول، و يتصرف سائر الأجيال، بلا علم منهم بالتبديل إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لوصاياكم و أقوالكم عَلِيمٌ بنواياكم و تبديلكم، أو تنفيذكم للوصية، و لعل هناك نكتة أخرى فى قوله «فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ» هى أن كثيرا من الناس لا يوصون خوفا من أن يلحقهم إثم التبديل من بعدهم، لأنهم بوصيتهم أعانوا من بدل و مهدوا الطريق له، كما رأيت ذلك متعارفا فى كلام كثير من الناس، حيث يقولون من أوصى ألقى ورثته فى المعصية، فيكف بعضهم عن الوصية، فأشار سبحانه إلى كون هذا الحكم غلطا، فإن الموصى فعل خيرا، و إنما المغير هو الذى يتحمل الإثم.

[۱۸۳] ثم استثنى سبحانه عن حرمة تبديل الوصية، بأنه إنما يكون حراما، إذا كان تغيرا من حق إلى باطل، أما إذا كان من باطل إلى حق، فلا إثم فى التغيير فَمَنْ خافَ و خشى مِنْ مُوصٍ أى الذى يوصى جَنَفاً أى ميلا عن الحق إلى الباطل، بأن أوصى أزيد مما يحق له الإيصاء به أَوْ إِثْماً بأن حرم ورثته بإيصائه، و فى الحديث أن الإثم الخطأ عن عمد، و الجنف الخطأ لا عن عمد فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ أى بين الورثة و الموصى، و الموصى له، بأن رد الزائد إلى الورثة، و أبطل ما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۱۷

[سورة البقرة (۲): الآيات ۱۸۳ الى ۱۸۴]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (۱۸۳) أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۱۸۴)

فيه الإثم فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ أى على المبدل للوصية إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ بمن يأثم، فكيف بمن لا يأثم، و قد ثبت فى الشريعة إن الوصية بما زاد على الثلث لا تنفذ إلا برضى الورثة «۱».

[۱۸۴] ثم انتقل السياق إلى حكم آخر من أحكام الإسلام- لما ذكرنا من أن القرآن الحكيم، بعد بيان أصول التوحيد، ذكر جملة من الأحكام- فقال سبحانه، يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ فإنه مفروض عليكم، فيجب عليكم أن تصوموا كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ فلستم أنتم وحدكم أمرتم بالصيام، بل كان الصوم شريعة فى الأديان السابقة أيضا لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ النار بصيامكم، فالصائم حيث يحس بالجوع و العطش و الضعف يتذكر اللّه سبحانه فيخبت قلبه و تضعف فيه قوى الشر، و ترق نفسه و تصفو روحه، و كل ذلك سبب للتقوى و ترك المعاصى.

[۱۸۵] أَيَّاماً أى إن الصيام فى أيام مَعْدُوداتٍ أى محصورات، فليست أيام كثيرة لا- تعد، و إنما هى ثلاثون يوما فقط- و فيه تسلية للصائم- و ليس الصيام على كل أحد فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً مرضا

---

(۱) راجع موسوعة الفقه: ج ۸۲ و ۸۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۱۸

يضره الصوم أَوْ عَلى سَفَرٍ فقد شبه السفر بمركوب لغلبة الركوب فيه، و حد السفر معين فى الشريعة فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ أى فليصم فى

أيام أخر غير شهر رمضان، قضاء لما فاته بالمرض أو السفر وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ أى يطيقون الصيام، بأن يكون آخر طاقاتهم و ذلك موجب للعسر، كما لا يخفى، إذ آخر الطاقة عسر، أو أن الذى يطيق الصوم كان فى أول الشريعة مخيرا بين الصيام و الإطعام، ثم وجب الصوم وحده، و ذلك للتدرج بالأمة فِدْيَةٌ أى الواجب عليهم الفداء بدل الصوم طَعامُ مِسْكِينٍ واحد و هو مد من الطعام فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً بأن زاد على طعام المسكين فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا أيها المطيقون، الذى يبلغ الصوم طاقتكم خَيْرٌ لَكُمْ من الإطعام، فالإنسان إما أن يضره الصوم ضررا بالغا، و هو الذى تقدم أن يفطر و يأتى بعدة من أيام أخر، و إما أن يشق عليه إلى حد العسر، و هو الذى يبلغ منتهى طاقته، و هذا يخير بين الصيام و الإطعام و إن كان الصيام خير، و إما أن لا يشق عليه و هو الذى يجب عليه الصيام معينا مما بين فى الآية التالية إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لعلمتم أن الصيام خير لما فيه من الفوائد التى ليست فى الإطعام، و ليس مفهومه، إن لم تكونوا تعلمون، فليس الصوم خير، بل المفهوم إن لم تكونوا تعلمون، لم تعلموا إن الصوم خير.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۱۹

[سورة البقرة (۲): آية ۱۸۵]

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۱۸۵)

[۱۸۶] الأيام المعدودات المفروض فيها الصيام هى شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ مما زاد فى عظمته و حرمته، إذ صار زمانا للنزول أعظم دستور للبشرية إلى الأبد فى حال كون القرآن هُدىً لِلنَّاسِ يهديهم إلى الحق و إلى صراط مستقيم وَ بَيِّناتٍ أى أمور واضحات مِنَ جنس الْهُدى فليس هدى غامضا يحتاج إلى إثبات و دليل، بل واضح لائح، و من الهدى بيان لبينات، إذ يمكن أن يكون شيئا بينا من حيث الشهادة، أو المعاملة أو نحوها وَ من الْفُرْقانِ أى يفرق بين الحق و الباطل و الضلال و الرشاد فَمَنْ شَهِدَ أى حضر و لم يغب بالسفر مِنْكُمُ الشَّهْرَ أى شهر رمضان فَلْيَصُمْهُ إيجابا، و لما كان الحكم عاما استثنى منه بقوله وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ و إنما كرر تمهيدا لقوله يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ و لذا أمركم بالإفطار فى السفر و المرض وَ إنما شرع عدة من أيام أخر لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ أى عدة الشهر، فإن فى صيامه فوائد لا يدركها إلا من أكملها، فإن لم يتمكن من إكمالها فى نفس شهر رمضان أكملها خارجه وَ إنما شرع الصوم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۲۰

[سورة البقرة (۲): آية ۱۸۶]

وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (۱۸۶)

لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ أى تعظموه بسبب هدايته لكم إلى دينه و شريعته، فالصيام سبب قرب النفس إلى اللّه سبحانه، فيأتى منها التكبير عفوا، و فى التأويل، المراد به تكبير ليلة الفطر وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ فالصوم نعمة تستحق الشكر لما فيه من صلاح الدنيا و الدين.

[۱۸۷] و حيث أن من عادة القرآن الحكيم أن يخلل الأحكام نفحة موجهة نحو اللّه تعالى، ليرتبط الحكم بالخالق، و ليشع فى النفس النشاط و العزيمة، أتت أية استجابة الدعاء هنا، بعد طول من بيان الأحكام، ثم يأتى بعدة آيات ترتبط بالأحكام ثانية، بالإضافة إلى أن استجابة الدعاء تناسب شهر رمضان، فإنه شهر دعاء و ضراعة، و

قد ورد أن سائلا سأل النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كيف ندعوا، فنزلت وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ

إليهم، قرب العلم و الإحاطة و السمع و البصر، لا قرب الزمان و المكان و الجهة، فإنه سبحانه منزه عن كل ذلك أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ الذى يدعونى إِذا دَعانِ و لعل فى هذا القيد إفادة أن الإجابة وقت الدعوة مباشرة فإن «إذا» ظرف، و يفيد تكرار كلمة «دعا» لتتركز فى الذهن تركيزا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي أى يطيعونى فى أوامرى و نواهى، إذ من يجيب الدعاء، يستحق أن يستجيب له الإنسان وَ لْيُؤْمِنُوا بِي إيمانا بذاتى و صفاتى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ أى لكى يصيبوا الحق و يهتدوا إليه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٢١

[سورة البقرة (٢): آية ١٨٧]

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا ما كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ وَ لا تُباشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عاكِفُونَ فِي الْمَساجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)

[١٨٨] أُحِلَّ لَكُمْ الطيبات أيها الصائمون لَيْلَةَ الصِّيامِ التى تصومون غدها الرَّفَثُ أى الجماع إِلى نِسائِكُمْ و إنما عدى ب «إلى» لتعليم معنى الإفضاء، أى الانتهاء إلى زوجاتكم بالجماع. و قد

روى عن الصادق عليه السّلام فى سبب نزول هذه الآية أنه قال: كان الأكل محرما فى شهر رمضان بالليل بعد النوم، و كان النكاح حراما بالليل و النهار فى شهر رمضان، و كان رجل من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقال له مطعم بن جبير، أخو عبد اللّه بن جبير الذى كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كله بفم الشعب يوم أحد فى خمسين من الرماة، و فارقه أصحابه و بقى فى أثنى عشر رجلا، فقتل على باب الشعب، و كان أخوه هذا مطعم بن جبير شيخا ضعيفا، و كان صائما فأبطأت عليه أهله بالطعام، فنام قبل أن يفطر، فلما انتبه قال لأهله: قد حرم علىّ الأكل فى هذه الليلة، فلما أصبح حضر حفر الخندق فأغمى عليه، فرآه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فرق له، و كان قوم من الشباب ينكحون بالليل سرا فى شهر رمضان، فأنزل اللّه هذه الآية، فأحل النكاح بالليل فى شهر رمضان و الأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر «١».

هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَ فكما أن اللباس يقى البدن و كما أنه ملاصق بالبدن و محرم عليه، كذلك كل من الزوجين بالنسبة إلى الآخر عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ أيها الصائمون كُنْتُمْ تَخْتانُونَ من الخيانة

---

(١) عوالى اللآلى: ج ٢ ص ٨٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٢٢

أَنْفُسَكُمْ أى كنتم تخونونها بارتكاب المعصية فكأن المرتكب لها يخونها إذ يسبب لها خسارة، و كل خائن كذلك يسبب لمن خانه خسارة فَتابَ عَلَيْكُمْ ما كنتم تأتون به من المحرم فى جماع أهليكم ليلا وَ عَفا عَنْكُمْ بالنسبة إلى هذا الحكم فمن الآن بَاشِرُوهُنَ أى يجوز لكم جماعهن ليلا و الأمر فى مقام نفى لا يفيد إلا الجواز وَ ابْتَغُوا ما كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ من الأولاد و اللذة المحللة الموجبة للثواب، و هذا بالنسبة إلى نسخ الحكم بتحريم الجماع وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا أى يباح لكم الأكل و الشرب من أول المغرب حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ بيان الخيطين أى يتضح الفجر الصادق الذى هو فى وسط الظلام كخيط أبيض قرب خيط أسود ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ بالكف عن المفطرات المذكورة فى الشريعة، من أول الفجر الصادق إِلَى اللَّيْلِ و هو المغرب الشرعى، و هذا بالنسبة إلى نسخ الحكم بتحريم الأكل و الشرب لمن نام قبل أن يفطر وَ لا تُباشِرُوهُنَ أى لا تجامعوا النساء وَ أَنْتُمْ عاكِفُونَ فِي الْمَساجِدِ ليلا أو نهارا و الاعتكاف هو اللبث فى المسجد بقصد العبادة و يشترط فيه الصوم، و أقله ثلاثة أيام بتفصيل مذكور فى الفقه، و من أحكام الاعتكاف حرمة مباشرة النساء ليلا و نهارا تِلْكَ التى ذكرنا من أحكام

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٢٣

[سورة البقرة (٢): آية ١٨٨]

وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَ تُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)

الصيام «١» و غيرها حُدُودُ اللَّهِ التى جعلها لأفعال العباد من الفعل فلا يجوز تركه، و الترك فلا يجوز إقحامه كحدود المدينة و الدار و

نحوهما فَلا تَقْرَبُوها نهى عن الاقتراب، مبالغة فى النهى عن الاقتحام و المخالفة كقوله تعالى وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ «۲» كَذلِكَ أى مثل هذا البيان الواضح الذى بين أحكام الصيام و غيره يُبَيِّنُ اللَّهُ آياتِهِ دلائله و أحكامه لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أى لكى يتقوا معاصيه.

[۱۸۹] ثم انتقل السياق إلى تشريع آخر له مناسبة ما ب «الأكل» الذى دار الحديث حوله فى مسألة الصيام وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ بالغصب و ما أشبه، و كان وجه ذكر كلمة «بينكم» أن الآكلين للغصب و نحوه يتآمرون بينهم فى خفاء حتى يبرروا أكلهم وَ تُدْلُوا الإدلاء أى الإلقاء و الإفضاء أى تلقوا بها أى بتلك الأموال إِلَى الْحُكَّامِ جمع حاكم، بمعنى القضاة بعنوان الرشوة و الهدية ليأخذوا جانبكم فى أكل المال بالباطل لِتَأْكُلُوا علة لتدلوا أى علة إعطائكم الرشوة أن تأكلوا فَرِيقاً

---

(۱) راجع موسوعة الفقه: ج ۳۷ ص ۲۵۱.

(۲) الأنعام: ۱۵۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۲۴

[سورة البقرة (۲): آية ۱۸۹]

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۱۸۹)

أى قسما مِنْ أَمْوالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ بدون حق وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بأن أكلكم و إرشاءكم باطل و إثم.

[۱۹۰] مرت أحكام كلها تحتاج إلى التوقيت من صيام و اعتكاف و محاكمات و غيرها فناسب أن يأتى تشريع الأهلة هنا مع الغض عما تقدم من أن المقصود بيان جملة من الأحكام بعد بيان أصول التوحيد يَسْئَلُونَكَ يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عَنِ الْأَهِلَّةِ و عن سبب اختلاف الهلال فى كل شهر من الهلال إلى البدر ثم إلى الهلال حتى المحاق أو عن فائدة هذا الاختلاف و لماذا لم يكن القمر كالشمس فى الانتظام قُلْ يا رسول اللّه فى جوابهم هِيَ مَواقِيتُ جمع ميقات بمعنى الوقت و الزمان لِلنَّاسِ فى عباداتهم و معاملاتهم وَ ل الْحَجِّ فمن أقرض إلى شهر أو باع ليقبض الثمن، أو يدفع الثمن بعد شهرين، أو أراد الصيام و الإفطار أو الحج فى أشهره لا بد و أن يكون له معلم يستند إليه و لذلك جعل اللّه الأهلة، و هذا الجواب ينطبق على السؤال بناء على الوجه الثانى فى معنى «يسألونك» و أما بناء على الوجه الأول و سؤالهم كان عن سبب اختلاف الأهلة، فإن القرآن أعرض عن جوابهم لأن عقولهم ما كانت تتحمل الجواب الفلكى، و لذا عبر عن ذلك إلى فائدة الأهلة التى هم أحوج إليها، كما فى آية أخرى يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ «۱» حيث أعرض عن جواب ماهية

---

(۱) البقرة: ۲۱۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۲۵

[سورة البقرة (۲): آية ۱۹۰]

وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (۱۹۰)

المنفق أى محل الإنفاق لأن هذا هو الذى يترتب عليه الفائدة و هم بحاجة إليه، و حيث ذكر الحج فى الكلام انتقل السياق إلى ما كان يفعله الجاهليون من أنهم إذا أحرموا لم يدخلوا البيوت من أبوابها و إنما يدخلونها من ظهورها، فنهى عن ذلك، و فى هذا تلميح بأن السؤال عما لا يهمكم من الأهلة، مثل إتيان البيوت من ظهورها و كالأكل من القفا وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا تدخلوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها بأن تنقبوا البيوت و تدخلونها من النقب وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى من اللّه سبحانه بإتيان أوامره و اجتناب نواهيه وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها و لو

فی حال الإحرام وَ اتَّقُوا اللَّهَ فی أوامره و نواهیه لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ أی لکی تفلحوا بالوصول إلی السعادة الدنیویة و الأخرویة.

[۱۹۱] و هنا حکم آخر من أحکام الإسلام الکثیرة و هو القتال و الجهاد، و لقد کان بین هذا الحکم و بین «الحج» المتقدم مناسبة، إذ المشرکون قد منعوا الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن الحج عام الحدیبیة، فکان علی المسلمین أن یستعدوا للجهاد إن اقتضت الظروف وَ قاتِلُوا أیها المسلمون فِی سَبِیلِ اللَّهِ لا لحب السیطرة و الغلبة کما هو شأن ملوک الدنیا و زعمائها بل فی سبیل إعلاء کلمة اللّه التی فیها سعادة البشر الَّذِینَ یُقاتِلُونَکُمْ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۲۲۶

[سورة البقرة (۲): آیة ۱۹۱]

وَ اقْتُلُوهُمْ حَیْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَیْثُ أَخْرَجُوکُمْ وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَ لا تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حَتَّی یُقاتِلُوکُمْ فِیهِ فَإِنْ قاتَلُوکُمْ فَاقْتُلُوهُمْ کَذلِکَ جَزاءُ الْکافِرِینَ (۱۹۱)

لا- کل آمن، فمن ألقی سلاحه، و سکن إلی محله، فإن فی قتاله إیجاد فوضی و اضطراب لا داعی إلیهما وَ لا تَعْتَدُوا إذا قاتلتم من قاتلکم فإن القتال قتال دفاع، فلا معنی للاعتداء و أنتم مرتبطون باللّه الذی تقاتلون لأجله فلا یصح الاعتداء من أمثالکم إِنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ الْمُعْتَدِینَ فهو الذی یأمر بالعدل و الإحسان، فکیف یحب من اعتدی و بغی؟.

[۱۹۲] وَ اقْتُلُوهُمْ أی الذین یقاتلونکم حَیْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ أی وجدتموهم وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَیْثُ أَخْرَجُوکُمْ أی أخرجوهم من مکة کما أخرجوکم منها، فمن قاتلکم قتلتموه و من أخرجکم من دیارکم أخرجتموه جزاء وفاقا وَ الْفِتْنَةُ التی أثارها الکفار بتفتین المسلمین عن دینهم و إلقاء الارتیاب و الشک فی قلوبهم لیجلبوهم إلی حظیرة الکفر بعد أن هداهم اللّه أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ فالقتل یوجب ذهاب الدنیا و الفتنة توجب ذهاب الدین، فمن تقاتلونهم لا یستحقون علیکم أن یهرجوا بأن المسلمین یشهرون السلاح فإنهم یستحقون القتل لأنهم بدأوا بالقتال لأنهم فتنوا، و

روی أنها نزلت فی مسلم قتل کافرا فی الشهر الحرام فعابوا المؤمنین بذلک «۱»

، فبین سبحانه أن الفتنة التی تصدر من الکفار أشد من القتل وَ لا تُقاتِلُوهُمْ أی لا تقاتلوا

(۱) مجمع البیان: ج ۲ ص ۳۰.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۲۲۷

[سورة البقرة (۲): الآیات ۱۹۲ الی ۱۹۳]

فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۹۲) وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّی لا تَکُونَ فِتْنَةٌ وَ یَکُونَ الدِّینُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَی الظَّالِمِینَ (۱۹۳)

الکافرین أیها المسلمون عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أی فی الحرم حَتَّی یُقاتِلُوکُمْ فِیهِ و یبدءوا بالقتال فَإِنْ قاتَلُوکُمْ بدءوکم بالقتال فی الحرم فَاقْتُلُوهُمْ هناک کَذلِکَ الذی مر من وجوب قتال الکفار حیث وجدوا إلی آخر ما ذکر جَزاءُ الْکافِرِینَ [۱۹۳] فَإِنِ انْتَهَوْا عن الکفر بأن أسلموا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ یغفر سیئاتهم حتی التی ارتکبوها قبل إسلامهم من القتال فالإسلام یجب ما قبله رَحِیمٌ بعباده المؤمنین.

[۱۹۴] وَ قاتِلُوهُمْ أی الکفار الذین یقاتلوکم لا لأجل القصاص فقط بل حَتَّی لا تَکُونَ فِتْنَةٌ بأن لا یفتن المسلمون عن دینهم وَ یَکُونَ الدِّینُ و الطریقة لِلَّهِ فلا یبقی منهج لسواه بأن ینتصر الحق علی الباطل و هذان هما الغایة من إیجاب الدفاع فَإِنِ انْتَهَوْا عن الکفر فَلا عُدْوانَ أی تعدی بالدفاع و القتال إِلَّا عَلَی الظَّالِمِینَ الباقین علی کفرهم، أی إذا انتهی المعتدون عن الفتنة و التعرض لدین اللّه و التعرض للمسلمین بالأذی و القتال فلا قتال معهم لأن القتال لا یکون إلا مع الظالمین، و سمی «عدوانا» تشبیها کما قال سبحانه فی الآیة المقبلة: «فَمَنِ اعْتَدی عَلَیْکُمْ فَاعْتَدُوا عَلَیْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدی عَلَیْکُمْ».

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۲۲۸

[سورة البقرة (۲): الآيات ۱۹۴ الى ۱۹۶]

الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (۱۹۴) وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۱۹۵) وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَ لا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ ذلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (۱۹۶)

[۱۹۵] الشَّهْرُ الْحَرامُ و هو ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم و رجب سميت هذه الأشهر حراما لتحريم القتال فيها بِالشَّهْرِ الْحَرامِ أى بمقابل الشهر الحرام فمن انتهك حرمة الشهر الحرام بالقتال فيه لم يحرم قتاله بل يقاتل وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ كما أن الجروح قصاص فمن انتهك حرمة اقتص منه فى نفس الشهر أو المكان الذى انتهكت حرمته و لذا يحارب المحارب فى الحرم و فى الشهر الحرام فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ لا أزيد من ذلك و سمى اعتداء لأنه مثل الاعتداء فالتسمية إنما هى بالمجانسة وَ اتَّقُوا اللَّهَ فلا تتجاوزوا الحدود و لا تبالغوا فى القسوة و الانتقام وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ فيأخذ بأيديهم فى الدنيا و يسعدهم فى الآخرة.

[۱۹۶] وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فإن الجهاد يحتاج إلى الإنفاق فى تجهيز الجيش و هو من أعظم السبل وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ أى لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إِلَى التَّهْلُكَةِ بترك الإنفاق للجهاد حتى يتسلط عليكم العدو وَ أَحْسِنُوا فى إنفاقكم و جهادكم و سائر أموركم إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

[۱۹۷] ثم يرجع السياق إلى أحكام الحج الذى ألمح إليه فيما سبق، لأن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۲۹

الحج كان فى مقام صلح الحديبية و حج النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ أى ائتوا بها تماما و كاملا بإتيان مناسكهما قربة إلى اللّه تعالى لا لأجل رياء أو سمعة أو نحوهما فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ بأن منعكم مانع عن الحج بعد ما أحرمتم فعليكم إذا أردتم التحلل عن الإحرام أن تقدموا أو تذبحوا ما اسْتَيْسَرَ أى ما أمكنكم مِنَ الْهَدْيِ الذى قدمتموه إلى اللّه، و الهدى هو البقر أو الإبل أو الغنم وَ لا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ و هو كناية عن التحلل عن الأجسام أى لا تحلقوا حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ الذى قرر فى الشريعة من محل الحصى أو مكة أو منى كما فصل فى الفقه فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً لا يتمكن من أن لا يحلق أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ كأن قمل رأسه فيتأذى من هوائه فلا يتمكن من عدم الحلق فعليه إذا حلق قبل أن يبلغ الهدى محله فدية يقدمها بدل حلقه مِنْ صِيامٍ ثلاثة أيام أَوْ صَدَقَةٍ لستة مساكين أَوْ نُسُكٍ أى شاة يذبحها لأجل تعجيله فى الحلق فَإِذا أَمِنْتُمْ من العدو الصاد و كذلك شفيتم من المرض و زال المانع فَمَنْ تَمَتَّعَ أى استمتع بالطيب و النساء و سائر الملذات التى يحرمها الإحرام بسبب إتيانه الْعُمْرَةَ فإن العمرة تنتهى سريعا فتحل المحرمات إِلَى الْحَجِ أى يكون تمتعه بالملذات إلى أن يحرم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۳۰

للحج فعليه ما اسْتَيْسَرَ أى ما تمكن عليه مِنَ الْهَدْيِ إبل أو بقر أو شاة يجب عليه ذبحها فى منى أيام العيد فَمَنْ لَمْ يَجِدْ الهدى فعليه صيام ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي أيام الْحَجِ من ذى الحجة وَ سَبْعَةٍ أيام إِذا رَجَعْتُمْ إلى بلادكم تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ تكون بدلا عن الهدى ذلِكَ التمتع الذى يكون عمرته مقدمة على حجه فرض لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ من كان فى أطراف الحرم من كل جانب أثنى عشر ميلا أو نحوه على خلاف، أما من كان أهله حاضرى المسجد الحرام بأن كان محله عند أقل من ذلك ففرضه القرآن أو الإفراد و فى كليهما يقدم الحج على العمرة، و الفرق بينهما أن القارن يعقد إحرامه بسوق الهدى دون المفرد وَ اتَّقُوا اللَّهَ فى أحكامه أيها المسلمون وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ فلا تخالفوا أوامره و نواهيه. و الحج يشتمل على فرضين: (عمرة) هى:

«الإحرام و التلبية»، «و الطواف بالبيت»، «صلاة الطواف»، «و السعى بين الصفا و المروة»، «و التقصير». و (حج) هو: «الإحرام»، «و الوقوف بعرفات»، «الوقوف بالمشعر»، «الإفاضة إلى منى»، «رمى جمرة العقبة»، «نحر أو ذبح»، «حلق أو تقصير»، طواف الحج و صلاته و سعى و تقصير و طواف النساء و صلاته «طواف النساء»، «صلاة طواف النساء»، «السعى بين الصفا و المروة»، «طواف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۳۱

[سورة البقرة (۲): آية ۱۹۷]

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِي الْحَجِّ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ (۱۹۷)

الزيارة»، «صلاة طواف الزيارة»، «المبيت بمنى ليلة الحادى عشر و الثانى عشر»، «رمى الجمار الثلاث يومى الحادى عشر و الثانى عشر»، و قد أشار الشيخ البهائى إلى هذه الأعمال فى بيته المشهور

أطرست للعمرة اجعل نهجأو و أرنحط رسطر مر: لحج «۱»

[۱۹۸] الْحَجُّ فى أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ أو أشهر الحج أشهر معلومات و هو شوال و ذو القعدة و ذو الحجة فلا يجوز تأخيره منها كما كان الجاهلون

---

(۱) الالف: الإحرام لعمرة التمتّع عن حجّة الإسلام.

الطاء: طواف العمرة.

الراء: ركعتان صلوات طواف لعمرة التمتّع.

السين: السعى بين الصّفا و المروة عن عمرة التمتع.

التاء: التقصير عن عمرة التمتع لحجّة الإسلام فهناك اعمال العمرة لحجّ التمتع.

الألف: الإحرام لحجّ التمتّع.

الواو الأول: الوقوف بعرفات فى ۹ من ذيحجة لحجّ التمتّع.

الواو الثانى: الوقوف فى مشعر الحرام ليلة العيد الى الصبح لحج التمتع.

الالف: الإفاضة إلى منى يوم العيد.

الراء: رمى جمرة للعقبة فى يوم العيد لحج التمتّع.

النون: نحر إبل أو ذبيحة لحج التمتّع.

الحاء: الحلق فى يوم العيد لحج التمتّع.

الطاء: الطواف عن حجّة الإسلام.

الراء: رمى الجمرات الثلاثة فى يوم الحادى عشر من ذى حجة عن حج التمتّع.

السين: السعى بين الصفا و المروة لحج التمتّع.

الطاء: طواف النساء.

الراء: رمى الجمرات الثلاثة فى يوم الثانى عشر من ذى حجة عن حج التمتّع.

الميم: المبيت فى منى ثلاثة ليال عن حج التمتّع.

و لا يخفى أنّ جملة (مر لحج) التى أتى بها البهائى (رحمه الله) تكون لتكملة الشعر فلا تدخل فيما أردناها من المناسك.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۳۲

[سورة البقرة (۲): آیة ۱۹۸]

لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّکُمْ فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْکُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ وَ اذْکُرُوهُ کَما هَداکُمْ وَ إِنْ کُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّینَ (۱۹۸)

یفعلون حیث یؤخرون الحج، و نزل فیهم إِنَّمَا النَّسِیءُ زِیادَةٌ فِی الْکُفْرِ «۱» فَمَنْ فَرَضَ علی نفسه فِیهِنَّ أی فی هذه الأشهر الْحَجَّ فلیعلم أنه لا رَفَثَ و هو الجماع وَ لا فُسُوقَ و هو السباب و المفاخرة وَ لا جِدالَ قول لا و اللّه و بلی و اللّه فِی الْحَجِّ أی فی حال الإحرام وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فی الحج و غیره یَعْلَمْهُ اللَّهُ و لعل ذکره هنا لکثرة احتیاج الحجاج بعضهم إلی بعض فی مختلف الشؤون فأرید التنبیه بأن کل خیر یصدر من الإنسان إنما هو بعلم اللّه سبحانه فیجازیه علی ذلک وَ تَزَوَّدُوا من الحج زادا للروح فَإِنَّ خَیْرَ الزَّادِ التَّقْوی و هو یحصل بکثرة هائلة فی الحج حیث التجرد و الکف عن الملذات و مقامات الشدائد و الصعوبات، و یحتمل أنها نزلت فیمن لم یکن یأخذ الزاد للحج بادعاء أنه ضیف اللّه ثم لیستعطی فی الطریق فأمر بأخذ الزاد فإنه قرین بالتقوی دون الاستعطاء الذی فیه منقصة و ذلة و حرمة أحیانا وَ اتَّقُونِ أی خافونی فی أعمالکم فلا تغفلوا و لا تترکوا واجبا یا أُولِی الْأَلْبابِ أی یا أصحاب العقول.

[۱۹۹] کانوا یتأثمون بالتجارة فی الحج فنزلت

---

(۱) التوبة: ۳۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۲۳۳

[سورة البقرة (۲): الآیات ۱۹۹ الی ۲۰۰]

ثُمَّ أَفِیضُوا مِنْ حَیْثُ أَفاضَ النَّاسُ وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۹۹) فَإِذا قَضَیْتُمْ مَناسِکَکُمْ فَاذْکُرُوا اللَّهَ کَذِکْرِکُمْ آباءَکُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِکْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ یَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِی الدُّنْیا وَ ما لَهُ فِی الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (۲۰۰)

لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّکُمْ بالاتجار فإنه لیس بمحرم فَإِذا أَفَضْتُمْ منها کما یندفع الماء نحو الوهاد فإن الحجاج یندفعون کالسیل مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْکُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ و هو الموقف الثانی و وقته بین طلوع الفجر و طلوع الشمس من یوم العید وَ اذْکُرُوهُ کَما هَداکُمْ أی بإزاء هدایته سبحانه إیاکم لدینه و ما یسعدکم فی الدنیا و الآخرة وَ إِنْ کُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ أی قبل الهدی لَمِنَ الضَّالِّینَ عن دینه.

[۲۰۰] ثُمَّ أَفِیضُوا من المشعر إلی منی مِنْ حَیْثُ أَفاضَ النَّاسُ من قبلکم إبراهیم علیه السّلام و ذریته وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ اطلبوا غفرانه و عفوه إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ هکذا یقتضی نظم الآیة، لکن ورد أن قریشا لا یقفون بعرفات و لا یفیضون منه و یقولون نحن أهل حرم اللّه فلا نخرج منه فیقفون بالمشعر و یفیضون منه، فأمرهم اللّه أن یقفوا بعرفات و یفیضوا منه کسائر الناس.

[۲۰۱] فَإِذا قَضَیْتُمْ مَناسِکَکُمْ أی أدیتم أعمالکم فالمناسک جمع منسک

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۲۳۴

[سورة البقرة (۲): الآیات ۲۰۱ الی ۲۰۲]

وَ مِنْهُمْ مَنْ یَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِی الدُّنْیا حَسَنَةً وَ فِی الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنا عَذابَ النَّارِ (۲۰۱) أُولئِکَ لَهُمْ نَصِیبٌ مِمَّا کَسَبُوا وَ اللَّهُ سَرِیعُ الْحِسابِ (۲۰۲)

و هو مصدر میمی بمعنی العمل فَاذْکُرُوا اللَّهَ کَذِکْرِکُمْ آباءَکُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِکْراً فإن أهل الجاهلیة کانوا إذا فرغوا من الحج یجتمعون هناک و یعدون مفاخر آبائهم و مآثرهم و یذکرون أیامهم القدیمة و أیادیهم الجسیمة فأمرهم اللّه أن یذکروه عوض ذکرهم آبائهم، بل یجب أن یذکروه أکثر و أحسن من ذکر آبائهم فهو المنعم الحقیقی الذی بیده کل شیء و منه کل خیر، و هنا یکون المجال واسعا لبیان نموذجین من الناس منهم من یرید الآخرة و منهم من یرید الدنیا و لذا قال تعالی: فَمِنَ النَّاسِ مَنْ یَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِی الدُّنْیا أی

أعطنا من نعيمها و رفاهها و سعادتها و لا يسأل نعيم الآخرة لأنه غير مؤمن بها إذ كان الحج قبل الإسلام عامّا للمعتقد و المنكر وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ أى نصيب.

[٢٠٢] وَ مِنْهُمْ أى من الناس مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنا من وقى يقى أى احفظنا من عَذابَ النَّارِ فهو يسأل نعيم الدنيا و نعيم الآخرة و يتعوذ باللّه من النار.

[٢٠٣] أُولئِكَ يسألون خير الدنيا و الآخرة لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا لأنهم يستحقون ثواب أعمالهم بخلاف الطائفة الأولى فإن كفرهم يمنع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣٥

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٠٣ الى ٢٠٤]

وَ اذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُوداتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقى وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ (٢٠٤)

عن ثوابهم وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ فلا يظن الإنسان أن الآخرة بعيدة فإنه لا تمر الأيام و الليالى إلا و الشخص دفين فى التراب و إن طال عمره فى الدنيا.

[٢٠٤] وَ اذْكُرُوا اللَّهَ أيها الحجاج فِي أَيَّامٍ مَعْدُوداتٍ و هى أيام التشريق فى منى فَمَنْ تَعَجَّلَ النفر إلى مكة من منى فِي يَوْمَيْنِ بأن نفر يوم الثانى عشر فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ فإنه يجوز النفر بعد زوال الثانى عشر وَ مَنْ تَأَخَّرَ فى النفر فنفر فى الثالث عشر فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ فيجوز كل من الأمرين لِمَنِ اتَّقى الصيد فى إحرامه و إلا فإن صاد وجب عليه النفر الثانى فلا يجوز أن ينفر فى الثانى عشر وَ اتَّقُوا اللَّهَ فيما أمركم و نهاكم وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ الحشر هو الجمع و المعنى تجمعون إلى حكم اللّه و جزائه يوم القيامة.

[٢٠٥] ثم يلتفت السياق إلى الإنسان طالحه و صالحه، و يبين خصائص البشر، ليعطى درسا لمن أراد الصلاح و الرشاد فيقول سبحانه: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ للباقته و فصاحته و كلامه المعسول فتستحسن كلامه و تصغى إلى بيانه فِي الْحَياةِ الدُّنْيا أما متعلق ب «قوله»، أى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣٦

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٠٥ الى ٢٠٦]

وَ إِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ (٢٠٥) وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ (٢٠٦)

قوله فى شؤون الدنيا معجب، أو متعلق ب «يعجبك» أى أن إعجابك إنما هو فى الدنيا، و الأول أقرب وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ كما هو شأن المنافقين أبدا فإنهم حيث يرون نفاقهم يظنون أن الناس مطلعون على سرائرهم فيؤكدون بأنهم مخلصون و أن ما فى قلبهم يطابق ما على لسانهم وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ الألد هو شديد الخصومة و الخصام جمع يعنى أنه من أكبر خصمائك فى الباطن.

[٢٠٦] وَ إِذا تَوَلَّى و أدبر و ذهب من عندك سَعى فِي الْأَرْضِ من هنا إلى هناك كما هو شأن المشاغب المفسد لِيُفْسِدَ فِيها بإثارة الفوضى و الاضطراب وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ أى الزراعة وَ النَّسْلَ أى الأولاد و الذرية فإن إثارة الفوضى يوجب خراب الزراعات لاشتغال أهلها بالكفاح، و فناء النسل إذ الشباب دائما يقدمون على الحرب و الجلاء وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ.

[٢٠٧] وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ فى عملك فلا تفسد أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ أى حملته عزة و حمية الجاهلية بأن يأثم لأنه لا يرضخ للحق و لا يعتنى به فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ أى تمكينه جهنم جزاء له وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ أى محل القرار، و هذه الآيات نزلت فى المنافقين أو فى فرد خاص منهم يسمى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣٧

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٠٧ الى ٢٠٨]

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ (٢٠٧) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨)

الأخنس بن شريق، كان يظهر المحبة للنبي و يبطن الفساد و النفاق، و لعل وجه ارتباط هذه الآيات بالحج أن الكلام انتهى هناك حول من يفتخر بالآباء اعتزازا بالنفس و هذا مثلهم في الاعتزاز و الاغترار.

[٢٠٨] وَ مِنَ النَّاسِ أي بعض الناس مَنْ يَشْرِي أي يبيع فإن كلا من البيع و الشراء يجيء بمعنى الآخر نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ أي لأجل طلب رضاه سبحانه وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ يرأف بهم فيجازيهم لعملهم الحسن، و لعل ذكر الرأفة لأجل أن هذا البيع يحتوي على أخطاء و أضرار، ففيه تنبيه إلى أن اللّه رؤف يجنب البائع الأخطار و الإضرار، و هذه الآية نزلت في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام حين نام في فراش الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليلة الهجرة.

[٢٠٩] و حين ذكر أن من الناس من هو منافق ناسب الإرشاد العام فقال سبحانه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا باللسان ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ مع اللّه و رسوله في جميع أموركم كَافَّةً أي جميعا فاستسلموا للدين في جميع شؤونكم وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ بأن تخالفوا أمر اللّه سبحانه و تتبعوا أمر الشيطان و ما يوحي اليه الهوى إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ أي عدو ظاهر لأنه يأمر بالمفاسد التي ترجع إلى ذهاب دينكم و دنياكم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٠٩ الى ٢١١]

فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَ الْمَلائِكَةُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠) سَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ كَمْ آتَيْناهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (٢١١)

[٢١٠] فَإِنْ زَلَلْتُمْ تشبيه للذنب بمن يزل له قدم مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ الأدلة الواضحة على الحق فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ فلا يمتنع عليه العذاب و العقاب بمن زل حَكِيمٌ في فعله ليعفوا عمن يشاء و يعذب من يشاء.

[٢١١] و هنا يعود السياق إلى من تأخذه العزة فيقول سبحانه هَلْ يَنْظُرُونَ النظر بمعنى الانتظار أي هل ينتظر هؤلاء المنافقون إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ حتى يؤمنوا و يقلعوا عن نفاقهم و كفرهم فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ ظلل جمع ظلة و هي ما يستظل به من الشمس و سمي السحاب ظلة لأنه يستظل به من الشمس، و الغمام هو السحاب و قد كانت اليهود تزعم أن اللّه ينزل في ظلل من الغمام و كذلك الملائكة معه و لذا قال:

وَ الْمَلائِكَةُ عطفا على «اللّه» وَ قُضِيَ الْأَمْرُ أي يوم تغيير الكون عن وضعه لا يبقى بعد مجال للتكليف إنما هو يوم القيامة وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ و يكون ذلك اليوم يوم حساب و عقاب و ثواب، لا يوم عمل و شغل، فالآية تشير إلى أساطير أهل الكتاب متهكما ساخرا، ثم يهدد و يوعد بأن الأمر يقضى فلا مجال بعد التكليف.

[٢١٢] و حيث أشير إلى أسطورة إسرائيلية، توجه السياق إلى تأنيب بني إسرائيل الذين كانوا يعاندون في إنكارهم للآيات سَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ كَمْ آتَيْناهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ أي أعطيناهم أدلة واضحة و مع ذلك عاندوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٣٩

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢١٢ الى ٢١٣]

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَياةُ الدُّنْيا وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ (٢١٢) كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ

فِيهِ إِلاَّـ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)

و لم يؤمنوا وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ كفرا فلا يؤمن بآياته مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ فليهيئ نفسه لعقابه.

[٢١٣] زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَياةُ الدُّنْيا أى الحياة القريبة مقابل الحياة البعيدة و هى الآخرة و التى زينها لهم هى مجموعة عوامل بعضها حق و بعضها باطل فإن الحياة التى خلقها اللّه جميلة تزين نفسها كما أن الشيطان و النفس و الهوى تزين الحياة لتصرف الناس عن الآخرة وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا حيث يرونهم منصرفين عنها مقبلين إلى الآخرة- التى لا يعتقد هؤلاء الكفار بها- وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا من المؤمنين فَوْقَهُمْ أى فوق هؤلاء الكفار منزلة و مقاما و رتبة يَوْمَ الْقِيامَةِ لأنهم عملوا لها فأدركوا خيرها و الكفار لم يعملوا فيبقون هناك سائلين وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ فالرزق فى الدنيا ليس بالكفر و التوجه إليها حتى يحرم أهل الآخرة منها بل الرزق يصيب الكافر و المؤمن، فالمؤمن منعم فى الدنيا و فوق الكافر فى الآخرة.

[٢١٤] إن كل حركة إصلاحية لا بد و أن تشق صفوف الناس المتصافقة على الفساد و هكذا كان بعث الأنبياء عليهم السّلام فقد كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٢٤٠

اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ لمن آمن و أصلح وَ مُنْذِرِينَ لمن كفر أو عصى وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِ قيد توضيحى إذ كل إنزال من اللّه بالحق و إنما أكد لمقابلته لسائر الكتب التى ترسلها رؤساء الحكومات إلى رعاياها فإن منها ما هو حق و منها ما هو باطل لِيَحْكُمَ ذات الكتاب بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ من أمور معاملاتهم و سائر معاشراتهم و الاختلاف هنا لا ينافى كون الناس أمة واحدة إذ وحدة الأمة تجتمع مع هذا النوع من الاختلاف ثم صار نفس الكتاب محلا لاختلاف الأمة فيه، لكن هذا الاختلاف ليس عن واقع و شك، لأن الكتاب واضح بل عن حسد و بغى و طمع وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ أى فى الكتاب بأن فسره كل حسب نظره و هواه إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ أى الأمة التى أعطيت الكتاب مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ أى الأدلة الواضحة على معانى الكتاب بَغْياً بَيْنَهُمْ أى الاختلاف إنما نشأ من البغى و الظلم و الحسد الحاصل بينهم فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا حقيقة و أرادوا اتباع أحكام اللّه واقعا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِ أى للشىء الذى اختلفت الأمة فيه بِإِذْنِهِ أى بلطفه بهم حيث هداهم وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ إما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٢٤١

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢١٤ الى ٢١٥]

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥)

معناه الإيصال إلى المطلوب و هو ليس بواجب بالنسبة إلى الجميع و إما معناه إرائة الطريق و معنى من يشاء إنه لو لم يشأ لا يهدى أحد، إذ الهداية لا تكون إلا بإرسال الرسل، و الأول أنسب بالسياق.

[٢١٥] ثم يسأل اللّه المؤمنين الذين وقعوا فى متاعب هذا الخلاف حيث يحاربونهم الكفار لأجل أنهم اهتدوا بهدى اللّه أَمْ حَسِبْتُمْ أى بل حسبتم و ظننتم أيها المسلمون أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ اعتباطا و بلا مشقة و حرج وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا أى مضوا مِنْ قَبْلِكُمْ أى لم يأتكم بعد امتحان مثل امتحان الأمم المؤمنة السالفة الذين ثبتوا و صبروا تجاه الأحزان و الكوارث و إنما قال «مثل» لأنهم صاروا مثلا للصبر و تحمل المكاره مَسَّتْهُمُ أى لمستهم الْبَأْساءُ الفقر وَ الضَّرَّاءُ المرض و الحرج و أشباههما وَ زُلْزِلُوا أى حركوا بأنواع المحن و البلايا حَتَّى وصل الحال إلى أن يَقُولَ الرَّسُولُ لتلك الأمم وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ استعجالا للنصر الموعود و تمنيا للخلاص من الشدائد و المحن، فاستدرك الأمر و أجيب سؤالهم بأنه أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ و هذا جواب طبيعى يقوله الرسول صلّى اللّه عليه و

آله و سلّم و المؤمنون كلما رأوا البلاء و المحن، و فى الآيـة تعبير المؤمنين و أنهم إنما يفوزون بسعادة الـدنيا و الآخرة بعد مثل هذه الكوارث و المتاعب.

[٢١۶] و يأتى هنا دور أسئلة وجهت إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أجاب عنها القرآن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢۴٢

[سورة البقرة (٢): آية ٢١۶]

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢١۶)

الكريم يجمعها الإقلاع عن الملذات و الصبر على الطاعة و بهذا يرتبط السياق بما قبله حيث كان الكلام فى معرض التضحية فى سبيل العقيدة و الإيمان و ما يأتى نوع من التضحية يَسْئَلُونَكَ يا رسول اللّه ما ذا يُنْفِقُونَ فى سبيل اللّه من أقسام الأموال قُلْ ليس لهم الإنفاق فإنه أى شىء كان يقبل إذا كان المنفق عليه أهلا كما أنه لا يقبل إذا كان المنفق عليه غير أهل فمعيار الإنفاق ليس ماهية المنفق و إنما شخص المنفق عليه ف ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فاللازم أن يكون للوالدين وَ الْأَقْرَبِينَ أقربائكم وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ و أشباه ذلك مما يقصد به وجه اللّه سبحانه وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ إنفاق أو غيره فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ فيجازيكم بالخير خيرا. و

روى أنها نزلت فى عمرو ابن الجموح، و كان شيخا كبيرا كثير المال فقال يا رسول اللّه بما ذا أتصدق؟ و على من أتصدق فأنزل اللّه هذه الآية «١».

[٢١٧] ثم رجع السياق إلى الآية السابقة التى فيها ذكر التضحية و الزلزال كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ مع من تعدى عليكم أو على العقيدة الصحيحة أو على الناس وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ تكرهونه وَ عَسى

---

(١) فقه القرآن: ج ١ ص ٢٣٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢۴٣

[سورة البقرة (٢): آية ٢١٧]

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَ لا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٢١٧)

بمعنى «قد» و ما بعده فاعله أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ و القتال من ذلك فإنه يوجب سيادتكم و سعادتكم وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ و ترك القتال كذلك لما فيه من راحة الجسم و عدم اضطراب القلب لكنه شر لما فيه من زوال السيادة و العزة و تسلط الكفار و الأجانب وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما فيه خيركم و شركم وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ

[٢١٨] بعث رسول اللّه بسرية فاتفق أن قاتلت فى شهر رجب و هى تترد فى أن اليوم الـذى حاربت فيه من جمادى أو رجب، و شهر رجب من الأشهر الحرم، و لذا كثر صخب المشركين و إنه كيف يقاتل الرسول فى شهر حرام و أتى وفدهم إلى المدينة يسألون الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن ذلك فنزلت هذه الآية يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ بدل شهر أى يسألونك يا رسول اللّه عن القتال فى الشهر الحرام قُلْ قِتالٌ فِيهِ أى فى الشهر الحرام كَبِيرٌ فى نفسه لا يجوز وَ لكن ليس كبر ذنبه مثل عظم ذنب ما تفعلونه أنتم أيها المشركون ف صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أى المنع عنه بأن لا يسلم أحد وَ كُفْرٌ بِهِ أى باللّه سبحانه وَ صد عن الْمَسْجِدِ الْحَرامِ لئلا يحج المسلمون وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ أى أهل المسجد الحرام مِنْهُ كما فعل المشركون بالنبى و المسلمين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢۴۴

[سورة البقرة (۲): آية ۲۱۸]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۱۸)

أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ فكيف تؤاخذون المسلمين بذنب مهما عظم و تنسون ذنوبكم التى هى أعظم منه وَ الْفِتْنَةُ التى أنتم تقيمون عليها من تفتين المسلمين عن دينهم و إغرائهم بالكفر بعد الإسلام أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ الذى صدر من المسلمين، فالقتل يفسد دنيا المقتول و الفتنة تفسد دين المفتتن و أخراه وَ لا يَزالُونَ أى لا يزال الكفار يُقاتِلُونَكُمْ أيها المسلمون حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إلى الكفر إِنِ اسْتَطاعُوا أن يردوكم وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ أيها المسلمون عَنْ دِينِهِ إلى الكفر فَيَمُتْ وَ هُوَ كافِرٌ فى مقابل من ارتد و رجع حتى مات مؤمنا فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ و الحبط هو الإبطال و الإفناء فلا حسنة لهم و لم ينتفعوا بإيمانهم السابق على الكفر فِي الدُّنْيا فليس لهم احترام المسلم و حقوقه وَ الْآخِرَةِ فلا يجزى بالجنة و الثواب وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ إلى الأبد.

[۲۱۹] و هناک ظن أناس أن القاتل فى رجب إن سلم من الإثم لم يكن له أجر لأنه انتهک حرمة الشهر الحرام فأنزل اللّه إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هاجَرُوا بأن قطعوا ديارهم و أهليهم و خلفوا أموالهم لأجل أن يكونوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۴۵

[سورة البقرة (۲): آية ۲۱۹]

يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما وَ يَسْئَلُونَکَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذلِکَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (۲۱۹)

مع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ جاهَدُوا أى أوقعوا أنفسهم بالجهد و التعب، و أوضح أفراده المقاتلة فِي سَبِيلِ اللَّهِ لكسب مراضيه أُولئِکَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ يأملونها فى الدنيا و الآخرة وَ اللَّهُ غَفُورٌ يغفر لمن زل و رَحِيمٌ بعباده المؤمنين فلا ينقص أجورهم و إنما قال:

«يرجون» لأن الإنسان لا يدرى ما حاله فى المستقبل و إنه هل يبقى على الإيمان و الصلاح حتى يثاب أم يفتن فى دينه حتى يحبط عمله.

[۲۲۰] يَسْئَلُونَکَ يا رسول اللّه عَنِ الْخَمْرِ و هى كل مسكر و أظهر أفراده المسكر المتخذ من العنب وَ الْمَيْسِرِ و هو القمار بجميع أصنافه و السؤال كان عن حكمهما قُلْ يا محمد فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ أى وزر عظيم لما فيهما من الفساد الكبير وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ فإن الخمر تفيد اللذة و الطرب و فى الاتجار بها ثمن و ربح و القمار فيه لذة للاعب و ربح للفائز وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما إذ الفساد الذى يسببانه فى البدن و العقل و المال أكبر من اللذة و الربح الذى يحصل بسببهما بالإضافة إلى العقوبة الأخروية التى تصيب الإنسان من جرائها.

وَ يَسْئَلُونَکَ يا رسول اللّه ما ذا يُنْفِقُونَ و هنا جاء الجواب طبق السؤال و إنه «ماذا» لا إنه «لمن» فقال قُلْ يا محمد الْعَفْوَ أى الزائد من المال على النفقة فإن ما بقدر نفقة النفس و الأهل لا ينفق تقديما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۴۶

[سورة البقرة (۲): آية ۲۲۰]

فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْيَتامى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲۲۰)

لواجبى النفقة على غيره و هذا الإنفاق مستحب لما دل على حصر الحقوق الواجبة فى أمور معدودة كَذلِکَ أى هكذا يا رسول اللّه فإن كذا تشبيه و إشارة و الكاف الملحق بها اللام للخطاب يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ الأدلة المرتبطة بالتشريعات لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ أى لكى تتفكروا.

[۲۲۱] فِي أمر الدُّنْيا وَ أمر الْآخِرَةِ فتجمعوهما فى التفكير ثم ترون جمال الأحكام إذ التفكير فى الدنيا فقط يوجب شلل قسم من

الأحكـام فلما ذا ينفق الإنسان- مثلا- و هو بحاجـة إلى المال، كما إن التفكير فى الآخرة فقط يوجب شـلل قسم آخر من الأحكام فلما ذا لا ينفق الإنسان جميع أمواله لتحصـيل أجر الآخرة و هكـذا سائر الأحكام فلا يعرف جمالها إلا إذا افتكر الإنسان فى كلتا الحياتين و عرف المصـلحتين وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى كيف يعاشـروهم فقـد ورد أنه لما نزل وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ «۱» ذهب كل من عنده يتيم ليعزل اليتيم فى مأكله و مشربه عن نفسه لئلا يبتلى بماله و اشتد ذلك عليهم فسألوا النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فنزلت قُلْ يـا رسول اللّه إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ بأن يصـلح الإنسان أموال اليتيم و يعاشـره معاشـرة المصـلحين بـدون أجرة و عوض خير من عزلهم و طردهم وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ بأن تخلطوا أموالهم

---

(۱) الأنعام: ۱۵۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۴۷

[سورة البقرة (۲): آية ۲۲۱]

وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَ لا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَ يُبَيِّنُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۲۲۱)

بأموالكم و تشاركون معهم بالنسبة و حفظ المقدار فهم إخوانكم فى الإيمان و الأخ يعاشر الأخ بالإصلاح و الغبطة وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ فهو عارف بنيـة المخالطين للأيتام و إنهم يريـدون بالمخالطـة الإفساد و أكل مال اليتيم أو الإصـلاح و التحفظ على اليتيم حتى يبلغ و يرشـد وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ أى أوقعكم فى العنت و المشـقة بالنسبة إلى اليتيم بأن يوجب الاجتناب عن أموالهم و اعتزال أمـوالكم عن أمـوالهم فحيث أنه لم يفعـل ذلـك رحمـة بكم فلاـ تـأكلوا أمـوالهم فسـادا و طمعـا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ فهـو يقـدر- بعزته- من إعناتكم حَكِيمٌ لا يفعل إلا الصلاح و ما تقتضيه الحكمة.

[۲۲۲] ثم انتقل السياق إلى فئة من أحكام الأسرة فى النكاح و الطلاق و شؤونها و لعل الارتباط العام بين هذه الآيات و الآيات السابقة أنها انتهت إلى حكم اليتيم، فاللازم بيان العش الـذى يتربى فيه فراخ الإنسان، و إنه كيف يلزم أن يكون لينشأ الأولاد صالحين أصـحاء جسـما و عقلا و عاطفة وَ لا تَنْكِحُوا أيها الرجال المسـلمون النساء الْمُشْرِكاتِ سواء كن أهل كتاب أم لا فأهل الكتاب أيضا مشـركون كما قال سبحانه فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ «۱» حَتَّى يُؤْمِنَ و يدخلن فى الإسلام وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ تلك

---

(۱) النمل: ۶۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۴۸

[سورة البقرة (۲): آية ۲۲۲]

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (۲۲۲)

المشـركة لجمالها أو مالها أو حسـبها أو نسـبها وَ لا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ بناتكم أيها المسـلمون حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ تزوجوه بنتكم خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ ذلك المشـرك أُولئِكَ المشـركات و المشركون يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ إما بالتبليغ إلى الشرك و إما بحكم دينهم فإن جليس الإنسان إذا كان غير متـدين لا بـد و أن يسـرى إلى جليسه وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ أى غفران الذنوب بِإِذْنِهِ فالمسـلمات و المسـلمون حين أخـذوا مبـادئهم عن اللّه سـبحانه لاـ بـد و أن يـدعون بلسـانهم أو بحكم دينهم إلى الجنـة وَ يُبَيِّنُ آياتِهِ أحكامه و دلائله لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ أى لكى يتذكروا و يتعظوا و يرشدوا.

[۲۲۳] وَ يَسْئَلُونَكَ يا رسول اللّه عَنِ الْمَحِيضِ الحيض و المحيض بمعنى واحد و أنه هل يجوز مقاربة النساء فى حالة الحيض أم لا قُلْ

یـا محمـد صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم هُوَ أی المحیض أَذیً قـذر نجس أو مشـقة فَـاعْتَزِلُوا النِّسـاءَ فِی الْمَحِیضِ و الاعتزال هو الابتعاد عنهن وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ بالجماع حَتَّی یَطْهُرْنَ و ینظفن عن الدم فَإِذا تَطَهَّرْنَ عن الدم فَأْتُوهُنَّ جامعوهن

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۲۴۹

[سورة البقرة (۲): آیة ۲۲۳]

نِساؤُکُمْ حَرْثٌ لَکُمْ فَأْتُوا حَرْثَکُمْ أَنَّی شِئْتُمْ وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِکُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّکُمْ مُلاقُوهُ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ (۲۲۳)

مِنْ حَیْثُ أَمَرَکُمُ اللَّهُ بمقـاربتهن من الفرج الـذی هـو محـل الـدم إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ التَّوَّابِینَ الـذین یرجعون کـثیرا عن ذنوبهم إلی النـدم و الاستغفار بمعنی أنهم کلما أذنبوا تابوا و رجعوا و استغفروا و لعل ذکر التواب بمناسبة أن من زل فقارب فی المحیض یقبل اللّه توبته و إن تکرر منه إذا نـدم نـدما حقیقیـا و تـاب توبـة نصوحـا وَ یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ بالمـاء عن الأقـذار الباطنیـة و الظاهریـة أو بالاسـتغفار عن الذنوب.

[۲۲۴] نِساؤُکُمْ حَرْثٌ لَکُمْ أی مزرعـة و محترث فکما یحرث الحارث البذر فی الأرض کذلک یحرث الرجل فی زوجته فَأْتُوا حَرْثَکُمْ و زرعکم أَنَّی شِئْتُمْ «أنی» إمـا زمانیـة بمعنی أی وقت شـئتم، باسـتثناء أیـام الحیض التی سـبق أنها لا یجوز و سائر ما اسـتثنی من حال الصوم و الإحرام و شـبههما، و إما مکانیـة أی إتیانها فی قبلها من خلفها أو قـدامها أو جانبیها، أو بمعنی الکیفیـة بارکة و نائمة و قائمة، أما أن یراد سـیاق السبیلان فبعید عن سیاق الآیة وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِکُمْ بالولد فإنه یبقی ذخرا لکم، أو قدموا لأنفسکم بالطاعة حیث ذکرت أوامر و نـواهی وَ اتَّقُوا اللَّهَ فی أوامره و نواهیه وَ اعْلَمُوا أَنَّکُمْ مُلاقُوهُ و الملاقـاة هنـا بمعنی أنه علیکم حسـاب الملاـقی لملاـقیه وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ بأنهم

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۲۵۰

تقریب القرآن إلی الأذهان ج ۱ ۲۹۹

[سورة البقرة (۲): الآیات ۲۲۴ الی ۲۲۵]

وَ لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَـةً لِأَیْمانِکُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تُصْـلِحُوا بَیْنَ النَّاسِ وَ اللَّهُ سَـمِیعٌ عَلِیمٌ (۲۲۴) لا یُؤاخِـذُکُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِی أَیْمانِکُمْ وَ لکِنْ یُؤاخِذُکُمْ بِما کَسَبَتْ قُلُوبُکُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِیمٌ (۲۲۵)

یفوزون بکل کرامة.

[۲۲۵] و نـاسب قصـة النساء حلف بن رواحـة حین حلف أن لا یـدخل علی ختنه و لا یکلمه و لا یصـلح بینه و بین امرأته فکان یقول: إنی حلفت بهـذا فلا یحل لی أن أفعله، فنزلت الآیة مما ناسب قصة العائلة و النساء التی سـبقت، و تأتی، فقال سـبحانه: وَ لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً أی معرضا لِأَیْمانِکُمْ بأن تحلفوا به أَنْ تَبَرُّوا أی لئلا تبروا، أی تریدون بالحلف عدم البر وَ تَتَّقُوا وَ تُصْلِحُوا بَیْنَ النَّاسِ أی و عدم التقوی و عدم الإصلاح، فإن هذه الیمین فاسدة لا تنعقد وَ اللَّهُ سَمِیعٌ لأیمانکم و أقوالکم عَلِیمٌ بأحوالکم و نیاتکم.

[۲۲۶] لا یُؤاخِذُکُمُ اللَّهُ و لا یعاقبکم بِاللَّغْوِ فِی أَیْمانِکُمْ جمع یمین، و یمین اللغو هو ما یجری علی عادة الناس من قول: لا و اللّه و بلی و اللّه من غیر عقـد علی یمین یقتطع بهـا مـال و لاـ یظلم بهـا أحـد وَ لکِنْ یُؤاخِـذُکُمْ بِما کَسَـبَتْ قُلُوبُکُمْ أی بحنث یمین نویتم الیمین الحقیقیـة حین إجرائها وَ اللَّهُ غَفُورٌ یغفر الـذنب حَلِیمٌ یحلم عن العصاة لعلهم یتوبوا، و تکرار کلمة غفور فی کثیر من الآیات لفتح باب التوبة أمام العصاة الذین هم کثیرا ما یعصون عن شهوة و نزوات و هوی، فإن

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۲۵۱

[سورة البقرة (۲): الآیات ۲۲۶ الی ۲۲۸]

لِلَّذِینَ یُؤْلُونَ مِنْ نِسـائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَـةِ أَشْـهُرٍ فَـإِنْ فـاؤُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۲۲۶) وَ إِنْ عَزَمُـوا الطَّلاـقَ فَـإِنَّ اللَّهَ سَـمِیعٌ عَلِیمٌ (۲۲۷) وَ الْمُطَلَّقـاتُ یَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِـهِنَّ ثَلاثَـةَ قُرُوءٍ وَ لا یَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ یَکْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِی أَرْحامِهِنَّ إِنْ کُنَّ یُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ بُعُولَتُهُنَّ

أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذلِكَ إِنْ أَرادُوا إِصْلاحاً وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ لِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲۲۸)

اللّه سبحانه لا يسد عليهم باب التوبة و إن تكررت منهم المعاصى و الذنوب.

[۲۲۷] ثم يرجع السياق إلى أحكام الأسرة مع مناسبة للحكم مع الحلف فيقول سبحانه: لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ و الإيلاء هو الحلف على ترك وطى المرأة على وجه الإضرار بهن تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مبتدأ لقوله «للذين» أى توقف أربعة أشهر جائز للذين يؤلون من نسائهم و ذلك لأن للرجل أن لا يطأ زوجته أربعة أشهر و بعد ما تم أربعة أشهر خيره الحاكم بين الوطى و الكفارة و بين الطلاق و إن امتنع عن الأمرين حبسه فَإِنْ فاؤُ و رجعوا إلى زوجاتهم بالوطى بعد الأشهر الأربعة فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يغفر لهم بهذا الحلف رَحِيمٌ بهم.

[۲۲۸] وَ إِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فطلقوا فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ للطلاق عَلِيمٌ بالضمائر و النيات.

[۲۲۹] وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ أى يصبرن بِأَنْفُسِهِنَ أى يحفظنها عن الزواج و نحوه ثَلاثَةَ قُرُوءٍ جمع قرء و هو من ألفاظ الضد يطلق على الحيض و على الطهر و المراد هنا الطهر فإذا طلقت المرأة فى طهر لم يواقعها فيه الرجل كان هذا الطهر و طهران آخران بينهما حيض موجبا لانتظار العدة فإذا رأت الدم الثالث انقضت عدتها وَ لا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۵۲

يَكْتُمْنَ أى يخفين ما خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحامِهِنَ من الولد و دم الحيض حتى يبطلن حق الرجعة فى الطلاق الرجعى أو يستعجلن العدة إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يوم القيامة، فمن آمن بهما لا بد و أن تستقيم حركاته و سكناته و أقواله و أفعاله، لأنه يعلم أن اللّه مطلع عليه و أنه سوف يحاسبه وَ بُعُولَتُهُنَ أى أزواج المطلقات الرجعيات أَحَقُّ بِرَدِّهِنَ إلى أنفسهم فِي ذلِكَ أى زمان التربص إِنْ أَرادُوا أى البعولة بردهن إِصْلاحاً لا إضرارا، و ذلك أن الرجل كان إذا أراد الإضرار بامرأته طلقها واحدة و تركها، حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها و تركها مدة ثم طلقها أخرى و تركها مدة كما فعل فى الأولى ثم راجعها و تركها مدة ثم طلقها أخرى، و هذا العمل حرام و إن كان يثبت حكم الرجعة به وَ لَهُنَ أى حق النساء على أزواجهن مِثْلُ الَّذِي للأزواج عَلَيْهِنَ فلكل على الآخر حقوق تتكافأ بِالْمَعْرُوفِ من العشرة و سائر الأمور وَ لِلرِّجالِ عَلَيْهِنَ زيادة دَرَجَةٌ فإن بيده الطلاق و له عليها الطاعة وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ينفذ أوامره حَكِيمٌ جعل أحكامه على طبق المصلحة و الصلاح، و من المحتمل أن يكون قوله تعالى: وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بيان حال العدة أى أن لكل من الزوج و الزوجة حقا على الآخر فى حال العدة مع أن الرجل له فضيلة على المرأة بأن الاختيار إلى الزوج فقط.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۵۳

[سورة البقرة (۲): آية ۲۲۹]

الطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ وَ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَنْ يَخافا أَلاَّ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوها وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (۲۲۹)

[۲۳۰] الطَّلاقُ مَرَّتانِ فإن للرجل أن يطلق زوجته تطليقتين فالواجب إذا راجعها بعد التطليقتين إمساك و حفظ لها فى حبالته بِمَعْرُوفٍ بالعشرة الحسنة أَوْ تَسْرِيحٌ و طلاق ثالث بِإِحْسانٍ بإعطائها حقوقها و عدم التعدى، و فوق ذلك إنه يحسن إليها جبرا لخاطرها المكسور.

وَ لا يَحِلُّ لَكُمْ أيها الأزواج أَنْ تَأْخُذُوا فى حال الطلاق و الاستبدال مِمَّا أى من الذى آتَيْتُمُوهُنَ و أعطيتموهن من المهور شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخافا أى الزوجان أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ من حقوق الزوجية فَإِنْ خِفْتُمْ أيها الحكام أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ من حقوق الزوجية فَلا جُناحَ و لا حرج عَلَيْهِما أى على الزوجة فى البذل و على الزوج فى قبول البذل فِيمَا أى فى الذى افْتَدَتْ الزوجة بِهِ من المال تِلْكَ الأحكام المذكورة هى حُدُودَ اللَّهِ و أوامره و نواهيه فَلا تَعْتَدُوها و لا تجاوزوها بالمخالفة وَ مَنْ يَتَعَدَّ منكم و يتجاوز حُدُودَ اللَّهِ و يخالف أوامره و نواهيه فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۵۴

[سورة البقرة (۲): الآيات ۲۳۰ الى ۲۳۱]

فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَها فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يَتَراجَعا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۲۳۰) وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَ لا تَتَّخِذُوا آياتِ اللَّهِ هُزُواً وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ ما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ وَ الْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۲۳۱)

[۲۳۱] فَإِنْ طَلَّقَها طلاقا ثلاثا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ الطلاق الثالث فإنها تحرم عليه حَتَّى تَنْكِحَ المرأة المطلقة ثلاثا زَوْجاً غَيْرَهُ و يسمى هذا الزوج محللا فَإِنْ طَلَّقَها أى طلق المرأة الزوج الثانى و انقضت عدتها فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أى على الزوجة و الزوج الأول الذى طلقها ثلاث طلقات أَنْ يَتَراجَعا إِنْ ظَنَّا أى الزوجان أَنْ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فى حسن الصحبة و المعاشرة و إن لم يظنا صح الرجوع لكنه سبب للمعصية، و الحاصل أن الحكم الوضعى الصحة و إن كان الحكم التكليفى الحرمة كمن يغسل يده النجسة بالماء المغصوب الذى يوجب طهارة يده لكنه فعل حراما وَ تِلْكَ المذكورات فى باب الطلاق و النكاح حُدُودَ اللَّهِ أوامره و نواهيه يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ الأمور فإنهم هم الذين ينتفعون بهذه الأحكام.

[۲۳۲] وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَ أى قاربن تمام العدة و إنما عبر بهذا التعبير لأن انقضاء العدة يعبر عنه بانقضاء الأجل فما يقابله بلوغ الأجل إذا قاربه، إذ البلوغ الدقى خارج عن محاورة العرف فَأَمْسِكُوهُنَ أى احفظوهن فى حبالتكم بالرجوع إليهن فى عدة الرجعة بِمَعْرُوفٍ الذى يعرفه العقلاء و المشرعون من القيام بحقوق

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۵۵

[سورة البقرة (۲): آية ۲۳۲]

وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكُمْ أَزْكى لَكُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (۲۳۲)

الزوجة أَوْ سَرِّحُوهُنَ أى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن بِمَعْرُوفٍ بإعطاء حقوقهن كاملة من غير إيذاء لهن وَ لا تُمْسِكُوهُنَ بأن ترجعوا إليهن ضِراراً بقصد الإضرار بهن لتطويل العدة أو التضييق فى النفقة- كما تقدم- لِتَعْتَدُوا عليهن و تظلموهن وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ الإمساك بقصد الإضرار فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لأنه أساء بسمعته عند الناس و عرض نفسه لعذاب اللّه و سخطه وَ لا تَتَّخِذُوا آياتِ اللَّهِ أحكامه و أوامره و نواهيه هُزُواً سخرية بأن تستخفوا بها وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ حيث أنعم عليكم بكل نعمه، التى منها نعمة الزوجة التى تسكنون إليها و تقضون مآربكم بسببها وَ اذكروا ما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ وَ الْحِكْمَةِ فشرفكم بتعلمكم الأحكام و إرشادكم إلى ما يصلحكم و يهيئ لكم حياة سعيدة يَعِظُكُمْ بِهِ أى بذلك الكتاب، و هذا إما صفة للكتاب أو جملة مستأنفة وَ اتَّقُوا اللَّهَ فى أوامره و نواهيه وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فلا يفوته عملكم و نيتكم فلا تتعرضوا لسخطه و غضبه.

[۲۳۳] وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَ أى انقضت عدتهن- و ذلك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۵۶

[سورة البقرة (۲): آية ۲۳۳]

وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَها لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَ عَلَى الْوارِثِ مِثْلُ ذلِكَ فَإِنْ أَرادا فِصالاً عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَ تَشاوُرٍ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۲۳۳)

بقرينـة: أن ينكحن- فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أى لا تمنعوهن ظلمـا أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إلى الزوج السابق أو من تريـد الزواج به فعلا و سـمى زوجـا للأول و ربمـا قيل فى وجه النزول أن معقل بن يسار عضل أخته جملاء أن ترجع إلى الزوج الأول و هو عاصم بن عـدى حين طلقها و خرجت من العدة ثم أراد أن يجتمعا بنكاح جديـد فمنعهما من ذلك، و لو كان كذلك كان المراد بأزواجهن بالمعنى الأول فإنه لا يحق لأحـد أن يمنع المرأة الثيبـة فى الرجوع إلى زوجها بنكاح جديـد إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ مما أباحه شـرع الإسـلام من شروط النكاح و آداب العشـرة ذلِكَ المـذكور من تحريم العضل يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فإن المؤمن يجتنب سخط اللّه و يبتغى رضاه ذلِكُمْ الذى ذكرنا فى باب الزواج أَزْكى لَكُمْ أنمى لكم وَ أَطْهَرُ لنفوسكم فإن فى الزواج النسل و التحصن و سير الحياة إلى الأمام وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ فاتبعوا أوامره و انتهوا عن زواجره.

[۲۳۴] وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ فإن الأم ترضع ولدها سنتين تامتين أربعة و عشرين شهرا لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ التى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۵۷

ندب إليها الإسلام و من العلماء من أوجب ذلك وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ أى الأب، و إنما عبر بهذا التعبير إثارة للعاطفة، له فإن الأب قد ولد له الولـد فاللازم أن يحنو عليه رِزْقُهُنَّ الإدام و الطعـام وَ كِسْوَتُهُنَّ اللباس بِالْمَعْرُوفِ لـدى الشـرع و العرف من اللائق بحالها فإن على الأب أن يقوم بهذه الشؤون ما دامت الأم فى الرضاع، و قد استفاد أكثر المفسرين من هذه الجملة كون الكلام حول الأم المطلقة و إلا فـالرزق و الكسوة على الزوج لأجـل النكـاح لا لأجل الرضاع لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَها فكل من الأب و الأم يؤدى واجبه فى حـدود طاقته فلا تتحمل الأم الرضاع بلا بدل و لا ينتفع الأب بولده فى المستقبل مجانا فسعة هذه أن ترضع ببدل، و سعة ذاك أن يدفع الأجر لمـا يعود نفعه إليه لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها بأن ترضع مجانا و بلا عوض باستغلال الأب عاطفـة الأم للولـد فلا ينفق عليها، أو بمعنى أن الوالـدة لا يؤخذ منها الولد ليعطى للأجنبية غيظا من الأب عليها فتضـر بفراق ولدها وَ لا يضار مَوْلُودٌ لَهُ أى الأب بِوَلَدِهِ بأن تستغل الأم عاطفة الأب نحو الولد فتكلفه أكثر من الكسوة و الرزق قبال رضاعها، أو لا يضـر الأب بولده بأن يأخذه من الأم و يعطيه للأجنبية، فإن لبن الأم أوفق بالولـد، و الأول أقرب إلى السياق وَ عَلَى الْوارِثِ للأب إذا مات الأب مِثْلُ ذلِكَ الرزق و الكسوة للأم فى حال رضاعها للولد،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۵۸

[سورة البقرة (۲): آية ۲۳۴]

وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۲۳۴)

و لا يخفى أن أجر رضـاع الصبى ممـا يرثه الصبى من أبيه لـدى موت الأب فَإِنْ أَرادا أى الأب و الأم فِصالًا للولـد عن الرضاع بأن يفطماه قبل الحولين عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَ تَشاوُرٍ بأن تشاور الأبوان و تراضيا فى فطام الولـد قبل العامين و ذلك لئلا يتضـرر الصبى إذا استقل أحـدهما بالفطام فإن الرضا المتعقب للمشورة لا يكون إلا إذا كان الانفصال صـلاحا فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أى على الأبوين فى هذا الفطام وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أيها الآباء أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ بأن تستأجروا لهم مرضعات غير أمهاتهم فَلا جُناحَ و لا حرج عَلَيْكُمْ فى ذلك إِذا سَلَّمْتُمْ إلى المرضعات مـا آتَيْتُمْ و وعـدتم لهن من الأجر بِالْمَعْرُوفِ أى تسـليما بالمعروف بـدون نقصان و مطل و من، و هـذا شـرط تكليفى لا وضعى، كما هو كثير فى القرآن الحكيم، لغايـة الإلفات إلى لزوم كون الأعمال عن صـدق و إخلاص و تقوى وَ اتَّقُوا اللَّهَ فى أعمـالكم التى منهـا الأحكـام السالفـة حول الرضـاع وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فلا يغيب شـىء عنه و لا تخفى عليه خافيـة، فلتكن أعمالكم حسب مراضيه و أوامره.

[۲۳۵] وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ أى الرجال الذين يموتون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۵۹

[سورة البقرة (۲): آية ۲۳۵]

وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَ لكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَ لا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتابُ أَجَلَهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (۲۳۵)

وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً أى يخلفون زوجاتهم يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَ أى يحفظن أنفسهن عن الزواج و لعل فى قوله إشارة إلى أن النفس و لو كانت تطمح نحو الزواج لكن الواجب اصطبارها و التحفظ عليها أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً ففى هذه المدة يجب عليها الحداد بترك الزينة و الخطبة فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَ و انقضت المدة فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أيها المسلمون فِيما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَ من الزينة أو الخطبة أو النكاح فإنها ترجع إلى نفسها و الناس مسلطون على أنفسهم بِالْمَعْرُوفِ بأن لا تعمل منكرا ينافى الإسلام وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فيطلع على أعمالهم، و لا يفوته شىء من إطاعتكم و مخالفتكم.

[۲۳۶] وَ إذا كانت المرأة فى العدة ف لا جُناحَ عَلَيْكُمْ أيها الراغبون فى الزواج منهن فِيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساءِ بأن تلمحوا إلى رغبتكم فى الزواج منهن و تعرضوا على ذلك تعريضا و إشارة من طرف خفى، لا تصريحا فإن ذلك خلاف الجو الذى يحيط بالمرأة المعتدة من الربط الباقى بينها و بين زوجها الأول أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ بأن أضمرتم إرادة زواجهن بدون أن تصرحوا أو تلمحوا بذلك فإن الكناية

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۶۰

اللفظية و الإضمار القلبى لا جناح فيهما عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ أيها الرجال سَتَذْكُرُونَهُنَ و هن فى العدة إرادة للزواج بهن وَ لكِنْ لا تصرحوا بالخطبة و لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا فى الخلوة فتبدوا رغبتكم فى الزواج بهن فى منأى من الناس إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفاً بالكناية و التلميح لا بالتصريح و ذكر ما يقبح ذكره كما كانت عادة بعض الناس.

وَ لا تَعْزِمُوا أى لا تقصدوا عُقْدَةَ النِّكاحِ أى إجراء الصيغة التى هى كعقدة تعقد النكاح بين الجانبين، و قد نهى عن العزم على ذلك مبالغة، كقوله: وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ «۱» حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتابُ الذى كتبناه فى باب العدة من أربعة أشهر و عشرا «۲» أَجَلَهُ أى أمده، بأن تنقضى العدة وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ من عزم النكاح فكيف بما تسرون به من نكاح المعتدة سرا فَاحْذَرُوهُ أن تخالفوه وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يستر عاجلا فلا يغرنكم ستره حَلِيمٌ عليم فلا يعجل بالعقوبة فلا يسبب ذلك جرأتكم على انتهاك حرماته.

---

(۱) الأنعام: ۱۵۳.

(۲) راجع موسوعة الفقه: ج ۷۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۶۱

[سورة البقرة (۲): الآيات ۲۳۶ الى ۲۳۷]

لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (۲۳۶) وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۲۳۷)

[۲۳۷] و بعد بيان حكم موت الزوج، يأتى حكم الطلاق، و الطلاق إن كان قبل الدخول و لم يذكر فى العقد مهر فللمرأة المتعة، و إن كان قبل الدخول و ذكر المهر فللمرأة نصف المهر لا جُناحَ عَلَيْكُمْ أيها الأزواج إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَ بالدخول أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً «أو» بمعنى الواو، أى لم يكن شىء من الأمرين لا المس و لا المهر، و يسمى المهر فريضة لأنه يجب إذا سمى، و المعنى

أنه يباح الطلاق قبل المس و الفرض، فلا يتوهم أحد أن النكاح لأجل الوطى فكيف يصح الطلاق قبله وَ مَتِّعُوهُنَ أى أعطوهن المتعة و هى ما تتمتع به المرأة و يوجب تعويضا يجبر خاطرها الكسير عَلَى الْمُوسِعِ أى الغنى يقال أوسع الرجل إذا كثر ماله قَدَرُهُ من دار أو خادم أو نحوهما وَ عَلَى الْمُقْتِرِ أى الفقير يقال أقتر الرجل إذا افتقر قَدَرُهُ كخاتم أو درهم أو نحوهما مَتاعاً بِالْمَعْرُوفِ ليس فيه إسراف و لا تقصير حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ الذين يحسنون طاعة الأوامر و الانتهاء عن الزواجر.

[۲۳۸] وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَ طلاقا قبل الدخول وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً بأن عينتم فى النكاح المهر فعليكم أن تدفعوا إلى المرأة نصف ما فَرَضْتُمْ نصف المهر، هذا هو الحكم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۶۲

[سورة البقرة (۲): آية ۲۳۸]

حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ (۲۳۸)

الواجب إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أى تعفى المرأة عن نصفها فلا تأخذ شيئا و تهب مالها إلى الزوج أَوْ يَعْفُوَا الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ يمكن أن يراد به الزوج بأن يعفو عن نصفه فيعطى للمرأة جميع مهر المرأة، و روى أن المراد عفو ولى الزوجة، فيما إذا كان لها ولى مفروض كالصغيرة، أو موكل من قبلها فى الكبيرة وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى فإن من يترك حق نفسه تبرعا أقرب إلى التقوى بأن تبقى معصية اللّه فلا يطلب ما ليس له وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ بأن يتفضل بعضكم على بعض فيتنازل عن حقوقه لأجل صاحبه و لعل الفرق بين العفو و الفضل أن العفو هبة جميع حقوقه و الفضل هبة بعضها إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيكم على أعمالكم إن حسنا و إن سيئا.

[۲۳۹] إن القرآن الحكيم دائما يلطف أجواء الأحكام بتلميح إلى قدرة إله الكون و عظمته و رحمته و غفرانه و نحوها ليسمو بالنفس و يربط الحكم بالخالق حتى يكون أقرب إلى التنفيذ، و لما طالت آيات الأحكام و بالأخص ما له جو كابت حزين من طلاق و موت و نحوهما أتت آيات الصلاة متداخلة بينها لتشع فى النفس الطمأنينة و الهدوء أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ «۱» مع مناسبة لهذه الآيات مع الجو العام لما قبلها

(۱) الرعد: ۲۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۶۳

[سورة البقرة (۲): الآيات ۲۳۹ الى ۲۴۰]

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالاً أَوْ رُكْباناً فَإِذا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَما عَلَّمَكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (۲۳۹) وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِى ما فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲۴۰)

و بعدها حيث تعرضت لصلاة الخوف و المطاردة، هذا ما أحتمله أن يكون سببا لذكر هذه الآيات هنا متوسطة أحكام الموت و الطلاق حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ كلها وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى خاصة و هى صلاة الظهر لأنها تتوسط بين النهار فإن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يصليها بالهاجرة فى مسجد مكشوف فكانت أثقل صلاة عليهم و لذا لم يكن يحضرها إلا الصف و الصفان فقط، كما ورد عن بعض الصحابة وَ قُومُوا أيها المسلمون لِلَّهِ قانِتِينَ أى داعين فإن القنوت هو الدعاء، و منه القنوت فى الصلاة و المراد إما القنوت فى الصلاة أو مطلقا.

[۲۴۰] فَإِنْ خِفْتُمْ فلم تتمكنوا من المحافظة على الصلاة بشرائطها و آدابها، حيث ابتليتم بالعدو الذى لا يسمح لكم بالصلاة الكاملة فصلوا رجالا جمع راجل أى مشاة أَوْ رُكْباناً جمع راكب أى على ظهور دوابكم فَإِذا أَمِنْتُمْ من الخوف فَاذْكُرُوا اللَّهَ صلاة كاملة كَما عَلَّمَكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ من أمور دينكم و دنياكم.

[۲۴۱] ثم رجع السیاق إلی تتمة الأحکام السابقة، بعد ما أشعّت فی النفس الاطمئنان و ندی الجو بذکر الصلاة وَ الَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْواجاً «یتوفون» مجازا بالمشارفة، فإنه کثیرا ما یعبر عمن شارف

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۲۶۴

[سورة البقرة (۲): آیة ۲۴۱]

وَ لِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَی الْمُتَّقِینَ (۲۴۱)

أمرا بالداخل فیه، کما یعکس کثیرا فیعبر عن الداخل بالمشارف، نحو «لا تَقْرَبُوا مالَ الْیَتِیمِ» و «لا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّکاحِ» فالمراد الذین یقاربون الوفاة، و لهم زوجات فمن الأفضل أن یوصوا وَصِیَّةً لِأَزْواجِهِمْ بأن یمتعهن الوصی مَتاعاً إِلَی الْحَوْلِ فیعطی النفقة و الکسوة إلیهن إلی سنة کاملة غَیْرَ إِخْراجٍ أی فی حال کونهن غیر مخرجات إخراجا عن بیوت أزواجهن فَإِنْ خَرَجْنَ عن رغبتهن فَلا جُناحَ عَلَیْکُمْ أیها الأولیاء فِی ما فَعَلْنَ فِی أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ بالزواج و الزینة بعد انقضاء عدة الوفاة- و هی أربعة أشهر و عشرا- فإن قبل ذلک لا یکون معروفا، بل منکرا وَ اللَّهُ عَزِیزٌ فیحکم بمقتضی عزته و سلطته حَکِیمٌ لا یحکم اعتباطا بل عن مصالح و علل، و هذه الآیة حسب ما ذکرنا لها من المعنی لا تکون منسوخة بآیة «أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً».

[۲۴۲] وَ لِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ یمتعهن الأزواج بشیء سواء کن واجبة النفقة أم لا بِالْمَعْرُوفِ فإن ذلک یسبب رفع الغضاضة حَقًّا عَلَی الْمُتَّقِینَ الذین یتقون مخالفة أوامر اللّه سبحانه إیجابا کانت أو ندبا.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۲۶۵

[سورة البقرة (۲): الآیات ۲۴۲ الی ۲۴۳]

کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ آیاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (۲۴۲) أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ خَرَجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْیاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی النَّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَشْکُرُونَ (۲۴۳)

[۲۴۳] کَذلِکَ الذی بین اللّه لکم الأحکام یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ آیاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ أی لکی تعقلوا آیاته و أحکامه.

[۲۴۴] و من جو الأسرة و امتدادها و انقطاعها ینتقل السیاق إلی قصة الحیاة و الموت التی تشبه قصة الأسرة فی کونها امتدادا للحیاة العائلیة و انقطاعا لها فی قصة عجیبة هی: أن أهل مدینة من مدائن الشام کانوا سبعین ألف بیت هربوا من الطاعون فمروا بمدینة خربة قد جلا أهلها عنها و أفناهم الطاعون فنزلوا بها فأماتهم اللّه من ساعتهم جمیعا و صاروا رمیما یلوح، فمر بهم نبی من أنبیاء بنی إسرائیل یقال له «حزقیل» فبکی و استعبر و قال: یا رب لو شئت لأحییتهم الساعة کما أمتهم، فعمروا بلادک و ولدوا عبادک و عبدوک مع من یعبدک، فأوحی اللّه إلیه أن یقول الاسم الأعظم فقاله علیهم فعادوا أحیاء ینظر بعضهم إلی بعض یسبحون اللّه و یکبرونه و یهللونه أَ لَمْ تَرَ استفهام تقریری أی ألم تعلم فإن الرؤیة تأتی بمعنی العلم کقول الشاعر: «رأیت اللّه أکبر کل شیء» و قد یستفهم بمثل هذا الاستفهام لإیجاد العلم إِلَی الَّذِینَ خَرَجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ سبعون ألفا کما تقدم حَذَرَ الْمَوْتِ و فرارا من الطاعون فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا فأماتهم حیث ظنوا الهرب ثُمَّ أَحْیاهُمْ بدعاء النبی حزقیل علیه السّلام

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۲۶۶

[سورة البقرة (۲): الآیات ۲۴۴ الی ۲۴۵]

وَ قاتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۲۴۴) مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَیُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً کَثِیرَةً وَ اللَّهُ یَقْبِضُ وَ یَبْصُطُ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ (۲۴۵)

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی النَّاسِ کلهم بخلقهم و رزقهم و تدبیر أمورهم وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَشْکُرُونَ نعمه و فضله علیهم بل یقللون فضله بالعصیان.

[۲۴۵] وَ إذ علمتم أن الهروب من الموت لا ینفع ف قاتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ و لا تهربوا خوف الموت وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ لأقوالکم عَلِیمٌ

بنياتكم و أعمالكم.

[۲۴۶] إن القتال بإعطاء المال و النفس فى سبيل اللّه ليس هدرا و إنما المقاتل و العامل للبر، يقرض اللّه بما يذهب منه ثم يرجعه سبحانه إليه ف مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً أى أىّ شخص ذاك الذى يقرض اللّه و ينفق نفسه و ماله فى سبيله قرضا حسنا لا لرياء و سمعة و لا بمنّ و إكراه و سائر ما يشين القرض فَیُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً کَثِیرَةً ربما بلغت الملايين و عما ذا تخافون فى قرض أموالكم هل من الفقر؟ وَ اللَّهُ یَقْبِضُ فيفقر وَ یَبْصُطُ فيغنى فلا ينفعكم البخل و لا يضركم القرض و السخاء، أم تخافون فى قرض أنفسكم للّه من الموت؟ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ فيعطيكم أفضل مما أخذ منكم،

قال الإمام أمير

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۶۷

[سورة البقرة (۲): آية ۲۴۶]

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِیٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِکاً نُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ قالَ هَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتالُ أَلاَّ تُقاتِلُوا قالُوا وَ ما لَنا أَلاَّ نُقاتِلَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِیارِنا وَ أَبْنائِنا فَلَمَّا کُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِیلاً مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ بِالظَّالِمِینَ (۲۴۶)

المؤمنين عليه السّلام لأحد أولاده «أعر اللّه جمجمتك» «۱».

[۲۴۷] و هنا قصة حياة أو موت أخرى تناسب القصة السابقة أَ لَمْ تَرَ أى ألم تعلم- كما تقدم- إِلَى الْمَلَإِ أى الجماعة مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى النبى إِذْ قالُوا لِنَبِیٍّ لَهُمُ هو أشموئيل و بالعربية إسماعيل ابْعَثْ لَنا مَلِکاً أى سلطانا نُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ تحت لوائه حيث أذلهم الجبابرة و أخرجتهم من بلادهم و قتلتهم و سبيت ذراريهم و نسائهم و كان النبى فى ذلك الزمان ينظم أمور الدين و الملك و ينظم أمور الجيش و السلطة قالَ النبى هَلْ عَسَیْتُمْ أى لعلكم إِنْ کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتالُ أَلَّا تُقاتِلُوا أراد بذلك أخذ العهد عليهم فى المقاتلة إن عيّن ملك لهم قالُوا أى قال الملأ فى جواب النبى عليه السّلام وَ ما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ أى ليس بإمكاننا أن نترك القتال وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِیارِنا أخرجنا الأعداء من بلادنا وَ أَبْنائِنا أى إخراجنا من أبنائنا حيث قتل بعضهم و سبى البعض،

---

(۱) نهج البلاغة: ص ۶۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۶۸

[سورة البقرة (۲): آية ۲۴۷]

وَ قالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَکُمْ طالُوتَ مَلِکاً قالُوا أَنَّى یَکُونُ لَهُ الْمُلْکُ عَلَیْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْکِ مِنْهُ وَ لَمْ یُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَیْکُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِی الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ یُؤْتِی مُلْکَهُ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ (۲۴۷)

فسأل النبى عليه السّلام من اللّه ذلك، فاستجاب اللّه دعاءه و عين لهم ملكا و كتب عليهم القتال فَلَمَّا کُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا أدبروا و كرهوا القتال إِلَّا قَلِیلًا مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ بِالظَّالِمِینَ الذين فروا من الجهاد بعد طلب منهم و إلحاح.

[۲۴۸] وَ قالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ أشموئيل إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَکُمْ و عين عليكم طالُوتَ مَلِکاً و كان من أبناء «بن يامين» أخى يوسف عليه السّلام و لم يكن من سبط النبوة و لا من سبط المملكة، فإن النبوة كانت فى أولاد «لاوى» ابن يعقوب عليه السّلام، و المملكة كانت فى أولاد «يهوذا» ابن يعقوب عليه السّلام قالُوا أَنَّى أى كيف یَکُونُ لَهُ الْمُلْکُ عَلَیْنا و يجعل سلطانا و ملكا لنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْکِ مِنْهُ لأنا من أسباط النبوة و المملكة وَ لَمْ یُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ فهو فقير لا مال له و الملك يحتاج إلى المال ليدير شؤون السلطة قالَ النبى عليه السّلام فى جوابهم إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَیْکُمْ و اللّه لا يصطفى إلا من هو الأصلح بحال عباده وَ زادَهُ بَسْطَةً أى سعة و زيادة فِی الْعِلْمِ و المملكة تحتاج

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۶۹

[سورة البقرة (۲): آية ۲۴۸]

وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۲۴۸)

إلى علم الملك ليتمكن به من إدارتها وَ الْجِسْمِ فهو رجل سمين يهابه الناس، شجاع يخافه الأعداء و هذه الأمور هى مقومات الملك لا- المال فإن العلم و الشجاعة و الهيبة تأتى بالمال، و ليس بالعكس وَ ليس كونه من «بن يامين» نقصا فكما جعل اللّه الملك فى بيت «يهوذا» سابقا يجعله فى «طالوت» حالا فإن اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ و ليس احتكارا على أحد وَ اللَّهُ واسِعٌ قدرة و عطاء فيهب الملك لمن يشاء عَلِيمٌ بمصالح العباد فلا يجعل شيئا إلا إذا كان صالحا.

[۲۴۹] وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ أشموئيل زيادة فى الدلالة على جعل اللّه «طالوت» ملكا عليهم إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ و أن اللّه تعالى جعله ملكا أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ و هو تابوت أنزله اللّه على أم موسى فوضعت موسى فيه حين ألقته فى البحر و كان بنوا إسرائيل يتبركون به فلما حضر موسى الموت وضع فيه الألواح و درعه و ما كان عنده من آيات النبوة و أودعه يوشع وصيه فلم يزل التابوت بينهم حتى استخفوا به و كان الصبيان يلعبون به فى الطرقات فلم يزل بنوا إسرائيل فى عز و شرف ما دام التابوت بينهم فلما عملوا بالمعاصى و استخفوا بالتابوت رفعه اللّه عنهم ثم جعل رد التابوت عليهم دليلا على أنه جعل اللّه طالوت ملكا فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ تسكنون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۷۰

[سورة البقرة (۲): آية ۲۴۹]

فَلَمَّا فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُودِ قالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ- قَلِيلاً- مِنْهُمْ فَلَمَّا جاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قالُوا لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (۲۴۹)

إليه و تعلمون أنكم منصورون بسببه و يكون دليلا على ملك طالوت وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ عصا موسى عليه السّلام و الألواح و طست خاص بالأنبياء عليهم السّلام و أشياء أخر، فإنها وصلت بالإرث إلى آل هذين النبيين المعظمين و هم جعلوها فى التابوت تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ حملا واقعيا أو حملا ظاهرا بأن رأى بنوا إسرائيل الملائكة بين السماء و الأرض أتت بالتابوت إِنَّ فِي ذلِكَ التابوت الذى رجع إليكم بعد فقده لَآيَةً لَكُمْ على كون طالوت ملكا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ مصدقين، أى إن كنتم مؤمنين قلبا، تصدقون ذلك.

[۲۵۰] فَلَمَّا رأى بنوا إسرائيل التابوت صدقوا و انضووا تحت لواء طالوت، و تحركوا نحو الجهاد مع أعدائهم و لما فَصَلَ خرج و انفصل عن المدينة طالُوتُ بِالْجُنُودِ الذين كانوا معه قالَ طالوت ممتحنا للجنود حتى يتبين مقدار صبرهم و ثباتهم على المكاره و أنهم إن جازوا من نهر الماء عطاشا يوثق بهم فى الحرب و إن لم يسمعوا و لم يتمكنوا من الصبر على عطش قليل فهم أحرى بأن لا يصبروا أمام السيوف و الرماح إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ ممتحنكم بِنَهَرٍ من ماء فى طريقكم فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ممن يتبعنى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۷۱

و لينصرف وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ أى لم يذق طعم ذلك الماء فَإِنَّهُ مِنِّي و يتبعنى إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً واحدة بِيَدِهِ فشربها فقط لا أكثر من ذلك فَشَرِبُوا مِنْهُ من النهر إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ الذين أطاعوا أمر طالوت فلم يشربوا إلا غرفة واحدة و هؤلاء الذين أطاعوا هم الذين اتبعوا طالوت إلى الحرب أما من عصاه فلم يتبعه فَلَمَّا جاوَزَهُ هُوَ أى جاوز طالوت النهر وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ممن تبعه و لم يشرب الماء إلا غرفة قالُوا لا- طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ و هو رئيس الكفار وَ جُنُودِهِ لما رأوا من كثرتهم قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ من أصحاب طالوت، و فى قوله «يظنون» إشارة إلى أن الظن بالمعاد كاف فى تحفيز الإنسان نحو الجهاد و الأعمال الصالحة، و ملاقاة اللّه كناية عن

القيامة لأنهم يلاقون جزاء اللّه كَمْ مِنْ فِئَةٍ أى جماعة قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ أى بنصره وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ الذين يصبرون على المكاره و يثبتون عند ملاقاة الكفار، و بهذا الكلام شجعوا أنفسهم و أصحابهم لمقابلة جالوت و جنوده.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۷۲

[سورة البقرة (۲): الآيات ۲۵۰ الى ۲۵۱]

وَ لَمَّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (۲۵۰) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ (۲۵۱)

[۲۵۱] وَ لَمَّا بَرَزُوا أى ظهروا فى محل الحرب لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ الكثيرة قالُوا أى قال طالوت و المؤمنون رَبَّنا أَفْرِغْ أى أصبب عَلَيْنا صَبْراً لنكون صابرين فى الحرب وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا حتى لا نفر وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ فاستجاب اللّه سبحانه دعاءهم.

[۲۵۲] فَهَزَمُوهُمْ أى هزم طالوت و المؤمنون، جالوت و الكفار بِإِذْنِ اللَّهِ و نصره وَ قَتَلَ داوُدُ النبى عليه السّلام و هو أبو سليمان عليه السّلام جالُوتَ رئيس الكفار فإن داود أخذ حصاة و رماها بالمقلاع نحو جالوت فأصابت جبهته و كانت فيها ياقوتة فانتشرت و وصلت إلى دماغه و خر ميتا و هزم الكفار وَ آتاهُ أى أعطى اللَّهِ داود عليه السّلام الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ فصار نبيا و ملكا وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ من العلوم الدنيوية و الأخروية وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ بأن يدفع الكافرين المفسدين بسبب المؤمنين المصلحين لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ لما يوجدون فيها من القتل و الحرق و السبى و الإفساد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۷۳

[سورة البقرة (۲): آية ۲۵۲]

تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (۲۵۲)

وَ لكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ فيدفع الفاسد بالصالح لتبقى الأرض عامرة و ينمو الزرع و الضرع.

[۲۵۳] تِلْكَ آياتُ اللَّهِ أى تلك التى ذكرت من إماتة الأحياء دفعة و إحياء الموتى دفعة و تمليك طالوت و نصرة المؤمنين على أعدائهم دلالات اللّه على وجوده و قدرته و علمه و سائر صفاته نَتْلُوها نقرؤها عَلَيْكَ يا رسول اللّه بِالْحَقِ أى بالصدق فلا كذب فيها و أنزلت لأجل الصدق لا لأجل الباطل و الكذب و الغش وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ حيث تخبر بهذه الأخبار عن غيب بدلالة اللّه لك و وحيه إياها إليك.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۷۵

تقريب القران الى الأذهان الجزء الثّالث من آية (۲۵۴) سورة البقرة إلى (۹۳) سورة آل عمران

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۷۶

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين، و الصلاة و السّلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمّد المصطفى و عترته الطّاهرين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۷۷

[سورة البقرة (۲): آية ۲۵۳]

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ وَ لكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَ لكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ (۲۵۳)

[۲۵۴] تِلْكَ الرُّسُلُ الذين أشير إليهم فى قوله «إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ فهم و إن اشتركوا فى أصل الرسالة إلا

أنهم مختلفين فی الفضیلهٔ مِنْهُمْ مَنْ کَلَّمَ اللَّهُ إیاه و هو موسی علیه السّلام و حیث أن هناک محل سؤال: هل یمکن للإنسان أن یرتقی هذا المرتقی العظیم حتی یکلمه اللّه سبحانه؟ ألمحت الآیهٔ إلی ذلک قائلهٔ: وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ لا درجهٔ واحدهٔ، حتی سببت تلک الرفعهٔ أن یتمکن من مکالمهٔ اللّه مباشرهٔ وَ آتَیْنا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّناتِ و أنه لمن تفنن القرآن الحکیم فی التعبیر حیث لم یصرح باسم موسی و صرح باسم عیسی علیه السّلام و البینات هی الدلالات الواضحات علی نبوته من إحیاء الموتی و إبراء الأکمه و الأبرص وَ أَیَّدْناهُ أی قویناه فإن التأیید بمعنی التقویهٔ بِرُوحِ الْقُدُسِ أی روح مقدسهٔ، کما مر سابقا فلم یکن إنسانا عادیا و لا خالقا و ربا و إنما نبی مؤید من عند اللّه سبحانه، و حیث کان هنا مجال سؤال هو أن الأنبیاء علیهم السّلام حیث أتوا بالدلالات لم یکن مجال لتشکیک الناس فیهم فکیف تقع الحروب بین الناس حول الأنبیاء إثباتا أو نفیا أو إثباتا لنبی دون نبی؟ أتی السیاق مشیرا إلی جواب ذلک وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ بأن ألجأ الناس و اضطرهم علی الانقیاد و الاهتداء مَا اقْتَتَلَ الَّذِینَ مِنْ بَعْدِهِمْ أی من بعد الرسل أی بعد مجیء کل واحد منهم

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۲۷۸

[سورهٔ البقرهٔ (۲): آیهٔ ۲۵۴]

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناکُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لا بَیْعٌ فِیهِ وَ لا خُلَّهٌ وَ لا شَفاعَهٌ وَ الْکافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (۲۵۴)

مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَیِّناتُ أی جاءت الناس الأدلهٔ الواضحهٔ وَ لکِنِ اخْتَلَفُوا أی الناس فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ کَفَرَ بالرسول وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا تکریرا للتأکید و أن المشیئهٔ الإلجائیهٔ لم تتعلق حول التشریع و إن تعلقت حول التکوین وَ لکِنَّ اللَّهَ یَفْعَلُ ما یُرِیدُ من إعطاء الاختیار بید الإنسان لیؤمن من آمن عن اختیار و یکفر من کفر عن اختیار لیثبت الجزاء و الحساب و لم یذکر الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لأن الخطاب موجه إلیه «وَ إِنَّکَ لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ».

[۲۵۵] و حیث أن القتال یحتاج إلی الإنفاق یزاوج القرآن الحکیم فی آیاته بین الأمرین کثیرا یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناکُمْ من مختلف أنواع الرزق، و لعل عمومه یشمل مثل التعلیم و الشفاعهٔ و نحوها فإن العلم و الوجاههٔ من رزق اللّه سبحانه مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لا بَیْعٌ فِیهِ حتی یشتری الإنسان نفسه بشیء فینجیها من عذاب اللّه سبحانه وَ لا خُلَّهٌ أی صداقهٔ فیراعی الصدیق المذنب لأجل صدیقه، أو صداقهٔ بین اللّه و بین أحد حتی یراعیه و یغفر ذنبه لصداقته وَ لا شَفاعَهٌ کشفاعات الدنیا حیث أن الشفیع ینبعث من نفسه فیشفع للمذنب، فإن هناک لا یشفعون إلا لمن ارتضی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۲۷۹

[سورهٔ البقرهٔ (۲): آیهٔ ۲۵۵]

اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَیُّ الْقَیُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَ لا نَوْمٌ لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ یَعْلَمُ ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِما شاءَ وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لا یَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِیُّ الْعَظِیمُ (۲۵۵)

وَ الْکافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ فلیس حرمان الکافر فی ذلک الیوم لأجل الظلم من قبل اللّه سبحانه بل الکافر هو الظالم الذی استحق العقاب بکفره و ظلمه نفسه حیث حرمها من نیل المثوبهٔ.

[۲۵۶] اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فالأمور فی یوم القیامهٔ کلها بیده لا یشارک فیما یفعل و لعل هذا هو وجه الارتباط بین هذه الآیهٔ و الآیهٔ السالفهٔ الْحَیُ الذی لا یموت فلا یمکن التخلص منه الْقَیُّومُ القائم علی الأمور یعلمها جمیعا فلا یمکن الاختفاء منه.

لا تَأْخُذُهُ سِنَهٌ و هی النوم الخفیف المسمی بالنعاس وَ لا نَوْمٌ و قدم الأول لتقدمه فی الخارج لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ فهو الخالق و المالک الوحید الذی لا یشارکه أحد، و الظرف هنا یتبع المظروف فلیست السماوات و الأرض خارجتین عن الملکیهٔ مَنْ ذَا أی أی شخص الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ یوم القیامهٔ إِلَّا بِإِذْنِهِ استفهام إنکاری فإنهم لا یشفعون إلا لمن ارتضی یَعْلَمُ ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ أی ما یقدمون من أعمال خیر و شر و ما یخلفون من بعدهم کبناء مدرسهٔ أو مخمر یبقیان بعده وَ لا یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ أی بما

يعلمه من الماضى و الحاضر و الآتى إِلَّا بِما شاءَ أى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۸۰

[سورة البقرة (۲): آية ۲۵۶]

لا إِكْراهَ فِي الـدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لا انْفِصامَ لَها وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۲۵۶)

بما أراد من اطلاع الناس عليه فإن علم الشخص حتى بالضروريات مما تتعلق به مشيئة اللّه سبحانه فإنه هو الذى جعل الإنسان بحيث يعلم الأمور فى الجملة وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ الكرسى كناية عن السلطة و الملكية يقال: كرسى فلان يسع العراق إذا كان ملكا عليها، أى أن سلطة اللّه سبحانه تشمل جميع الكون، فإنه لا يخلو من سماء و أرض وَ لا يَؤُدُهُ أى لا يشق عليه تعالى، من آده يأده، إذا أثقله و جهده حِفْظُهُما أى حفظ السماوات و الأرض بالتربية و التنمية و الإصلاح وَ هُوَ الْعَلِيُّ أى الرفيع مقاما الْعَظِيمُ الشأن.

[۲۵۷] لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ فإن اللّه لم يلجأ الخلق إلى اعتناق الدين بل جعل فيهم الاختيار و الإرادة فإن شاءوا دانوا و إن لم يشاءوا لم يدينوا قَدْ تَبَيَّنَ أى وضح الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِ أى الهداية من الضلالة و الإيمان من الكفر و الحق من الباطل فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ و هو كل ما يعبد من دون اللّه وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وحده، و قدم نفى الكفر لأن النفى مقدم على الإثبات كما قدم فى كلمة «لا إله إلا اللّه» فَقَدِ اسْتَمْسَكَ أى تمسك و اعتصم و أخذ بِالْعُرْوَةِ و هى «المسكة» لمثل الكوز الْوُثْقى أى الوثيقة التى لا تنفصل فقد شبه الخير بإناء للسقى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۸۱

[سورة البقرة (۲): الآيات ۲۵۷ الى ۲۵۸]

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۲۵۷) أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ قالَ أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۲۵۸)

أو الطعام له عروة فالإيمان باللّه عروة وثقى للخير لأنه لَا انْفِصامَ لَها و لا انقطاع بل تدوم الاستفادة من الخير بسبب الإيمان فى الدنيا و الآخرة بينما الإيمان بالطاغوت عروة واهية تنفصم إذا فارق الإنسان الحياة الدنيا ينقطع الخير الذى يناله الإنسان- فرضا- بسبب الكفر وَ اللَّهُ سَمِيعٌ لأقوالكم عَلِيمٌ بنياتكم و أعمالكم.

[۲۵۸] اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يلى أمورهم و ينصرهم و يعينهم يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ ظلمات الحياة و مشاكلها، من ظلمة العقيدة، و ظلمة القول و ظلمة الدنيا كلها إِلَى النُّورِ نور الهداية، و نور الآخرة وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ أى أن جنس الطاغوت يكون أولياء لهم، فإن الطواغيت من الجن و الإنس يتولون أمورهم و ضلالهم و حيث أن الطاغوت أريد به الجنس جاز الإتيان بصيغة الجمع فى «أوليائهم» صفة له يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ الكامن فى فطرتهم، و من نور الدنيا إِلَى الظُّلُماتِ ظلمات الكفر و الظلال فى الدنيا و عذاب اللّه فى الآخرة أُولئِكَ الذين كفروا أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ إلى الأبد فلا منجى لهم و لا مخلص [۲۵۹] سبق الحديث عن الإيمان و الكفر، فلتناسب المقام قصة حوار

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۸۲

حول هذا الموضوع بين إبراهيم عليه السّلام و نمرود أَ لَمْ تَرَ أى ألم تعلم، و قد تقدم أن هذه العبارة تذكر لإفادة العلم إِلَى الَّذِي حَاجَّ من المحاجة بمعنى المجادلة و المخاصمة إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ أى فى باب رب إبراهيم عليه السّلام الذى كان يعبده، أو رب الذى حاج و إن كان الأول أقرب أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ أى حيث أن اللّه أعطى نمرود الملك و السلطة بطر فأنكر وجود الخالق و جعل يجادل نبيه

إبراهيم عليه السّلام حول وجود اللّه سبحانه فقد قابل الإحسان بالإساءة إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ في جواب نمرود حيث قال له: من ربك؟ و المراد بالإحياء إحياء الجماد فإن كل حي أصله التراب و الماء إذ التراب بسبب الماء ينقلب عشبا و العشب ينقلب نطفة إنسانا أو حيوانا قالَ نمرود أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ فأخرج نفرين من حبسه و ضرب عنق أحدهما و أطلق الآخر و كان هذا مغالطة من نمرود إلا أن إبراهيم عليه السّلام أراد أن يلزمه بحجة لا يتمكن حتى من المغالطة فيها ف قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ هكذا يظهر للأبصار سواء دارت هي أو دارت الأرض كما يقوله بعض علماء الفلك فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ إن كنت إلها خالقا فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ أي تحير

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۸۳

[سورة البقرة (۲): آية ۲۵۹]

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَ شَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَ انْظُرْ إِلى حِمارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۲۵۹)

نمرود و لم يحر جوابا وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم بتعاميهم عن الحق فإنه سبحانه لا يلطف لطفه الخاص بمثل هؤلاء و إن أتم عليهم الحجة و أراهم الطريق.

[۲۶۰] أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ أي ألم تر إلى الذي مر على قرية، و المعنى إن شئت فانظر إلى الذي حاج و إن شئت فانظر إلى الذي مر على قرية و هو عزير النبي عليه السّلام أو أرميا وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها أي ساقطة حيطانها على سقوفها و أهلها موتى و السباع تأكل الجيف ففكر في نفسه ساعة قالَ أَنَّى أي كيف يُحْيِي هذِهِ الأموات اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها و كان ذلك منه تعجبا لا إنكارا فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ حتى بلي و نخرت عظامه ثُمَّ بَعَثَهُ أحياه كما كان قالَ اللّه سبحانه له بإيجاد صوت في الجو كَمْ لَبِثْتَ في مبيتك و منامك قالَ النبي لَبِثْتُ يَوْماً ثم نظر فإذا هو نام صباحا و الآن قبل غروب الشمس فأضرب قائلا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ اللّه سبحانه بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ و قد كان معه طعام و شراب و حمار، فكان الطعام و الشراب باقيين كما هما و كان الحمار قد مات و تفرقت عظامه و نخرت دلالة على كمال قدرة اللّه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۸۴

[سورة البقرة (۲): آية ۲۶۰]

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲۶۰)

سبحانه فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَ شَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ لم تغيره السنون، و الإتيان بلفظ المفرد باعتبار كل واحد منهما وَ انْظُرْ إِلى حِمارِكَ كيف مات و نخرت عظامه وَ لِنَجْعَلَكَ أيها الرسول آيَةً لِلنَّاسِ أي حجة حيث أحييناك بعد مائة عام حتى يعرف الناس أن اللّه قادر على بعث الأموات وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ لحمارك المتفتتة كَيْفَ نُنْشِزُها أي كيف نرفع بعضها إلى بعض لنركب منها الهيكل العظمي للحمار ثُمَّ نَكْسُوها أي نلبس العظام لَحْماً حتى يستوي حمارا حيا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أي وضح له إحياء الأموات عيانا قالَ النبي عليه السّلام أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أي علما عيانا و إلا فقد كان يعلم ذلك قبل السؤال.

[۲۶۱] وَ اذكر يا رسول اللّه إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى فإنه عليه السّلام رأى جيفة تمزقها السباع فيأكل منها سباع البر و سباع الهواء و دواب البحر فسأل اللّه إبراهيم عليه السّلام فقال: يا رب قد علمت أنك تجمعها من بطون السباع و الطير و دواب البر فأرني كيف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۸۵

تحييها لأعاين ذلك قالَ اللّه سبحانه أ وَ لَمْ تُؤْمِنْ على نحو استفهام التقرير، ليقول آمنت، كقولهم: «ألستم خير من ركب المطايا» قالَ إبراهيم عليه السّلام بَلى أنا مؤمن وَ لكِنْ أسأل ذلك لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي و يكون يقيني عين اليقين فإن الإنسان الذى يعلم أن النار- مثلا- حارة، يسمى ذلك علم اليقين، فإذا رآها سمى حق اليقين، فإذا أدخل يده فيها فاحترقت سمى عين اليقين، و ورد أنه عليه السّلام علم أن اللّه يتخذ عبدا له خليلا- إذا سأله إحياء الموتى أحياها فأراد أن يطمئن أنه هو قالَ اللّه سبحانه فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ الطاووس و الحمام و الغراب و الديك فاذبحهن و قطعهن و اخلطهن بعضا ببعض فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ من صرته بمعنى قطعته و «إليك» إنما هو من مستلزمات القطع، فإن الإنسان إذا أراد أن يقطع شيئا قطعا جيدا و يخلطه لا بد و أن يجذبه إليه و لعله كناية عن القطع الجيد و التخليط البالغ ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ من عشرة جبال مِنْهُنَّ جُزْءاً و إنما ذلك يدل على أن الأجزاء الميتة تجتمع من محلات متباعدة وقت الحشر ثُمَّ ادْعُهُنَ بأن تأخذ بمنقار كل واحد من الطيور الأربعة فى يدك و تدعوه باسمه يَأْتِينَكَ تجتمع الأجزاء من الجبال سَعْياً مسرعات وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لا- يمتنع عليه شىء حَكِيمٌ فيما يفعل فلا- يفعل شيئا اعتباطا و عبثا، ففعل إبراهيم عليه السّلام ذلك فتطايرت

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۸۶

[سورة البقرة (۲): الآيات ۲۶۱ الى ۲۶۲]

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۲۶۱) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا- يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لا- أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا- خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا- هُمْ يَحْزَنُونَ (۲۶۲)

الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان و جاء كل بدن حتى نظم إلى رقبته و رأسه فأطلقها إبراهيم عليه السّلام فطرن فالتقطن الحب و شربن الماء ثم دعون لإبراهيم عليه السّلام.

[۲۶۲] تقدم الكلام فى الآيات السابقة عن من يقرض اللّه قرضا حسنا، ثم تخلل الكلام دليل التوحيد و الرسالة و المعاد و الآن يرجع السياق إلى الإنفاق مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا رياء أو سمعة و شهرة و نحوها كَمَثَلِ حَبَّةٍ من الحنطة أو الشعير أو نحوهما أَنْبَتَتْ أى أخرجت سَبْعَ سَنابِلَ جمع سنبلة و هى مجمع الحبات فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ فتكون النفقة فى سبيل اللّه بسبعمائة ضعف وَ اللَّهُ يُضاعِفُ أى يزيد كل سبعمائة لِمَنْ يَشاءُ من عباده من المنفقين وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ يسع علمه و قدرته فيعلم المنفق و الإنفاق، و قد مثل الإنفاق بهذا ليكون أوقع فى النفس و أكثر فى التأثير و التشويق.

[۲۶۳] ثم ذكر شرطا آخر للإنفاق المثمر الموجب للأجر بقوله تعالى:

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ أى لا يعقبون ما أَنْفَقُوا مَنًّا على المعطى له بأن يمن عليه فى إنفاقه كأن يقول له: إنى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۸۷

[سورة البقرة (۲): الآيات ۲۶۳ الى ۲۶۴]

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذىً وَ اللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (۲۶۳) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذى كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ وَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (۲۶۴)

أعطيتك فكن شاكرا وَ لا أَذىً بأن يؤذى المعطى له، كأن يقول:

ابتليت بفلان الفقير لَهُمْ أَجْرُهُمْ و جزاء إنفاقهم عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من العذاب لأن من ينفق هكذا يكون مخلصا فى جميع أعماله، أو لا خوف عليهم من فوت الأجر وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ و هو يحتمل الأمرين مثل- لا خوف-.

[۲۶۴] قَوْلٌ مَعْرُوفٌ بأن يرد به السائل، نحو اللّه يعطيك وَ مَغْفِرَةٌ أى تجاوز عن السائل فيما إذا أساء خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذىً لأن

الصدقة كذلك تجرح قلب السائل دونهما، و لأنها تتبع العقاب، لأن هكذا صدقة محرمة، بخلافهما وَ اللَّهُ غَنِيٌّ فلا يحتاج إلى صدقاتكم أيها المعطون، و إنما أنتم تحتاجون إليها، فحث اللّه بالإنفاق لكم، لا له حَلِيمٌ حليم عن عقابكم بسبب صدقاتكم التى يتبعها الأذى.

[۲۶۵] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِ على السائل وَ الْأَذى له فإن فيها إبطالا للصدقة من حيث الثواب فلا ثواب لها عند العرف لأن مثل هذه الصدقة لا تحسب جميلا و إنما قبيحا بشعا، فإن من يبطل صدقته بالمن و الأذى فهو كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ لأجل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۸۸

أن يراه الناس فيمدحوه وَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ بأن يكون الداعى له إلى التصدق أمر اللّه سبحانه أو ثواب الآخرة فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً الصفوان: الحجر الأملس، و الوابل: المطر الشديد الوقع، و الصلد من الأرض ما لا ينبت شيئا لصلابته، فإن الإنسان الكافر كالحجر الصلب الذى لا يرجى منه خير، و ما يتحفظ به ظواهره بمنزلة تراب على الحجر يظن الناس أنه محل قابل للنبت، و الصدقة التى يرائى بها كالمطر الشديد، فإنه إذا نزل بأرض صالحة كان مبعث الخير و النبات لكنه إذا نزل على الحجر المغطى بالتراب أزال ترابه و أظهر صلادته و عدم قبوله لأى إنبات أو عشب، و كذلك الكافر الذى يظن به الناس بعض الخير إذا أنفق رياء ظهر على الناس حقيقته المنحرفة فتكون الصدقة- التى هى بذاتها سبب الخير و الرحمة- معرية لحقيقة الكافر البشعة، و من ناحية أخرى أنها توجب سخط اللّه عليه أكثر من ذى قبل فتكون مذهبة لما يظن أنها حسنة له من بعض أعماله الخيرية السابقة لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا من مكاسبهم السابقة لأن الصدقة برياء ذهاب بها كما أن المطر يذهب بالتراب فلا يمكن إرجاعه و جمعه وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ فلا يلطف بهم اللطف الخاص لأنهم أسقطوا أنفسهم عن القابلية لجحودهم بعد أن عرفوا الحق.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۸۹

[سورة البقرة (۲): الآيات ۲۶۵ الى ۲۶۶]

وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ تَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۲۶۵) أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَ أَصابَهُ الْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (۲۶۶)

[۲۶۶] وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ أى لأجل طلب رضى اللّه سبحانه وَ تَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ أى لأجل تثبيت أعمالهم الحسنة و تركيزها، تثبيتا ناشئا من أنفسهم فأنفسهم هى التى توصى بذلك، لا كالمرائى الذى يحمله على الصدقة رؤية الناس، فهذه الجملة «من أنفسهم» مقابل جملة «رئاء الناس» فى الآية السابقة كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أى بستان مرتفع أَصابَها وابِلٌ مطر غزير فَآتَتْ أى أعطت أُكُلَها و ثمرها ضِعْفَيْنِ فإن الإنسان المؤمن كالبستان الواقع فى مرتفع يزهو للناس و يكون أقرب إلى الاستفادة من الهواء و الشمس و المطر، فإن المؤمن أقرب إلى الخير فإذا تصدق تكون صدقته كالمطر الذى إذا نزل بالبستان يوجب نمو ثمارها و ازدهار أشجارها فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ مطر غزير فيكفى لإثمارها و إنضارها طل رذاذ من مطر قليل وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيكم على أعمالكم إن رياء و إن قربة.

[۲۶۷] و لما مثل سبحانه لصدقة كل من المؤمن و الكافر، مثل لصدقة المؤمن الذى يمن بصدقته فيبطلها أَ يَوَدُّ أى هل يحب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۹۰

[سورة البقرة (۲): آية ۲۶۷]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَ مِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (۲۶۷)

أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أى تحت أشجارها لَهُ فِيها أى فى تلك الجنة مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَ أَصابَهُ الْكِبَرُ أى الشيخوخة وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ عاجزون عن كسب المأكل و الملبس فَأَصابَها أى أصاب الجنة إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ كلا لا يحب أحد ذلك إنه فى أشد أوقات حاجته، فهل يرضى إصابة النار بأثمن ما يملك؟ إن مثل من ينفق عن إيمان و اعتقاد مثل تلك الجنة، فإذا امتن بعد ذلك أو آذى السائل، يكون ذلك نارا تحرق جنته فى أشد أوقات حاجته، فالإنسان فى أشد الحاجة إلى خيره فى الآخرة، فإذا امتن بقى صفر اليدين هناك كَذلِكَ أى كهذا البيان الذى بين أمر الصدقة و غيرها يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ بضرب الأمثال و المشوقات لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فتستقيموا على الصراط المستقيم.

[۲۶۸] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ طيبا واقعيا بكونه حلالا و ظاهريا بكونه جيدا و مِنْ طيبات ما أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ أى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۹۱

[سورة البقرة (۲): آية ۲۶۸]

الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلاً وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۲۶۸)

طيب مكسبكم و طيب ثماركم، فلا تنفقوا من الربا و لا من الماء الآجن و لا من حشف التمر- مثلا- وَ لا تَيَمَّمُوا أى لا تقصدوا الْخَبِيثَ الحرام الردىء مِنْهُ تُنْفِقُونَ للناس وَ الحال أنكم لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ فإن أراد أحد إعطائكم من ذلك ما كنتم تأخذونه إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ أى تغمضوا عيونكم كراهة له، فالإنسان إذا استبشع شيئا غمض عينه حتى لا يراه، فكيف تنفقون مثل هذا الشيء الذى إذا أردتم أخذه غمضتم عينكم استبشاعا له وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عن صدقاتكم فلا يأخذ إلا الطيب و لا يقبل إلا الحسن حَمِيدٌ أى مستحق للحمد على نعمه، و من حمده أن يعطى الإنسان الشيء الطيب فى سبيله، فالإنسان إذا أراد تقدير شخص دفع إليه أحسن ما يتمكن، لا أنه يدفع الردىء الخبيث.

[۲۶۹] الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ إذا أردتم الإنفاق فى سبيل اللّه وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ إذا أردتم الإنفاق يقول لكم: أنفقوا من الردىء الخبيث، و هو قسم من الفحشاء، أو المراد به الأعمال القبيحة مطلقا، وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ فإنه يغفر ذنوبكم بسبب الصدقة و سائر المبرات وَ فَضْلًا فيخلف ما أنفقتموه وَ اللَّهُ واسِعٌ ليس ضيق المقدرة حتى لا يتمكن من التعويض عَلِيمٌ بما تعطون فيجازيكم بالحسن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۲۹۲

[سورة البقرة (۲): الآيات ۲۶۹ الى ۲۷۱]

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ (۲۶۹) وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ (۲۷۰) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۲۷۱)

حسنا و بالسيئ سيئا.

[۲۷۰] إنّ الإنفاق فى سبيل اللّه من الطيب بلا رياء و لا منّ و لا أذى من الحكمة التى هى وضع الأشياء موضعها اللائق و اللّه سبحانه يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ ممن له قابلية بما سبق أن أخذ بالشريعة وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً و أى خير أعظم من أن يعمر الإنسان دنياه و عقباه بأخذه بأوامر اللّه سبحانه و انتهاجه المنهج المستقيم الموجب لسعادة النشأتين وَ ما يَذَّكَّرُ أى ما يتذكر و لا يفهم ذلك إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ أصحاب العقول فصاحب العقل هو الذى يتبع ما ينفعه و يذر ما يضره.

[۲۷۱] وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ قليلة أو كثيرة أى أية صدقة تصدقتم بها أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ أى ما أوجبتموه على أنفسكم للّه بسبب النذر فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ فيجازيكم عليه و يكون ذلك سببا للإحسان إلى النفس وَ ما لِلظَّالِمِينَ الذين يظلمون أنفسهم بالشح و منع الصدقات الواجبة و حنث النذر و المن و الأذى و الرياء فى الصدقة مِنْ أَنْصارٍ ينصرونهم و يخلصونهم من عقاب اللّه سبحانه.

[۲۷۲] إِنْ تُبْدُوا أي تظهروا الصَّدَقاتِ حين إعطائها، بأن تعطوها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۹۳

[سورة البقرة (۲): آية ۲۷۲]

لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَ ما تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (۲۷۲)

جهرا، بقصد القربة لا بقصد الرياء فَنِعِمَّا هِيَ أي فنعم الشيء الصدقة الظاهرة فإنها توجب دفع التهمة و اقتداء الناس وَ إِنْ تُخْفُوها أي الصدقات وَ تُؤْتُوهَا أي تعطوها سرا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لأنه أقرب إلى القربة و أبعد عن الرياء و أحفظ لصون ماء وجه الآخذ وَ يُكَفِّرُ أي يغفر عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ أي بعض ذنوبكم بواسطة إعطاء الصدقة فإن صدقة السر تطفى غضب الرب وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فيجازيكم على أعمالكم، فليس التصدق سرا غائبا عن اللّه سبحانه بل هو بكل شيء عليم.

[۲۷۳] امتنع بعض المسلمين عن التصدق إلى غير المسلم فنزلت لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ فإنك لست مجبورا بأن تهديدهم و إنما عليك الإرشاد و البلاغ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إلى الصراط المستقيم، بإراءته الطريق، أو بإيصاله المطلوب وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ فإن نفعه الدنيوى و الأخروى يعود إليكم وَ ما تُنْفِقُونَ أي ليس إنفاقكم إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ أي لأجله سبحانه، و أي شيء أحسن من أن ينفق الإنسان في سبيل خالقه و منعمه و المتفضل عليه وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۹۴

[سورة البقرة (۲): آية ۲۷۳]

لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (۲۷۳)

أي يوفر عليكم جزاءه و ثوابه وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ فتعطون جزاء إنفاقكم كاملا غير منقوص، فالإنفاق لأنفسكم، و ثوابه يعود عليكم، و هو في سبيل اللّه و ما أجمل أن يعطى الإنسان شيئا يعود نفعه إليه ثم يثاب به في الآخرة، و يرضى اللّه سبحانه عنه بذلك.

[۲۷۴] و لما بين اللّه سبحانه فضل الصدقة عقبه بأحسن مصارفها بقوله سبحانه: لِلْفُقَراءِ أي أن النفقة لهؤلاء الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أي منعوا و الذى منعهم هو أنفسهم، لأجل سبيل اللّه و إطاعته، فقد نزلت الآية في أصحاب الصفة الذين تركوا كل شيء لأجل الإسلام و أحصروا أنفسهم للعبادة و الجهاد بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ أي ذهابا فيها و عدم الاستطاعة اختيارية لا اضطرارية يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أي يظنهم الذى يجهل حالهم و باطن أمرهم أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ الامتناع من السؤال فإن الناس إذا رأوا تعففهم ظنوهم أغنياء لما عهدوا من سؤال الفقراء تَعْرِفُهُمْ أي تعرف إنهم فقراء بِسِيماهُمْ أي من وجوههم و أحوالهم يكون الفقر عليها باد لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً أي كما هو شأن كثير من الفقراء، بمعنى أنه ليس منهم سؤال فيكون إلحافا،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۲۹۵

[سورة البقرة (۲): الآيات ۲۷۴ الى ۲۷۵]

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۲۷۴) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهى فَلَهُ ما سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَ مَنْ عادَ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۲۷۵)

لا- إنهم يسألون من غير إلحاف وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ كل شيء يطلق عليه الخير من دار أو عقار أو درهم أو دينار أو غيرها فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ لا يفوته شيء فيجازيكم جزاء حسنا.

[٢٧٥] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً بالليل سرا و علانية و بالنهار سرا و علانية فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ إن الآية و إن كانت عامة إلا إنها نزلت في علي عليه السّلام حيث كانت له أربعة دراهم فتصدق باثنين منها نهارا سرا و علانية و باثنين ليلا سرا و علانية «١»، و قد تقدم معنى لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ

[٢٧٦] و حيث كانت الآيات حول الإنفاق، ناسب السياق ذكر الربا، فإنه عكس الإنفاق إذ هو استيلاء على أموال الناس من غير مبرر، بخلاف الإنفاق الذي هو إعطاء ماله للناس من غير مكسب و تجارة الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا و أكله كناية عن أخذه و إن لم يتصرف فيه لا يَقُومُونَ إِلَّا كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِ الرجل الذي مسه

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٨٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٢٩٦

الشيطان فصرع و تغير حاله و دارت عينه و زال توازن جسده و زبد فمه إذا أراد أن يقوم لبقية ما فيه من الشعور يقوم بعض القيام بكل انحراف و تأرجح ثم يسقط على الأرض، و هكذا الإنسان الذي يأكل الربا حتى اعتاد ذلك يكون أشبه شيء في عملية انتهاب أموال الناس بمن تخبطه الشيطان الذي يريد أن يقوم فإن تفكيره تفكير منحرف كتفكير المطروح و عينه تنظر بزيغ إلى أموال الناس كعين المصروع و فيه يلهج حول المال بانحراف كفم المصروع و إذا أراد أن يقوم من كبوته و يترك الربا و يأخذ بالجادة المستقيمة حول المال لا يلبث أن يسقط في الربا كما اعتاد من أكله و صار الابتزاز لمال الناس ملكته، و هذا تشبيه رائع مفزع و هكذا يكونون هؤلاء يوم القيامة.

فقد روى الإمام الصادق عليه السّلام عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: لما أسرى بي إلى السماء رأيت أقواما يريد أحدهم أن يقوم و لا يقدر عليه من عظم بطنه فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس «١»

، و قد ثبت في العلم أن الأرواح الشريرة قد تدخل في الإنسان فتسبب له صرعا ذلِكَ الأكل للربا الذي اعتادوه بسبب أنهم قالُوا ليس في أكل الربا بأس ف إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا كلاهما تعامل برضى الطرفين وَ ليس كذلك فمنطقهم غلط فقد أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ لما فيه من الفوائد وَ حَرَّمَ الرِّبا لما فيه من

---

(١) بحار الأنوار: ج ١٠٠ ص ١١۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٢٩٧

المضار، و يكفي أن نلمح إلى ضرر واحد هو أن معطى الربا إما ساقته الضرورة إلى الاقتراض كمرض أو نحوه مما ألجأ للاقتراض برباء فما أقبح أن يستغل الإنسان أخيه في مثل هذا الموقع مما يجدر به أن يساعده و يسعفه، و إما اقترض للتجارة و هذا لا يخلو من أحد أحوال ثلاثة:

الأول أن يخسر و الثاني أن لا يربح و لا يخسر و ما أقبح في هاتين الصورتين أن يأخذ صاحب المال زيادة بينما خسر العامل في الأول و لم يربح في الثاني و الثالث أن يربح، و قد قرر الإسلام المضاربة و الاشتراك في المربح فيما يجبر المقترض أن يدفع بمقدار خاص إلى المقرض بينما قد ربح بمقداره و قد ربح أقل و قد ربح أكثر.

فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ في تركه أخذ الربا فَانْتَهى و تاب فَلَهُ ما سَلَفَ فكل ربا أكله الناس بجهالة و عدم علم بحرمته أو قبل الإسلام لا يسترد منهم وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ سبحانه لا إلى الناس حتى يقول من أعطاه الربا: ردّ عليّ ما أخذت مني، أو أمره في قبول اللّه توبته إليه سبحانه وَ مَنْ عادَ إلى الربا بعد النهي و الإسلام فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ أبد الآبدين إلا أن يدركهم اللّه برحمته كما

قال سبحانه: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ «١».

---

(١) النساء: ١١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٩٨

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٧٦ الى ٢٧٨]

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ يُرْبِي الصَّدَقاتِ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨)

[٢٧٧] يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا أي ينقصه و يتلفه و يهلكه فما ظن المرابي أنه سبب زيادة أمواله يكون سببا لهلاكه و نقصانه فإن الربا يسبب غضب الناس و سخطهم على المرابي مما يثير حربا أو نهبا من الناس أو الحكومات لأمواله فيذهب الأصل و الفرع وَ يُرْبِي أي يزيد و ينمي الصَّدَقاتِ فإنه و إن ذهب جزء من المال بالصدقة لكنها تسبب حب الناس و التفافهم و تعاونهم مع المتصدق مما ينجر إلى زيادة أمواله، و هذا مع الغض عن المحق و النماء الخارجين عن الطبيعة مما يشأهما اللّه سبحانه بلا واسطة عادية وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ كثير الكفر أَثِيمٍ أي مذنب و في هذا دلالة على أن آكل الربا كفار أثيم.

[٢٧٨] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بالأصول الاعتقادية وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ بأن أتوا بالواجبات و تركوا المحرمات وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ تخصيص بعد التعميم لأهميتهما لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ و قد مر تفسير عدم الخوف و عدم الحزن.

[٢٧٩] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ خافوا من عقابه وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٢٩٩

[سورة البقرة (٢): آية ٢٧٩]

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)

مما كنتم تطلبونه قبل الإسلام و قد روى عن الإمام الباقر عليه السّلام أنه قال: إن الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية و قد بقي له بقايا على ثقيف فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم فنزلت الآية إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بالإسلام حقا فإن المؤمن هو الذي يأتمر بالأوامر و ينزجر بالزواجر.

[٢٨٠] فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا و لم تنقادوا إلى هذا النهي بل أكلتم الربا بعد النهي فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ أي اعملوا القتال مع اللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فأكل الربا يكون كمن أعلن الحرب مع الإله و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و ذلك من أفظع الجرائم، و عاقبته خسران الدين و الدنيا، و

حكم آكل الربا إنه يؤدب مرتين ثم يقتل في الثالثة كما روى عن الإمام الصادق عليه السّلام «١»

وَ إِنْ تُبْتُمْ و لم تأخذوا الربا فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ دون الزيادة التي حصلتموها بالربا و لا مفهوم للآية بأنهم إن لم يتوبوا فليس لهم رأس المال، بل المراد أن لكم رأس المال فما تبغون بالزيادة لا تَظْلِمُونَ الناس بأخذ الزيادة منهم وَ لا تُظْلَمُونَ بالنقصان من رأس المال.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ۴ ص ٧٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٠٠

[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٨٠ الى ٢٨٢]

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ٣٤٩

وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٨١) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَ لا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَ لْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى وَ لا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا وَ لا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَ أَدْنى أَلَّا تَرْتابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلَّا تَكْتُبُوها وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ وَ لا شَهِيدٌ وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)

[٢٨١] وَ إِنْ كانَ فيمن تطلبون منه- ممن ذكر أنه يرجع رأس المال- ذُو عُسْرَةٍ بأن كان رأس مالكم الذى تطلبونه عند ذى عسرة لا يتمكن من أدائه لعسره و ضيقه فاللازم نظرة إلى انتظار و تأخير إِلى مَيْسَرَةٍ أى إلى حال يسار المديون و الجملة خبرية معناها الأمر، أى فأنظروه إلى وقت يساره وَ أَنْ تَصَدَّقُوا على المعسر بما عليه من الدين بأن تجعلوا طلبكم صدقة له خَيْرٌ لَكُمْ فى الدنيا يجلب المحبة و البركة من اللّه سبحانه و فى الآخرة بالثواب الجزيل إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أى إن كنتم تعلمون الخير من الشر و تميزون ما ينفعكم مما يضركم لعلمتم أن هبة الدين للمعسر خير لكم.

[٢٨٢] وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ فلا تأكلوا الربا و لا تؤاخذوا المعسرين بل تصدقوا عليهم، فإن إتيان الحرام موجب للعقاب و التصدق موجب للثواب ثُمَّ تُوَفَّى أى تعطى وافيا كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ من خير أو شر وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ شيئا فلا ينقص من أجورهم شيء كما لا يزاد فى عذابهم أكثر من استحقاقهم، و معنى الرجوع إلى اللّه الرجوع إلى حكمه و أمره و قضائه و جزائه.

[٢٨٣] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ أى تعاملتم بالدين و دان بعضكم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٠١

بعضا فى بيع أو غيره بِدَيْنٍ إما تأكيد و إما لدفع توهم أن يكون المراد من المداينة المجازاة كما قال الشاعر «و لا أنت ديانى فتجزينى» إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى أى مدة قد سميت فى العقد كما لو دائنه إلى سنة أو باعه نسيئة إلى ستة أشهر مثلا فَاكْتُبُوهُ أى اكتبوا ذلك الدين فى صك و أنه إلى أية مدة لئلا يقع فيه نسيان أو جحود أو خلاف وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كتاب الدين كاتِبٌ بِالْعَدْلِ بالحق لا يزيد فى المقدار و الأجل و الوصف و لا ينقص منها وَ لا يَأْبَ أى لا يمتنع كاتِبٌ أى شخص كان من المتعاملين أو غيرهما أَنْ يَكْتُبَ الصك كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ بأن يبخل فلا يكتب، فالتكليف من اللّه سبحانه و هو فى مقابل أن علمه تعالى الكتابة و العلم فلا يثقل أو يبطئ أو يبخل فَلْيَكْتُبْ الكاتب وَ لْيُمْلِلِ بمعنى ليملأ فإن الإملال و الإملاء بمعنى واحد يلقى صيغة الكتابة على الكاتب الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ أى المديون حتى يقر على نفسه أولا حتى لا يقول زائدا على الحق ثانيا، فالذى له الحق لو أملى كان معرضا لأن يقول الزيادة وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ الكاتب أو المديون رَبَّهُ فإنه رب له فكيف يخالف أمره وَ لا يَبْخَسْ أى لا ينقص الكاتب أو المديون مِنْهُ أى من الحق شَيْئاً أما نقص الكاتب فواضح و أما نقص المديون كأن يجعل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٠٢

الدينار و الذى هو مقابل ثوب فى مقابل ثوبين فَإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً بحيث لم يتمكن من الإملاء أَوْ ضَعِيفاً لجنون أو كبر أو صغر أو نحوها أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ لخرس أو عذر آخر مع عدم السفاهة و الضعف فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ أى ولى من عليه الحق بِالْعَدْلِ بلا إفراط أو تفريط وَ اسْتَشْهِدُوا أى اطلبوا شهادة شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ على المكتوب لينفع ذلك عند الترافع و المخاصمة لدى التخالف، و لعل قيد من رجالكم لإخراج الكفار فَإِنْ لَمْ يَكُونا أى لم يكن الشاهدين رَجُلَيْنِ لعدم حضورهما أو عدم إرادة المستشهد فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ يشهدون على الكتابة، أو فليشهد رجل و امرأتان مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ لوثاقتهم أو عدالتهم إذ لا تقبل شهادة من عداهم

لـدی المخالفـهٔ و التراخ، و إنما جعلت المرأتان مکان رجل واحد لأن المرأهٔ لضـعف ذاکرتها کما ثبت فی العلم الحدیث یتطرق إلیها من النسیان ما لا یتطرق إلی الرجل، و لذا قال سبحانه: أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما من الضلال أی تخطأ و تشتبه و تنسی فَتُذَکِّرَ إِحْداهُمَا التی لم تضل الْأُخْری التی نسیت و ضـلت، و «أن» إما بمعنی «لئلا» و تکون جملـهٔ «فتـذکر» منقطعـهٔ، أی إن ضـلّت تـذکر الثانیهٔ الأولی، و أما أصلها «إن» بالکسر، صفهٔ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۳۰۳

لامرأتـان، و الأول أقرب وَ لا یَأْبَ أی لا یمتنع الشُّهَداءِ الـذین یراد إشـهادهم للـدین- و سـموا شـهداء بمجاز المشارفـهٔ- إِذا ما دُعُوا لتحمل الشهادهٔ و هذا أمر إیجابی أو استحبابی، أو المراد الأعم من التحمل و الأداء.

وَ لا تَسْئَمُوا أی لا تضجروا أیها المتداینون أَنْ تَکْتُبُوهُ أی تکتبوا الدین أو تکتبوا الحق صَغِیراً کان الحق و الدین أَوْ کَبِیراً و هذا تأدیب لمن یترک کتابـهٔ الصـغیر لعـدم الاهتمام به، فکثیرا ما یقع التنازع فی الصـغیر إِلی أَجَلِهِ أی إلی أجل الـدین و مدته، و فیه تنبیه إلی أن الکتابهٔ تبقی إلی الأجل فتنفع هناک، أو المعنی کتابهٔ تتضمن إلی الأجل، فیعین فی المکتوب أجل الدین.

ذلِکُمْ ذا إشارهٔ إلی الکتاب الذی یکتب فی المداینهٔ «و کم» خطاب إلی الذین آمنوا أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ أی أعدل، بمعنی أقرب إلی العدل و إلا- فلیس فی العـدل مفاضـلهٔ حقیقیـهٔ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَهِٔ فیه تقوم الشـهادهٔ التی تؤمن عن الزیادهٔ و النقصان وَ أَدْنی أَلَّا تَرْتابُوا أی أقرب إلی عدم الریب فی المبلغ و الأجل فاللّه یریده و أنتم لا تشـکون، و الشـهادهٔ تستقیم، بسبب الکتابهٔ و الصک و ما ذکر من الکتابهٔ عامهٔ لکل مکان إِلَّا أَنْ تَکُونَ المعاملهٔ- المفهوم من الکلام- تِجارَهًٔ حاضِرَهًٔ معجلهٔ غیر

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۳۰۴

مؤجلـهٔ کغالب التجارات النقدیـهٔ التی تجری فی الأسواق تُـدِیرُونَها بَیْنَکُمْ إدارهٔ یـد بیـد، و معنی الإدارهٔ المناقلـهٔ، فینقل هـذا ماله إلی ذاک و ینقل ذاک عنه إلی هـذا فَلَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ و حرج أَلَّا تَکْتُبُوها فلا مانع من عـدم کتابهٔ التجارهٔ النقدیهٔ إذ الکتابهٔ للوثیقهٔ و هنا لا یحتاج إلی الوثیقـهٔ وَ أَشْـهِدُوا إِذا تَبایَعْتُمْ فإنه یسـتحب للإنسان الـذی یریـد المبایعـهٔ أن یأخذ الشاهد، ففی المعاملهٔ کثیرا ما یقع من نزاع و خصام فإذا کان هناک شـهادهٔ یقل وطئ النزاع، و الآیهٔ و إن کانت عامهٔ لفظا لکن لا یعد أن لا یراد بها الإطلاق من المعاملات الجزئیـهٔ الیومیـهٔ لعـدم تعارف الأشـهاد منذ زمان الرسول صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم وَ لا یُضَارَّ کاتِبٌ وَ لا شَـهِیدٌ بأن یکلف الکاتب الکتابهٔ و یکلف الشاهد الشهادهٔ فی حال یکون حرجا علیهما و ضررا، کما تعارف الآن عند الحکومات المنحرفهٔ فإنه یحضر الشاهد و یعنت و یضـار فـإن فی مضارتهـا زهـادهٔ للنـاس عن الکتابـهٔ و الشـهادهٔ وَ إِنْ تَفْعَلُوا المضارهٔ بها فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِکُمْ أی خروج عن أمر اللّه سبحانه لسببکم أیها المضارون وَ اتَّقُوا اللَّهَ فیما أمرکم و نهاکم وَ یُعَلِّمُکُمُ اللَّهُ مصالحکم فاتبعوه وَ اللَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ و أنتم لا تعلون و ما أجدر بالجاهل أن یتبع العالم، عن علی بن إبراهیم أن فی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۳۰۵

[سورهٔ البقرهٔ (۲): آیهٔ ۲۸۳]

وَ إِنْ کُنْتُمْ عَلی سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا کاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَهٌٔ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُکُمْ بَعْضاً فَلْیُؤَدِّ الَّذِی اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ وَ لْیَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لا تَکْتُمُوا الشَّهادَهَٔ وَ مَنْ یَکْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِیمٌ (۲۸۳)

سورهٔ البقرهٔ خمسـمائهٔ حکم و فی هذه الآیهٔ الکریمهٔ وحدها خمسهٔ عشـر حکما و الآیهٔ کما تقرر فی العلم الحدیث من أعجب الآیات فی باب المعاملهٔ.

[۲۸۴] وَ إِنْ کُنْتُمْ أیها المتداینون المتبایعون عَلی سَـفَرٍ أی مسافرین و التعبیر بلفظ «علی» لرکوب المسافر غالبا وَ لَمْ تَجِدُوا کاتِباً یکتب الـدین و المعاملـهٔ فَرِهانٌ مَقْبُوضَهٌٔ تقوم مقام الصک و رهان جمع رهن، و هو اسم للوثیقهٔ و لذا جاءت الصـفهٔ بالتأنیث و القبض شـرط فی صـحهٔ الرهن، و لـذا وصـفه بـالقبض فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُکُمْ بَعْضاً و هو صاحب الحق بَعْضاً و هو من علیه الحق بأن وثق به و أنه یؤدی الـدین

بدون صك و لا رهن، فأعطاه الدين مجردا عن الأمرين فَلْيُؤَدِّ الَّذِی اؤْتُمِنَ أی المدیون أَمانَتَهُ فلا ینکر و لا یمطل، کفاء لما رآه أهلا وَ لْیَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ فإن اللّه شهید و یجازی فإن أنکر أو مطل أو بخس کان معرضا نفسه لعقوبة اللّه سبحانه وَ لا تَکْتُمُوا أیها الشهود الشَّهادَةَ التی تحملتموها وَ مَنْ یَکْتُمْها أی یخفی الشهادة فلا یحضر لأدائها أو یؤدیها علی خلاف الواقع فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ فقد عزم القلب علی الکتمان و أطاعته الجوارح و اللسان و لأن الکتمان أنسب إلی القلب لکونه فی محل

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۳۰۶

[سورة البقرة (۲): آیة ۲۸۴]

لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ إِنْ تُبْدُوا ما فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ یُحاسِبْکُمْ بِهِ اللَّهُ فَیَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۲۸۴)

مکتوم وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ من إخفاء الشهادة و إبدائها عَلِیمٌ فلا تفعلوا ما یوجب عقابه و سخطه.

[۲۸۵] لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ فما تعاطونه من الأملاک لیست لکم إلا مجازا و إنما هی ملک له سبحانه فاعملوا فیها حسب ما أمرکم و لا تخالفوا أمر المالک الحقیقی وَ إِنْ تُبْدُوا أی تظهروا ما فِی أَنْفُسِکُمْ بما تعلمونه و یخفی علی غیرکم أَوْ تُخْفُوهُ فتکتموه یُحاسِبْکُمْ بِهِ اللَّهُ فإن جمیع الأعمال و الأقوال و الأفکار تحت المحاسبة، أو أن الإبداء و الإخفاء لما فی النفس محسوب علیهما، و هذا العموم للتناسق مع إبداء الشهادة و کتمانها فَیَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ حسب ما تقتضیه الحکمة البالغة فالغفران و الشفاعة لیسا اعتباطا و إنما ینصبان علی المحل القابل وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ من المغفرة و العقاب و لا یخفی أن العذاب علی ما فی النفس لا ینافی ما دل علی عدم العقاب، علی العزم علی المعصیة لاختلاف المعاصی، و اختلاف أنواع العقاب فلا شبهة فی أن من یعزم علی المعاصی و إن لم یفعلها أبعد عن قرب الحلال ممن لا یعزم إطلاقا، و هذا البعد هو نوع من العذاب أو یجمع بنحو ذلک.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۳۰۷

[سورة البقرة (۲): الآیات ۲۸۵ الی ۲۸۶]

آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَیْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ کُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلائِکَتِهِ وَ کُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَیْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا غُفْرانَکَ رَبَّنا وَ إِلَیْکَ الْمَصِیرُ (۲۸۵) لا یُکَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها لَها ما کَسَبَتْ وَ عَلَیْها مَا اکْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِینا أَوْ أَخْطَأْنا رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَیْنا إِصْراً کَما حَمَلْتَهُ عَلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِنا رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَ اعْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَی الْقَوْمِ الْکافِرِینَ (۲۸۶)

[۲۸۶] و هنا یرجع السیاق إلی ذکر التوحید و النبوة و الشرائع جملة فی لباس أنها لا تکلف الناس فوق الطاقة و سؤال المغفرة و العفو لتکون فذلکة للسورة آمَنَ الرَّسُولُ محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بِما أُنْزِلَ إِلَیْهِ مِنْ رَبِّهِ فهو أول مؤمن بما أنزل إلیه و لیس کرؤساء الأدیان المفتعلة و الملوک و الحکام الذین لا یشملهم القانون وَ الْمُؤْمِنُونَ کُلٌّ أی کل واحد منهم آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلائِکَتِهِ وَ کُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ فلیس المؤمن أن یقتنع بجانب واحد من جوانب الإسلام کما هو کثیر فی تابعی الأحزاب و المبادئ حیث أن ذا النشاط المتفایض منهم یقتنع منه بجانب واحد و إن ترک سائر الجوانب فإن لسان حال المؤمنین لا نُفَرِّقُ بَیْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ فلسنا کالیهود الذین لا یعترفون بالمسیح علیه السّلام و نبی الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لا کالنصاری الذین لا یعترفون بنبی الإسلام، فلا تکون کمن یؤمن ببعض و یکفر ببعض وَ قالُوا سَمِعْنا آیات اللّه و أحکامه وَ أَطَعْنا أوامره و نواهیه لا کالیهود الذین قالوا سمعنا و عصینا، یقولون غُفْرانَکَ أی نطلب مغفرتک رَبَّنا نعلم أن إِلَیْکَ الْمَصِیرُ فاغفر لنا حتی نکون فی ذلک الیوم سعداء.

[۲۸۷] إن الأحکام التی سلفت فی السورة و فی غیرها لیست مما لا یطاق

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۳۰۸

فإنه لا یُکَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها فإن أوامره و نواهیه مستطاعة للمکلف و لیس فی الدین من حرج، فلا یظن أحد أن الإیمان السابق

ذكره فى «وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ» يوجب مشقة و عنتا و إرهاقا لَها أى للنفس ما كَسَبَتْ من الحسنات فالجزاء الحسن يجزى به من أحسن وَ عَلَيْها أى على النفس ضرر مَا اكْتَسَبَتْ من الآثام و السيئات و لعل فى مجيء الكسب من بابين «كسب» و «أكتسب» إفادة أن الطاعة طبيعية و المعصية تؤتى بالتكلف إذ للفظة الاكتساب ظلالا يفيد التعب و الغضب بخلاف الكسب و تؤيده قاعدة «زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى» و هناك يتوجه المؤمنون إلى اللّه داعين سائلين رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا بلا نسيان و إنما تصح المؤاخذة فيهما لغلبة كون مقدماتهما اختيارية و ما ينتهى إلى الاختيار يكون بالاختيار رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً أى ثقلا فإن بعض التكاليف قد توجب ظروفها ثقلا- و عنتا، فالمؤمن يسأل أن يجنبه اللّه سبحانه مثل هذا الثقل كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا فإنهم بلجاجتهم استحقوا تحميل الثقل كما تقدم فى قصة بقرة بنى إسرائيل و كما قال سبحانه: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ «١»

---

(١) النساء: ١٦١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٠٩

رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ و إن كان مقدورا لنا فإن عدم الطاقة ليس بمعنى عدم القدرة حتى يقال: إن اللّه لا يكلف غير المقدور فما وجه هذا الدعاء؟ وَ اعْفُ عَنَّا ذنوبنا وَ اغْفِرْ لَنا خطايانا أى استرها و لا تبدها وَ ارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا سيدنا و الأولى بالتصرف فينا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ حتى نغلب عليهم فى الحكم كما نغلب عليهم فى الحجة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١٠

٣ سورة آل عمران مدنية/ آياتها (٢٠١)

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الم (١)

سميت بذلك لاشتمالها على لفظة آل عمران و قد نزلت بالمدينة.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مرّ تفسيرها فى أول سورة الحمد.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١١

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ٢ الى ٤]

اللَّهُ لا- إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ (٤)

[٢] الم تقدم ما يحتمل أن يكون تفسيرا له.

[٣] اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ فليس له شريك و هو الحى الذى لا يموت و إن كانت الحياة بالنسبة إليه تعالى تخالف الحياة بالنسبة إلينا فإن حياتنا غير ذواتنا و إنما هى صفة قائمة بنا بخلاف الحياة فيه سبحانه فإنه عين ذاته و القيوم هو القائم على كل نفس بما كسبت و على كل شيء [۴] نَزَّلَ عَلَيْكَ يا رسول اللّه الْكِتابَ أى القرآن بِالْحَقِ لا بالباطل فإن الإنزال قد يكون بالباطل و قد يكون بالحق مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ على موسى عليه السّلام وَ الْإِنْجِيلَ على عيسى عليه السّلام.

[۵] مِنْ قَبْلُ إنزال القرآن عليك، و كل هذه الكتب هُدىً لِلنَّاسِ فإنها تهديهم من الظلمات إلى النور و من الباطل إلى الحق و من الضلال إلى الرشاد وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ الفارق بين الحق و الباطل و هو أعم من الكتب السابقة و سائر ما أنزل على أنبياء اللّه و رسله إِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ بحجج اللّه و دلالاته لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ فى الدنيا بالفوضى و الهرج و المرج و المشاكل كما قال تعالى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١٢

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ٥ الى ٧]

إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ (٧)

وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً «١» و فى الآخرة بالعقاب وَ اللَّهُ عَزِيزٌ له العزة و القدرة بأن يفعل ما يشاء ذُو انْتِقامٍ ينتقم ممن حادّه و عصاه.

[٦] إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ فلا يظن عاص أنه يخفى على اللّه سبحانه، فإنه يعلم كل شيء فى الكون حتى وساوس القلوب و هواجس الصدور.

[٧] هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ أي يعطيكم الصورة فى بطون أمهاتكم كَيْفَ يَشاءُ من رجل و امرأة و جميل و قبيح و قصير و طويل و غيرها فكيف يخفى عليه شيء و هو يفعل مثل هذا الفعل الدقيق فى ذلك المحل المظلم لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فهو وحده إله الكون و خالقه الْعَزِيزُ فى سلطانه الْحَكِيمُ فما يفعل شيئا عبثا بل يفعل ما يفعل بالحكمة.

[٨] هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ يا رسول اللّه الْكِتابَ أي القرآن مِنْهُ أي قسم من الكتاب آياتٌ مُحْكَماتٌ غير متشابهات فالمفاد منها واضحة لا يخفى على أهل اللسان كقوله سبحانه قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ «٢»

---

(١) طه: ١٢٥.

(٢) الإخلاص: ٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١٣

هُنَ أي تلك الآيات المحكمات أُمُّ الْكِتابِ أي أصله الذى يرجع إليه لدى الشك و الخصام و الجدال.

وَ أُخَرُ أي آيات أخر مُتَشابِهاتٌ و المتشابه هو الذى يحتمل وجهين أو وجوها مما سبب عدم إدراك الناس كلهم لها، من تشابه، و إنما يؤتى به إما امتحانا حتى يعرف المؤمن من المنافق أو لتقريب المطلب إلى أذهان الناس الذين لا يدركون الحقائق ككثير من آيات الصفات و نحوها كقوله سبحانه: إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ «١» حيث أريد التفهيم من أن المؤمنين ينظرون إلى رحمة اللّه، أو كقوله: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ «٢» أو لأن المطلب دقيق لا تتحمله بعض العقول كآيات الجن و الشيطان مما لا يتحملها عقل من إلف المادة فيشتبه الأمر عليه أو لأنه جيء به لاعتبار كلامى فاشتبه الأمر نحو نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ «٣» أو غير ذلك، و المتشابه مما لا بد منه فى الكلام الراقى كما لا يخفى بأدنى تأمل فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ أي ميل عن الحق و انحراف إما جهلا أو عنادا فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ اتباعا على خلاف المراد منه و يوجهون المتشابه حسب أهوائهم و مشتهياتهم كما يقول القائل

---

(١) القيامة: ٢٤.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) التوبة: ٦٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣١٤

بـالتجسم من «إِلى رَبِّها نـاظِرَةٌ» و بالجبر من وَ مَنْ یُضْـلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ «١» و بمعصـیة الأنبیاء علیهم السّـلام من وَ عَصی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوی «٢» و یکون الإسـلام خاصا بالعرب من وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ «٣» و هکذا ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِْ أی لأجل تفتین الناس و إضـلالهم وَ ابْتِغـاءَ تَأْوِیلِهِ أی لأجـل أن یکون له مجـال فی تأویـل الکلاـم علی غیر المراد منه لیطابق هواه و مشـتهاه وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ التأویل هو ما یؤول و ینتهی إلیه الکلام فمثلا ظاهر «إِلی رَبِّها ناظِرَةٌ» إنهم ینظرون إلی اللّه لکن هذه الجملهٔ تؤوّل إلی معنی أنهم ینظرون إلی رحمهٔ اللّه و لطفه و ثوابه، کمـا یقـال فی العرف «إنی أنظر إلی العقل و هو یسیّر الإنسان» إنه لا یریـد النظر بالعین و إنما عرفان ذلک إِلَّا اللَّهُ فهو سـبحانه یعلم المراد من کلاـمه وَ الرَّاسِخُونَ أی الثـابتون فِی الْعِلْمِ الـذین لهم اطلاع علی المعلومات و بأسالیب الکلام و بما یـدل علیه العقل و الشـرع و هـذا لیس ببـدع فإن القوانین المدنیـهٔ لا یعرفها إلا من درسـها و أتقنها و أسالیب الکلام العربی لا یعرفها إلا من أتقن الأـدب و البلاغهٔ و هکـذا، إن الراسـخین یعلمون تأویل المتشابه فی حال کونهم یَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ أی بالمتشابه کما آمنا بالمحکم کُلٌّ من المحکم و المتشابه

---

(١) الرعد: ٣۴.

(٢) طه: ١٢٢.

(٣) الزخرف: ۴۵.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ١، ص: ٣١۵

[سورهٔ آلعمران (٣): آیهٔ ٨]

رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَیْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَهًْ إِنَّکَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)

مِنْ عِنْـدِ رَبِّنـا فـإذا لم یظهر المعنی فی بادئ النظر لا ینکرون و لا یقولون بالتناقض، فإنهم جمعوا بین فضـیلتی العلم بالتأویل و الإذعان بصـحهٔ المتشابه بخلاف الجهال فإنهم یعترضون علی المتشابه أولا و یفسـرون حسب أهوائهم ثانیا، و هکذا نجد الآن فی العرف العالم الورع یجمع بین الفضـیلتین و الجاهل یشتمل علی الرذیلتین وَ ما یَذَّکَّرُ أی یتذکر و یرد المتشابه إلی المحکم و إلی ما دل من العقل و النقل إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ أی أصحـاب العقول الحصـیفهٔ، ثم إنه ورد فی الأحادیث أن المراد بالراسـخین النبی و الأئمهٔ علیهم السّـلام و لا یخفی أنهم من أجلّ مصادیق الراسخین و ذلک هو المراد لا الانحصار.

[٩] إن الراسخین فی العلم یلتجئون إلی اللّه سبحانه قائلین رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا أی لا تملها عن الحق و إنما نسب الزیغ إلیه سبحانه لأنه هو الذی هیأ الأسباب لیمتحن عباده فترک الإنسان- و عدم اللطف به- حتی یقع فریسهٔ الشیطان من صنع اللّه سبحانه کما یقال أن الملک أفسد الرعیهٔ لا یراد أنه أفسدهم و إنما یراد ترکهم حتی یفسدوا، و لا یخفی الفرق بینه سبحانه و بین الملک لرعیته فإن اللّه حیث خلق الدنیا للاختبار لا بد و أن یهیئ الوسیلتین لیظهر المطیع من العاصی کما قال: (کُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ) «١» بخلاف الملک فإنه لا یحق له أن یفسـد الرعیـهٔ حتی بترکهم و مـا یشاءون فإنه یأمر بالصـلاح و الإصـلاح کما أن اللّه تعالی یسبل النعم علی الجنات و لا یعاقبهم عقوبهٔ ظاهرهٔ فی

---

(١) الإسراء: ٢١.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ١، ص: ٣١۶

[سورهٔ آلعمران (٣): الآیات ٩ الی ١٠]

رَبَّنـا إِنَّکَ جامِعُ النَّاسِ لِیَوْمٍ لا رَیْبَ فِیهِ إِنَّ اللَّهَ لا یُخْلِفُ الْمِیعادَ (٩) إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَنْ تُغْنِیَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَیْئاً وَ أُولئِکَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠)

الـدنيا، و ذلـك ليس جائز للملوك فإنه يجب إيقاف الجانى عنـد حـده و إجراء العقاب عليه ثم إن الإنسان مهما كان من الرسوخ فى العلم فـإنه معرض للزلـة كما زل «بلعم» قال سـبحانه نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ «۱» و لذا يدعو الراسـخون ربهم سبحانه أن لا يقطع عنهم لطفه الخاص و لا يتركهم ليلعب بهم الشيطان كما يشاء، إذ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا إلى دينك وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ من عندك رَحْمَةً و لطفا نثبت بها على دينك و طاعتك إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ الكثير الهبة لمن تشاء بما تشاء.

[۱۰] رَبَّنا إِنَّكَ جامِعُ النَّاسِ تجمعهم لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ هو يوم القيامة الذى لا شك فيه عند ذوى العقول و إن شك فيه أناس لا نصـيب لهم من العلم و المعرفة و قـد تقـدم وجهه فى أول سورة البقرة إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ أى الوعـد الـذى وعـده أنبياءه و البشـر بيوم القيامة، فلا تزغ قلوبنا حتى نكون ذلك اليوم من المطرودين أو هذا إظهار من الراسـخين بالاعتراف بالبعث و إنهم جمعوا بين فضيلتى الاعتراف بالمبدأ و المعاد.

[۱۱] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا من الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون المتشابه و غيرهم

---

(۱) الأعراف: ۱۷۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۱۷

[سورة آلعمران (۳): آية ۱۱]

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ (۱۱)

من سائر الكفار لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ كى يعطوها فينجون من عـذاب اللّه سـبحانه كما تنفع الفدية فى الدنيا وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ أى من عـذاب اللّه و سـخطه شَيْئاً فلا يتمكن أولادهم أن يقفوا ليمنعوا عنهم العـذاب وَ أُولئِكَ الكفار هُمْ وَقُودُ الوقود الحطب و كل ما يوقد به النار النَّارِ يوم القيامة تتقد النار بأجسامهم كما تتقد النار بالحطب و النفط و نحوها.

[۱۲] كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ الدأب العادة، أى عادة هؤلاء الكفار فى التكذيب بك و بما أنزل إليك كعادة آل فرعون الذين كذبوا الرسل وَ كعادة الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من سائر الكفار الـذين كانوا يكفرون بآيات اللّه و يكـذبون أنبياءه كَذَّبُوا جميعا بِآياتِنا أى بدلائلنا الدالة على التوحيـد و سائر الأصول فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ أى بسـبب عصـيانهم و معاصـيهم، و معنى الأخذ العقاب أى عاقبهم، كقوله وَ كَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَ هِيَ ظالِمَةٌ «۱» وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ فليس عقابه كعقاب سائر الناس، و إنما ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ «۲».

---

(۱) هود: ۱۰۳.

(۲) الكهف: ۳۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۱۸

[سورة آلعمران (۳): الآيات ۱۲ الى ۱۳]

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهادُ (۱۲) قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتا فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ (۱۳)

[۱۳] قُلْ يا رسول اللّه لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ أى بعد قليل يكونون مهزومين إما فى الدنيا بغلبة الإسلام، كما صار و كما أخبر حيث إن الإسـلام غلبهم و أخذ بلادهم وَ تُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ يوم القيامة، و إما فى الآخرة بمعنى أنكم بعد قليل تهزمون أمام أمر اللّه سبحانه، و يقبضـكم ملك الموت الـذى و كل بكم، و بعد ذلك تحشـرون إلى جهنم يوم القيامة وَ بِئْسَ الْمِهادُ أى بئسـما مهد لكم أو ما مهدتم لأنفسكم.

[۱۴] و لما بين سبحانه أن الكفار سيغلبون بين لذلك شاهدا محسوسا فى قصة بدر حيث كان المسلمون ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا و الكفار ألف رجل و لم يكن للمسلمين من العتاد إلا شيئا ضئيلا بينما كان الكفار بأكمل السلاح و مع ذلك فقد غلب المسلمون عليهم بنصر اللّه سبحانه قَدْ كانَ لَكُمْ أيها المسلمون أو أيها الكفار آيَةٌ أى علامة على صدق الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إن اللّه ينصره و يهزم الكفار فِي فِئَتَيْنِ أى جماعتين جماعة المسلمين و جماعة الكفار الْتَقَتا من الملاقاة إذ اجتمعتا فى بدر فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ و هم المسلمون وَ فئة أُخْرى كافِرَةٌ و هم المشركون الذين أتوا من مكة يَرَوْنَهُمْ أى يرى المسلمون الكفار مِثْلَيْهِمْ أى ضعف أنفسهم رَأْيَ الْعَيْنِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۱۹

[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۴]

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (۱۴)

فلم يكن ذلك خيالا و إنما واقعا فإن الكفار فى الواقع كانوا أكثر، و مع ذلك فقد غلب المسلمون، و لعل النكتة فى ذكر ذلك بيان أن المسلمين غلبوا مع أنهم كانوا يعلمون بزيادة الكفار عليهم و إن ذلك يدل أن اللّه نصرهم و إلا فإن الجيش إذا علم أن العدو أكثر منه و هن فى عضده و يسبب ذلك انهزامه فى أكثر الأحيان، و فى الآية أقوال أخر مذكورة فى التفسيرات وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ أى يقوى بنصره فلا يضرهم قلة عددهم و عدتهم إِنَّ فِي ذلِكَ المذكور و هو غلبة المسلمين على المشركين مع أن الكفار كانوا ثلاثة أضعافهم لَعِبْرَةً أى اعتبار و هى بمعنى الآية و إنما سميت الآية عبرة لأنها تعبر بالإنسان من الجهل و الغفلة إلى العلم و التذكير لِأُولِي الْأَبْصارِ أى أصحاب العقول، و ليس المراد بالبصر النظر بالعين و إنما النظر بالقلب كما يقال فلان بصير بالأمور أى يعرفها و يدركها.

[۱۵] و هنا يتساءل الإنسان ماذا صرف الكفار عن الحق و هم يرونه؟ و يأتى الجواب إن الذى صرفهم هو جمال الدنيا و مالها كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام «لكنهم حليت الدنيا فى أعينهم و راقهم زبرجها» «۱»

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ أى أن حب الإنسان للمشتهيات و الملذات سبب لهم أن تتزين الدنيا فى نفوسهم فيطلبون اللذائذ و لو

---

(۱) نهج البلاغة: خطبة ۳- ۱۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۲۰

فى المحرمات و لم يذكر الفاعل، لأنه ليس بمقصود و قد تقرر فى علم البلاغة أن مقتضاه أن لا يذكر الفاعل أو المفعول حيث لم يكن مقصودا مِنَ النِّساءِ بيان «الشهوات» وَ الْبَنِينَ فإن حب الأولاد يسبب إطاعتهم و التحفظ عليهم و لو بذهاب الدين وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ القناطير جمع «قنطار» و هو ملء مسك ثور ذهبا و إنما سمى قنطارا لأنه يكفى للحياة فكأنه قنطرة يعبر بها مدة الحياة، و المقنطرة بمعنى المجتمعة المكدسة كقولهم دراهم مدرهمة و دنانير مدنرة مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ فإن الإنسان بحبه للأموال يعصى اللّه فى جمعه و فى عدم إعطاء حقوقه وَ الْخَيْلِ عطف على النساء، و الخيل الأفراس الْمُسَوَّمَةِ من سوم الخيل التى علمها و لا تعلم إلا الجيد الحسن منها وَ الْأَنْعامِ جمع نعم و هى الإبل و البقر و الغنم وَ الْحَرْثِ أى الزرع فهذه كلها محببة للناس، لكن ذلِكَ كله مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا أى ما يستمتع به فى الدنيا و لا تنفع الآخرة إلا إذا بذلت فى سبيل اللّه- كل حسب بذله- وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ المرجع أى أن المرجع الحسن فى الآخرة منوط باللّه سبحانه فاللازم أن يتزهد الإنسان فى الملذات و لا يتناول المحرم منها رجاء ثواب اللّه و نعيمه المقيم الذى لا زوال له و لا اضمحلال، فلا تسبب هذه المشتهيات عدول الإنسان عن الحق إلى الباطل و عن الرشاد إلى الضلال.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۲۱

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۵ الى ۱۶]

قُلْ أَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ (۱۵) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ قِنا عَذابَ النَّارِ (۱۶)

[۱۶] قُلْ يا رسول اللّه للناس الـذين زين لهم حب الشـهوات أَ أُنَبِّئُكُمْ أى هل تريـدون أن أخبركم بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ أى بأحسن من هـذه الشـهوات، و «كم» خطاب للناس لِلَّذِينَ اتَّقَوْا المحرمات و عملوا حسب أوامر اللّه سـبحانه عِنْدَ رَبِّهِمْ فى الآخرة جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أى من تحت أشـجارها و نخيلها و قصورها خالِدِينَ فِيها فإنهم يسـكنون الجنـة أبـد الآبـدين لا زوال لهم و لا تحويل وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ أى نساء طاهرة من الأقـذار الظاهريـة كالحيض و الوساخة، و الأقـذار الباطنيـة كسوء الخلق و الحقـد و العـداوة وَ أكبر من كل ذلك رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ فإن اللّه راض عنهم و متى شعر الإنسان برضى اللّه سبحانه منه تنعم بأفضل نعمة نفسية كما لو علم فرد من الرعية أن الملك يحبه و يرضى عنه وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ خبير بأفعالهم و أعمالهم فيجازيهم حسب ما يفعلون.

[۱۷] ثم وصف سـبحانه المتقين الـذين سـبق ذكرهم بقوله «للـذين اتقوا» فـالمتقون هم الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنـا إِنَّنـا آمَنَّا أى صـدقنا بك و برسلك و بما أمرت و وعدت فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا أى تجاوز عما صدر منا من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۲۲

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۷ الى ۱۸]

الصَّابِرِيـنَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقـانِتِينَ وَ الْمُنْفِقِينَ وَ الْمُسْـتَغْفِرِينَ بِالْأَسْـحارِ (۱۷) شَـهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قـائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۱۸)

الخطايا وَ قِنا أى احفظنا من «وقى» «يقى» بمعنى حفظ عَذابَ النَّارِ حتى لا نكون من أهلها.

[۱۸] الصَّابِرِينَ صفة أخرى للمتقين فأولئك هم الصابرون فى المصائب و عند الطاعة، و لدى المعصية وَ الصَّادِقِينَ فى نياتهم و أقوالهم و أفعـالهم وَ الْقـانِتِينَ من القنـوت بمعنى الإطاعـة و الخضوع وَ الْمُنْفِقِينَ لأـموالهم فى سبيـل اللّه سـبحانه وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ الـذين يطلبون غفران ذنوبهم بِالْأَسْحارِ جمع سحر و هو ما يقرب من طلوع الفجر آخر الليل.

[۱۹] و يناسب السـياق هنا الإشارة إلى صـفات البارى عز اسـمه حيث تقدم ذكر من اتقى و أوصاف المتقين الذين يعملون للّه سبحانه شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ و شـهادة اللّه لفظية و واقعية فإن الشـهادة إظهار المطلب باللسان و قد أظهر اللّه سبحانه وحدته و سائر صفاته بما هو أقوى و أثبت و أولى من اللفظ، و هو خلق المصنوعات التى تشهد جميعها بصفاته كما قال الشاعر

«و فى كل شـيء له آية ..* .. تدل على أنه واحد» و إنما تشـهد المصنوعات على الوحدة لأنه لو كان فيهما آلهة غير اللّه لفسدتا فعدم الفساد دليل الوحـدة- كما تقرر فى علم الكلام- وَ الْمَلائِكَةُ شـهدوا بالوحدانيـة شـهادة لفظيـة و حقيقيـة وَ أُولُوا الْعِلْمِ أصـحاب العلم الذين يدركون، لا كل من يدعى العلم، فإنه من ينظر إلى الكون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۲۳

نظر عالم معتبر لا بـد له من الإذعان بالوحدانية قائِماً بِالْقِسْطِ أى فى حال كونه سـبحانه قائما بالعدل، فإن القسط بمعنى العدل، و معنى قيامه سـبحانه بالعـدل أنه يفعل ما يفعل بالعدل فخلقه، و تقديره، و تشـريعه، كل بالعدل و معنى العدل الاسـتواء، مقابل الظلم الذى هو الاعوجاج و الانحراف، فمثلا جعل الشـمس فى السماء عدل لأنها تنير و تشرق و تقيم المجموعة الشمسية بينما عدمها انحراف و ظلم، و كـذلك تقدير هذا غنيا و ذاك فقيرا، و هذا رئيسا و ذاك مرءوسا بالعدل، و ما يشاهد فى ذلك من الانحراف فإنه ليس من التقدير و إنما من سوء اختيار الناس، و كذلك تشريع الصلاة واجبة، و الخمر محرمة بالعدل.

يقال أن رجلا سأل كسـرى عن سـبب عدله قال: لعدة أسباب منها أنى رأيت فى الصحراء يوما كلبا كسر رجل غزال، فما لبث أن رماه إنسـان بحجر فكسـر رجله فلم يمض على الرجل إلا برهـة إذا بفرس رفسه فكسـر رجله، فلم تمض على ذلك لحظات إلا بالفرس عثر

فانكسـرت رجله، و هناك علمت أن الظلم عاقبته و خيمـة .... و الإنسان إذا لم يعرف الصـلاح و العـدل فى بعض الأشـياء فليس له أن يعترض، و الحال أنه يجهل أكثر الأشـياء، فهو كمن يعترض على أدويـة وصـفها الطبيب و هو لا يعرف من الطب شـيئا، و لفظـة «قائما» فيها إيماءة لطيفة، فإن القائم يشاهد ما لا يشاهده القاعد، إذ هو مسيطر مشرف لا إِلهَ إِلَّا هُوَ تكرار للتأكيد، فإن العالم قبل الإسلام كان مرتطما فى أو حال الشـرك حتى جاء الإسـلام فأظهر التوحيـد و جدد ما محى من سـنن الأنبياء عليهم السّـلام و إرشادهم حول المبدأ تعالى الْعَزِيزُ فى سلطانه الْحَكِيمُ الذى يفعل كل شىء عن حكمة و علم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۲۴

[سورة آلعمران (۳): آية ۱۹]

إِنَّ الـدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْـلامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (۱۹)

[۲۰] و بعد ما تقرر التوحيد و العدل أتى دور الدين الذى أرسله اللّه سبحانه إلى العباد إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ و الدين هى الطريقة التى تؤمن السـعادة للبشـر دنيا و آخرة، إنه عنـد اللّه الإسـلام، و إن كان عنـد غيره اليهودية و النصـرانية و المجوسـية و غيرها، فإن اللّه سبحانه لم يرسل إلا الإسـلام و الإسلام هو دين الأنبياء جميعا فإنه عبارة عن تسليم منهج الأعمال إلى اللّه الذى خلق الكون و هو أعلم بالنظام السـماوى له الـذى إن تبعه البشـر عاش سـعيدا و مات حميدا، و قد ذكرنا سابقا أن الاختلاف بين الأديان السـماوية الواقعية فى شرائط و مزايـا لا ـ فى الجواهر و الأصول وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ أى ليس اختلاف أهل الكتاب بعضـهم مع بعض و جميعهم مع المسـلمين إِلَّا مِنْ بَعْـدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ فعرفوا الصـحيح من السـقيم و الحق من الباطل، و إنما اختلفوا بَغْياً أى حسـدا بَيْنَهُمْ فلم يقبل اليهود أن يرضـخوا لعيسـى عليه السّـلام حسدا، و لم يقبل النصارى أن يؤمنوا بنبى الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حسدا، كما قال سبحانه أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ «۱» وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللَّهِ فلم يؤمن بها فلا يظن أنه ربـح و تهنأ بـدنيا باقية بل خسر و ذهبت دنياه و آخرته فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ يحاسب الكفار

---

(۱) النساء: ۵۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۲۵

[سورة آلعمران (۳): آية ۲۰]

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْـلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَ مَنِ اتَّبَعَنِ وَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْأُمِّيِّينَ أَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ (۲۰)

فى الـدنيا بأنواع من البلايا و المصائب كما قال وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَـةً ضَـنْكاً «۱» و فى الآـخرة بما اقترفوا من الكفر و الآثام، و الآخرة قريبة جدا فإن «من فاته اليوم سهم لم يفته غدا» قال الشاعر:

ألا إنما الدنيا كمنزل راكب أناخ عشيا و هو فى الصبح راحل

[۲۱] فَإِنْ حَاجُّوكَ يا رسول اللّه و جادلوك فى أمر التوحيد بعد وضوح الحجة فَقُلْ لهم أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ فأنا لا أعبد إلا اللّه سبحانه لا أتخـذ له شـريكا، و إسـلام الوجه كناية عن الإسـلام المطلق إذ تسـليم الوجه إلى نحو يدل على تسـليم القلب و سائر الجوارح وَ مَنِ اتَّبَعَنِ أى الـذين اتبعـونى هم أيضـا أسـلموا وجـوههم للّه فقـط دون غيره وَ قُـلْ يـا رسـول اللّه لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتـابَ أى أعطوا الكتـاب السـماوى من اليهود و النصارى و المجوس وَ قل لل الْأُمِّيِّينَ من المشركين الذين لا كتاب لهم و سموا أميين إما لجهلهم نسبة إلى الأم و إما لأنهم من أهل مكـة- أم القرى- أَ أَسْـلَمْتُمْ أى هل أسـلمتم وجوهكم للّه وحـده- بلا جـدال و لا نقاش معهم بعد ما تمت عليهم الحجة- فَإِنْ أَسْلَمُوا و تشرفوا بدين الإسلام فَقَدِ اهْتَدَوْا إلى

(١) طه: ١٢٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٣٢٦

[سورة آل‌عمران (٣): آية ٢١]

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (٢١)

الحق و إلى طريق مستقيم وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ أن تبلغهم الإسلام و ليس عليك إجبارهم حتى لا يتولوا و حتى لا يعرضوا وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ لا يفوته شيء من أعمالهم فهو يجازيهم بكفرهم و ميثاقهم كما يجزيهم على إيمانهم و إطاعتهم.

[٢٢] ثم بين سبحانه أن أهل الكتاب كفروا باللّه قديما و قتلوا الأنبياء عليهم السّلام، تسلية للنبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن لا يضيق صدره بتكذيبهم و لجاجتهم إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ فلا يقبلونها بعد وضوحها و علمهم بها وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍ فإن قتل النبي مطلقا ليس بحق و إنما يأتي القيد إفادة لأنه لا حجة لهم في قتل الأنبياء عليهم السّلام حتى أنه ليس هناك حق مدعى أيضا وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ أي بالعدل مِنَ النَّاسِ فإن أهل الظلم و الباطل الذين تتمثل فيهم القوة غالبا يقتلون من ينهاهم عن ذلك و يأمر بالقسط و العدل فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ و كلمة البشارة استهزاء أو بعلاقة استعمال الضد في الضد كتسمية الزنجي بالكافور و الأعمى بالبصير، أو للمقابلة نحو فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ «١»، فإن

(١) البقرة: ١٩٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٣٢٧

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ٢٢ الى ٢٣]

أُولئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (٢٢) أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)

المؤمن يبشر بالثواب و الكافر يبشر بالعقاب.

[٢٣] أُولئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ الخيرية فإن لكل إنسان أعمال خيرية و إن كان كافرا، و معنى حبط العمل بطلانه و عدم إفادته فِي الدُّنْيا فإن كفرهم سبب هدر دمهم فعملهم الخير لم ينفعهم في حقن دمهم أو أعمال الخير التي تدفع البلايا و الآفات لا تنفع مع الكفر و الانحراف وَ الْآخِرَةِ فلا تفيدهم أعمالهم الحسنة ثوابا كما قال سبحانه وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً «١» وَ ما لَهُمْ أي ليس لهم مِنْ ناصِرِينَ ينصرونهم من عذاب اللّه و سخطه.

[٢٤] أَ لَمْ تَرَ يا رسول اللّه، و معناه إفادة العلم بهذا الاستفهام إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا أعطوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ أي بعضا منه لأنهم بتحريفهم الكتاب قد فقدوا بعضه كما قال سبحانه وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ «٢» يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يدعوهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى كتاب اللّه ليجعل حكما بينهم و أن محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حق أم لا فقد كان في التوراة و الإنجيل صفاته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لذا كان يدعوهم إلى تحكيم كتابهم في هذا الأمر لكنهم لم يقبلوا

(١) الفرقان: ٢۴.

(٢) المائدة: ١۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٣٢٨

[سورة آل‌عمران (۳): الآیات ۲۴ الی ۲۵]

ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَیَّاماً مَعْدُوداتٍ وَ غَرَّهُمْ فِی دِینِهِمْ ما کانُوا یَفْتَرُونَ (۲۴) فَکَیْفَ إِذا جَمَعْناهُمْ لِیَوْمٍ لا رَیْبَ فِیهِ وَ وُفِّیَتْ کُلُّ نَفْسٍ ما کَسَبَتْ وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ (۲۵)

ثُمَّ یَتَوَلَّی فَرِیقٌ مِنْهُمْ أی یعرض عن تحکیم الکتاب و إنما قال فریق لأن بعضهم دخل فی الإسلام بعد ما تمت له الدلالة و الإرشاد کعبد اللّه بن سلام و غیره وَ هُمْ مُعْرِضُونَ عن الحق و عن کتابهم و فی بعض الأحادیث أن الآیة نزلت فی مسألة زنا وقعت بین یهودی و یهودیة و کان حکمهما الرجم فی التوراة و رجعوا إلی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لعله یحکم بغیر ذلک فحکم الرسول بینهم بما فی التوراة فکرهوا ذلک.

[۲۵] ذلِکَ الإعراض عن کتابهم و عن أوامر اللّه سبحانه بسبب أنهم أمنوا العقوبة بما لفقوه من الکذب حیث قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ أی نار جهنم علی فرض کفرنا و عصیاننا إِلَّا أَیَّاماً مَعْدُوداتٍ سبعة أیام أو أربعین یوما و هذه المدة القلیلة فلا ینبغی ترک الشهوات و الرئاسة لأجلها وَ غَرَّهُمْ أی خدعهم فِی باب دِینِهِمْ ما کانُوا یَفْتَرُونَ أی الذی افتروا و نسبوه إلی الدین من أن النار أیام معدودة فقط خدعهم و غرهم.

[۲۶] فَکَیْفَ حالهم إذا انکشف غرورهم إِذا جَمَعْناهُمْ لِیَوْمٍ القیامة الذی لا رَیْبَ فِیهِ أی لیس محل ارتیاب و شک وَ وُفِّیَتْ کُلُّ نَفْسٍ ما کَسَبَتْ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۳۲۹

[سورة آل‌عمران (۳): الآیات ۲۶ الی ۲۷]

قُلِ اللَّهُمَّ مالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْکَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِیَدِکَ الْخَیْرُ إِنَّکَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۲۶) تُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهارِ وَ تُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَیِّتَ مِنَ الْحَیِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ (۲۷)

أی یعطی کل إنسان جزاءه وافیا غیر منقوص وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ بل یجزون علی حسب أعمالهم.

[۲۷] و هنا یتوجه السیاق إلی کون الملک للّه فلیس لأهل الکتاب أن یحسدوا الرسول و المسلمین فیما أوتوا من حول و طول و عزة و ملک، و فی بعض الأحادیث أن الآیة نزلت بعد ما بشر الرسول المسلمین بأنهم یفتحون ملک فارس و الروم، فاستهزأ الکفار بذلک و قالوا أنی یکون لمثل هؤلاء أن یسیطروا علی تلک الدولتین العظیمتین قُلِ یا رسول اللّه اللَّهُمَ أی یا اللّه، و المیم بدل عن حرف النداء مالِکَ الْمُلْکِ مالک منصوب علی أنه مناد مضاف أی یا مالک الملک فکل شیء لک وحدک لا شریک و ملک من عداک إنما هو مجازی اعتباری تُؤْتِی أی تعطی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ أن تعطیه وَ تَنْزِعُ الْمُلْکَ مِمَّنْ تَشاءُ أن تنزعه من غیر فرق بین أن یکون الملک سلطانا أو ملکا لشیء کالدار و العقار وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ أن تعزه عزة ظاهریة أو باطنیة بالإیمان و الطاعة وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ أن تذله بِیَدِکَ الْخَیْرُ إِنَّکَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ فتقدر علی الإعطاء و المنع و أن تعز و تذل.

[۲۸] تُولِجُ أی تدخل اللَّیْلَ فِی النَّهارِ فیأخذ اللیل مکان النهار، فیما

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۳۳۰

[سورة آل‌عمران (۳): آیة ۲۸]

لا یَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْکافِرِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ فَلَیْسَ مِنَ اللَّهِ فِی شَیْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً وَ یُحَذِّرُکُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَی اللَّهِ الْمَصِیرُ (۲۸)

ینقص الیوم و یزید اللیل، أو فیما إذا جاء اللیل و ذهب النهار، و هو کنایة، إذ لیس الإدخال حقیقة وَ تُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ بأحد المعنیین السابقین وَ تُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ کما یخرج النبات الحی من الحب المیت و الأرض المیتة، أو یخرج الجنین الحی من الأم

الميتة كما قد تموت الأم و يخرج الولد منها حيا وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِ كما يخرج الحب الميت من النبات الحى و البيضة الميتة من الدجاجة و الولد الميت من المرأة الحية إذا مات الجنين فى بطنها، و فى التأويل إخراج المؤمن من الكافر، و الكافر من المؤمن وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ من عبادك و خلقك بِغَيْرِ حِسابٍ أى بغير تقتير كما يقال فلان ينفق بغير حساب، أو بلا حساب من المنفق عليه و إن كان كل شىء عنده تعالى بحساب.

[۲۹] و حيث ثبت أن الملك بيد اللّه و العزة و الذلة منه ف لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ بأن يصادق المؤمن الكافر بزعم أنه ينفعه لأن بيد الكافر الملك أو أنه يسبب عزته و شوكته مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أى من دون أن يتخذ المؤمنين أولياء بل اللازم أن يتخذ المؤمن المؤمن وليا، و يتخذ من الكافر عدوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ الاتخاذ للكافر وليا فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ أى ليس ذا قدر عند اللّه سبحانه إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً أى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۳۱

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۲۹ الى ۳۰]

قُلْ إِنْ تُخْفُوا ما فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۲۹) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ (۳۰)

تخافوا من الكفار فلا بأس باتخاذهم أولياء تقية وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ أى يخوفكم اللّه من نفسه فإن من يتخذ الكافر وليا يشمله عقاب اللّه سبحانه وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ أى المرجع فمن عصاه يجازيه بالنار و العذاب.

[۳۰] قُلْ يا رسول اللّه للمسلمين إِنْ تُخْفُوا ما فِي صُدُورِكُمْ أى نواياكم و ما فى قلوبكم، كما لو اتخذتم الكافر وليا فى قلبكم مما لم يعلم به الناس أَوْ تُبْدُوهُ أى تظهروه يَعْلَمْهُ اللَّهُ فإنه العالم بالنوايا و ما فى الصدور وَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ فهو العالم بكل شىء فكيف لا يعلم ما فى صدوركم وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فهو العالم بالنوايا و القادر على العقاب فمن الجدير بالمسلم أن لا يتخذ الكافر وليا أو المؤمن عدوا حتى فى قلبه إذ يعلمه اللّه و يقدر على عقابه.

[۳۱] اذكروا أيها الناس يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً أى تجد كل أعماله الخيرية حاضرة كما قال سبحانه وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً «۱» و معنى حضور العمل حضور حساباتها و ثوابها و عقابها أو

---

(۱) الكهف: ۵۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۳۲

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۳۱ الى ۳۲]

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۳۱) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ (۳۲)

تجسم الأعمال كما ذهب إلى ذلك بعض وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ أى تجد أعماله السيئة حاضرة تَوَدُّ تلك النفس العاصية لَوْ أَنَّ بَيْنَها أى بين النفس وَ بَيْنَهُ أى بين ما عملت من سوء أَمَداً بَعِيداً أى مكانا بعيدا تشبيه بالأمر المحسوس فكما أن المتباعدين لا يتلاقيان فعلا كذلك لو كان العمل السيئ بعيدا عن عامله وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ حتى تخافوا من عقابه فتتقوه وَ اللَّهُ رَؤُفٌ ذو رأفة و رحمة بِالْعِبادِ و من رأفته يحذركم عن المعاصى حتى لا يأخذكم و بالها و عاقبتها.

[۳۲] قُلْ يا رسول اللّه إِنْ كُنْتُمْ أيها المسلمون، أو يا أهل الكتاب تُحِبُّونَ اللَّهَ حقيقة و تصدقون فى مقالتكم هذه فَاتَّبِعُونِي فيما أمر اللّه و أنهى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ فإن اللّه لا يحب إلا من اتبع رسوله فى أوامره و نواهيه و إلا مجرد دعوى حب اللّه بلا شاهد و حقيقة لا يكفى فى حب اللّه تعالى للمدعى وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ فإن من أحسن و اتبع الرسول يغفر ذنبه و يمحى سيئته وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ بعباده.

[٣٣] قُلْ يا رسول اللّه أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ و إطاعة اللّه سبحانه هى إطاعة الرسول لكن ذكر ذلك تعظيما للأمر و إردافا لإطاعة الرسول

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣٣

[سورة آل‌عمران (٣): آية ٣٣]

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ (٣٣)

بذلك كما قال فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ «١» مع أن خمس اللّه إنما هو للرسول و يحتمل أن يكون ذكر اللّه و الرسول لإفادة وحدة الجهة أى إن اللّه و الرسول لهما إطاعة واحدة فهو من قبيل أطع العلماء لا من قبيل أطع العالم أو أطع أباك فَإِنْ تَوَلَّوْا و أعرضوا فلم يطيعوا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ الذين يعرضون عن أوامر اللّه و رسوله و معنى لا يحبهم أنه يبغضهم لا النفى للحب فقط المجامع لعدم البغض.

[٣۴] و حيث كان الكلام حول وحدة الدين و أنه هو الإسلام و التعريض بالكفار و أخيرا انتهى المطاف إلى ميزان حب اللّه سبحانه ناسب السياق ذكر بعض الأفراد الذين اختارهم اللّه سبحانه أ ليسوا هم جميعا قادة دين واحد المنتهى إلى المسلمين فمن اللازم أن يعرفوهم و يقدروهم، فقال سبحانه إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى أى اختار لرسالته و وحيه و جعلهم أنبياء مرشدين آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ الأنبياء الذين من نسله إسحاق و إسماعيل و يعقوب و يوسف و عيسى و محمد «صلوات اللّه عليهم أجمعين» وَ آلَ عِمْرانَ موسى و هارون عليهما السّلام عَلَى الْعالَمِينَ و إنما خصص هؤلاء الأنبياء، لكون آدم أبو البشر، و نوح و آل إبراهيم بما فيهم إبراهيم- فإنه يقال آل فلان للأعم منه و من آله- و آل عمران الذين فيهم الأنبياء، أولوا العزم هم مدار الرسالات العالمية.

---

(١) الأنفال: ۴٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣۴

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ٣۴ الى ٣۵]

ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣۴) إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣۵)

[٣۵] حال كون نوح و آل إبراهيم و آل عمران ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ فى أداء الرسالة و مناصرة الدين و إرشاد الناس، فإن من خرج عن دين آبائه ليس منهم كما قال سبحانه إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ «١» بخلاف من اتبع آباءه وَ اللَّهُ سَمِيعٌ لما تقوله الذرية عَلِيمٌ بضمائرهم و أعمالهم و لذا فضلهم على من سواهم إن هؤلاء الأنبياء كلهم ذووا خصائص واحدة موروثة من جدهم آدم عليه السّلام مما تؤهلهم لحمل الرسالة الواحدة التى هى رسالة الإسلام.

[٣۶] و فى هذا الجو يأتى ذكر والدة عيسى عليهم السّلام و أنها كيف كانت طاهرة زكية بحيث أهلت لإيداع النبى العظيم عندها، اذكر يا رسول اللّه إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ و هى حنّة جدة عيسى عليه السّلام من الأم رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً و ذلك حين حملت لم تكن تعلم أنها أنثى فنذرت أن تجعل ما فى بطنها لخدمة المسجد و معنى المحرر الفارغ من الأعمال الدنيوية الصارف جميع أوقاته فى خدمة بيت اللّه سبحانه، و هكذا كان قلب أم مريم عامرا بالإيمان جاعلة أعز شىء لديها للّه و فى خدمة عباد اللّه فَتَقَبَّلْ مِنِّي نذرى إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ لدعائى الْعَلِيمُ بما فى ضميرى من صدق و إخلاص.

---

(١) هود: ۴٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣۵

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۳۶ الى ۳۷]

فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى وَ إِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وَ إِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَ ذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ (۳۶) فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ (۳۷)

[۳۷] فَلَمَّا وَضَعَتْها أى وضعت امرأة عمران جنينها خاب ظنها و رأت أنها أنثى ف قالَتْ فى يأس و تبتل رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى و الأنثى لا- تصلح للخدمة وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ فإن اللّه كان يعلم ذلك منذ كانت جنينا فى بطنها بينما هى لا تعلم إلا بعد الوضع وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى فالذكر يأتى منه الخدمة و لا بأس بحشره فى مكان العبادة فى المسجد بخلاف الأنثى إذ لا تلائم الرجال و لا تلائم عادتها النسائية المسجد، ثم قالت وَ إِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ أى جعلت اسمها «مريم» و هى فى لغتهم بمعنى العابدة وَ إِنِّي أُعِيذُها أى أجعلها فى حفظك و حراستك بِكَ وَ أعيذ ذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ أى المرجوم باللعن و المطرود عن الخير.

[۳۸] فَتَقَبَّلَها رَبُّها أى تقبل اللّه سبحانه مريم مع أنوثتها بِقَبُولٍ حَسَنٍ حيث قدر لها السعادة و أن يجعل منها عيسى المسيح عليه السّلام وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً أى جعل نشوءها نشئا حسنا بالفضيلة و الأخلاق و العفة و الطهارة وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا أى جعل اللّه سبحانه كفيلها زكريا و كان زوج خالة مريم، و هو من أنبياء اللّه سبحانه فإن أم مريم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۳۶

[سورة آل‌عمران (۳): آية ۳۸]

هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ (۳۸)

ذهبت بها إلى المسجد و سلمتها إلى الأحبار فتنازعوا فى كفالتها حتى اقترعوا عليها و خرجت القرعة باسم زكريا فكانت مريم تخدم فى صغرها المسجد حتى إذا بلغت مبلغ النساء انفصلت عنهم فى غرفة خاصة بها بناها لها زكريا فى وسط المسجد عالية لا يمكن الوصول إليها إلا- بسلم و كان يأتى بحوائجها كل يوم و كان من غريب أمرها أن كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ و هى غرفتها و سمى محرابا لأنه محل محاربة النفس و الشيطان وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً فاكهة فى غير حينها قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا أى من أين لك هذا الرزق قالَتْ مريم هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أرسله إلى اللّه تعالى من الجنة كرامة لى إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ أى بغير تقتير أو محاسبة من المرزوق.

[۳۹] هُنالِكَ الذى رأى زكريا إكرام اللّه سبحانه لمريم نحو خرق العادة من إرسال الفاكهة إليها دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ أى من عندك ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً أى نسلا صالحا إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ و كان زكريا يائسا من الأولاد حيث كبر و شاخ و كانت امرأته عاقرا لكن طلب و دعا مريدا على وجه الإعجاز و خرق العادة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۳۷

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۳۹ الى ۴۰]

فَنادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَ هُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّداً وَ حَصُوراً وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (۳۹) قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ قَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَ امْرَأَتِي عاقِرٌ قالَ كَذلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ (۴۰)

[۴۰] فَنادَتْهُ أى نادت زكريا الْمَلائِكَةُ وَ هُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرابِ إما المراد المحراب أو نفس المسجد و سمى محرابا لأنه محل محاربة الشيطان و النفس حيث يريدان صرف الإنسان إلى الدنيا و المسجد يصرفه إلى الآخرة أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى سماه سبحانه بهذا الاسم قبيل الولادة فى حال كونه مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ و المراد بالكلمة عيسى عليه السّلام أى أن يحيى يصدق نبوة عيسى، و إنما سمى عيسى عليه السّلام كلمة اللّه لأنه كان بإلقاء اللّه إياها إلى مريم، كما تلقى الكلمة من الفم وَ سَيِّداً أى ذو سيادة و شرافة وَ حَصُوراً يحصر نفسه عن الملذات، أو عن النساء خاصة بمعنى أنه عليه السّلام كان زاهدا، و كون حصور مدحا ليحيى عليه السّلام

لأسباب خاصة لا- ينافى استحباب الزواج فى الشرائع وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ الذين يصلحون و لا- يكن فيهم فساد كما هو شأن جميع الأنبياء.

[۴۱] فاستفسر زكريا عليه السّلام عن كيفية حصول الولد هل يرزقه و هما على ما هما عليه من الحالة أم تتبدل حالتهما قالَ زكريا فى جواب الملائكة سائلا عن اللّه سبحانه رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ أى كيف يكون لى ولد وَ قَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ أى الشيخوخة وَ امْرَأَتِي عاقِرٌ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣٨

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ۴۱ الى ۴۲]

قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكارِ (۴۱) وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ (۴۲)

ليس لها قابلية الولادة قالَ الملك فى جوابه كَذلِكَ أى كالحال الذى أنتما عليه من الكبر و العقر اللَّهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ فإنه قادر على كل شى‌ء.

[۴۲] قالَ زكريا عليه السّلام رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً أى علامة أعرف بها وقت الحمل لأزيد شكرا و سرورا أو علامة أعرف بها استجابة دعائى ليطمئن قلبى و أجده محسوسا ملموسا بعد ما وجدته سماعا بالبشارة قالَ الملك، أو اللّه سبحانه بخلق الصوت فى الفضاء آيَتُكَ أى الدليل على ذلك أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ أى لا تقدر على التكلم معهم كلما توجهت إليهم بالكلام يعقد لسانك ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً بالإشارة باليد و الرأس وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً فإن لسانك لا ينعقد عن الذكر و التسبيح للّه سبحانه وَ سَبِّحْ أى نزه البارى تعالى بِالْعَشِيِ آخر النهار وَ الْإِبْكارِ أول النهار، من أبكر فهو اسم مفرد لا جمع.

[۴۳] ثم رجع السياق إلى بقية قصة مريم عليها السّلام حيث كانت قصة زكريا عليه السّلام توسطت فى الموضوع لمناسبة وَ اذكر يا رسول اللّه إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ اختارك لعبادته و إطاعته و أن تكونى وعاء لنبيه وَ طَهَّرَكِ من الآثام و الذنوب و الأدناس

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٣٩

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ۴۳ الى ۴۴]

يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (۴۳) ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (۴۴)

و العادات النسائية وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ و كرر الاصطفاء تأكيدا و مقدمة لذكر نساء العالمين فليس الاختيار لها فى جملة مختارات و إنما هى مختارة على سائر نساء زمانها و عوالمها لأكل العالمين فإن فاطمة عليها السّلام هى المختارة المطلقة على جميع النساء و قد تقدم أن مثل هذه العبارة تقال مرادا بها العوالم المعاصرة لأكل العوالم كما يقال إن الدولة الفلانية أقوى جميع الدول يراد الدول المعاصرة لها لا كل دولة فى العالم أتت أو تأتى.

[۴۴] يا مَرْيَمُ اقْنُتِي القنوت الخضوع و الإخلاص فى العبادة لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ أى فى جملة الذين يركعون للّه سبحانه.

[۴۵] ذلِكَ الذى تقدم من قصص مريم و زكريا و يحيى مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ أى الأخبار الغائبة عن الحواس فإن كل شى‌ء غاب عن الحواس يسمى غيبا نُوحِيهِ إِلَيْكَ أى نلقيه عليك ليدل على أنك من المرسلين فإن الإخبار عما لم يحضره الإنسان و لم يعلمه من طريق التاريخ يدل على كونه بالإعجاز و خارق للعادة وَ ما كُنْتَ يا رسول اللّه لَدَيْهِمْ أى عند الأحبار و المعاصرين لمريم عليها السّلام إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ التى بها كانوا يكتبون التوراة أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ فإن زوجة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣۴٠

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۴۵ الى ۴۶]

إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (۴۵) وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ مِنَ الصَّالِحِينَ (۴۶)

عمران لما أتت بمريم إلى المسجد اختلفت الأحبار فى من يكفلها لأنها كانت بنت إمامهم و صاحب قربانهم فقال لهم زكريا: أنا أحق بها لأن خالتها عندى فقال له الأحبار: إنها لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمها التى ولدتها و لكن نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه، فانطلقوا و هم تسعة و عشرون رجلا إلى نهر جار فألقوا أقلامهم فى الماء فأبرز قلم زكريا و ارتفع فوق الماء و رسبت أقلامهم و لذا أخذها زكريا وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ فى شأنها و أن أيهم يكفلها.

[۴۶] و اذكر يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ مخاطبة لمريم عليها السّلام يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أى بولد هو كلمة اللّه تلقى عليك و يخرج منك بصورة عيسى المسيح عليه السّلام اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قيل سمى مسيحا لأنه كان يمسح الأرض و يسير فيها، و ذكر فى الكلام أمه دحضا لمن يفترى قائلا: أنه ابن اللّه، فى حال كونه وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ أى ذا جاه و قدر و شرف وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ للّه تعالى قرب شرف و جاه لا زمان و مكان.

[۴۷] وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ أى فى حال كونه صغيرا قبل أوان تكلم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۴۱

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۴۷ الى ۴۸]

قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (۴۷) وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ (۴۸)

الأطفال و المهد هو الموضع الذى يوضع فيه الطفل و يهز من خشب أو حديد أو ثوب أو نحوها وَ كَهْلًا أى يكلمهم كهلا بالوحى و الكهل ما بين الشاب و الشيخ أو يراد الإخبار عن بقائه إلى ذلك الوقت وَ مِنَ الصَّالِحِينَ الذين فيهم الصلاح دون الفساد.

[۴۸] قالَتْ مريم لما سمعت هذا النبأ المدهش رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ أى كيف يمكن أن ألد ولدا وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ أى لم يقترب منى على نحو النكاح فإنها كانت دون زوج قالَ الملك فى جواب مريم كَذلِكِ أى هكذا بدون المس و الزوج اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ فإنه ليس بخارج عن قدرة اللّه سبحانه إِذا قَضى أَمْراً أراد خلقه و تكوينه فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ قولا أو إرادة بدون تلفظ فَيَكُونُ فى الخارج، فإن اللّه يوجد الأشياء بصرف الإرادة.

[۴۹] وَ يُعَلِّمُهُ أى يعلم اللّه سبحانه المسيح الْكِتابَ أى الكتابة أو مطلق الكتاب المنزل من السماء وَ الْحِكْمَةَ حتى يكون حكيما يعرف مواضع الأشياء أو المراد بالحكمة علم الشرائع من الحلال و الحرام و سائر الأحكام وَ التَّوْراةَ و هو كتاب موسى عليه السّلام وَ الْإِنْجِيلَ و هو الكتاب الذى أنزل على المسيح بنفسه و قد ذكروا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۴۲

[سورة آل‌عمران (۳): آية ۴۹]

وَ رَسُولاً إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۴۹)

أن معنى التوراة «التعليم و البشارة» و معنى الإنجيل «البشارة و التعليم».

[۵۰] وَ نجعله رَسُولًا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ لإرشادهم من الضلالة إلى الحق، و انتقل السياق إلى كلام عيسى عليه السّلام الذى كان يتكلم به بعد النبوة، فكان يقول لبنى إسرائيل أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أى بمعجزة و علامة تدل على صدق دعواتى للنبوة و أنى رسول إليكم أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ أى على صورة الطائر فَأَنْفُخُ فِيهِ أى فى الطائر المصنوع من الطين فَيَكُونُ

طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ و إرادته و قدرته، فصنع صورة خفاش من الطين و نفخ فيه فطار وَ أُبْرِئُ أى أشفى الْأَكْمَهَ الذى ولد أعمى، أو مطلق الأعمى وَ الْأَبْرَصَ الذى أصيب بمرض البرص و هو الوضح وَ أُحْيِ الْمَوْتى كل ذلك بِإِذْنِ اللَّهِ فكان يقف على القبر و يقول للميت قم بإذن اللّه فيقوم ينفض عن جسمه الغبار كأنه لم يمت أصلا وَ أُنَبِّئُكُمْ أى أخبركم بِما تَأْكُلُونَ إخبارا عن الغيب وَ ما تَدَّخِرُونَ من الادخار فِي بُيُوتِكُمْ فكان يقول

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۴۳

[سورة آلعمران (۳): الآيات ۵۰ الى ۵۱]

وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۵۰) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (۵۱)

للشخص تغذيت بكذا أو حفظت لليل كذا إِنَّ فِي ذلِكَ الذى ذكرت من المعجزات لَآيَةً معجزة دالة على صدقى لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ باللّه و إنما يقيد بالإيمان لأن من لا يؤمن باللّه سبحانه لا يمكن أن يفرق بين المعجزة و السحر.

[۵۱] وَ ذلك فى حال كونه مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ أى ما تقدم على و أنزل قبلى مِنَ التَّوْراةِ فإنه من أسباب لزوم تصديقى حيث لا أبطل كتاب بنى إسرائيل وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ يا بنى إسرائيل بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فى شريعة موسى عليه السّلام و هذا التحليل إنما كان لانقضاء ظرف التحريم وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أى بحجة تشهد بصدقى و أنى من قبل اللّه سبحانه، و هى إما إجمال لما فصل فى الآية السابقة، جمعا لأعماله عليه السّلام فى الأمور الثلاثة، التصديق، و التحليل، و الإعجاز، و إما يراد به آية أخرى لم تذكر فى القرآن فَاتَّقُوا اللَّهَ و صدقوا برسالتى وَ أَطِيعُونِ فيما آمركم به و أنهاكم عنه.

[۵۲] إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فلست أنا ابنا له، قال ذلك ردا على النصارى الذين اتخذوه إلها فَاعْبُدُوهُ وحده و لا تعبدوا من دونه الشركاء كما عبدت اليهود عزيرا، و عبدت النصارى المسيح هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۴۴

[سورة آلعمران (۳): الآيات ۵۲ الى ۵۳]

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (۵۲) رَبَّنا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ (۵۳)

لا اعوجاج له و لا انحراف بخلاف سائر الطرائق التى هى طرق معوجة منحرفة زائغة.

[۵۳] و بعد هذه الحجج لم يزدد بنى إسرائيل إلا عنادا و استكبارا فَلَمَّا أَحَسَ من الحس أى وجد عِيسى عليه السّلام مِنْهُمُ الْكُفْرَ و أنه لم تنفعهم الحجة و الدليل قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ الذين ينصرون دينى للوصول إلى ثواب اللّه تعالى إذ المسلم يقطع طريق الوصول إلى اللّه لينتهى إلى ثوابه قالَ الْحَوارِيُّونَ هو جمع حوارى من الحور بمعنى شدة البياض و سمى خاصة الإنسان بالحوارى لنقاء قلبه و صفاء باطنه نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ الذين ننصر دينه و نتابعك على ما أنت عليه آمَنَّا بِاللَّهِ إيمانا لا يشوبه شرك وَ اشْهَدْ يا عيسى بِأَنَّا مُسْلِمُونَ فى أدياننا.

[۵۴] ثم توجهوا إلى اللّه سبحانه داعين قائلين رَبَّنا أى يا ربنا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ على رسولك عيسى عليه السّلام وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فيما أمر و نهى فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ الذين يشهدون على الأمم كما قال سبحانه لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً «۱» فالرسل

---

(۱) البقرة: ۱۴۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۴۵

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۵۴ الى ۵۵]

وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ (۵۴) إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۵۵)

شهداء على أصحابهم و هم شهداء على سائر الناس.

[۵۵] ذلك كان قول أنصار عيسى و المؤمنين به أما الكفار الذين جحدوه و أنكروه فلم يؤمنوا وَ مَكَرُوا لعيسى عليه السّلام بأن يقتلوه وَ مَكَرَ اللَّهُ بإنقاذه منهم و قتل كبيرهم عوضه، و المكر لغة بمعنى تطلب العلاج لأمر ما و الغالب يستعمل في الشر، و لعل نسبة المكر هنا إلى اللّه سبحانه للمقابلة نحو قوله تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ «۱» مع أن اللّه سبحانه ليس له نفس وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ لأنه أعرف بطرق العلاج، و في بعض التفاسير أنه لما أراد ملك بني إسرائيل قتل عيسى عليه السّلام دخل خوخته و فيها كوة فرفعه جبرائيل من الكوة إلى السماء و قال الملك لرجل خبيث من الكفار ادخل عليه فاقتله فدخل الخوخة فألقى اللّه عليه شبه عيسى عليه السّلام فخرج إلى أصحابه يخبرهم أنه ليس في البيت فقتلوه بظن أنه عيسى و كان قتله على نحو الصلب و كلما صاح أنه ليس بعيسى لم يفد.

[۵۶] و اذكر يا رسول اللّه إِذْ قالَ اللَّهُ أو ذاك إذ قال، أو و مكر اللّه إذ قال يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ أي آخذك وافيا فإن معنى توفاه أخذه وافيا و يقال توفى اللّه فلان حين يأخذ روحه وافية من الوفاء و هو في أخذ الروح و الجسد أقرب إلى الحقيقة من أخذ الروح فقط فإنه

(۱) المائدة: ۱۱۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۴۶

[سورة آل‌عمران (۳): آية ۵۶]

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (۵۶)

بعلاقة الكل و الجزء أي آخذك وَ رافِعُكَ إِلَيَّ فإنه عليه السّلام رفع إلى السماء الرابعة كما في بعض الأحاديث و قد يظن أن ذلك ينافي ما اشتهر في العلم الحديث من عدم وجود سماوات ذات حجوم لكنه ظن غير تام إذ السماء حتى لو كان يراد بها المدار- كما هو معناه لغة- تكون هناك سماوات و للتوضيح راجع «الهيئة و الإسلام» تأليف «العلامة الشهرستاني» وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا فإنهم أرجاس أنجاس فكما أن الجسم المحاط بالنجاسة إذا غسل يطهر عنها كذلك إن الإنسان الطيب في أناس كفرة عصاة إذا أخرج من بينهم كان تطهيرا له في المعنى عن لوثهم و كفرهم وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ من النصارى فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا بك من اليهود إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ و هذا من معاجز القرآن الحكيم فإن النصارى دائما فوق اليهود إلى يومنا هذا و سيكونون كذلك إلى يوم القيامة ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ جميعا أنت و أصحابك الكفار، و ذلك يوم القيامة فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ من التوحيد و الشرك و من كونك نبيا و سائر الأصول و الفروع التي كنت تنادي بها و تبشر من أجلها و كان اليهود يكفرون بها.

[۵۷] فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بك و بما جئت به فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۴۷

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۵۷ الى ۵۸]

وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (۵۷) ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآياتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ (۵۸)

بضرب الذلة و المسكنة عليهم و إنهم دائما تحت حكم أصحابك و أنه لا تقوم لهم دولة إلا بحبل من اللّه و حبل من الناس و إنهم

مكروهون منفورون أبد الآبدين وَ الْآخِرَةِ بإدخالهم نارا أحاطت بهم سرادقها و إن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ ينصرونهم من بأس اللّه و عذابه.

[٥٨] وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بك و بما بشرت به وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مما أمرناهم به و اجتنبوا عن المحرمات، فإنه لا- يقال يعمل فلان الصالحات إلا- إذا اجتنب الآثام إلى جنب إتيانه بالواجبات فَيُوَفِّيهِمْ أى يعطيهم اللّه أُجُورَهُمْ كاملة غير منقوصة فإن الوفاء إعطاء المطلوب كاملا وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ الذين ظلموا بالكفر أو بعدم العمل الصالح.

[٥٩] ذلِكَ المذكور هنا من أخبار زكريا و عيسى و يحيى و مريم عليهم السّلام نَتْلُوهُ عَلَيْكَ أى نقرأه عليك بسبب الوحى مِنَ الْآياتِ أى من جملة الآيات و الحجج الدالة على صدقك و أنك نبى يوحى إليه وَ من الذِّكْرِ إى القرآن الْحَكِيمِ المحكم الذى لا يتطرق إليه بطلان أو زيغ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٤٨

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ٥٩ الى ٦١]

إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ (٦١)

[٦٠] و هنا تتهيأ النفوس لإدراك حقيقة عيسى هل كان بشرا و كيف ولد من غير أب فقال سبحانه إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ فليس ولادة عيسى من غير أب عجيبا و بدعا و لا يدل ذلك على أنه رب، فآدم أعجب منه أ ليس اللّه سبحانه خَلَقَهُ أى خلق آدم مِنْ تُرابٍ صنعه و جسده ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ إنسانا حيا فَيَكُونُ كما قال و مقتضى القاعدة أن يقال «فكان» إلا أن هذه الجملة أخذت صيغة المثالية نحو الصيف ضيعت اللبن، و لذا يؤتى بها على لفظها و قد تقدم أن كلمة «كن» تعبر عن الإرادة الأزلية لا- أن فى اللفظ خصوصية.

[٦١] الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ يا رسول اللّه أى أن قصة عيسى هكذا أو خلقه كذلك حق من ربك فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ أى من الشاكين فإن امترى بمعنى شك و الخطاب و إن كان للرسول لكنه عام لكل أحد، و من المعلوم أن توجيه الخطاب لا يلازم احتمال وجود الصفة، و إنما أكد البيان بجملة «فلا تكن» لكثرة الشك و التشكيك لدى الناس فى مختلف شؤون عيسى عليه السّلام.

[٦٢] فَمَنْ حَاجَّكَ و جادلك يا رسول اللّه فِيهِ أى فى عيسى قائلا أنه ليس بشرا و إنما هو رب انفصل عن الرب، و نزلت الآية فى وفد نجران من المسيحيين الذين جاءوا للمجادلة مع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لم تنفعهم الحجة و الدليل فقرر الطرفان أن يخرجوا إلى الصحراء ليدعو

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٤٩

[سورة آل‌عمران (٣): آية ٦٢]

إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢)

كل من الطرفين على الكاذب فخرج الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم الموعد مع على و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السّلام فلما رأتهم النصارى أحجموا و قال كبيرهم: إنى لأرى وجوها لو سألوا اللّه أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا و لا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة و

قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و الذى نفسى بيده لو لاعنونى لمسخوا قردة و خنازير و لاضطرم الوادى عليهم نارا، و لما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا

مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ حول قصة عيسى عليه السّلام فَقُلْ لهم يا رسول اللّه تَعالَوْا أى هلموا إلى حجة أخرى ليست محل نقاش و

جدال نَدْعُ أى يدعو كل طائفة منا أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا أى من هو بمنزلة أنفسنا وَ أَنْفُسَكُمْ أى من هو بمنزلة أنفسكم، و المراد دعوة كل طرف خواصه و من يقترب إليه من الأبناء و النساء و من هو بمنزلة نفسه ثُمَّ نَبْتَهِلْ الابتهال طلب اللعنة من اللّه سبحانه أى تدعو كل طائفة على الأخرى قائلين: لعن الكاذب، و قد يستعمل الابتهال بمعنى مطلق الدعاء خيرا كان أو شرا فَنَجْعَلْ فى ابتهالنا لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ و قد أجمع المفسرون أن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يخرج معه إلا ـ ابنيه الحسن و الحسين و بنته فاطمة و ابن عمه عليا عليهم السّلام.

[۶۳] إِنَّ هذا الذى أوحينا إليك فى أمر عيسى و غيره لَهُوَ الْقَصَصُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۵۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۱ ۳۹۹

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۶۳ الى ۶۴]

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (۶۳) قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (۶۴)

جمع قصة الْحَقُّ الذى لا كذب فيه و لا زيغ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ فليس عيسى إلها كما يزعم النصارى وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ فى سلطانه الْحَكِيمُ فى أفعاله فلا يتخذ البشر ابنا له كما يقول اليهود و النصارى.

[۶۴] فَإِنْ تَوَلَّوْا و أعرضوا مصرين على عقائدهم الفاسدة فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ الذين يفسدون عقائد الناس و أعمالهم فإنهم لا يفوتونه سبحانه بل هم بعلمه و سيجازيهم بأعمالهم و أفعالهم.

[۶۵] و حيث انتهى السياق من قصص عيسى عليه السّلام تناول الحديث حول أهل الكتاب و انحرافاتهم للعلاقة الوثيقة بين الموضوعين فقال سبحانه قُلْ يا رسول اللّه يا أَهْلَ الْكِتابِ و المراد بهم اليهود و النصارى تَعالَوْا أى هلموا نجتمع جميعا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أى إلى كلام عدل لا ـ ميل له و نحن جميعا نعترف به و ندع ما سوى ذلك ما لم يدل عليه دليل أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ فإن العبادة لا تجوز إلا له إذ هو الذى خلق الكون وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً من إنسان أو حيوان أو جماد كما يصفه المشركون وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أى بعض البشر أَرْباباً و آلهة مِنْ دُونِ اللَّهِ كاتخاذ النصارى المسيح إلها أو المراد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۵۱

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۶۵ الى ۶۶]

يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْراهِيمَ وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۶۵) ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (۶۶)

اتخاذ الأحبار و الرهبان آلهة فى الإطاعة فيما خالف اللّه سبحانه كما قال: اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً «۱» فَإِنْ تَوَلَّوْا أى أعرضوا عن ذلك فَقُولُوا لهم اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ للّه وحده نتبع طريقه و لا نبتغى غير الإسلام دينا.

[۶۶] و قد كان أهل الكتاب يقولون أن إبراهيم كان على ديننا فاليهود منهم كانوا يقولون أنه عليه السّلام كان يهوديا و النصارى منهم كانوا يقولون أنه عليه السّلام كان مسيحيا فقال سبحانه فى ردهم يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ أى لماذا تُحَاجُّونَ و تجادلون فِي إِبْراهِيمَ عليه السّلام و تنسبوه إلى اليهودية و النصرانية وَ الحال أنه متقدم زمانا على كلا الدينين، فإبراهيم جد موسى و عيسى و هو سابق عليهما بقرون فإنه ما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ على موسى وَ الْإِنْجِيلُ على عيسى إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أى بعد إبراهيم أَ فَلا تَعْقِلُونَ أ ليس لكم عقل حتى تعرفون التاريخ.

[۶۷] ها تفيد التنبيه أَنْتُمْ هؤُلاءِ يا معشر أهل الكتاب حاجَجْتُمْ و جادلتم فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ مما تعلمون كالقبلة

---

(۱) التوبة: ۳۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۵۲

[سورة آلعمران (۳): الآيات ۶۷ الى ۶۸]

ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۶۷) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (۶۸)

و نحوها فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ إذ لا تعلمون تاريخ إبراهيم و تجادلون فى أنه كان يهوديا أو نصرانيا وَ اللَّهُ يَعْلَمُ تاريخ إبراهيم و دينه وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ فما هذه المخاصمة و المجادلة.

[۶۸] ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا فإنهما طريقتان متأخرتان انحرفتا عن سنن الأنبياء حتى أن المسيح و موسى عليهما السّلام لم يكونا متصفين بهاتين الملتين وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مستقيما فى دينه لا منحرفا مُسْلِماً لما تقدم من أن الإسلام دين الأنبياء جميعا وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كشرك اليهود الذين جعلوا عزير ابن اللّه و شرك النصارى الذين جعلوا المسيح إلها أو ابن اللّه.

[۶۹] كانت اليهود تقول نحن أولى بإبراهيم لأنه على ديننا و كانت النصارى تقول مثل ذلك فنزلت إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ الذى يحق أن يفتخر به و يقول أنا على طريقته و أنه رئيس الملة لى لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فى زمانه و بعده إذ التابع يحق له أن يفتخر برئيسه و متبوعه لا من يتبع غيره كاليهود و النصارى الذين خالفوا إبراهيم وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا عطف على «الذين اتبعوه» فإن هذا النبى و المؤمنين هم الذين اتبعوا إبراهيم و هم على ملته فإن ملته التوحيد و خلع الأنداد وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۵۳

[سورة آلعمران (۳): الآيات ۶۹ الى ۷۱]

وَدَّتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَ ما يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (۶۹) يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (۷۰) يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۷۱)

يلى أمورهم و ينصرهم على عدوهم.

[۷۰] وَدَّتْ أى أحبت و رغبت طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أى جماعة منهم فإن كثيرا من أهل الكتاب لم يكن يعنيهم هذه الأمور لَوْ يُضِلُّونَكُمْ عن دينكم حتى تدخلوا فى دينهم أو ترجعوا كفارا وَ ما يُضِلُّونَ هؤلاء إِلَّا أَنْفُسَهُمْ فإنهم بتركهم الإسلام و التزامهم أديانهم المنحرفة سببوا ضلالا لأنفسهم، أو المراد أنه لا يرجع و بال إضلالهم إلا على أنفسهم حيث يوجب ذلك لهم خزيا فى الدنيا و عذابا فى الآخرة وَ ما يَشْعُرُونَ أى ما يعلمون أنهم أضلوا أنفسهم أو ما شعروا بأنه رجع وبال إضلالهم إلى أنفسهم.

[۷۱] يا أَهْلَ الْكِتابِ هم اليهود و النصارى، و المجوس و إن كانوا أهل الكتاب إلا أن هذه المباحثات كانت مع الطائفتين فقط كما يستفاد من سياق الآيات لِمَ أى لماذا تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ بدلائله و حججه التى أقامها على التوحيد و الرسالة و سائر الأمور وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ بلزوم الإقرار بها شهادة فيما بينكم، أو شهادة حسب كتبكم الدالة على التوحيد و رسالة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سائر الأمور المختلف فيها.

[۷۲] يا أَهْلَ الْكِتابِ و خطابهم بهذا الخطاب إشعار بأنهم ينبغى أن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۵۴

[سورة آلعمران (۳): آية ۷۲]

وَ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۷۲)

لا يكونوا كذلك إذ هم أهل العلم و الدراية و فيهم نزل كتاب اللّه سبحانه لِمَ أى لماذا تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ أى تخلطون الحق بالباطل ففى أعمالكم قسم من الحق و قسم من الباطل فالإيمان بموسى و عيسى حق و الكفر بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم باطل

و هكذا بعض كتابهم حق و بعضه الذى حرفوه باطل وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أى تعلمون أنه حق فقد كان علماؤهم يكتمون صفات الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى لا يميلوا نحوه و تذهب رئاستهم.

[۷۳] و قد صدرت مكيدة من أهل الكتاب لتضليل الناس و أن لا يتعلقوا بدين الإسلام، حيث يظهرون عملا يصورهم عند الناس فى صورة المنصف و أنهم إنما لم يتبعوا الإسلام لأنهم لم يجدوه حقا وَ قالَتْ طائِفَةٌ أى جماعة مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ بعضهم لبعض آمِنُوا أى أظهروا الإيمان بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا أى بالقرآن وَجْهَ النَّهارِ أى أول الصبح، فقولوا إنا آمنا بمحمد و كتابه لأنا وجدناه فى كتبنا وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ أى آخر النهار فقولوا بعد أن آمنا رجعنا إلى صفات محمد ثانيا فوجدناها ليست كما ذكر فى كتابنا، فإن هذا العمل يريكم فى أعين الناس منصفين حيث آمنتم بمحمد بمجرد علمكم بحقيقته، و إنما رجعتم حيث ظهر لكم عدم الحقيقة، فتوهمون الناس أنكم منصفون صادقون تريدون الحق لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أى لعل هذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۵۵

[سورة آل‌عمران (۳): آية ۷۳]

وَ لا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۷۳)

العمل الخداعى يسبب رجوع المسلمين عن إسلامهم حيث يوجب ذلك تشكيكا لهم.

[۷۴] وَ لا تُؤْمِنُوا أى لا تظهروا الإيمان إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ فإيمانكم وجه النهار يكون عند أهل الكتاب لا عند المسلمين، أو لا تؤمنوا إيمانا صادقا من قلوبكم إلا لأهل الكتاب، فلا تؤمنوا للمسلمين، و معنى الإيمان لمن تبع دينهم أنهم يؤمنون بمثل ما آمن أهل الكتاب قُلْ لهم يا رسول اللّه إِنَّ الْهُدى الحقيقى هُدَى اللَّهِ لا هذا الهدى الاصطناعى الذين تريدون به خداع أصحابكم و المسلمين فلسنا فى حاجة إلى هداكم كما لا نخاف من إضلالكم فإن اللّه إذا هدى شخصا لا يرجع بخداعكم، ثم يرجع السياق إلى كلام اليهود بعضهم لبعض، و لا تؤمنوا أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ فإنما أوتيتم أيها اليهود هو خير مما أوتى غيركم فلا يكن إيمانكم بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إيمانا عن قلب أو صدق أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ أى لا تؤمنوا أن يحاجكم المسلمون عند ربكم بمعنى أنه لا يمكن أن يكون ذلك إذ المحاجة لا تكون من المبطل- و المسلم مبطل بزعمهم- قُلْ يا رسول اللّه ردا على قولهم «أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ فأى مانع من أن يعطى المسلمين مثل ما أعطى اليهود و أفضل منه يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ الفضل لا ينفد فضله بإعطائه لأحد عَلِيمٌ بمصالح الخلق

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۵۶

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۷۴ الى ۷۵]

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (۷۴) وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۷۵)

يعلم حيث يجعل رسالته.

[۷۵] يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ من عباده وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فإن فضله يبتدئ بالخلق و ينتهى إلى حيث لا قابلية فوقه.

[۷۶] و قد جمع بعض أهل الكتاب إلى تلك الرذائل السابقة رذيلة الخيانة وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أى بعض أهل الكتاب- و المراد به من آمن منهم كعبد اللّه بن سلام- مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ أى تجعله أمينا على قنطار من مال لا يخونه بل يؤديه إليك عند المطالبة، و قد ورد أن عبد اللّه بن سلام أودعه رجل ألفا و مائتى أوقية من ذهب فأداه إليه فمدحه اللّه بهذه الآية وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ أى تجعله أمينا على مال قليل كدينار لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ عند المطالبة فإن رجلا من قريش استودع «فخاص» دينارا فخانه و لم يرده إليه إِلَّا ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً بالضغط و الإلحاح و المراقبة ذلِكَ الاستحلال و الخيانة منهم لأموال الناس بسبب أنهم أى الخائن من أهل

الكتـاب قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ أى لا سبيل و لا غضاضـة علينا فى اسـتحلالنا أموال الأميين أى العرب حيث أنهم خرجوا عن دينهم أى غير الشرك و قد أودعونا حال شركهم فإذا رفضوا طريقتهم إلى الإسلام سقط

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۵۷

[سورة آلعمران (۳): الآيات ۷۶ الى ۷۷]

بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَ اتَّقى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (۷۶) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۷۷)

حقهم كـذا كانوا يقولون و ينسبونه إلى كتبهم وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ فإنه ليس ذلك فى كتبهم، بل اللازم أداء الأمانة إلى البر و الفاجر وَ هُمْ يَعْلَمُونَ أنهم يكذبون على اللّه و أن عدم الأداء خيانة و رذيلة.

[۷۷] بَلى فيه نفى لما قبله و إثبات لما بعده أى لم يجز اللّه الخيانة بل أوجب الأداء ف مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ و أدى الأمانة التى عنده وَ اتَّقى من عذاب اللّه فى الخيانة و غيرها فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ لا الخائنين الكاذبين.

[۷۸] إنَ من يأكل الأمانـة و يكـذب على اللّه فقـد باع دينه بثمن قليل و الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بمقابل عهد اللَّهِ الذى هو الكتاب و الدين وَ ب أَيْمانِهِمْ أى أقسامهم الكاذبـة التى يحلفون بها لأجل الباطل ثَمَناً قَلِيلًا و قد تقدم أن الأمور الدنيوية مهما عظمت فإنها قليلة بالنسبـة إلى الآخـرة أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أى لا نصيب لهم من رحمـة اللّه و جنته فى الآخرة وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ كلام لطف و حنان و هو كنايـة عن غضب اللّه عليهم كما أن من غضب على شـخص لا يكلمه وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ أى لا يعمهم بلطفه و إحسانه و هو كنايـة أخرى عن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۵۸

[سورة آلعمران (۳): آية ۷۸]

وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۷۸)

الغضب كالذى يغضب على شـخص فلا ينظر إليه يَوْمَ الْقِيامَةِ ذلك اليوم الذى يحتاج كل أحد إلى فضله و إحسانه تعالى وَ لا يُزَكِّيهِمْ أى لا يطهرهم من الدنس فإن قلب الخائن الكاذب أقذر ما يكون فلا يشمله اللّه سبحانه بلطفه الخاص الذى يلطف به على المؤمنين وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ أى مؤلم موجع.

[۷۹] وَ إِنَّ مِنْهُمْ أى بعض أهل الكتاب لَفَرِيقاً أى جماعـة يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ أى يطوون ألسـنتهم عند قراءة الكتابة و طى لسانهم إنمـا هـو بالزيـادة و النقيصـة فكمـا أن لىّ الشـىء يخرجه عن الاسـتقامة بالزيـادة فى جـانب و النقيصـة فى جـانب كـذلك لىّ اللسـان بالكتاب، فإنهم أضافوا على التوراة و الإنجيل فى مواضع و نقصوا منهما فى مواضع لِتَحْسَبُوهُ أيها المسـلمون مِنَ الْكِتابِ فيكون شاهدا لأباطيلهم المخترعـة وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ بل من إضافاتهم و تحريفاتهم وَ يَقُولُونَ هُوَ ما يتلونه باسم الكتاب مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تعالى وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بل من مخترعاتهم الكاذبـة وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ فى نسـبتهم ذلك التحريف إليه سـبحانه وَ هُمْ يَعْلَمُونَ أنه ليس من الكتاب و أنهم كاذبون.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۵۹

[سورة آلعمران (۳): آية ۷۹]

ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَ بِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (۷۹)

[۸۰] و حيث أنه كان من أظهر تلك التحريفات تحريفهم حول المسـيح عليه السّـلام و ادعائهم أنه شـريك مع اللّه و أن ذلك موجود

فى كتابهم، ردهم اللّه سبحانه بأن ذلك مستحيل فى حق المسيح، لأن اللّه سبحانه لا يعطى النبوة لرجل كاذب يدعى لنفسه الربوبية فإنه ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ أى يعطيه الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ بين الناس وَ النُّبُوَّةَ و الرسالة ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ أى اعبدونى دونه سبحانه، أو المراد اعبدونى معه، فإن عبادة الشريك عبادة لمن دون اللّه، و لأن الشرك معناه عدم عبادة اللّه إطلاقا إذ اللّه لا شريک له، فمن له شريک ليس هو بإله، و فى بعض التفاسير أن سبب نزول هذه الآية أن يهوديا سأل النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلک و نزلت الآية وَ لكِنْ اللازم على الرسول أن يقول للناس كُونُوا رَبَّانِيِّينَ منسوبين إلى الرب ترشدون الناس إلى التوحيد و تعبدون إلها واحدا بسبب ما كُنْتُمْ أى كونكم تُعَلِّمُونَ للناس الْكِتابَ الذى أخذتموه من نبيكم وَ بِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ أى بسبب درسكم إياه يعنى أن الرسول يقول للناس إنكم بسبب كونكم علماء معلمين مدرسين يجب أن تكونوا ربانيين منسوبين إلى الرب فقط لا إلى غيره من الأنداد و الشركاء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦٠

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ٨٠ الى ٨١]

وَ لا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْباباً أَ يَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠) وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)

[٨١] وَ لا- يكون للنبى أن يَأْمُرَكُمْ عطف على «ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ» أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْباباً فإن ذلک محال إذ من يختاره اللّه للرسالة لا يأمر بالكفر أَ يَأْمُرُكُمْ أى هل يأمركم النبى بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أسلمتم بإيمانكم بالنبى، و هذا استفهام إنكارى أى لا يكون ذلک أبدا فقد أخرجكم النبى من الكفر إلى الإسلام فكيف يأمركم بالكفر ثانيا بأن تتخذوه شريكا للّه.

[٨٢] و إذ تم الكلام حول عيسى و أنه ليس بشريک للّه سبحانه رجع السياق إلى نبى الإسلام و أنه النبى بعد عيسى عليه السّلام، وَ اذكر يا رسول اللّه إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ عهدهم المؤكد لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ «ما» بمعنى «مهما» أى أخذ اللّه عهد النبيين أنه مهما أعطاه اللّه الكتاب و الحكمة و الرسالة ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ يراد به نبى الإسلام، أو كل نبى يأتى بعدهم لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ هذا جواب «مهما» فاللّه سبحانه كان يأخذ من النبيين الميثاق أنه مهما أعطى أحدهم الرسالة فإن عليه أن يؤمن برسول الإسلام، أو عليه أن يؤمن بالرسول الذى يتلوه و أن يناصره و يعاضده، و فى الوجه الأول إفادة أن الأنبياء جميعا أقروا بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و اعترفوا به و آمنوا به و فى الوجه الثانى إفادة أن كل رسول كان يؤمن بالرسول الذى يأتى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦١

[سورة آل‌عمران (٣): آية ٨٢]

فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (٨٢)

من بعده حتى أن الأنبياء كلهم كسلسلة واحدة يؤمن سابقهم بلاحقهم و يصدق لاحقهم سابقهم وَ لَتَنْصُرُنَّهُ و معنى نصرة النبى السابق للاحق أن يأخذ له العهد من أمته قالَ اللّه تأكيدا لأخذ الميثاق أَ أَقْرَرْتُمْ أى هل أقررتم أيها الأنبياء باستعدادكم للإيمان بالرسول و نصرته وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ الإيمان بالرسول و نصرته إِصْرِي أى عهدى الأكيد من أممكم حتى يؤمنوا بالرسول و ينصروه قالُوا أى قالت الأنبياء فى جواب اللّه سبحانه أَقْرَرْنا بذلک و أخذنا الأمر قالَ اللّه سبحانه لهم فَاشْهَدُوا بذلک على أممكم أى كونوا شهداء عليهم حتى نحتج على المخالف يوم القيامة بشهادتكم وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فإنى أيضا شهيد عليهم بأنهم أقروا بأن يؤمنوا بالرسول و ينصروه، و

قد روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام أنه لم يبعث اللّه نبيا آدم و من بعده إلا أخذ عليه العهد بالإيمان بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمره بأخذ العهد بذلک من أمته «١».

[۸۳] فَمَنْ تَوَلَّى و أعرض عن الإيمان و النصرة بَعْدَ ذلِكَ العهد الذى أخذه نبيه منه فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ الخارجون عن إطاعة اللّه سبحانه حيث نقضوا العهد و خالفوا الوعد.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۱ ص ۱۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۶۲

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۸۳ الى ۸۴]

أَ فَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (۸۳) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۸۴)

[۸۴] إن عدم الإيمان بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خلاف عهدهم أولا و خلاف الواجب عليهم ثانيا أ فَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ أى يطلبون و يريدون غير دين اللّه و دين الإسلام الذى ثبت بالآيات و الحجج وَ لَهُ أى للّه أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فكل شيء فى الكون خاضع له سبحانه منقاد لأمره فما بال هؤلاء يخالفون دين اللّه الذى أذعن له كل الكون طَوْعاً وَ كَرْهاً فإن ذوى العقول من الملائكة و نحوه أسلم للّه طوعا و الجمادات أسلمت كرها بمعنى أنها مستمرة حسب مشيئة اللّه سبحانه وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ أى إلى حكمه و أمره و ثوابه و عقابه يرجعون عند الموت أو فى القيامة.

[۸۵] هنا يأتى دور إظهار الأمة المسلمة إيمانها بجميع الأنبياء، فإنه مقتضى وحدة الرسالات و مقتضى ما سلف من إيمان كل سابق باللاحق و تصديق كل لاحق للسابق قُلْ يا رسول اللّه صيغة الإيمان التى يجب الاعتراف بها على كل أمتك آمَنَّا بِاللَّهِ إلها واحدا وَ ب ما أُنْزِلَ عَلَيْنا من القرآن الحكيم و سائر الأحكام وَ ب ما أُنْزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ أولاد يعقوب الذين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۶۳

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۸۵ الى ۸۶]

وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ (۸۵) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۸۶)

كانوا أنبياء وَ ب ما أُوتِيَ أى أعطى مُوسى من التوراة وَ عِيسى من الإنجيل وَ بما أعطى النَّبِيُّونَ مِنْ قبل رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أى من هؤلاء الأنبياء لا كاليهود الذين لم يؤمنوا بعيسى عليه السّلام و محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا كالنصارى الذين لم يؤمنوا بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ نَحْنُ لَهُ أى للّه مُسْلِمُونَ منقادون فيما أمرنا و نهانا.

[۸۶] وَ مَنْ يَبْتَغِ يطلب و يريد غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً من الأديان السماوية أو المفتعلة فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ أبدا فى الدنيا بل تجرى عليه أحكام الكفار وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ الذين خسروا أنفسهم و أموالهم و أهليهم جميعا.

[۸۷] إن الذين أدركوا حقيقة وحدة الرسالات و حقيقة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و دين الإسلام ثم أنكروا و عاندوا فقد ظلموا أنفسهم و أبعدوها عن لطف اللّه و هدايته فلا يلطف بهم اللّه لطفا خاصا و لا يهديهم بل يتركهم فى ظلمات كفرهم كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ و المراد بالإيمان علمهم بحقيقة الرسول الإيمان فى الظاهر، إلا إذا أخذنا بما ورد فى بعض التفاسير و الروايات من أنها نزلت فى رجل آمن ثم ارتد ثم ندم فأرسل إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من يسأله عن قبول توبته فأجاب الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۶۴

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ٨٧ الى ٨٩]

أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩)

بالإثبات فتاب و حسن إسلامه، و لذا استثنى فى آخر الآيات «إِلَّا الَّذِينَ تابُوا» وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ شهادة واقعية و إن لم يظهروها و لم يلتزموا بلوازمها وَ جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ الأدلة الواضحة على صدق الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حقيقة ما جاء به وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أى لا يلطف بهم اللطف الخاص الذى يلطف به بمن استقام و لم يظلم نفسه.

[٨٨] أُولئِكَ الذين كفروا بعد إيمانهم جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ بإبعادهم عن رحمته و مغفرته و ثوابه وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ فإنهم يدعون عليهم بالعذاب و يلعنونهم.

[٨٩] خالِدِينَ فِيها أى يخلدون فى اللعنة و الطرد أبد الآبدين لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ أى لا يسهل عليهم لأنهم بكفرهم استحقوا العقاب الدائم وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ أى لا يؤخر عنهم العذاب من وقت إلى وقت، أو لا ينظر إليهم.

[٩٠] إِلَّا الَّذِينَ تابُوا عن كفرهم مِنْ بَعْدِ ذلِكَ الكفر بأن آمنوا وَ أَصْلَحُوا فى أعمالهم أى عملوا الصالحات فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦٥

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ٩٠ الى ٩١]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَ لَوِ افْتَدى بِهِ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (٩١)

لكفرهم و ذنوبهم رَحِيمٌ بهم فلا يؤاخذهم بسيئاتهم.

[٩١] هذا حال من آمن بعد ارتداده و تاب، أو آمن بعد علمه بالحق و كفره، أما من بقى على كفره بعد الإيمان فجزاؤه ما يأتى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ بالنبى و بما جاء به ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً فإن الكافر ببقائه على الكفر يزداد كفرا فإن كل ساعة يكون كافرا فيها يكون أكثر كفرا من الساعة المتقدمة، أو المراد ازدياد الكفر باستحكامه فإن الإنسان كما يزداد إيمانا كلما رأى آيات اللّه كذلك يزداد كفرا كلما أعرض عما يراه من الآيات لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ التى تأتى منهم حال الاحتضار فإن المحتضر حيث يرى حقيقة الإيمان يتوب فى قلبه و يندم و لكن لا تقبل توبته كما قال سبحانه وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ «١» وَ أُولئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ الذين ضلوا طريق الحق فى الدنيا و عذبوا فى الآخرة.

[٩٢] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ ممن لم يتب حتى فى حال الاحتضار كما قال سبحانه وَ لَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ «٢» بعد الآية

---

(١) النساء: ١٩.

(٢) النساء: ١٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٦٦

[سورة آل‌عمران (٣): آية ٩٢]

لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)

السابقة: «وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ» أو المراد التعقيب على «لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ» أى أن أولئك الذين لم تقبل توبتهم فى الدنيا لا ينجون من عذاب اللّه يوم القيامة بإعطاء الفدية فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً أى مقدار ما يملأ الأرض من الذهب وَ لَوِ افْتَدى بِهِ لا ينفعه أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ مؤلم و موجع وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ ينصرونهم من عذاب اللّه و سخطه.

[٩٣] و حيث جرى حديث الإنفاق و أنه لن يقبل من الكافر يوم القيامة ناسب السياق بيان حكم الإنفاق و أنه لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ أى لن تدركوا النفع الذى تأملونه من رضى اللّه و ثوابه و الجنة و خير الدنيا و غيرها حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ لا أن تنفقوا ما لا تحبون كإنفاق ما تعانيه النفس كما قال سبحانه وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا «١» وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ قليل أو كثير فى مختلف أصناف الأشياء فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ فيجازيكم على قدره.

---

(١) البقرة: ٢۶٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣۶٧

تقريب القران الى الأذهان الجزء الرّابع من آية (٩۴) من سورة آل عمران إلى (٢۴) من سورة النساء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣۶٨

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣۶٩

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ٩٣ الى ٩۴]

كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلاَّ ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩۴)

[٩۴] يرجع السياق هنا إلى ما كانت الآيات بصدده من أحوال أهل الكتاب فى أصولهم و فروعهم و عنادهم و جدالهم، و فى بعض التفاسير أنهم أنكروا على رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تحليل لحم الجزور و ادعوا تحريمه على إبراهيم عليه السّلام و أن ذلك مذكور فى التوراة فأنزل الله سبحانه ردا عليهم هذه الآية كُلُّ الطَّعامِ أى كل المأكولات، و المراد ب «الكل» الإضافى فى مقابل ما أدعوا تحريمه كانَ حِلًّا أى حلالا لِبَنِي إِسْرائِيلَ اليهود إِلَّا ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ أى يعقوب عليه السّلام عَلى نَفْسِهِ و هو لحم الإبل كان إذا أكله هيّج عليه «الخاصرة» فحرمه على نفسه. و كان ذلك مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ على موسى عليه السّلام فليس تحريمه على إسرائيل دليلا على بقائه على الحرمة فإن التوراة لما نزلت لم تحرمه فلما ذا تقولون أيها اليهود بحرمته قُلْ يا رسول اللّه لهم: فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها حتى يظهر أنه لم تحرمه التوراة كما ذكرت لكم إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى دعواكم أن التوراة حرمت الإبل، لكنهم لم يأتوا بالتوراة، فتبين كذبهم، و قد كان اليهود يظنون أن الرسول- لأنه أمى- لا علم له بالتوراة فلهذا كانوا ينسبون إلى التوراة أشياء، لكن الوحى كان يفضحهم.

[٩۵] فَمَنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ البرهان الدال على عدم تحريم التوراة فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ الذين ظلموا أنفسهم بمنعها عن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٧٠

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ٩۵ الى ٩۶]

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩۵) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ (٩۶)

الهداية و ظلموا غيرهم بمنعهم عن الحق.

[٩۶] قُلْ يا رسول الله لليهود صَدَقَ اللَّهُ فيما نقلت لكم من عدم تحريم الجزور و كذبتم أنتم، بل تبيّن أن كل الطعام كان حلّا فَاتَّبِعُوا أيها اليهود مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً أى مستقيما، و ملة إبراهيم تحلّل كل الطعام وَ ما كانَ إبراهيم عليه السّلام مِنَ الْمُشْرِكِينَ دحض لافتراء

آخر من أهل الكتاب حول إبراهيم عليه السّلام، حيث كانوا يقولون أنه كان يهوديا أو نصرانيا- و كلاهما مشرك- ففى السابق نقل افتراءهم بالنسبة إلى الله فى قصة الطعام، و هنا نقل افتراءهم على أنبيائه بالشرك.

[۹۷] إن أهل الكتاب دحضت حجتهم فى باب التحليل و التحريم، و دحضت حجتهم فى باب دين إبراهيم، كما دحضت حجتهم من ذى قبل فى سائر الشؤون التى ناقشوا فيها، و بقيت الآن لهم حجة أخرى هى: أن بيت المقدس أشرف من الكعبة، و أنه محل الأنبياء، فالقرآن يدحض حجتهم هذه بأن الكعبة هى أشرف لأنها أول بيت وضع للناس، و لأن إبراهيم عليه السّلام الذى تنتسبون إليه هو الذى بناها، و لأن الحج شرّع إليها إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ أى بنى لأجل انتفاع الناس دينا و دنيا، فإن الأرض دحيت من تحته، و لم يكن قبله بيت مبنىّ لَلَّذِي اللام للتأكيد أى هو البيت الذى بِبَكَّةَ و هو اسم آخر لمكة، و سميت بكة لازدحام الناس فى الطواف و نحوه هناك، فإن بكّ يبكّ بمعنى «زحم يزحم» مُبارَكاً أى كثير البركة و الخير فإن فيه خير الدنيا، حيث الألفة و الاجتماع و الاقتصاد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۷۱

[سورة آل‌عمران (۳): آية ۹۷]

فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ (۹۷)

و غيرها، و خير الآخرة حيث غفران الذنوب و رفع الدرجات وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ أى سببا لهدايتهم فإنه مذكّر بالله سبحانه و فيه ذكريات أنبيائه و معالم عبادته.

[۹۸] فِيهِ أى فى ذلك البيت آياتٌ بَيِّناتٌ أى دلالات واضحات على التوحيد و النبوة و نصرة الإسلام مَقامُ إِبْراهِيمَ أى موضع قدمه حيث كان هناك حجر يضعه إبراهيم و يصعد عليه لبناء أعالى الكعبة حتى رسخت قدماه فى ذلك الحجر، فإنه آية واضحة من آيات الله سبحانه، و خصّ بالذكر لأهميته و تقديرا لإبراهيم الذى ضحّى بكل ما لديه فى سبيل الله سبحانه وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً إما ابتداء، أو عطف أى أن من آيات البيت أنه سبحانه جعله حرما آمنا فمن دخله فهو آمن على عرضه و ماله و دمه لا يمسّ بسوء و إن كان مجرما يستحق العقاب و الحد وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ أى يجب على الناس أن يحجوا إلى البيت مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا أى من وجد إليه طريقا و ذلك بأن يكون له ما يكفيه ذهابا و إيابا لنفسه و لعائلته و يرجع إلى الكفاية، مع أمن الطريق و صحة الجسم، إلى غير ذلك من الشروط المذكورة فى الفقه «۱» وَ مَنْ كَفَرَ فلم يحج مع الاستطاعة، و قد تقدم أن الكفر قسمان: كفر فى الاعتقاد و هو إنكار أصل من أصول الدين، و كفر فى

---

(۱) راجع موسوعة الفقه/ ج ۳۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۷۲

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۹۸ الى ۹۹]

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما تَعْمَلُونَ (۹۸) قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (۹۹)

العمل و هو ترك واجب أو فعل محرّم. و قد كثر فى القرآن و الحديث استعمال الكفر بهذا المعنى فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ فلا يظن العاصى أن كفره يضر الله شيئا.

[۹۹] و يرجع السياق إلى أهل الكتاب قُلْ يا رسول الله: يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ أدلته الواضحة الدالة على نبوة نبى الإسلام و ما جاء به، الذى هو منه شؤون بيت الله الحرام وَ اللَّهُ شَهِيدٌ أى يشهد و يعلم عَلى ما تَعْمَلُونَ فيجازيكم عليها.

[۱۰۰] قُلْ يا رسول الله: يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أى تمنعون الناس عن الإيمان باللّه، فإن أهل الكتاب كانوا يرصدون

لمن یرید الإیمان فیمنعونه، و کانوا یلقون الشکوک حول الإیمان و المؤمنین مَنْ آمَنَ مفعول «تصدون» أی تمنعون من آمن عن سبیل الله، و علی هذا فالصد هنا خاص بالمؤمنین إلا أن یراد ب «من آمن» الأعم من المؤمن و من یرید الإیمان تَبْغُونَها أی تطلبون السبیل عِوَجاً منحرفا لا سبیلا مستقیما، أو تطلبون سبیل الله عوجا، أی تریدون أن تکون السبیل عوجا بإدخال الشکوک علیها، و العوج مفرد بمعنی المیل و الانحراف وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ فی واقع الأمر و إقرار

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۳۷۳

[سورة آل‌عمران (۳): الآیات ۱۰۰ الی ۱۰۱]

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تُطِیعُوا فَرِیقاً مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ یَرُدُّوکُمْ بَعْدَ إِیمانِکُمْ کافِرِینَ (۱۰۰) وَ کَیْفَ تَکْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلی عَلَیْکُمْ آیاتُ اللَّهِ وَ فِیکُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ یَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِیَ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۱۰۱)

نفوسکم علی عملکم الباطل وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ بل مطّلع علیه عالم به، و سیعاقبکم علیه.

[۱۰۱] و حیث تقدم أن أهل الکتاب یصدّون من آمن عن سبیل الله، خاطب سبحانه المؤمنین أن لا یسمعوا إلی أهل الکتاب حتی یضلوا بتشکیکاتهم یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تُطِیعُوا فَرِیقاً جماعة مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ أعطوا التوراة و الإنجیل یَرُدُّوکُمْ بَعْدَ إِیمانِکُمْ کافِرِینَ أی یرجعونکم کفارا بعد أن آمنتم، و إنما خصّ فریقا لأن أهل الکتاب لم یکونوا جمیعهم سبب إضلال المؤمنین و إرجاعهم عن الإیمان.

[۱۰۲] وَ کَیْفَ تَکْفُرُونَ أیها المؤمنون بعد الإیمان وَ أَنْتُمْ تُتْلی عَلَیْکُمْ آیاتُ اللَّهِ فإنکم قد عرفتم آیات اللّه و دلائله و علمتم ذلک و مثل هذا الإنسان لا یمکن أن یکفر وَ فِیکُمْ رَسُولُهُ الذی یدعو إلیه بالبراهین و المعاجز، و هذا استفهام إنکاری تعجبی، جیء به إبعادا لهم عن الکفر و إلفاتا لهم إلی الرصید الإیمانی الموجود عندهم وَ مَنْ یَعْتَصِمْ بِاللَّهِ أی یتمسک بآیات اللّه و کتابه و دینه و رسوله، فلا ینخرط إلی الشرک و الکفر و العصیان فَقَدْ هُدِیَ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ فی الدنیا حیث

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۳۷۴

[سورة آل‌عمران (۳): الآیات ۱۰۲ الی ۱۰۳]

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۰۲) وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِیعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ کُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِکُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ کُنْتُمْ عَلی شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَکُمْ مِنْها کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ آیاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ (۱۰۳)

یوصله إلی حیاة حرة کریمة مرفهة المرافق، و فی الآخرة حیث یسعده فی جنات النعیم.

[۱۰۳] کانت الجماعات المنضویة تحت لواء الإسلام بما فیهم الأوس و الخزرج معرضة للتطاحن و التشاحن و قد کان الکفار و أهل الکتاب یستغلون سوابق هؤلاء و طبیعة النفس البشریة فی إلقاء الفتن و التفرقة بینهم لیفتحوا ثغرة للنزاع بین أصحاب الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لذا نصحهم القرآن بأن یبقوا علی وحدتهم و أن لا یتفرقوا و یتقوا اللّه فیما أمر و نهی و لا یطیعوا أهل الکتاب فی أقوالهم المفرّقة و دسائسهم المشتتة یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ خافوا عقابه فأطیعوه فیما أمرکم و نهاکم حَقَّ تُقاتِهِ من «وقیت» أی کما یحق أن تتقوه، فإن التقوی من اللّه سبحانه أمر صعب جدا، إذ یلازم الإنسان فی جمیع شؤونه و أحواله وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ فلا یغرنکم الشیطان بأن یخرجکم من الإیمان حتی تموتوا کافرین. و لعل المناسبة بین الجملتین أن من لا یتقی ینجر آخر أمره إلی الکفر کما قال سبحانه: ثُمَّ کانَ عاقِبَةَ الَّذِینَ أَساؤُا السُّوای أَنْ کَذَّبُوا بِآیاتِ اللَّهِ «۱».

[۱۰۴] وَ اعْتَصِمُوا أی تمسکوا بِحَبْلِ اللَّهِ و حبل اللّه دینه و قرآنه، شبّه بالحبل لمناسبة أن من یتمسک بالحبل لا بد و أن یرتفع به إلی الأعلی، و کذلک من یتمسک بالإیمان یصعد به فی الدنیا إلی المراتب الراقیة و فی

(۱) الروم: ۱۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۷۵

الآخرة إلى جنات خالدة جَمِيعاً أى جميعكم لا بعضكم دون بعض.

وَ لا تَفَرَّقُوا بأن يتمسك البعض بحبل اللّه و البعض بحبل الشيطان، و هذا تأكيد لقوله «جميعا» وَ اذْكُرُوا أى تذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً قبل الإسلام يعادى بعضكم بعضا فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ جعلها قريبة بعضها إلى بعض، حيث أدخل الإيمان فيها فخرج ما كان فيها من الضغينة و الإحن و الحسد و العداوة فَأَصْبَحْتُمْ أيها المسلمون بِنِعْمَتِهِ أى بسبب نعمة الألفة التى وهبها اللّه إليكم إِخْواناً أحدكم أخ الآخر فى الإيمان، له ما لأخيه و عليه ما عليه.

و أن هذه النعمة قد خرقت المقاييس الجاهلية القبلية و العشائرية و العرقية و ما أشبهها.

وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ الشفا: الطرف، و الحفرة المكان المحفور من الأرض، أى كنتم أيها المسلمون على طرف حفرة من النار، نار الدنيا و هى العقوبات و الاضطرابات، و نار الآخرة التى أوقدت لكم فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها بالإسلام الذى نظّم أمور دنياكم و أخراكم، حتى لا تقعوا فيها كَذلِكَ أى كما بين لكم هذه الأمور واضحة و جلية يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ دلالاته و حججه لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۷۶

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۰۴ الى ۱۰۵]

وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱۰۴) وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (۱۰۵)

إلى الحق و إلى طريق مستقيم.

و ما ورد فى بعض الأحاديث أن المراد من حبل اللّه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام أو الأئمة عليهم السّلام أو القرآن «۱»، فإنما هى مصاديق جلية.

[۱۰۵] و حيث أنقذكم اللّه من الهلاك، و هداكم فمن الجدير أن تهدوا سائر الناس وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ أى يجب أن يكون منكم جماعة يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ كل خير من الإسلام و الدين و الأحكام و غيرها وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ و المعروف كل فعل استحسنه الشرع أو العقل سواء وصل إلى حد الوجوب أم إلى حد الندب، و إنما سمى معروفا لأن الناس يعرفونه وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ و هو بعكس المعروف، كل ما استقبحه الشرع أو العقل، و سمى منكرا لأن الناس ينكرونه وَ أُولئِكَ الذين يتصفون بهذه الصفات الثلاثة هُمُ الْمُفْلِحُونَ أى الفائزون الناجون.

[۱۰۶] وَ لا تَكُونُوا أيها المسلمون بعد الألفة و الأخوّة كَالَّذِينَ من قبلكم تألفت قلوبهم بسبب الأنبياء ثم تَفَرَّقُوا شيعا و أحزابا و مذاهب و مبادئ وَ اخْتَلَفُوا فأخذ كل فريق منهم جانبا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ الأدلة الواضحة على وحدة العقيدة و المبدأ و أركان الإيمان

---

(۱) تفسير العياشى: ج ۱ ص ۱۹۴ و بحار الأنوار: ج ۳۶ ص ۱۵ باب ۲۷، أنه (صلوات اللّه عليه) حبل اللّه و العروة الوثقى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۷۷

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۰۶ الى ۱۰۷]

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (۱۰۶) وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۱۰۷)

وَ أُولئِكَ الذين اختلفوا و خالفوا الحق منهم لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ حيث بدّلوا و غيّروا و حرّفوا.

[۱۰۷] ثم بين سبحانه أن ذلك العذاب العظيم فى أى وقت يكون؟ إنه يكون فى يَوْمَ هذه صفته تَبْيَضُّ فيه وُجُوهٌ هى وجوه المؤمنين

الـذین آمنوا و عملوا الصالحات و ابیضاض الوجه کنایة عن فرحه و نضارته و تنعّمه وَ تَسْوَدُّ فیه وُجُوهٌ هی وجوه الکافرین، و اسودادها حقیقـة، فـإن الوجه عنـد الهمّ الکبیر یمیـل لونه إلی السواد و الکـدرة لتهاجم الـدم و نحوه، أو کنایـة عن کلوحه و بؤسه و همومه فَأَمَّا الَّذِینَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ یقـال لهم: أَ کَفَرْتُمْ علی نحو الاسـتفهام التوبیخی بَعْـدَ إِیمـانِکُمْ إما أن یراد ب «الإیمان» الإیمان الحقیقی بأن یکون المراد منهم الذین اختلفوا و تفرقوا و ارتدوا بعد الإیمان، و إما أن یراد به الإیمان الفطری فإن کل إنسان مؤمن فطرة کما قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «کل مولود یولد علی الفطرة و إنما أبواه یهودانه و ینصرانه و یمجسانه» «۱»

فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ أی بسبب کفرکم.

[۱۰۸] وَ أَمَّا الَّذِینَ ابْیَضَّتْ وُجُوهُهُمْ و هم المؤمنون الذین عملوا

---

(۱) عدة الداعی: ص ۳۳۲.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۳۷۸

[سورة آل‌عمران (۳): الآیات ۱۰۸ الی ۱۱۰]

تِلْکَ آیاتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَیْکَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ یُرِیـدُ ظُلْماً لِلْعالَمِینَ (۱۰۸) وَ لِلَّهِ مـا فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ إِلَی اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (۱۰۹) کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْکِتابِ لَکانَ خَیْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَکْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ (۱۱۰)

الصالحات فَفِی رَحْمَتِ اللَّهِ ثوابه و رضوانه و جنته هُمْ فِیها خالِدُونَ أبد الآبدین.

[۱۰۹] تِلْکَ الأمور التی ذکرت فی أحوال المؤمنین و الکافرین و غیرها آیاتُ اللَّهِ علائمه و دلائله و حججه نَتْلُوها عَلَیْکَ یا رسول اللّه بِالْحَقِ فإن التلاوة قـد تکون بالباطل إذا کان المتلوّ أو الغرض من التلاوة باطلا وَ مَا اللَّهُ یُرِیـدُ ظُلْماً لِلْعالَمِینَ أی لا یرید أن یظلم أحدا. فقـد تقرر فی علم الکلام أن إرادة الظلم- کالظلم نفسه- قبیحـة، فما یصـیر إلیه حال الکافرین من اسوداد الوجه لیس ظلما لهم، و إنما یکون بالعدل و جزاء لعملهم.

[۱۱۰] وَ کیف یریـد اللّه ظلمـا و الحـال أنه لِلَّهِ مـا فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ و الظلم ینشأ من الافتقار و هو الغنی المطلق وَ إِلَی اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ أمور الخلق فإن اللّه سـبحانه یعیـد المخلوق لیجازیه، و هـذا تشبیه بالرجوع المادی «فی الـدنیا» الـذی یکون بین الحاکم و المحکـوم حیث یسـاق المحکوم نحو الحـاکم لیحکم علیه، و حیث أن الأـمر یرجع إلی اللّه فلاـ یظن الکـافر أنه یتمکن من الفرار عنه سبحانه حتی لا یعاقب بما عمل من السیئات.

[۱۱۱] و یرجع السـیاق هنا إلی ما تقدم من لزوم الدعوة إلی الخیر و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر کُنْتُمْ أیها المسلمون، و «کان» لمجرد

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۳۷۹

الربط، لاـ بمعنی الماضـی خَیْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ أی خیر جماعـة ظهرت للناس فإن کل أمـة تظهر للناس فی فترة ثم تختفی و تغیب لتأخـذ مکانها أمة أخری. و إنما کان المسـلمون خیر أمة لخصال ثلاثة بها تترقی الأمم إلی أوج عزّها هی: تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ فإن المجتمع إذا خلا من هذین الواجبین أخذ یهوی نحو السّـفل لما جبل علیه من الفساد و الفوضـی و الشـغب، فإذا تحلّی المجتمع بهذین الأمرین أخذ یتقدم نحو الکمال بمدارج الإنسانیة و الحضارة الحقیقیة حتی یصل إلی قمة البشریة وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ إیمانا صحیحا لا کإیمان أهل الکتاب و المشـرکین، و الإیمان الصـحیح باللّه رأس الفضائل فإنه مع قطع النظر عن کونه إدراکا لأعظم حقیقة کونیة فإنه محفّز شدید نحو جمیع أنواع الخیر و منفّر قوی عن جمیع أصـناف الشـر وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْکِتابِ إیمانا صحیحا بعدم الشرک و قبول قول اللّه سـبحانه فی نبوة نبی الإسـلام محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لَکانَ إیمانهم خَیْراً لَهُمْ فی دینهم و دنیاهم حتی تنظم

دنياهم على ضوء الإسلام فتخلو من الجهل و المرض و الفقر و الرذيلة و يكونون فى الآخرة سعداء ينجون من عذاب اللّه، و ليس المراد ب «خير» معنى التفضيل بل هو تعبير عرفى، حيث يظهر للناس أنهم فى خير فى الجملة، و على هذا يكون إيمانهم أكثر خيرا و أفضل.

ثم بين سبحانه أن ليس كل الذين كانوا من أهل الكتاب بقوا على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨٠

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ١١١ الى ١١٢]

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢)

طريقتهم فإن مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بالله و بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بما جاء به كالنجاشي و ابن سلام و غيرهما وَ أَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ الخارجون عن طاعة اللّه باتباع أهوائهم المضلّة و طرائقهم الزائفة.

[١١٢] و لقد كان كفار أهل الكتاب يؤذون المؤمنين منهم خاصة و سائر المؤمنين عامة و كان المؤمنون من حيلهم و مؤامراتهم فى قلق و اضطراب، و لذا هدأ اللّه سبحانه من روع المؤمنين بقوله: لَنْ يَضُرُّوكُمْ أى لن يضر أهل الكتاب إياكم أيها المؤمنون إِلَّا أَذىً يسيرا فإن مؤامراتهم تفشل و حيلهم تخسر و لا تبقى إلا تشويشات و إشاعات و هى مما لا تضر ضررا معتدا به، أما ما يظن المسلمون أن أهل الكتاب يتمكنون من اقتلاع جذورهم و إبادة دينهم فلن يكون ذلك أبدا بل المسلمون هم المنصورون وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ جمع دبر و هو الظهر، أى ينهزمون فارين ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ أى لا تنصرهم أقوالهن، لما ألقى فى قلوبهم من رعب الإسلام و خوف الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كان مصب الآية الكريمة اليهود فهم المعنيون بهذا الكلام بقرينة الآية التالية.

[١١٣] ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أى ضربها اللّه عليهم فهم أذلاء إلى الأبد و هى ثابتة لهم و محيطة بهم، و أية ذلة أعظم من أنه ليست لهم دولة مستقلة و هم مهانون دائما، و جميع الدول تطاردهم إلا فى ظرف مصلحتها الخاصة فهم كالعبيد المسخرين إن استفاد مولاهم أطعمهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨١

و إلا طردهم أَيْنَ ما ثُقِفُوا أى وجدوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ أى إلا إذا تمسكوا بحبل اللّه تعالى بالإيمان به و بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بما جاء به حتى يكونوا كالمسلمين لهم ما لهم و عليهم ما عليهم وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ أى تمسكوا بحبل دولة قوية تحميهم، و «الواو» للتقسيم- نحو: الكلمة اسم و فعل و حرف- لا- للجمع وَ باؤُ رجعوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ فكأن الناس جاءوا للاغتراف من مناهل الإسلام و كانت اليهود فيهم فالناس رجعوا بالإسلام و حب اللّه سبحانه و هؤلاء رجعوا بالكفر و غضب اللّه تعالى وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ أى الفقر الروحى الذى هو أعظم أقسام المسكنة فإن أرواحهم تهفو إلى المادة أكثر من روح أى فقير مسكين و هم على ثروتهم الظاهرة من أفقر الخلق نفسا و روحا ذلِكَ العقاب الدنيوى لهم بسبب أنهم كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ فموسى عليه السّلام نبيهم كان منهم فى نصب و تعب فإنهم ما خرجوا من البحر إلا قالوا: يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، و اتخذوا العجل، و آذوا موسى إلى غير ذلك وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍ أى كانوا يقتلونهم، و «بغير حق» تأكيد، إشارة إلى أنه لم يكن لهم حق فى قتلهم حتى ظاهرا، فإنهم يقتلون الأنبياء لمجرد الدعوة إلى اللّه و الإرشاد و الوعظ، لا لأنهم قتلوا منهم أحدا أو نهبوا مالا أو نحو ذلك- و إن كان الأنبياء لو فعلوا ذلك كان بأمر اللّه و بالحق- لكن الأنبياء عليهم السّلام لم يكونوا فعلوا ذلك- كما

قال الإمام الحسين عليه السّلام: «فبم تستحلون دمى ..؟ أعلى قتيل قتلته منكم

- إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨٢

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ١١٣ الى ١١۴]

لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ أُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١۴)

آخر كلامه-» «١».

ذلِكَ أي كفرهم بآيات اللّه و قتلهم الأنبياء بسبب ما عَصَوْا أي عصيانهم لأوامر اللّه سبحانه سبب الكفر و القتل و هما سببا نقمة اللّه و لعنته وَ كانُوا يَعْتَدُونَ يتجاوزون الحدود الدينية و البشرية.

[١١۴] و لمرة أخرى استثنى القرآن الحكيم من آمن من أهل الكتاب، و أنه ليس كغيره ممن بقي على كفره و عناده و قد نزلت- كما قيل- حين أسلم جماعة من أهل الكتاب فقال الكفار منهم أنهم أشرارنا.

لَيْسُوا سَواءً أي ليس أهل الكتاب متساوين في ما تقدم من أوصافهم، ثم ابتدأ قوله سبحانه: مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ على الحق لا زائفة زائلة، و هم الذين آمنوا بالإسلام يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ المنزلة في القرآن المجيد آناءَ اللَّيْلِ ساعاته و أوقاته، فإن لقراءة القرآن في الليل أثرا كبيرا حيث إن هدوء النفس و هدوء الجو يوجبان وقوع الآيات في النفس أكثر منه في النهار وَ هُمْ يَسْجُدُونَ لله سبحانه و يخضعون له بالصلاة و التعفير.

[١١۵] يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ إيمانا صحيحا وَ يؤمنون ب الْيَوْمِ الْآخِرِ عن حقيقة فإن من آمن حقيقة بالحساب انقلع عن الكفر و المعاصي

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج ۴۴ ص ٣١۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨٣

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ١١۵ الى ١١۶]

وَ ما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١۵) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (١١۶)

وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ فإن المعتقد بيوم الحساب يسارع في الخير حيث لا يدري أي يوم يموت فينقطع عمله و لا يتمكن من المزيد «و كان الإتيان بباب المفاعلة للإشارة إلى تسابق بعضهم بعضا» وَ أُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ الذين يصلحون و لا يفسدون، و بتعبير آخر أعضاء صالحين في المجتمع، و ليسوا كما ذكر الكفار من أهل الكتاب أنهم أشرارهم، بل هم من أفضل الأخيار و الصلحاء.

[١١۶] وَ ما يَفْعَلُوا أي ما يفعله هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب مِنْ خَيْرٍ من طاعة و عبادة فَلَنْ يُكْفَرُوهُ أي لن يمنع عنهم جزاؤهم بخلاف سائر الكفار الذين تحبط أعمالهم لكفرهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ يعلم أحوالهم و أعمالهم فيجازيهم على حسناتهم.

[١١٧] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بالله و رسوله لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أي لن تفيدهم و لن تدفع العذاب عنهم أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ فالمال و الولد إنما ينفعان في الدنيا حيث يدفعان المكروه بالرشوة و الهدية و الصلة، و المدافعة و المناصرة مِنَ اللَّهِ أي من عقاب اللّه و عذابه شَيْئاً و لو ضئيلا وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ الذين يلازمونها كما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨۴

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١١٧]

مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَ ما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لكِنْ أَنْفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ (١١٧)

يقال: صاحب فلان لمن يلازمه هُمْ فِيها خالِدُونَ إلى الأبد.

و قد تكرر أن الخلود للمعاند كما

فى دعاء كميل «من المعاندين»

أما القاصر فإنه يمتحن هناك كما دلّ العقل و الشرع.

[١١٨] و حيث تقدم حال المؤمن و حال الكافر، ذكر حال إنفاق الكافر مقابلة لما تقدم من خير المؤمن فى قوله: وَ ما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ أى ينفقه الكفار فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا و كان ذكر «هذه» الخصوصية مع وضوحها للإشارة إلى أن الحياة التى هى مزرعة و من المقتضى أن تنمو و يبقى أثرها للانتفاع به فى الآخرة، لا ينفع الكافر كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ الصرّ هو البرد الشديد، أو السموم الحارة أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ فإنفاقهم كالحرث، و كفرهم الموجب لبطلانه كالريح السامة ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بأن زرعوا فى غير موقع الزراعة فى مهب الرياح أو فى غير أوانه كالشتاء مثلا لو زرعوا بذور الصيف، أو المراد ظلموا أنفسهم بالمعصية فسلط اللّه عليهم الريح كما قال: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ «١» و إنما أوتى بهذه الجملة لظلم الكفار أنفسهم كظلم صاحب الحرث فَأَهْلَكَتْهُ أى أهلكت الريح الحرث- و هو الزرع- وَ ما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ فى إبطال نفقاتهم، أو

---

(١) الأعراف: ٩٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨٥

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١١٨]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وَ ما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)

فى إهلاك الريح حرثهم وَ لكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بكفرهم أو بظلمهم، و لا يخفى أن قوله: «مثل ما ينفقون» «كمثل ريح» ليس المراد أن الإنفاق كالريح، بل يضرب المثل فيما كان المجموع من «الأصل و الشبه» مرتبطين و إن كانت مفردات الشبه لم تذكر حسب السياق اللفظى، كما تقول: «مثل زيد فى تكلمه كمثل صوت الحمار» فالجملة شبهت بالجملة لأن الصوت شبّه بزيد، و الحمار بالتكلم، كما يقتضيه السياق اللفظى فى الترتيب.

[١١٩] و فى سياق الكلام عن أحوال أهل الكتاب و بيان أنهم مختلفون مع المسلمين فى العقيدة و العمل يأتى دور أن المسلم لا ينبغى له أن يتخذ صديقا من هؤلاء يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ أى لا تتخذوا الكفار الذين هم غير المسلمين بطانة، و هى خاصة الرجل الذى يسرّ إليه بأمره و يستبطن خبره، من «بطانة الثوب» الذى يلى البدن لقربه منه، و «من» للتبيين كأنه قال: بطانة من المشركين، فقد كان المسلمون يواصلون رجالا من أهل الكتاب لسابق صداقة أو قرابة أو جوار أو نحوها فنهوا عن ذلك.

ثم بين سبحانه سبب ذلك، و يحتمل أن يكون المراد ب «دونكم» المنافقين، كما فى بعض التفاسير بدليل قوله: «قالوا آمنا» فإنهم لا يَأْلُونَكُمْ خَبالًا لا يألونكم أى لا يقصّرون بالنسبة إليكم، و الخبال الفساد، أى هؤلاء البطانة لا يقصرون فى فساد أمركم و لا يتركون جهدهم فى مضرتكم وَدُّوا أى أحبوا ما عَنِتُّمْ أى عنتكم،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٨٦

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١١٩]

ها أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَ لا يُحِبُّونَكُمْ وَ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ وَ إِذا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا وَ إِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا

بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۱۱۹)

و العنت المشقة، و هذه كلها من صفات الأعداء قَدْ بَدَتِ أى ظهرت الْبَغْضاءُ و العداوة مِنْ أَفْواهِهِمْ فإن فلتات كلامهم تدل على عداوتهم الكامنة وَ ما تُخْفِي صُدُورُهُمْ من الحقد لكم و العداوة أَكْبَرُ مما يظهر من ألسنتهم قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ أيها المؤمنون الْآياتِ و الحجج التى تميزون بها الصديق من العدو إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ إن كان لكم عقل و إدراك.

[۱۲۰] ثم بيّن سبحانه أنه كيف يمكن أن يحب المؤمن هؤلاء مع أنهم أعداؤه و مع الاختلاف بينهم فى العقيدة ها تنبيه أَنْتُمْ أُولاءِ أى الذين تُحِبُّونَهُمْ أى تحبون أولئك الكفار وَ لا- يُحِبُّونَكُمْ لأنهم يريدون لكم الكفر و الضلالة وَ تُؤْمِنُونَ أنتم بِالْكِتابِ كُلِّهِ و هم لا يؤمنون إلا ببعض الكتاب، أما البعض الآخر الذى فيه أوصاف محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الإيمان به فلا يؤمنون به، أو المراد ب «كله» أى جنس ما نزل على أنبياء اللّه، بخلافهم فإنهم لا يؤمنون بكتاب محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ إِذا لَقُوكُمْ من الملاقاة أى رأوكم قالُوا آمَنَّا نفاقا منهم لا- أن الإيمان دخل قلوبهم، و يحتمل أن يراد الكفار، فإن من يتظاهر بالصداقة كثيرا ما يظهر قبول ما عليه صديقه مع أنه ليس بصبغة صديقه، و هذا بناء على قوله: «من دونكم» للكفار لا للمنافقين وَ إِذا خَلَوْا أى خلا بعضهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۸۷

[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۲۰]

إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (۱۲۰)

مع بعض عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ أى يعضون أطراف أصابعهم مِنَ الْغَيْظِ عليكم كيف تقدّمتم و قوى دينكم.

قُلْ يا رسول اللّه لهم مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ فإن الغيظ لا يبرحكم لأن المسلمين يتقدمون و يستمرون فى أعمالهم. أو هو دعاء عليهم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ التى تضمن النفاق و الكيد للمسلمين، فيجازيهم بما اقترفوه من الآثام و الذنوب و «بذات الصدور» بمعنى: بتلك الصدور.

[۱۲۱] و كيف تتخذونهم بطانة و الحال أن صفتهم هكذا إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ أى يصبكم خير، من «المس» بمعنى الإصابة تَسُؤْهُمْ أى تحزنهم وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ أى بليّة و مصيبة بإصابة العدو منكم أو فقر أو موت أو نحوها يَفْرَحُوا بِها أى بسببها- كما هو حال العدو مع عدوه- وَ إِنْ تَصْبِرُوا على أذيتهم، و على مقاطعتكم إياهم التى تجر إليكم عداءهم الظاهرى، فإن كثيرا من الناس يخافون من مقاطعة المنافقين لئلا- يبتلوا بعدائهم فى الظاهر وَ تَتَّقُوا اللّه سبحانه حتى يكون هو نصيركم لا- يَضُرُّكُمْ أيها المؤمنون كَيْدُهُمْ و مكرهم و حيلتهم ضدكم شَيْئاً لأنه سبحانه ينصركم إِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ هم جميعا المؤمنون و المنافقون مُحِيطٌ أى عالم بجميع أعمالهم،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۸۸

[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۲۱]

وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۱۲۱)

كالمحيط من الأجسام الذى لا يخلو منه طرف من المحاط، فيجازيهم بأعمالهم.

[۱۲۲] و هنا يستعرض القرآن الحكيم قصة واحدة تدل على مدى تطبيق أحوال المنافقين التى سبقت على الواقع الخارجى، و أن اللّه كيف ينصر المسلمين فى أحرج الساعات و أحلك الظروف، و

ذلك فى غزوة أحد حين خرجت قريش من مكة يريدون حرب النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فانتخب الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم موضعا للقتال و عبّاد أصحابه الذين بلغوا سبعمائة رجل فجعل عبد اللّه بن جبير فى خمسين من الرماة على باب شعب فى الجبل ليحفظوه حتى لا يهاجم العدو من خلف المسلمين فقال لهم:

«لا تبرحوا من هذا المكان و الزموا مراكزكم، إن غلبنا أو غلبنا».

فلما انهزمت قريش و أخذ المسلمون ينهبون ثقلهم قال أصحاب ابن جبير له:

قد غنم أصحابنا و نحن نبقى بغير غنيمة. فقال لهم: اتقوا اللّه فإن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نهانا أن نبرح أماكننا. فلم يقبلوا منه و أخذوا ينسل الرجل منهم فالرجل حتى خلت المراكز و بقى عبد اللّه فى اثنى عشر رجلا، و اغتنم الكفار هذا الأمر فجاء خالد بن الوليد مع أصحابه و فرقوا من تبقّى من المسلمين و قتلوهم على الشعب و هجموا على المسلمين من خلفهم و هم مشتغلون بالنهب و رجع الكفار فطوقوا المسلمين من جوانبهم ففر المسلمون و لم يبق مع الرسول إلا على عليه السّلام و أبو دجانة، و قتل من المسلمين جمع كثير بلغوا السبعين و فيهم حمزة عم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أسد اللّه و أسد رسوله.

وَ إِذْ غَدَوْتَ أى خرجت مِنْ أَهْلِكَ أى من المدينة غدوة، يا رسول اللّه تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ أى تهيئ لهم مراكز لِلْقِتالِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۸۹

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۲۲ الى ۱۲۴]

إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَ اللَّهُ وَلِيُّهُما وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (۱۲۲) وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۱۲۳) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ (۱۲۴)

فى قصة أحد وَ اللَّهُ سَمِيعٌ لأقوالك عَلِيمٌ بما تنويه من حب الخير و الهداية للناس عامة.

[۱۲۳] إِذْ هَمَّتْ و عزمت طائِفَتانِ أى جماعتان مِنْكُمْ أيها المسلمون، و هما بنو سلمة و بنو حارثة أَنْ تَفْشَلا و تجبنا و ترجعا عن القتال و ذلك لأن ابن أبى سلول المنافق جبّنهما عن لقاء العدو فهمّا بالرجوع لكنهما لم يفعلا وَ اللَّهُ وَلِيُّهُما ناصرهما فلم الفشل و الخوف وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ و التوكل معناه تفويض الأمر إليه سبحانه وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ «۱».

[۱۲۴] وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ أيها المسلمون بِبَدْرٍ فى وقعة بدر و هى اسم بئر كانت هناك فسميت الغزوة باسمها وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ جمع ذليل لأن عددهم و عددهم كانت قليلة لا تقوى على المقاومة فَاتَّقُوا اللَّهَ و لا تتوانوا عن الجهاد بعد ما رأيتم نصرة اللّه فى بدر و هذا لأجل تقوية قلوبكم فى «أحد» و تصديق لقوله: «و اللّه وليهما» لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أى نصركم لتقوموا بشكر نعمه عليكم.

[۱۲۵] إِذْ تَقُولُ يا رسول اللّه لِلْمُؤْمِنِينَ فى غزوة بدر

---

(۱) الطلاق: ۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۹۰

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۲۵ الى ۱۲۶]

بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (۱۲۵) وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرى لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (۱۲۶)

أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ و ذلك لتقوية قلوب المؤمنين، و بيان أن اللّه أرسل ملائكة لتقويتهم و تعزيز مركزهم، و هذا تذكير للمسلمين فى أحد بسابق نصر اللّه لهم مُنْزَلِينَ أنزلهم اللّه سبحانه لنصرة المسلمين و لقد حاربوا الكفار و قتلوا منهم.

[۱۲۶] بَلى ليس الإمداد فى يوم بدر بثلاثة آلاف فقط، بل قال لهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم بدر- تقوية لقلوبهم-: إِنْ تَصْبِرُوا على الجهاد وَ تَتَّقُوا المعاصى وَ يَأْتُوكُمْ الكفار مِنْ فَوْرِهِمْ أى فورانهم مندفعين عاجلا نحوكم هذا الذى شاهدتموه إذ أتوكم كالسيل، فإن المسلمين خذلوهم عند مجيئهم لما رأوا من كثرتهم يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ و الإمداد إرسال المدد بِخَمْسَةِ آلافٍ أخر- غير الثلاثة آلاف- مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ من سوم الخيل إذا علّمه بعلامة، أو علّموا أنفسهم بعلامة حيث كانت عليهم عمائم بيض و أرسلوا أذنابها على أكتافهم، و هناك قول آخر هو أن قوله تعالى: «بلى» لموضوع أحد، فإن الكفار هموا بالرجوع مرة ثانية بعد أن نالوا من المسلمين ما نالوا و خالف المسلمون فوعدهم اللّه تعالى أنهم إن رجعوا أمدهم بخمسة آلاف من الملائكة، لكن السياق يؤيد المعنى

الأول، و اللّه أعلم.

[۱۲۷] ثم بيّن سبحانه أن إنزال الملائكة و الوعد به ليس لأجل أنهم السبب فى نصر المسلمين، بل لأجل البشارة و أما النصر فإنه من قبل اللّه وحده و لو بدون الملائكة، حتى تتقوى قلوب المسلمين فى الجهاد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۹۱

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۲۷ الى ۱۲۸]

لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ (۱۲۷) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ (۱۲۸)

وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ أى ما جعل إنزال الملائكة و الوعد به إِلَّا بُشْرى لَكُمْ أى بشارة لكم أيها المسلمون وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ أى بهذا الإنزال و الوعد وَ مَا النَّصْرُ أى ليس العون إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ فى سلطانه الْحَكِيمِ فى أموره.

[۱۲۸] أما حكمة نصر المسلمين على أعدائهم فى هذه الغزوة و سائر الحروب فهى لِيَقْطَعَ أى يفصل طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الطرف من الأنفس بالقتل، و من الأراضى بالفتح و من الأموال بالغنيمة أَوْ يَكْبِتَهُمْ أى يخزيهم حتى يرغموا و تقل شوكتهم فَيَنْقَلِبُوا إلى أهليهم خائِبِينَ لم ينالوا بغنيمتهم بل انعكس الأمر فكبتوا و أرغموا.

[۱۲۹] لَيْسَ لَكَ يا رسول اللّه مِنَ الْأَمْرِ المرتبط بهؤلاء الكفار شَيْءٌ فإن النصر و الهزيمة و الكبت كلها مرتبطة بإرادة اللّه سبحانه كما قال سبحانه: وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى «۱» و قال:

هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ «۲» ثم رجع السياق إلى تتميم قوله فى الآية السابقة «أو يكبتهم» أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ بأن تكون نصرة المؤمنين على الكفار سببا لهداية جماعة منهم إلى

---

(۱) الأنفال: ۱۸.

(۲) الحشر: ۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۹۲

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۲۹ الى ۱۳۰]

وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۲۹) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۱۳۰)

الإيمان فيتوب اللّه سبحانه عليهم فيما فعلوا سابقا من الكفر و العصيان أَوْ يُعَذِّبَهُمْ بأن تظفروا عليهم فتأسروهم فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ فتعذيبهم ليس ظلما من اللّه عليهم بل لظلمهم أنفسهم فالأمر ليس بيدك يا رسول اللّه، و إنما ينصر اللّه المؤمنين لأحد أغراض أربعة: قطع طرف منهم، أو هزيمتهم و إرغامهم، أو هدايتهم، أو تعذيبهم. و الاعتراض بجملة «ليس لك» لتركيز كون النصر من عند اللّه، فإن اعتراض جملة فى وسط جملة متسقة توجب إلفات الذهن و تركيز المطلب أكثر من بيان الجملة فى موقعها الطبيعى.

[۱۳۰] ليس لك شىء وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ فيفعل ما يشاء بمن يشاء فإنه تصرّف فى ملكه لحكمة و غاية يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ ممن استحق الغفران بالطاعة و التوبة وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ممن استحق العذاب بالكفر و العصيان وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ فتعذيبه أقل من غفرانه فقد سبقت رحمته غضبه.

[۱۳۱] و يرجع السياق هنا إلى الربا و الإنفاق مما مر بنا سابقا، لمناسبة أن الربا من أسباب العذاب، و الإنفاق، من أسباب الغفران يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً فإن من شأن الربا أن يتضاعف مرات و مرات فإن ربا الألف لو كان خمسينا يصبح ربا الألف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۹۳

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۳۱ الى ۱۳۳]

وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ (۱۳۱) وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۱۳۲) وَ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (۱۳۳)

و الخمسين- فی سنة ثانية- ألفا و مائة و اثنين و نصف، و هكذا يتضاعف الربا، و يمتص مال الفقراء و عملهم الذى يؤدون به الدين و الربا معا وَ اتَّقُوا اللَّهَ خافوا عقابه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أى لكى تفوزوا بالثواب و النعيم.

[۱۳۲] وَ اتَّقُوا النَّارَ فلا تفعلوا ما يوجبها الَّتِي أُعِدَّتْ و هيّأت لِلْكافِرِينَ الذين يكفرون فى الاعتقاد أو فى العمل، أو المراد الكفار العقائديون، و التخصيص بهم من أن العصاة أيضا يذهبون إلى النار، و أن دوامها و بقاءها عليهم، أو أنهم معظمهم أهلها.

[۱۳۳] وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فيما يأمركم و ينهاكم، و ذكر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للتعظيم و إفادة أمره أمر اللّه سبحانه لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أى لكى ترحموا فى الدنيا و الآخرة.

[۱۳۴] وَ سارِعُوا أى بادروا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أى سبب المغفرة و هو الأعمال الصالحة الموجبة لغفرانه سبحانه وَ إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا أى سعتها- لا العرض مقابل الطول- السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ فهى واسعة وسع السماوات و الأرض التى لا نهاية لها فى التصور- فإن الفضاء الذى يعبّر عنه بالسماء مما لا يصل الفكر إلى آخره و نهايته- أُعِدَّتْ و هيّأت لِلْمُتَّقِينَ أى الذين يتقون المعاصى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۹۴

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۳۴ الى ۱۳۵]

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۱۳۴) وَ الَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۱۳۵)

[۱۳۵] ثم بيّن المتقين بقوله سبحانه: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أموالهم فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ أى فى حالتى اليسر و العسر، أو حالتى السرور و الاغتمام وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ الذين يكظمون غيظهم وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ يعفون عنهم إذا ظلموهم وَ من فعل ذلك فهو محسن إلى نفسه و إلى الناس و اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ و لا يخفى أن المتقى هو الذى يجمع الصفات الحميدة كلها لكنها نثرت فى القرآن الحكيم بمناسبات.

و سوف نفسّر «المتقى» فى كل مكان ببعض صفاته.

[۱۳۶] وَ الَّذِينَ عطف على «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ» أى أن المتقين هم الذين إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أى معصية تفحش، أى تتجاوز الحد أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بما لا يبلغ حد الفاحشة، من سائر أقسام المعاصى، فالفاحشة أخذ من مفهومها كون المعصية كبيرة ذَكَرُوا اللَّهَ أى تذكروا نهى اللّه و عقابه فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ أى طلبوا غفران اللّه و ندموا على ما فعلوا وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ و هو استفهام استعطافى فالقرآن الحكيم يستعطف المذنبين نحو التوبة و الاستغفار وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا من المعاصى، بل أقلعوا و ندموا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ أى يعلمون كون الفعل خطيئة، فلا يصرون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۳۹۵

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۳۶ الى ۱۳۸]

أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ (۱۳۶) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (۱۳۷) هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (۱۳۸)

على الذنب مع علمهم به.

[۱۳۷] أُولئِكَ المتقون الذين هذه صفاتهم جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ يغفر ذنوبهم فى الدنيا بسترها، و فى الآخرة بالعفو عنها وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أى من تحت نخليها و أشجارها خالِدِينَ فِيها أبد الآبدين وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ فإن الغفران و الثواب من أفضل

أجر العامل فإنّ أىّ أجر لا يبلغ مثل هذا الأمر الدائم الوارف.

[۱۳۸] قَدْ خَلَتْ أى مضت و سبقت مِنْ قَبْلِكُمْ أيها المخاطبون سُنَنٌ جمع سنة بمعنى الطريقة، فقد كانت فى الأمم السالفة طرائق، طريقة الحق و طريقة الباطل، طريقة الخير و طريقة الشر ..

و هكذا فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ اذهبوا إلى البلاد التى كانت فيها تلك الأمم المنقرضة فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ أى تعرفوا على أخبارهم حتى تعلموا أنهم لم يربحوا و إنما أتوا و كذبوا الرسل و تأمروا ثم ماتوا و دفنوا و لم يبقى لهم ذكر طيب فى الدنيا و لم تدم لهم النعمة التى من أجلها عملوا ما عملوا و إنما انتقلوا إلى عذاب اللّه سبحانه، ليكون فى ذلك عبرة لكم فلا تكونوا من المكذبين بل من المؤمنين المصدقين.

[۱۳۹] هذا القرآن، أو هذا الذى ذكرنا من أحوال المؤمن و الكافر، و ما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۹۶

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۳۹ الى ۱۴۰]

وَ لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۳۹) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (۱۴۰)

قدمنا من العظة و الإنذار بَيانٌ لِلنَّاسِ دلالة و حجة و توضيح لهم كيف ينبغى أن يسلكوا و يعملوا وَ هُدىً يهديهم إلى الحق وَ مَوْعِظَةٌ وعظ و إرشاد لِلْمُتَّقِينَ فإنهم هم الذين يستفيدون منه، و إن كان بيانا للناس عامة.

[۱۴۰] و هنا يرجع السياق إلى ذكر غزوة أحد، لتشجيع المؤمنين و تصبيرهم على تحمّل المكاره، بعد ما بيّن أحوال المؤمن و الكافر، حتى تقوى عزيمتهم، و تطمئن قلوبهم وَ لا تَهِنُوا من الوهن أى لا تضعفوا عن قتال الأعداء وَ لا تَحْزَنُوا مما نالكم من القتل و الجرح و الهزيمة وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ الظافرون الغالبون فإن الظفر يذهب بحرارة الخسارة إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فإن من كان مؤمنا لا يهن و لا يحزن فإن طاقة الإيمان تؤمّن الإنسان بالقوة و الفرح أما القوة فهى مستمدة من اللّه سبحانه و أما الفرح فللغلبة أو لثواب اللّه سبحانه فيما لو غلب.

[۱۴۱] ثم بيّن سبحانه أن ما أصابهم من المكاره ليس خاصا بهم بل أصاب الكافرين مثل ما أصابهم فهم فى ذلك سواء، لكن المؤمنين يرجون ثواب اللّه سبحانه مما لا يترقّبه الكافرون فهم أجدر بالصبر و الثبات و عدم الوهن و الحزن إِنْ يَمْسَسْكُمْ أى يصبكم أيها المسلمون فى غزوة أحد قَرْحٌ جرح و ألم فى أحد فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ الكافرين قَرْحٌ مِثْلُهُ فى أحد حيث أصيب الكفار بالألم و الجرح أيضا، أو المراد مسّهم القرح فى بدر حيث قتل المشركون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۳۹۷

و هزموا وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ أيام النصر و الهزيمة و أيام القرح نُداوِلُها أى نصرّفها بَيْنَ النَّاسِ فيوم لهؤلاء على أولئك، و يوم لأولئك على هؤلاء، فإذا نصرنا المؤمنين كان ذلك لإيمانهم و إذا هزموا كان امتحانا لهم.

وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا أى أن صرف الأيام ليتميز المؤمن الحقيقى من غيره فإنه

«عند تقلب الأحوال تعرف جواهر الرجال»

«۱» و

«عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان»

«۲»، و معنى «ليعلم» أن معلومه سبحانه يقع فى الخارج، لا أنه كان جاهلا- سبحانه- ثم علم، فإن العلم لما كان أمرا إضافيا بين العالم و المعلوم، يقال علم باعتبارين، أما باعتبار العالم فيما كان جاهلا ثم علم، و أما باعتبار المعلوم فيما كان المعلوم غير خارجى ثم صار خارجيا وَ ل يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ أى أن مداولة الأيام لفوائد و من جملة تلك الفوائد أن يتخذ اللّه سبحانه منكم مقتولين يستشهدون فى سبيل اللّه و يبلغون الدرجات الراقية بالشهادة، أو ليكون جماعة شهداء على آخرين بالصبر أو الجزع، بالثبات أو الهزيمة، فإن

إيصال جماعة قابلة إلى مرتبة أن يكونوا شهداء نعمة و غرض رفيع، لكن المعنى الأول أقرب وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ الذين يظلمون أنفسهم بالكفر، أو بالهزيمة.

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٦٣.

(٢) غرر الحكم: ص ١٠٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٩٨

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ١٤١ الى ١٤٣]

وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣)

[١٤٢] وَ من فوائد تداول الأيام بين الناس أنه لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا أى يخلّصهم من المنافقين فيتبين المؤمن من المنافق، أو يخلصهم من الذنوب، فإن بالأهوال تذاب الذنوب، و بالشدائد تكفّر الخطايا وَ ل يَمْحَقَ الْكافِرِينَ يهلكهم، فإن الكفار ينقصون شيئا فشيئا حتى يهلكوا جميعا.

[١٤٣] ثم يبين سبحانه فائدة أخرى لتداول الأيام و هى أن المؤمن لا يدخل الجنة بمجرد إظهار الشهادتين و إنما اللازم أن يجاهد و يعمل و فى تداول الأيام يحصل هذا العمل و هذا الامتحان المؤهل لدخول الجنة، لكنه جاء الكلام فى صورة الاستفهام تلوينا فى الكلام، و تفنّنا فى التعبير أَمْ حَسِبْتُمْ أى هل حسبتم و ظننتم أيها المسلمون أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بمجرد الإيمان بدون الامتحان وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ أى لم يقع منكم جهاد حتى يتعلق علم اللّه به وَ لما يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ فلم يقع منهم صبر حتى يتعلق به علم اللّه سبحانه و دخول الجنة بدون الجهاد و الصبر لا يكون، فتداول الأيام يوجب جهاد المؤمنين و صبرهم حتى يتأهلوا لدخول الجنة.

[١٤٤] ثم يشير القرآن الحكيم إلى تأنيب المؤمنين فى موقفهم يوم أحد، حيث أن جماعة منهم قبل الغزوة كانوا يتطلعون إلى الجهاد و يتمنون الاستشهاد ثم فروا منهزمين، و فوق ذلك أن إيمان بعضهم كان بدرجة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٣٩٩

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٤٤]

وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)

من الوهن حتى أنهم لما سمعوا بموت الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كادوا أن يرتدوا وَ لَقَدْ كُنْتُمْ أيها المؤمنون تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ و لقاء الموت كناية عن لقاء مقدماته و الوقوع فى الأهوال المنتهية إليه فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ فى الغزوة إذ رأيتم غلبة الكفار و قتل جماعة من المؤمنين وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ أى تشاهدون المعركة، و هذا تأكيد لمعنى «رأيتموه» حتى لا يتوهم أحد أن الرؤية كانت بالقلب، فإن «رأى» يستعمل بمعنى «علم».

[١٤٥] وَ ما مُحَمَّدٌ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إِلَّا رَسُولٌ أى ليس هو إلها لا يموت إنما هو بشر اختاره اللّه للرسالة فيجرى عليه ما يجرى على البشر من الموت و القتل، و ليس بدعا من الرسل بل قَدْ خَلَتْ أى مضت و تقدمت مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ الذين جرت عليهم سنة اللّه من الموت و مفارقة الحياة أَ فَإِنْ ماتَ موتا اعتياديا أَوْ قُتِلَ و استشهد انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ استفهام إنكارى توبيخى أى لم يكن حالكم هكذا، حتى ترتدّوا بموت النبى، و كنى عن الارتداد بالمشى القهقرى «الانقلاب على الأعقاب» الذى هو رجوع نحو الوراء وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ أى من يرتد عن دينه فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً إذ اللّه سبحانه غنى مطلق لا يحتاج إلى إيمان أحد حتى يضره ارتداده وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ الذين يشكرون نعمة الإيمان و يثبتون عليه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۴۰۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۱ ۴۴۹

[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۴۵]

وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (۱۴۵)

فإن الارتداد من أعظم أقسام الكفر، كما قال سبحانه: بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ «۱».

[۱۴۶] و هنا تلميح إلى عتاب آخر موجّه للمسلمين لانهزامهم يوم أحد خوف الموت، فلم الفرار؟ أمن خوف الموت، و ليس الموت إلا بإذن اللّه تعالى، و ما قدّر من أجل للإنسان، فالفرار و عدمه سيان بالنسبة إلى الوقت المحدد لحياة الإنسان وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إن النفوس ليست هملا حتى تموت من تموت و تبقى من تبقى بأسباب عادية من غير توسط مشيئة البارى سبحانه، فإن الموت لا يكون إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ و مشيئته كِتاباً مُؤَجَّلًا أى كتب اللّه ذلك الوقت فى اللوح المحفوظ كتابا ذا أجل و مدة محدودة معلومة وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا و خيرها و تعب و عمل لأجل المنافع الدنيوية نُؤْتِهِ مِنْها فإن الذى عمل يرى اللّه نتيجة عمله وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ و خيرها و عمل لأجل ثواب الآخرة نُؤْتِهِ مِنْها بقدر ما عمل، فارغبوا أيها المسلمون فى ثواب اللّه و أجره الأخروى بالجهاد و الثبات و لا تفروا كما فررتم فى أحد وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ جزاء حسنا، و من الشكر يعرف الإنسان قيمة ما خوّله اللّه سبحانه من الإسلام و وفقه للجهاد بين يدى رسوله لإعلاء كلمة اللّه، فمن شكر ذلك يجزى جزاء الشاكرين.

---

(۱) الحجرات: ۱۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۴۰۱

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۴۶ الى ۱۴۷]

وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (۱۴۶) وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ إِسْرافَنا فِي أَمْرِنا وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (۱۴۷)

[۱۴۷] و ما لكم أيها المسلمون وهنتم فى غزوة أحد و فررتم؟ ألم يمكنكم الاقتداء بالمؤمنين السابقين الذين كانوا مع الأنبياء يصمدون فى وجه الباطل؟ وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فإن كثيرا من الأنبياء عليه السّلام قاتلوا، و جاهد معهم و تحت لوائهم أناس من المؤمنين ربانيين منسوبون إلى الرب تعالى بالطاعة و العبادة و الإيمان، أو بمعنى أخيار فقهاء فَما وَهَنُوا أى ما فتروا لِما أَصابَهُمْ من القتل و السلب و الجروح و القروح فِي سَبِيلِ اللَّهِ للتنبيه على شدائدهم التى كانت فى سبيل اللّه سبحانه وَ ما ضَعُفُوا عن عدوهم وَ مَا اسْتَكانُوا أى ما خضعوا و لا تضرعوا لعدوهم وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ الذين يصبرون فى الشدائد و فى الحروب.

[۱۴۸] وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ أى قول أولئك الربانيون عند الجهاد و ملاقاة الأعداء إِلَّا أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا فكانوا يستغفرون عند اللقاء مما فات منهم من الذنوب استعدادا للقاء اللّه سبحانه طاهرين وَ إِسْرافَنا فِي أَمْرِنا أى تجاوزنا الحدود و تفريطنا و تقصيرنا وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا حتى لا تزل أمام الأعداء فننهزم وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ فهم جاهدوا و جلين من ذنوبهم لم يطلبوا إلا العفو فى تواضع و خشوع، و لم يقصدوا إلا نصرة الدين على القوم الكافرين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۴۰۲

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۴۸ الى ۱۴۹]

فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْيا وَ حُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۱۴۸) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ (۱۴۹)

[۱۴۹] فجزاء على ما سلف منهم من الصبر و الثبات و الجهاد فی خشوع و تواضع آتاهم اللَّهُ أی أعطاهم اللّه سبحانه ثَوابَ الدُّنْيا بالفتح و الغلبة و العزة و الرفاه وَ حُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَةِ بجنات تجری من تحتها الأنهار، أی ثواب الآخرة الحسن، و الإتيان بكلمة «حسن» هنا دون «ثواب الدنيا» لعله للإشارة إلى أن ثواب الآخرة هو الذی یوصف بالحسن، أما الدنيا فإنها زائلة فلا قيمة لثوابها، أو المراد «أحسن» أقسام ثواب الآخرة الذی لا يعطى إلا للمجاهدین، بخلاف الدنيا فإن ثوابها عام للبرّ و الفاجر وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ و محبة اللّه سبحانه فوق كل ثواب كما قال: وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ «۱».

[۱۵۰] لما اشتد الأمر یوم أحد أخذ جماعة من المنافقين يدعون الناس إلى الارتداد عن دينهم حتى يستريحوا فأنزل اللّه فيهم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا من المنافقین، أو من اليهود و النصارى الذین أخذوا يشيعون أن محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قتل فارجعوا إلى دينكم و عشائركم يَرُدُّوكُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ كفارا كما كنتم فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ قد خسرتم الدنيا و الدين، فإن دنيا الجاهلية كانت فوضى و فقرا و رذيلة.

---

(۱) آل عمران: ۱۶.

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۵۰ الى ۱۵۲]

بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (۱۵۰) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِما أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ مَأْواهُمُ النَّارُ وَ بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (۱۵۱) وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَ تَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (۱۵۲)

[۱۵۱] بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ أی هو أولى بكم من الكفار و المنافقین، و هو ينصركم على أعدائكم وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ لأن فی نصرته خيرا للدارين بخلاف نصرة غيره.

[۱۵۲] سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ أی نقذف الخوف و الفزع فی قلوبهم حتى تغلبوهم و هكذا ينصركم اللّه تعالى بِما أَشْرَكُوا بِاللَّهِ أی بسبب شركهم ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً أی برهانا و حجة، فإن شركهم كان تقليدا لا عن دليل و حجة وَ مَأْواهُمُ أی محلهم و مستقرّهم النَّارُ فی الآخرة وَ بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ أی أن النار بئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر. و قد ورد أن الآية نزلت حين همّ المشركون- يوم أحد- بالرجوع إلى المسلمين لاستئصالهم عن آخرهم فلما عزموا ذلك ألقى اللّه فی قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به، و لا يخفى أن إلقاء الرعب فی قلب الكافر أمر طبيعی فإن المسلم يستمد القوة من اللّه سبحانه أما الكافر فحيث لا يعتقد به سبحانه يكون قلبه هواء فيتسرب إليه الخوف.

[۱۵۳] ثم بيّن سبحانه أن هزيمتهم يوم أحد لم تكن إلا بسبب مخالفتهم أوامر اللّه و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و إلا فاللّه سبحانه نصرهم كما وعد، حتى هزموا المشركين وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ و فی لكم بما وعد من نصرتكم

على الكفار إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ أی تقتلونهم، فإن «حسّه» بمعنى قتله و أبطل حسّه و حياته، و معنى «بإذنه»: بأمره، فإن اللّه أذن لهم فی القتال كما قال: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا «۱»، حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ جبنتم و كففتم و خالفتم أمر الرسول وَ تَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ هل يبقى الرماة الخمسون فی الشعب كما أمرهم الرسول أم يخرجوا يجمعون الغنائم؟- كما تقدم- وَ بالآخر عَصَيْتُمْ أمر الرسول فی لزوم أماكنكم فتخليتم عن الشعب، فقد تخلى من الخمسين سبع و ثلاثون مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ اللّه سبحانه ما تُحِبُّونَ من هزيمة الكفار و نصرة المسلمين مِنْكُمْ أيها المسلمون مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا و هم الذين خالفوا الرسول طلبا للغنيمة وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ و هم: عبد اللّه رئيس

الرماة فى الشعب و اثنى عشر من أصحابه الذين ثبتوا فى أماكنهم ثُمَّ صَرَفَكُمْ أيها المسلمون عَنْهُمْ أى عن الكفار، بل توجهتم إلى الغنائم عوض أن تحتفظوا بأماكنكم، فإن فى حفظ المكان كان توجها نحو الكفار لئلا يرجعوا إلى المسلمين من ورائهم، بخلاف التوجه نحو الغنيمة فإنه كان صرفا عن الكفار، و إضافته إليه سبحانه كسائر الإضافات نحو «و من يضلل» أو باعتبار أن الصرف كان عقوبة لهم على إرادتهم للدنيا

---

(١) الحج: ۴٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ۴٠۵

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١۵٣]

إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا ما أَصابَكُمْ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (١۵٣)

لِيَبْتَلِيَكُمْ أى يمتحنكم و يختبركم، حتى يظهر ما أنتم عاملون وَ لَقَدْ عَفا اللّه سبحانه عَنْكُمْ خطيئتكم بمخالفة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ينصرهم على أعدائهم و يعفو عن ذنوبهم، و معنى الفضل: المن و النعمة، فإنه يعطيهم فضلا أى فوق استحقاقهم.

[١۵۴] و لقد عفا عنكم إِذْ تُصْعِدُونَ أى تذهبون فى وادى أحد للانهزام، فإن الإصعاد الذهاب فى الأرض وَ لا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ أى لا تلتفتون إلى أحد من ورائكم بل كل همكم السرعة فى الفرار حتى لا يأتيكم الطلب وَ الرَّسُولُ محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يَدْعُوكُمْ يناديكم فِي أُخْراكُمْ أى من ورائكم، يقال: جاء فلان فى آخر الناس أى من ورائهم فَأَثابَكُمْ أى جازاكم اللّه على فراركم غَمًّا متصلا بِغَم غمّ الهزيمة و غمّ القتلى الذين قتلوا منكم- و يحتمل فى اللفظين أمور- لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ من الخير وَ لا ما أَصابَكُمْ من الضرر، فإن الإنسان إذا وقع فى الشدائد و جرّبها و مارسها تصلب نفسه و تقوى روحه فلا تتزحزح بمصيبة و لا تهتز بكارثة، و هكذا كانت هزيمة أحد درسا و عبرة حتى يصغر فى نفوس المسلمين كل ما يفوتهم من خيرات و كل ما يصيبهم من شرور و آلام وَ اللَّهُ خَبِيرٌ ذو خبر و اطلاع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ۴٠۶

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١۵۴]

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً يَغْشى طائِفَةً مِنْكُمْ وَ طائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (١۵۴)

بِما تَعْلَمُونَ فيجازيكم على حسب أعمالكم.

[١۵۵] ثُمَّ أَنْزَلَ اللّه عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَم الذى غشيكم لهزيمتكم أَمَنَةً أى أمنا نُعاساً أى نوما، و هو بدل اشتمال ل «أمنة» فإنهم ناموا من شدة التعب و النصب بعد ما ذهب خوفهم و ذهب الكفار، و «أمنة» مصدر كالعظمة و الغلبة. لكن هذا النعاس كان يَغْشى طائِفَةً مِنْكُمْ فقط الذين كانوا يعلمون أن محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حق و أن اللّه لا يتركه و أن ما أصابهم يوجب الثواب و الفائدة لهم وَ هناك طائِفَةً ثانية كانوا مع النبى منافقين قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يفكّرون فى هزيمتهم لا ينامون من الحزن و الخوف حين انتشر بينهم أن الكفار عازمون على الرجوع و كانوا يشكّون فى نصرة اللّه و لذا لم يتمكنوا أن يناموا خوفا يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِ و أنه لا ينصر نبيه ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ من الكفار المكذبين بوعد اللّه سبحانه يَقُولُونَ ما فى نفوسهم من ظنون الجاهلية: هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ أمر الغلبة و النصرة مِنْ شَيْءٍ

فى مقـام الاسـتنكار و التعجب أن ينتصـروا على الكفـار إذا رجعوا قُلْ لهم يـا رسول اللّه: إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ينصـر من يشاء، فللمسـلمين النصر و الغلبة بإعطاء اللّه لهم إياها يُخْفُونَ هؤلاء المنافقين فِي أَنْفُسِهِمْ النفاق و الكفر ما لا يُبْدُونَ لَکَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۰۷

[سورة آلعمران (۳): آية ۱۵۵]

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (۱۵۵)

أى لا يتجرءون على إظهاره يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ أى من النصرة و الغلبة شَيْ‌ءٍ و كنا حقيقة منصورين ما قُتِلْنا أى ما قتل أصحابنا هاهُنا فى غزوة أحـد قُلْ يا رسول اللّه فى جوابهم: إن كون الأمر لنا لا يلازم أن لا يقتل منا أحـد فإن الإنسان يموت إذا جاء أجله و لو كـان فى داره و منزله لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضـاجِعِهِمْ أى خرج الـذين كتب عليهم القتـل- بـأن رقم موتهم فى اللوح المحفوظ- إلى مصارعهم. و «مضاجع» جمع مضـجع بمعنى محل النوم وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُـدُورِكُمْ يختبر اللّه ما فى صدوركم، فإن ما فى الصدور من الإخلاص و النفاق، و الثبات و الوهن، إنما يظهر عند الشدائد و المحن، و هذا عطف على قوله: «ليبتليكم» أو مسـتأنفة، أى فعـل اللّه سـبحانه مـا فعـل ليبتلى وَ لِيُمَحِّصَ أى يخلص مـا فِي قُلُوبِكُمْ بـأن يكشـفه للناس و لكم، حيث أن الإنسـان يظن أشـياء فـإذا حـدث الحـادث يظهر له خلاـف مـا كان يظن بنفسه وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ فليس الامتحان لأن يعلم هو تعالى، بل لأن يظهر ما يعلمه.

[۱۵۶] إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا أدبروا و انهزموا مِنْكُمْ أيها المسلمون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۰۸

[سورة آلعمران (۳): آية ۱۵۶]

يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاـ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قـالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَـرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كانُوا غُزًّى لَوْ كانُوا عِنْـدَنا ما ماتُوا وَ ما قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۱۵۶)

يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعـانِ يوم أحـد الـذى التقى فيه جمع المسـلمين بقيادة الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم بجمع المشـركين بقيادة أبى سفيان إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ طلب زلتهم و عصـيانهم بِبَعْضِ ما كَسَبُوا أى بسبب بعض المعاصى التى كانوا يعملونها فأخذتهم عاقبتها و شؤمها وَ لَقَـدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ بعـد ما نـدموا و رجعوا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يغفر للمـذنب إذا تاب حَلِيمٌ لا يعجل بالعقوبـة بل يمهل المذنب كى يتوب و يئوب.

[۱۵۷] يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاـ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا اعتقـادا، و هم الكفـار الـذين لاـ يـدينون بمـا وراء الغيب، أو كفروا عملاـ و هم المنافقون و من أشـبههم وَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ فى العقيدة، أو فى الإنسانية، حتى يشمل قول الكافرين للمؤمنين و قوله: «لإخوانهم» أى قالوا بالنسبة إلى الإخوان الـذين سافروا فماتوا، أو حاربوا فقتلوا إِذا ضَـرَبُوا فِي الْأَرْضِ أى ذهبوا لأجل التجارة و نحوها، يقال: ضـرب فلان فى الأـرض إذا سافر، و تخصـيص الأرض بالـذكر، لكون السـفر غالبا عن طريق البر أَوْ كانُوا غُزًّى جمع «غاز»، أى حاربوا الأعـداء: لَوْ كانُوا عِنْدَنا مقيمين فى أوطانهم ما ماتُوا وَ ما قُتِلُوا فقد حسبوا أن الموت و القتل إنما هما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۰۹

بالأسـباب الطبيعيـة بما وراء المادة و الإحساس. مع أن الموت و القتل لا يكونان إلا بتقـدير و قضاء و ليس يفيد فى ذلك البقاء، و فى هذا رد لإرجاف المنافقين الذين كانوا يلقون تبعة قتل المؤمنين فى أحد على النبى و أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخرجهم فقتلوا، و معنى القضاء و القدر فى الأمور التكوينية: التخطيط و تهيئة الأسـباب، فكما أن المهندس الذى يريد بناء دار يخطط شـكل الدار المراد بنائها ثم يحضـر مواد البناء من آجر و جص و حديد و خشب، كذلك ما فى العالم من الأمور التكوينية خططت و علمها اللّه سبحانه و أحضـرت موادها. لكن ليس معنى ذلك أن الأمور خارجة عن أيدى البشـر و إنما جعل الدعاء و الصدقة و الأسباب الظاهرة مستثنيات

للتخطيط و الآلات و الأسباب و كل ذلك أيضا بعلمه سبحانه، و على كلّ فليس الموت و القتل مما يكون سببهما السفر و الغزو كما زعمه الكفار بل هناك أسباب خفية تدير هذين الأمرين إلى جنب الأسباب الظاهرية، فليس كل سفر و غزو موجبا للموت كما ليس كل إقامة موجبا للبقاء، و الكفار إنما قالوا ذلك يريدون تثبيط الناس عن الجهاد لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِكَ الاعتقاد- المفهوم من الكلام- حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ لما حصل لهم من الخيبة حيث رأوا رجوع إخوانهم من السفر و الجهاد بالربح و الظفر، و من الطبيعى أن يحزن و يخسر الشخص الجامد لما ناله الشخص المتحرك من الخير و التقدم المحتومين، و اللام فى «ليجعل» إما لام الأمر، لبيان التأكيد، أو لام العاقبة، أى كانت عاقبة هذا الاعتقاد الحسرة و الحزن وَ اللَّهُ يُحْيِي الأرض و الجماد و الإنسان وَ يُمِيتُ فليس السفر و الغزو تمام سبب الموت وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فارغبوا فى الطاعة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٤١٠

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ١٥٧ الى ١٥٩]

وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)

و الجهاد، و احذروا من المخالفة و الفرار، فإن اللّه سبحانه يعلم أعمالكم، و يبصر صنعكم.

[١٥٨] ثم لنفرض أن السفر و الغزو سبب الموت فهل الموت مع المغفرة خير أم الحياة لجمع الأموال التى يحياها الكافر الذى يبقى فى بلده وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ أيها المؤمنون فِي سَبِيلِ اللَّهِ و جهاد أعدائه أَوْ مُتُّمْ فى سبيل اكتساب الرزق و التجارة و الضرب فى الأرض لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ حيث يغفر لكم و يرحمكم حيث كنتم مطيعين له ممتثلين أمره خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ أى يجمع هؤلاء الكفار الباقون فى بلدهم خوفا من الخروج، فإن من يبقى يكتسب و يجمع مالا.

[١٥٩] ثم أن الموت و القتل لا يسببان انقطاع الحياة حتى يخشاهما الإنسان و يرفع اليد عن مقاصده العالية من خشيتهما وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ فيجازيكم على أعمالكم فخير لكم أن تطيعوه حتى تكونوا مرادا لثوابه و فضله.

[١٦٠] و هنا يلتفت السياق ليثير فى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عاطفته الكامنة نحو المؤمنين حتى يعفو عن خطأهم فى أحد، حيث أخلوا الشعب حتى سيطر المشركون على المعركة، و فعلوا تلك الأفاعيل بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أصحابه من جرح و قتل و تمثيل فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ «ما» زائدة أى بسبب رحمة من اللّه سبحانه على المؤمنين لِنْتَ لَهُمْ أى كنت لينا رحيما بهم فقد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٤١١

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٦٠]

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠)

جعله اللّه سبحانه رحيما بهم لينا عليهم وَ لَوْ كُنْتَ يا رسول اللّه فَظًّا جافى اللسان قاسى القلب غَلِيظَ الْقَلْبِ غلظا معنويا و هو الذى لا يلين و لا يحنو لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ أى تفرقوا عنك فَاعْفُ عَنْهُمْ إذا أخطئوا وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أى اطلب لهم من اللّه الغفران لما صدر من ذنوبهم، و اللّه سبحانه و إن كان أرحم بهم لكن ذلك لزيادة عطف النبى، فإن من يطلب المغفرة لأحد لا بد و أن يزول من قلبه ما علق به من الكراهية، و لتكثير محبة المؤمنين له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث يعلمون بأنه يستغفر لهم وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ لتأليف قلوبهم و لتعليمهم المشورة فى أمورهم، فإن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان فى غنى عنهم بما كان يسدّده اللّه سبحانه بالوحى فَإِذا عَزَمْتَ بعد المشورة على فعل فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ و لا تهتم بمن يخالف رأيه رأيك يا رسول اللّه إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ الواثقين به المعتمدين عليه الذين يوكلون أمورهم إليه.

[١٦١] إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ أيها المؤمنون، و ذلك إذا استحققتم ذلك بإيجاد أسباب النصر و إطاعة أوامره سبحانه فَلا غالِبَ لَكُمْ أى لا

يقدر أحد على أن يغلبكم وَ إِنْ يَخْذُلْكَمْ و خذلان اللّه سبحانه أن يكلهم إلى أنفسهم و لا يعينهم في أمورهم فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ استفهام استنكارى، أى لا يكون ناصر لكم ينصركم من بعده سبحانه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۴۱۲

[سورة آلعمران (۳): الآيات ۱۶۱ الى ۱۶۲]

وَ ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (۱۶۱) أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللَّهِ كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (۱۶۲)

وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ يثقون به و يعتمدون عليه.

[۱۶۲] لقد كان من أسباب تخلّى المسلمين عن مكانهم من الجبل- يوم أحد- خوفهم ألا يقسّم لهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الغنائم، و قد تكلم بعض المنافقين في وقعة بدر حول قطيفة حمراء فقدت فقالوا بأن الرسول أخذها، و لذا نزلت الآية نافية أن يغلّ الأنبياء و يخونوا وَ ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَ أى لا يجوز للأنبياء الغلول أى الخيانة، و الخيانة محرمة مطلقا لكن المورد أتى خاصا حيث أن الكلام كان حوله وَ مَنْ يَغْلُلْ شريفا كان أو وضيعا قليلا كان غلوله أو كثيرا يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ و في الحديث «يأتى به على ظهره»

«۱». ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ أى تعطى جزاء كسبها كاملا غير منقوص وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ فلا ينقص من أجورهم شيء و لا يعذبون فوق استحقاقهم.

[۱۶۳] أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللَّهِ باتباع أوامره و اجتناب نواهيه كَمَنْ باءَ أى رجع بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ فكأنه رجع إلى أعماله الدنيئة بعد أن ذهب إلى اللّه سبحانه فعلم ماذا يريد، فقد رجع مع السخط بينما رجع غيره مع الرضوان وَ مَأْواهُ أى مرجعه و مصيره جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ أى

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۷ ص ۶۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۴۱۳

[سورة آلعمران (۳): الآيات ۱۶۳ الى ۱۶۴]

هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ (۱۶۳) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۱۶۴)

أن المحل الذى صار إليه محل سيئ، فعلى الإنسان أن لا يفرّ من الحرب و لا يتخلف عن أمر اللّه و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى يبوء بالغضب و السخط و يكون مصيره النار.

[۱۶۴] هُمْ أى هؤلاء الذين باءوا بالسخط و الذين اتبعوا رضوان اللّه، ذوو دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ فللمؤمنين درجات رفيعة و لغيرهم درجات بذيئة، أو أن لكل فريق درجات من حيث القرب و البعد، و حذف كلمة «ذوو» لما تعارف من المجاز في هذه التعبيرات بعلاقة الحال و المحل فيقال عند العد: زيد الدرجة الأولى، عمرو الدرجة الثانية، و هكذا وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ فيجازيهم حسب أعمالهم فلا يزهد الإنسان في الإحسان لأنه لا يقدّر، و لا يجرى العاصى في المعصية لأنه لا يرى.

[۱۶۵] إن النعمة التى أنعم اللّه بها على المسلمين مما يوجب شكرها و التضحية في سبيلها فهى نعمة كبيرة جدا لا تماثلها نعمة و لا يبلغ شأنها إحسان و منّة لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ أى أنعم اللّه، فإن المنّ القطع، و تسمى النعمة منّة لأنها تقطع الإنسان عن البلية و الفاقة عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إنما خصوا بالذكر مع أن المنة عامة لأنهم هم الذين استفادوا منها دون سواهم إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا فإنه أعظم النعم، و لذا لم يمن اللّه على الإنسان بأية نعمة سواها، فإن في الإرسال صلاح الدين و الدنيا و الآخرة و إكمال البشر حسب قابلياتهم مِنْ أَنْفُسِهِمْ

تذكير بنعمة أخرى، إذ كون الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من جنس البشر-

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤١٤

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٦٥]

أَ وَ لَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها قُلْتُمْ أَنَّى هذا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)

لا الملائكة و الجن- تشريف لهم و إظهار لفضل هذا النوع، و حيث أن السياق حول مؤمن الأنس لا يستشكل بأن المؤمنين أعم من الجن و ليس الرسول من أنفسهم يَتْلُوا الرسول عَلَيْهِمْ آياتِهِ تلاوة، كما يتلو المعلم الدرس على التلميذ وَ يُزَكِّيهِمْ يطهرهم من الأدناس الظاهرية بأوامر النظافة و ما أشبه، و الأقذار الخلقية و الاعتقادية بإرشادهم إلى الحق و الفضيلة وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ يفهمهم معانيه، و هو غير التلاوة وَ الْحِكْمَةَ و هو علم الشريعة، أو مطلقا، بمعنى أنه يعلمهم مواضع الأشياء خيرها و شرها فإن الحكمة كما قالوا: «وضع الشي‌ء موضعه».

وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ أي قبل أن يأتيهم الرسول لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ أي انحراف واضح في عقائدهم و أخلاقهم و أعمالهم، فعلى المؤمنين أن يضحوا في سبيل هذه النعمة بكل غال و رخيص، فما فعلوا يوم أحد كان خلاف الشكر، و ما ضحوا فيه لم يكن كثيرا مقابل هذه النعمة العظمى.

[١٦٦] أَ وَ لَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ أي هل أنتم بحيث لما أصابتكم مصيبة في أحد و الحال أنكم في بدر قَدْ أَصَبْتُمْ من الكفار مِثْلَيْها فإنه قتل منكم في أحد سبعين، و قد أصبتم من الكفار مائة و أربعين إذ قتلتم منهم سبعين و أسرتم منهم سبعين في واقعة بدر قُلْتُمْ أَنَّى هذا أي من أي وجه أصابنا هذا و نحن مسلمون، و هذه الجملة «أو لما ..» استنكارية أي كيف تستنكرون إصابتكم بأحد و الحال أنكم قد أصبتم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤١٥

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ١٦٦ الى ١٦٧]

وَ ما أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا وَ قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتالاً لاتَّبَعْناكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمانِ يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ (١٦٧)

في بدر مثلي ما أصابكم، ثم أن هذه الإصابة كانت لضعف نفوسكم حيث أغراكم المال و أخليتم أماكنكم في الجبل قُلْ يا رسول اللّه:

هُوَ أي ما أصابكم مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ الجشعة إلى حب الغنيمة و المال إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقدر أن ينصركم على أعدائكم كما يقدر أن يخذلكم حين تتركون أوامره، و

في بعض الأحاديث أنهم في بدر خيروا بين أخذ الفدية من الأسرى على أن يقتل منهم في العام القابل سبعون بعدد الأسرى، و بين أن يقتلوا الأسرى و لا يأخذون الفدية.

فطلبهم للمال أوجب اختيار الأول، و على هذا كان ما أصابهم في أحد «من عند أنفسهم».

[١٦٧] وَ ما أَصابَكُمْ أيها المسلمون يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ أي حين تلاقي المسلمون و الكفار في يوم أحد فَبِإِذْنِ اللَّهِ أي بعلمه، أو بأنه لم يحل بين الكفار و بينكم حتى أصابوا منكم. و هذا كالإذن تكوينا، و قد أذن سبحانه لفائدة التمييز بين المؤمن و المنافق وَ لِيَعْلَمَ أي يتحصّل علمه في الخارج الْمُؤْمِنِينَ الذين جاهدوا.

[١٦٨] وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا أظهروا الإسلام و أبطنوا النفاق و هم ابن أبي سلول و جماعته حيث أنهم انخذلوا يوم أحد نحوا من ثلاثمائة رجل قالوا: علام نقتل أنفسنا؟! وَ قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فإن عمرو بن حزام الأنصاري قال لهم هذه المقالة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤١٦

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٦٨]

الَّذِينَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (١٦٨)

أو ادْفَعُوا عن حريمكم و أنفسكم فإن الكفار إذا غلبوا نكّلوا بكم قالُوا أى قال أولئك المنافقون فى جواب المؤمنين: لَوْ نَعْلَمُ قِتالًا لَاتَّبَعْناكُمْ فإن هذا الذى تخوضونه ليس بقتال إذ لو كان قتالا لأخذتم برأينا فيه، أو تريدون إلقاء النفس فى التهلكة فليس هذا قتالا يتكافأ فيه الجانبان، هُمْ أى هؤلاء المنافقون لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمانِ فكلما عمل المنافق بالخلاف كان أقرب إلى الكفر و كلما عمل بالوفاق كان أقرب إلى الإيمان يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ فأفواههم تنطق بالإيمان و قلوبهم تضمر الكفر و العصيان وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ فى قلوبهم فيجازيهم حسب نفاقهم المضمر.

أقول: الظاهر أن قوله: «و ليعلم» إلى آخره، ليس عطفا على «بإذن اللّه» إذ يكون المعنى حينئذ أن الإصابة علة للتمييز، و الحال أن إعلان الجهاد كان علة ذلك، فقوله: «ليعلم» جملة مستأنفة، أى أن حرب أحد كانت لأجل التمييز بين المؤمن و المنافق، فى جملة فوائدها الأخرى.

[١٦٩] ثم ذكر سبحانه صفة أخرى للذين نافقوا بأنهم هم الَّذِينَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ أى قالوا حول إخوانهم الذين ذهبوا إلى ساحات الجهاد فقتلوا وَ قَعَدُوا أى قعد هؤلاء المنافقون عن القتال لَوْ أَطاعُونا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤١٧

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ١٦٩ الى ١٧٠]

وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)

فى تركهم الخروج ما قُتِلُوا جملة «لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا» مقول قولهم. قُلْ لهم يا رسول اللّه: فَادْرَؤُا أى ادفعوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى مقالكم أن البقاء فى البيت موجب لعدم موت الإنسان، فمن أين لكم أن من يبقى فى بيته لا يموت، فكم من الذين بقوا فى بيوتهم و ماتوا و كم خرجوا فى القتال و رجعوا سالمين؟! [١٧٠] و لو فرضنا أن الخارج إلى الجهاد قتل، فما يضره ذلك، فإن من استشهد فى سبيل اللّه لا تنتهى حياته بل يبقى حيا يرزق وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً فكما أن هذه الحياة المادية ذات مراتب، فمرتبة منها كاملة فيمن كان سعيدا فرحا، و مرتبة منها ناقصة فيمن كان شقيا حزينا. كذلك من مات يكون على قسمين- بعد بقاء كليهما فى حياة من لون آخر- قسم يكون حيا هناك أى سعيدا فرحا، و قسم يكون ميتا هناك أى شقيا حزينا، فليس للآية الكريمة مفهوم أن غير المقتول لا حياة له هناك بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ حياة غير مادية بل حياة عند ربهم و لهم رزقهم فيها بكرة و عشيا.

[١٧١] فى حال كونهم فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ من الحياة الباقية و السعادة و الخير وَ يَسْتَبْشِرُونَ أى يسرّ هؤلاء المقتولون فى سبيل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤١٨

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ١٧١ الى ١٧٢]

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢)

اللّه بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ من المؤمنين الذين بقوا فى الحياة و بقوا مِنْ خَلْفِهِمْ و استبشارهم بهؤلاء من جهة أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ إذ اللّه سبحانه يتولى أمورهم وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ بالنسبة إلى من خلفهم، فهؤلاء المقتولون جمعوا بين خيرين خير أنفسهم حيث تنعموا بنعمة اللّه سبحانه و خير إخوانهم الذين من خلفهم حيث علموا بأنهم لا خوف عليهم، و ذلك بخلاف من بقى و لم يجاهد فإنهم جمعوا بين

شرين مشاكل حياة أنفسهم و مشاكل حياة إخوانهم، حيث لا يعلمون ماذا تكون عاقبة أمر أنفسهم و أمر إخوانهم.

[١٧٢] يَسْتَبْشِرُونَ أى هؤلاء المقتولون يسرّون و يفرحون بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ ينعمها عليهم فى الآخرة وَ فَضْلٍ أى الزيادة على قدر استحقاقهم أو على ما يترقبون وَ أَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ فإن من علم أن حقه و أجره مضمون فرح و استبشر، فهؤلاء يرون عيانا أن حقهم محفوظ بخلاف الإنسان فى الدنيا فإنه يعلم ذلك دون أن يراه.

و فى تكرار المطلب زيادة تمكين المعنى فى النفس، و مثله كثير فى التحذيرات و الترغيبات المستقبلة و بالأخص إذا لم يشاهد الإنسان أمثاله بل كان غيبا محضا فإن فى التكرار تركيز المطلب فى النفس حتى تعمل تلقائيا كالذى شاهد و حضر.

[١٧٣] لما انصرف أبو سفيان و أصحابه من «أحد» و بلغوا «الروحاء» ندموا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۴۱۹

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٧٣]

الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَ قالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)

على انصرافهم عن المسلمين و تلاوموا فيما بينهم قائلين بعضهم لبعض: لا محمدا قتلتم و لا الكواعب أردفتم، قتلتموهم حتى لم يبق منهم إلا الشريد و تركتموهم، فارجعوا فاستأصلوهم. فبلغ ذلك الخبر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأراد إرهابهم فخرج صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و معه من به جرح من أحد حتى بلغ «حمراء الأسد» و بلغ الخبر المشركين فخافوا خوفا شديدا و ولوا منهزمين.

و وجه اتصال الآية أنه سبحانه بعد ما بين أجر الشهداء و أنهم يستبشرون بالأحياء ذكر وصف الأحياء الذين يستبشر بهم المقتولون أنهم أولئك الذين لم تزلزلهم المحنة و لم تقعدهم الجراحات عن مواصلة الكفاح و لم يرهبهم تجمع الأعداء و إرجافهم بهذا التجمع و هم مثخنون بهذه الجراحات الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ أطاعوهما فى أمرهما، و قد ذكرنا سابقا أن ذكر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للتشريف و أن بيان أمره أمر اللّه سبحانه و إلا فالأمر واحد مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ أى نالتهم الجراحات يوم أحد لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ بعد الاستجابة وَ اتَّقَوْا معاصى اللّه سبحانه أَجْرٌ عَظِيمٌ لأنهم أطاعوا فى ثلاث دفعات حضورهم فى أحد و استجابتهم ثانيا و إحسانهم و تقواهم ثالثا.

[١٧۴] ثم وصفهم سبحانه بوصف آخر أنهم هم الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فقد قال الناس لأصحاب الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۴٢٠

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٧۴]

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧۴)

رجوعهم من أحد: إن «الناس» و هم أبو سفيان و المشركون قد جمعوا لكم، أى جمعوا المشركين لأجل محاربتكم فَاخْشَوْهُمْ أى خافوا منهم لأنهم إذا رجعوا إليكم و أنتم- أيها المسلمون- مثخنون بالجراح من أحد لن يبقوا منكم باقية فَزادَهُمْ تجمع الناس عليهم إِيماناً فإن عند كل كارثة يتذكر المؤمن اللّه سبحانه فتقوى نفسه بمعونته و تشتد عزيمته بنصره وَ قالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ أى كافينا اللّه يكفينا شر أعدائنا وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ فإنه خير من جعله الإنسان وكيلا- لعلمه بمواقع النفع و الضرر و قدرته على جلب النفع و دفع الضرر عن الموكل.

[١٧۵] فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ أى رجع هؤلاء المؤمنون الذين استجابوا لله و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، تصحبهم نعمة اللّه و فضله لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ فهم بعد ما خرجوا فى طلب أبى سفيان، هرب أبو سفيان فرجع المسلمون و هم مرهوبو الجانب أشداء النفوس وَ قد اتَّبَعُوا رِضْوانَ اللَّهِ باتباع أمره فى تعقب المشركين وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ على من اتبع أمره فهو يسعده فى الدنيا و الآخرة.

روى عن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» فإنى سمعت اللّه

يقول بعقبها: «فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ» «۱».

(۱) من لا يحضره الفقيه: ج ۴ ص ۳۹۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۲۱

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۷۵ الى ۱۷۶]

إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلا تَخافُوهُمْ وَ خافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۷۵) وَ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (۱۷۶)

[۱۷۶] إِنَّما ذلِكُمُ «كم» للخطاب، و «ذا» إشارة إلى التخويف من الأعداء أى أن التخويف الذى صدر عن بعض الناس بالنسبة إلى المسلمين من عمل الشيطان فإنه الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فإن المؤمنين لا يخافون و إنما أولياء الشيطان يخافون لأنهم بانقطاع صلتهم من اللّه سبحانه يخافون من كل شيء كما قال سبحانه فى وصف المنافقين: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ «۱»، فَلا تَخافُوهُمْ أى لا تخافوا الناس الذين جمعوا لكم، أو لا تخافوا الشيطان و أولياءه وَ خافُونِ و الخوف من اللّه سبحانه بمعنى إطاعته و ترك عصيانه فإن فى ترك ذلك، النار و العقاب إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فإن الإيمان يوجب أن لا يخاف الإنسان إلا من اللّه سبحانه، و ليس المراد عدم الخوف مطلقا فإنه قهرا للإنسان و إنما المراد ترتيب الأثر على الخوف.

[۱۷۷] وَ لا يَحْزُنْكَ يا رسول اللّه الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ أى يتسابقون فى أعمالهم الكافرة كأنهم فى سباق من كثرة نشاطهم إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ فإن دعوتك التى هى مرتبطة بالله سبحانه لا بد و أن تنجح و تتقدم و هذه المسارعات الكافرة لا تضرها، فقد نسب موقف الدعوة إلى اللّه سبحانه، إفادة لعلوها و قوة المدافع و المتولى لها شَيْئاً أصلا لا صغيرا و لا كبيرا، بل إنهم يضرون بذلك أنفسهم فإن

(۱) المنافقون: ۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۲۲

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۷۷ الى ۱۷۸]

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۱۷۷) وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ (۱۷۸)

إعطاء اللّه القدرة لهم فى أن يفعلوا ما يشاءون لأنه يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ و إنما أراد ذلك لأنهم أعرضوا عن الحق كما أنك إذا أديت إلى عبدك مالا ليتاجر به، ثم ذهب يقامر به، و أمهلته فلم تضرب على يده تقول: أريد أن أبدى سوءته و أعاقبه بعقاب كبير وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ بكفرهم و مسارعتهم و نشاطهم ضد الإسلام.

[۱۷۸] إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا أى بدّلوا الْكُفْرَ بِالْإِيْمانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ بتبديلهم الكفر بالإيمان شَيْئاً أىّ شيء أبدا وَ لَهُمْ أى للذين بدلوا الكفر بالإيمان عَذابٌ أَلِيمٌ بما بدلوا.

[۱۷۹] وَ لا يَحْسَبَنَ أى لا يظن الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ الإملاء الإمهال، أى أن إطالتنا لأعمارهم و إمهالنا إياهم و توفير المال و الجاه لهم ليس خيرا لهم فإن الخير هو الذى لا يسبب شرا و عقابا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ نطيل أعمارهم و نعطيهم ما نعطيهم لِيَزْدادُوا إِثْماً و معصية، فإنهم بإعراضهم عن الحق و خبث بواطنهم استحقوا العقاب و العذاب لكن حيث لا عقاب على الخبث الباطنى فقط كان الإمهال مظهرا لذلك الخبث، فبقاؤهم موجب لزيادة عقوبتهم وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ يهينهم علاوة على ألمه و كربه و ربما

يقال: إن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٢٣

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٧٩]

ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩)

«اللام» في قوله «ليزدادوا» لام العاقبة كقوله تعالى: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً «١».

[١٨٠] ثم يرتد السياق إلى قصة أحد حيث انكشف هناك المؤمن الذي تبع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في الحرب من المنافق الذي تخلّف عن الجهاد كعبد اللّه ابن أبي سلول بمن تخلف معه ما كانَ اللَّهُ أي ليس من سنته سبحانه أن لا يمتحن لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ أي يدعهم و يتركهم عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ من ظاهر الإيمان الذي يتساوى فيه المؤمن و المنافق حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ لكي يظهر ما يضمره كل فريق. و في بعض التفاسير: أن المشركين قالوا لأبي طالب: إن كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا و من يكفر؟ فإن وجدنا خبره صدقا آمنا به. فنزلت الآية. «٢» و على هذا فمعنى «عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ» أي حالكم قبل الإيمان، فلا يترك سبحانه المؤمن على كفره بين سائر الكفار وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ حتى تعلموا أن هذا مؤمن و هذا منافق، بدون الاختبار الخارجي المظهر للضمائر وَ لكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي أي يختار لاطلاعه على الغيب مِنْ رُسُلِهِ و أنبيائه مَنْ يَشاءُ و هذا كقوله

---

(١) القصص: ٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٥٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٢٤

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٨٠]

وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)

تعالى: فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ «١» و لا ينافي ذلك اطلاع بعض الملائكة و الأئمة و بعض المؤمنين على بعض المغيبات إذ الملائكة خارج عن المستثنى منه و الباقون إما بتعليم النبي أو بإلهام منه سبحانه و عدم استثنائه لندرته خارجا، و القضايا الطبيعية- كما نحن فيه- لا تنافيها النوادر.

و حيث عرفتم قيمة الإيمان فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ إيمانا حقيقيا لا يشوبه نفاق و خبث ضمير وَ إِنْ تُؤْمِنُوا إيمانا صادقا وَ تَتَّقُوا المعاصي و تعملوا الصالحات فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ يبقى إلى الأبد في جنة عرضها السماوات و الأرض و رضوان من اللّه.

[١٨١] و حيث تقدم الكلام حول الجهاد و التضحية عقبه سبحانه بذكر المال فهما يذكران غالبا مقترنين إذ الجهاد يحتاج إلى بذل المال و الدين إنما يقام ببذل النفس و بذل المال معا، فقال سبحانه: وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ أي أعطاهم سبحانه فضلا و إحسانا فإن المال و إن اجتهد الإنسان و كدّ في جمعه إنما هو فضل من اللّه سبحانه لأنه من خلقه و صنعه فالنقدان مثلا- معدنان مخلوقان له و سائر الأموال من نبات الأرض و ما أشبه كله له، هذا بالإضافة إلى أن أجهزة الإنسان التي بها يتمكن من كسب المال كلها منه سبحانه. و المراد بالبخل هنا هو الحرام منه مما يجب إعطاؤه فيمنع

---

(١) الجن: ٢٧- ٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٢٥

هُوَ خَیْراً لَهُمْ حیث یزعمون أن البخل یوفر علیهم المال فیبقی عندهم و لا یخرج من أیدیهم و «خیرا» مفعول «یحسبن» بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ إن ذلک البخل شر لهم یعود علیهم فی الدنیا بالشر حیث أن ذلک موجب لسوء السمعهٔ الذی بدوره یوجب عدم التمکن من اکتساب المزید من المال و یوجب ذهاب الکائن منه بمصادرات الحکام و ثورات الفقراء، و الأسوأ من ذلک أنهم سَیُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ أی یجعل المال الذی بخلوا به طوقا فی أعناقهم یَوْمَ الْقِیامَهِٔ و هذا کنایهٔ عن لزوم تبعهٔ المال، کما یقال: المرأهٔ طوق فی عنق الإنسان، و الدّین طوق فی عنق المدین، و هکذا، و فی الأحادیث الواردهٔ
عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الأئمهٔ علیهم السّلام أنه «ما من أحد یمنع من زکاهٔ ماله شیئا إلا جعل اللّه ذلک یوم القیامهٔ ثعبانا من نار مطوقا فی عنقه ینهش من لحمه حتی یفرغ من الحساب»
«۱» و فی بعضها تفسیر الآیهٔ الکریمهٔ بذلک.
ثم ما بال هؤلاء یبخلون؟ فإنه لا یبقی المال عندهم إلی الأبد، بل یذهبون و یذرون المال وَ لِلَّهِ مِیراثُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فکل من یموت فیهما و یخلف شیئا فلا بد و أن یرثه اللّه سبحانه حیث تبقی الأموال له وحده بعد فناء الجمیع فما بخل به عنه سبحانه و لم یصرف فی سبیله لا بد و أن یرجع إلیه، و لیس للبخیل إلا الإثم

---

(۱) الکافی: ج ۳ ص ۵۰۲.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۴۲۶

[سورة آلعمران (۳): آیة ۱۸۱]

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِیرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِیاءُ سَنَکْتُبُ ما قالُوا وَ قَتْلَهُمُ الْأَنْبِیاءَ بِغَیْرِ حَقٍّ وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِیقِ (۱۸۱)
وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ فما أنفقتم من نفقهٔ یعلمها اللّه سبحانه فیجازیکم علیها جزاء حسنا.
[۱۸۲] و قد کان من بخلاء الیهود من لا ینفق مما آتاه اللّه، ثم یزید علی ذلک فیقول: إن اللّه فقیر لأنه یستقرض- تعریضا بقوله سبحانه: مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللَّهَ «۱»- و أنا غنی لما لدی من الأموال لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِیرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِیاءُ و یکفیه تهدیدا أن اللّه سمع قوله فلینتظر الجزاء العادل و العقاب الألیم سَنَکْتُبُ ما قالُوا حتی یکون کتابا مسجلا علیهم لا مجال لإنکاره یوم یعطی کل امرئ کتابه، و قد کان منطق الیهود منحرفا إلی أبعد الحدود، و کیف یکون اللّه سبحانه فقیرا و هو الذی یملک کل شیء حتی روح هذا القائل؟! و إنما استقراضه امتحان و طلبه المال ابتلاء و اختبار، و کیف یکون هو غنیا و الحال أنه لا یملک روحه فکیف بماله؟! وَ سنکتب قَتْلَهُمُ أی قتل هؤلاء الیهود الْأَنْبِیاءَ بِغَیْرِ حَقٍ و إنما عیّرهم اللّه سبحانه مع أن آباءهم هم الذین فعلوا، لرضاهم بذلک أولا و لبیان أن هؤلاء خلفا عن سلف مجرمون فلا عجب أن یقول الخلف کفرا بعد ما عمل السلف أفظع من ذلک ثانیا، و دخول «السین» فی سنکتب، لعله لبیان أن الکتابهٔ لا تثبت إلا بعد أن یموتوا غیر مؤمنین بمحمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و إلا فالکتابهٔ لا تضر إذا محیت

---

(۱) البقرهٔ: ۲۴۶.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۴۲۷

[سورة آلعمران (۳): آیة ۱۸۲]

ذلِکَ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیکُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَیْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِیدِ (۱۸۲)
بالإیمان، و هذا یصح بالنسبهٔ إلی قولهم، أما بالنسبهٔ إلی قتل أسلافهم، و قد کتب قتلهم، فلأن کتابهٔ ذلک عائد علی الأخلاف إذا بقوا علی الکفر، و لعل العطف علی المعنی أی «و کتبنا قتلهم الأنبیاء» من قبیل «نحن بما عندنا و أنت بما عندک راض» و قوله: «علفته تبنا

و ماء باردا».

وَ نَقُولُ حين عقابهم فى الآخرة ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ الذى يحرق أجسادكم بفعلكم و قولكم.

[۱۸۳] ذلِكَ العذاب إنما يكون بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ من الكفر و العصيان، و إنما عبّر بتقديم الأيدى لأن الإنسان غالبا يقدّم الأشياء بيده، فيكون ذلک من باب التشبيه للمعقول بالمحسوس وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ فأنتم عبيده خالفتم أوامره فاستحققتم هذا العقاب، و «ظلّام» ليست لفظة مبالغة على غرار «علّام» و إنما للنسبة نحو «تمّار» بمعنى ذى تمر، كما قال ابن مالك:

و مع فاعل و فعّال فعل‌فى نسب أغنى عن اليا فقبل

و لعل اختيار هذه الكلمة لردّ التوهّم و هو أن الإحراق بالنار إنما يصدر من إنسان كثير الظلم، فيكون الإتيان به للمجانسة اللفظية كقوله:

قالوا اقترح شيئا نجد لک طبخةقلت اطبخوا لى جبة و قميصا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۲۸

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۸۳ الى ۱۸۴]

الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّناتِ وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۱۸۳) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جاؤُ بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ وَ الْكِتابِ الْمُنِيرِ (۱۸۴)

[۱۸۴] إن الذين قالوا إن اللّه فقير و نحن أغنياء، و الذين قتلوا أنبياءهم، هم الذين لم يؤمنوا بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بحجة مكذوبة، فقد قالوا: يا محمد إن اللّه عهد إلينا فى التوراة أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن زعمت أن اللّه بعثك إلينا فجئنا بالقربان حتى نصدقك، فنزلت الآية الَّذِينَ قالُوا للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و «الذين» فى موضع الجر عطفا على «الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ»: إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنا أمرنا و وصّانا فى الكتب المنزلة أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ بأن لا نصدق بنبوته حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبانٍ أى ما يتقرّب به إلى اللّه سبحانه تَأْكُلُهُ النَّارُ تأتى نار من الغيب فتحرقه، و قد كان ذلک علامة لصدق نبوة أنبياء بنى إسرائيل قُلْ يا رسول اللّه فى جوابهم: قَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّناتِ الأدلة الواضحة وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ من القربان الذى أكلته النار فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ فإنهم قتلوا ذكريا و يحيى و غيرهما إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى دعواكم أنكم تؤمنون بالرسول إذا جاءكم بقربان تأكله النار؟ و إنما ينسب فعل الأسلاف إلى الأخلاف لأن الطبيعة فيهم واحدة و الاتجاه واحد فلا يمكن أن يقال: إن معاصرى الرسول لم يكونوا يظهرون الرضا بفعل أسلافهم فى قتل الأنبياء.

[۱۸۵] فَإِنْ كَذَّبُوكَ يا رسول اللّه و لم يؤمنوا برسالتک فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فلست بدعا فى ذلک و لا- يضيق صدرک بتكذيبهم، فإن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۲۹

[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۸۵]

كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَ إِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ (۱۸۵)

الناس قد كذبوا رسلا قبلک و الحال أنهم جاؤُ بِالْبَيِّناتِ الأدلة الواضحة وَ الزُّبُرِ أى الصحف التى فيها الأحكام و الشرائع وَ الْكِتابِ الْمُنِيرِ و هو الكتاب الجامع للأحكام. و الفرق بينهما أن الزبر صحائف متفرقة فيها أحكام متشتتة بخلاف الكتاب الذى هو الجامع المتسلسل، كما أنه نزل على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الأحاديث القدسية و القرآن الحكيم ..

و هنا سؤال هو: إن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم لم يأت بقربان تأكله النار؟ و الجواب:

إنهم سألوا ذلک تعنّتا لا- استرشادا، و إلا فقد كان يكفيهم سائر الأدلة، و ليس شأن الأنبياء أن يفعلوا فوق اللازم من المعجزة لكل

متعنت و مجادل، و هذا هو السر فی رد كثير ممن سأل المعجزة.

[١٨۶] إن عدم الجهاد لخوف الموت، و عدم الإيمان لخوف ذهاب الرئاسة، و عدم الإنفاق لخوف الفقر، مما له عاقبة سيئة هی النار، فكل إنسان يموت و تذهب حياته و رئاسته و ماله، فما أجدر أن يفعل ما يسبّب له حسن العاقبة كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ تذوقه و تلاقيه وَ إِنَّما تُوَفَّوْنَ أيها الناس أُجُورَكُمْ الحسنة أو السيئة يَوْمَ الْقِيامَةِ فهنا عمل و لا حساب و غدا حساب و جزاء بلا عمل فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ أی بوعد عنها وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ لأنه سرور و راحة لا انقطاع لهما و لا تكدّر فيها وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا بلذاتها و شهواتها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۴٣٠

[سورة آلعمران (٣): الآيات ١٨۶ الى ١٨٧]

لَتُبْلَوُنَّ فِی أَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذیً كَثِيراً وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨۶) وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ (١٨٧)

إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ تسبب غرور الإنسان و غفلته عن الخير الدائم الباقی. فمن الجدير بالإنسان أن يحصل بحياته و رئاسته و ماله تلك الدار الباقية لا أن يغتر بالدنيا و يعصی اللّه سبحانه حتی يدخل النار.

[١٨٧] إن الدنيا دار محنة و ابتلاء لا دار راحة و سعادة فاعلموا أيها المسلمون لَتُبْلَوُنَّ أی تقع عليكم المحن و البلايا بكل تأكيد فِی أَمْوالِكُمْ بذهابها و نقصانها و وجوب الإنفاق منها وَ فی أَنْفُسِكُمْ بالأمراض و الشدائد و القتل فی الجهاد و نحوه وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ اليهود و النصاری و المجوس وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا من سائر أقسام الكفار أَذیً كَثِيراً سبا و شتما و تهمة و وقيعة و استهزاء وَ إِنْ تَصْبِرُوا فی البلايا و الأذی وَ تَتَّقُوا فلا تحملنّكم البلية و الأذية علی الابتعاد عن الدين و عمل المحرّم فَإِنَّ ذلِكَ الصبر و التقوی مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ أی الأمور التی يجب العزم عليها و المضی فيها. و فی الكلام مجاز إذ نسب العزم الذی هو للإنسان إلی الأمر، مثل نسبة الإصرار إلی الأمر فی قولك: «أصرّت الأمور علیّ» لبيان أن الأمر قد صار عزما، من شدة لزومه، و فرض وجوبه.

[١٨٨] ثم يأتی السياق إلی ذكر صفة أخری من أهل الكتاب مناسبة للمقام

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۴٣١

[سورة آلعمران (٣): آية ١٨٨]

لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)

حيث أنهم يعلمون رسالة الرسول و هی موجودة فی كتبهم، لكنهم بدل أن يؤمنوا و يظهروا ذلك للناس يصرّون علی الجدال و العناد و يخفون الكتاب علی الناس وَ اذكر يا رسول اللّه إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ أخذ عهدهم الأكيد بواسطة الأنبياء عليهم السّلام لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ أی تبينون الكتاب الذی فيه الأحكام و البشارة برسالة الرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم وَ لا تَكْتُمُونَهُ أی لا تخفونه فَنَبَذُوهُ أی طرحوا الميثاق وَراءَ ظُهُورِهِمْ كناية عن إهمالهم له و عدم اعتنائهم به كما أن الذی يريد إهمال متاع يلقيه وراء ظهره وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا أی بدلوا بأحكام الكتاب رئاسة قليلة فی الدنيا و أموالا قليلة كانوا يتقاضونها من سائر اليهود فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ من الثمن حيث يستحقون بذلك العذاب الدائم.

[١٨٩] و من الناس من لا يدخل فی عمل الخير مع العاملين، فإذا خسر العاملون ما أرادوا وصفوا أنفسهم بالحصانة و التعّقل، و إذا ربحوا جعلوا أنفسهم من المؤيدين لهم، و توقعوا أن يثنی عليهم ثناء العاملين، إن أمثال هؤلاء الذين لا يشتركون فيما يجب الاشتراك فيه، لا بد و أن ينالهم العذاب لتركهم الواجب، و غالبا يكونون من المنافقين، و من الذين يقعدون عن الجهاد، و عن واجب الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر، و لهؤلاء ميزة أخری و هی أنهم يفرحون بما يأتون من الأعمال حقا كان أو باطلا، بخلاف المؤمنين الذين إذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۳۲

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۸۹ الى ۱۹۰]

وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۸۹) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ (۱۹۰)

عصوا استغفروا، و إذا أحسنوا خافوا، كما قال سبحانه: وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ «۱».

لا تَحْسَبَنَ يا رسول اللّه الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا من الأعمال صالحة كانت أو طالحة وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا أى يحمدهم الناس بِما لَمْ يَفْعَلُوا من الأعمال الخيرية فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ يا رسول اللّه بِمَفازَةٍ من الفوز، أى النجاة مِنَ الْعَذابِ فإنهم يعذبون بكل تأكيد لهذه الأفعال و الصفات وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ مؤلم. و هذه الآية كما تراها عامة، فتفسيرها بالمنافق أو نحوه من باب ذكر المصداق.

[۱۹۰] أين المفر لهؤلاء من عذاب اللّه وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فلا يمكن لأحد الفرار من حكومته وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فلا يفوته ما يريد و يفعل ما يشاء.

[۱۹۱] و هنا ينتهى السياق بأدلة الإيمان و أحوال المؤمنين و أن أعمال الكافرين فى انهيار، مناسبة للجو العام من السورة الذى كان فى الإيمان و العقيدة و أحوال المؤمنين و الكافرين، و مرتبطة بالآية السابقة

---

(۱) المؤمنون: ۶۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۳۳

[سورة آل‌عمران (۳): آية ۱۹۱]

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ (۱۹۱)

«وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ» إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أى فى إيجادهما بما تشتملان عليه من العجائب و مختلف صنوف الخلق و الإبداع وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ تعاقبهما و مجيء أحدهما خلف الآخر بكل إتقان و انتظام لَآياتٍ دلالات و براهين على وجود اللّه سبحانه و صفاته لِأُولِي الْأَلْبابِ أى أصحاب العقول فإن كل من نظر إلى الأثر لا بد أن يعقل وجود المؤثر و كلما كان الأثر أتقن و أجمل دلّ على كمال علم المؤثر و قدرته و إرادته و غيرها من الصفات الجمالية.

[۱۹۲] ثم بين صفات أولى الألباب بقوله سبحانه: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ذكرا بالقلب، أى تذكرا له سبحانه قِياماً فى حال القيام وَ قُعُوداً فى حال القعود وَ عَلى جُنُوبِهِمْ فى حال الاضطجاع، يعنى أنهم دائما فى التفكّر باللّه سبحانه و ذكره سواء كانوا قائمين أو قاعدين أو مضطجعين وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كيف خلقتا بهذا النحو المتقن المدهش، و كيف جريتا، و كيف كانتا، و كيف ستكونان، و فى حال التفكر و الدهشة لسان حال هؤلاء يقول: رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا الكون، و الخلق باطِلًا عبثا و لغوا، بلا غاية و مقصود سُبْحانَكَ أى أنت منزّه عن الباطل و اللغو، و هو مفعول لفعل مقدر، أى نسبحك سبحانك فَقِنا أى احفظنا من عَذابَ النَّارِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۳۴

[سورة آل‌عمران (۳): الآيات ۱۹۲ الى ۱۹۴]

رَبَّنا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ (۱۹۲) رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلْإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وَ تَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ (۱۹۳) رَبَّنا وَ آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ وَ لا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ (۱۹۴)

و لعل دخول الفاء فى «فقنا» لبيان أنهم يطلبون جزاء تصديقهم و إيمانهم و تفكّرهم.

[١٩٣] و يقولون أيضا: رَبَّنا إِنَّکَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ فضحته و أهلكته وَ ما لِلظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم فى دار الدنيا بالكفر أو العصيان مِنْ أَنْصارٍ ينصرونهم من عذاب اللّه سبحانه.

[١٩۴] رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلْإِيمانِ هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كل من نادى الناس للإيمان بالله سبحانه، فإن أولى الألباب يعترفون لله سبحانه بأنهم استجابوا لمنادى الإيمان و لم يلووا عن نداء الحق فقد سمعوا المنادى ينادى: أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ و لا تكفروا و لا تشركوا فَآمَنَّا بك يا سيدنا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا التى صدرت منا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا و ربما يقال بأن الفرق أن الذنوب هى الكبائر لأنها ذات أذناب و تبعات، و السيئات هى الصغائر لأنها تسيء إلى الإنسان و إن لم تكن ذات تبعة لأنها مكفّرة لمن اجتنب عن الكبائر، و هناك فى الفرق أقوال أخرى، و لعل التكرار للتأكيد إظهارا لكمال الخوف من الذنوب وَ تَوَفَّنا أى اقبضنا إليك عند موتنا مَعَ الْأَبْرارِ فى جملتهم، و الأبرار جمع «برّ» و هو الذى يبرّ اللّه بطاعته إياه.

[١٩۵] رَبَّنا وَ آتِنا أى أعطنا ما وَعَدْتَنا من الخير و السعادة فى الدنيا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۴٣۵

[سورة آل‌عمران (٣): آية ١٩۵]

فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي وَ قاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ (١٩۵)

عَلى لسان رُسُلِكَ و أنبيائك وَ لا تُخْزِنا أى لا تفضحنا يَوْمَ الْقِيامَةِ على رؤوس الأشهاد إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ الذى وعدته للمؤمنين بسعادة الدنيا و خير الآخرة.

[١٩۶] فَاسْتَجابَ لَهُمْ أى لهؤلاء المؤمنين الذين دعوا بالأدعية السابقة رَبُّهُمْ أى لبّى دعوتهم و قبل كلامهم، قائلا: أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ أيها المؤمنون مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى فكل مؤمن محفوظ عمله ليعطى جزاءه بَعْضُكُمْ أيها المؤمنون مِنْ بَعْضٍ فكلكم من جنس واحد فى نصرة بعضكم و لستم كالكافرين الذين ليس بعضهم من بعض بل بعضهم يباين بعضا فلكل فئة منهم لون و صبغة فَالَّذِينَ هاجَرُوا إلى المدينة وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ أخرجهم المشركون من مكة. و الآية عامة لكل مهاجر عن دياره، و مخرج من بلاده وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي لأنهم آمنوا و أطاعوا وَ قاتَلُوا لأجل اللّه سبحانه وَ قُتِلُوا قتلهم الكفار لَأُكَفِّرَنَ أى أمحونّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ فلا آخذهم بها وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أى تحت نخيلها و قصورها- كما تقدم- ثَواباً أى جزاء لهم مِنْ عِنْدِ اللَّهِ على أعمالهم و مشاقهم فى سبيله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۴٣۶

[سورة آل‌عمران (٣): الآيات ١٩۶ الى ١٩٨]

لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩۶) مَتاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهادُ (١٩٧) لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ (١٩٨)

وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ أى الجزاء الحسن، و ليس كغيره ممن لا يقدر و لا يملك الثواب الحسن.

[١٩٧] و هنا يتأمل الإنسان كيف يكون الكفار فى هذه النعمة و الراحة و السياحة و الأسفار و الثمار، و المسلمون مضطهدين يخرجون من بلادهم و يؤذون، مع أن اللّه سبحانه ناصرهم و ظهيرهم؟ و يأتى الجواب: لا يَغُرَّنَّكَ و أصل الغرور إيهام حال السرور فيما الأمر بخلافه، فالمعنى لا يوهمنك يا رسول اللّه أن الكفار فى سرور تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ فإن تقلبهم لا يعود إليهم بنفع.

[١٩٨] فإن ذلك مَتاعٌ قَلِيلٌ أى يتمتعون بذلك فى زمان قليل ثُمَّ مَأْواهُمْ مصيرهم جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهادُ أى ساء ذلك المستقر لهم.

[١٩٩] لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بأن آمنوا و أطاعوا فإنهم و إن كانوا فى أذية و ضغط فعلا لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ الجارية

خالِدِينَ فِيها أبدا لا متاع قليل كمتاع الكفار فى الدنيا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ النزل ما يعدّ للضيف من الكرامة و البرّ و الطعام و الشراب وَ ما عِنْدَ اللَّهِ من الثواب و الكرامة خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ من تقلب الكفار.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٣٧

[سورة آلعمران (٣): الآيات ١٩٩ الى ٢٠٠]

وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (١٩٩) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)

[٢٠٠] ثم يرجع السياق إلى أهل الكتاب الذين تقدّم أنهم يكفرون و يمكرون وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يصدّق بوحدانيته و يعترف بما يعترف به المؤمنون وَ ب ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ من القرآن الحكيم وَ ب ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ بخلاف سائر أهل الكتاب الذين لا يؤمنون بما أنزل إليهم إذ أنهم يحلّون و يحرمون و يخالفون كتابهم فى أحكامه، فى حال كونهم خاشِعِينَ خاضعين لِلَّهِ سبحانه فيما أمر و نهى لا يَشْتَرُونَ بِآياتِ اللَّهِ أى بمقابل آيات اللّه و دلائله و براهينه ثَمَناً قَلِيلًا كما كان يفعل ذلك رؤسائهم الذين كانوا يرتشون و يخفون الكتاب لئلا تزول رئاستهم أُولئِكَ الذين لهم هذه الصفات الخيرة من أهل الكتاب لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يجازيهم بما فعلوا من الخيرات و آمنوا و صدقوا إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ فليس أجرهم بعيدا عنهم فإن أمد الدنيا و لو طال قليل كما قال الشاعر:

ألا إنما الدنيا كمنزل راكب أناخ عشيا و هو فى الصبح يرحل

[٢٠١] و أخيرا يتوجه الخطاب للمؤمنين و تنتهى السورة بهذه العظة البليغة يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا على الإيمان و المكاره وَ صابِرُوا أى غالبوا فى الصبر، و لعل المراد مصابرة الأعداء فكلما صبر الكفار زاد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٣٨

المؤمنون صبرا على صبر أولئك حتى يغلبوا و يأخذوا المعركة وَ رابِطُوا و هو المرابطة فى ثغور المسلمين للتطلّع على أحوال الكفار وَ اتَّقُوا اللَّهَ فى أعمالكم فلا تأتوا بالمعاصى لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أى كى تفوزوا و تنجحوا فى الدنيا و الآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٣٩

۴ سورة النساء مدنية/ آياتها (۱۷۷)

نزلت كلها فى المدينة على المشهور و سميت بهذا الاسم، لأنها بينت كثيرا من حقوق النساء فى الشريعة الإسلامية.

[سورة النساء (٤): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَ نِساءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١)

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ تقدم تفسيرها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٤٠

[سورة النساء (٤): آية ٢]

وَ آتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ وَ لا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً (٢)

[٢] يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ بإطاعة أوامره و نواهيه، و هذه الفاتحة تلائم خاتمة سورة آل عمران حيث قال سبحانه: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ هى نفس آدم أبى البشر عليه السّلام وَ خَلَقَ مِنْها أى من تلك النفس، إما بالخلق من فضلة طينته، أو المراد من جنس تلك النفس زَوْجَها و هى حواء عليها السّلام، فإن هذا الإله الخالق القادر حقيق بالتقوى، و لا يخفى أن ذلك لا ينافى خلق

زوجتين جديدتين لهابيل و قابيل حتى نشأ منهما أبناء عمّ- كما عن الأئمة عليهم السّلام- إذ الكلام فى ابتداء الخلقة وَ بَثَّ أى نشر و فرق مِنْهُما أى من هاتين النفسين رِجالًا كَثِيراً وَ نِساءً و هذا أيضا لا ينافى إذ أصل البث منهما، و لعل عدم ذكر لفظة «كثير» هنا لمعلومية ذلك، أو للتفنن فى العبارة و الذى هو من أساليب البلاغة وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ أى يسأل بعضكم بعضا بسببه فتقولون: أسألك بالله إلّا ما فعلت كذا، و صنعت كذا وَ الْأَرْحامَ أى اتقوا الأرحام، و تقوى اللّه عدم مخالفته، و تقوى الأرحام عدم قطعها، و هذا مناسب لما سبق من خلقهم جميعا من نفس واحدة، فهم متشابكون من أسرة واحدة، فلا ينبغى لبعضكم أن يقطع بعضا إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً يرقب أعمالكم و أقوالكم و نياتكم، فلا تفعلوا ما يوجب سخطه و عذابه و عقابه.

[۳] وَ آتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ أى أعطوا اليتامى الذين فقدوا آباءهم أو أمهاتهم و ورثوا منهم أموالهم التى بأيديكم أيها الأوصياء، أو كل من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۴۱

[سورة النساء (۴): آية ۳]

وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ذلِكَ أَدْنى أَلاَّ تَعُولُوا (۳)

كان مالهم بيده، و المراد عدم أكل أموالهم، و «الإتيان» فى حال صغرهم الصرف عليهم، و فى حال كبرهم إعطاؤهم إياها وَ لا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ أى لا تعطوهم الردىء فى مقابل الجيد كأن تأخذوا أراضيهم الجيدة و تعطوهم أراضى رديئة و هكذا وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ أى بضمها إلى أموالكم بأن تخلطوا بعضها مع بعض و تأكلوها جميعا إِنَّهُ أى أن كل واحد من التبديل و الأكل كانَ حُوباً أى إثما كَبِيراً.

[۴] و قد كانت تحت وصاية الرجل يتيمة فيأخذها طمعا فى مالها، فنهى اللّه عن ذلك بقوله: وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا أى لا تعدلوا فِي الْيَتامى أى لا تعملوا بالعدل فى زواجهن فتظلموهن- بإبقائها معلقة- تريدون بذلك أكل أموالهم بحجة الزواج فَانْكِحُوا غيرهن من ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ فإن اليتيمة لعدم كفيل لها معرضة للظلم و الحيف أما غيرها فليست كذلك، ثم بمناسبته حكم النكاح يمتد الكلام إلى موضوع تعدد الزوجات مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ أى انكحوا اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة، و المراد تزويج نوع الرجل هكذا لا تزويج كل فرد لذلك العدد، إذ لا يجوز تزويج ثلاثة و ثلاثة- مثلا- فى وقت واحد، و ذلك مثل: باع القوم أمتعتهم لأهل البلد، يراد أن ذلك وقع فى الجملة لا أن كل فرد فعل ذلك سواء فى طرف البيع أو الشراء.

و لا يخفى أن خوف عدم القسط لا يوجب حرمة النكاح وضعا بمعنى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۴۲

[سورة النساء (۴): آية ۴]

وَ آتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً (۴)

بطلانه إذا نكح بل النهى عنه تكليفا، و هل هو حرام أو إرشاد احتمالان، كما لا يخفى أن جواز النكاح مثنى و ثلاث و رباع لمن أمن من نفسه و أنه يتمكن من أن يعدل فيما فرض اللّه لهن من الحقوق فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا بينهن فى ما فرض اللّه تعالى فَواحِدَةً و هذا من باب المثال و إلا فمن علم أنه يتمكن أن يعدل بين اثنتين فله أن ينكح اثنتين لا أزيد و هكذا بالنسبة إلى الثلاث.

و هذه الآية لا تنافى قوله تعالى: وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ «۱» إذ المراد بها العدل فى كل شىء حتى الميل القلبى أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ أى اقتصروا على الإماء فإنهن لا يحتجن إلى القسم و نحوه من الحقوق الواجبة على الرجال فى مقابل الحرائر، و الملك نسب إلى اليمين لأن اليد هى الغالبة فى العمل، و اليمنى من اليدين أكثر عملا من اليسرى ذلِكَ الزواج من الواحدة أو الاقتصار على ما ملكت اليمين أَدْنى أقرب أَلَّا تَعُولُوا أى لا تميلوا عن الحق و لا تجوروا.

[۵] وَ آتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَ أی مهورهن نِحْلَةً أی عطیة فإن اللّه سبحانه أعطاها إیاهن فی مقابل الاستمتاع بهن لا علی نحو الابتیاع و نحوه و لعل فی کلمة «نحلة» إشارة إلی تقدیر المرأة و رفعها عن مستوی المعاملة فَإِنْ طِبْنَ لَکُمْ أیها الأزواج

---

(۱) النساء: ۱۳۰.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۴۴۳

[سورة النساء (۴): الآیات ۵ الی ۶]

وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَکُمُ الَّتِی جَعَلَ اللَّهُ لَکُمْ قِیاماً وَ ارْزُقُوهُمْ فِیها وَ اکْسُوهُمْ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً (۵) وَ ابْتَلُوا الْیَتامی حَتَّی إِذا بَلَغُوا النِّکاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَیْهِمْ أَمْوالَهُمْ وَ لا تَأْکُلُوها إِسْرافاً وَ بِداراً أَنْ یَکْبَرُوا وَ مَنْ کانَ غَنِیًّا فَلْیَسْتَعْفِفْ وَ مَنْ کانَ فَقِیراً فَلْیَأْکُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَیْهِمْ أَمْوالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَیْهِمْ وَ کَفی بِاللَّهِ حَسِیباً (۶)

عَنْ شَیْءٍ مِنْهُ أی من المهر نَفْساً تمییز ل «طبن» أی أعطین عن طیب نفس لا بالجبر و الإکراه فَکُلُوهُ هَنِیئاً مَرِیئاً الهنیء الطیب المستساغ، و المریء المحمود العاقبة.

[۶] و لما تقدم الأمر بدفع أموال الأیتام، عقب ذلک بعدم الدفع إلی السفیه وَ لا تُؤْتُوا أی لا تعطوا السُّفَهاءَ أَمْوالَکُمُ و إنما أضاف المال إلیهم لأن المال إنما هو للمجتمع بصورة عامة فإذا دفع إلی السفیه أتلفه و کان نقصا بالنتیجة لمال المجتمع. و لیس المراد بکون المال للمجتمع عدم الملکیة الفردیة بل المراد أن هذا المجموع من الأموال لانتفاع المجموع فإذا تلف منه شیء کان نقصا علی المجموع الَّتِی جَعَلَ اللَّهُ لَکُمْ قِیاماً فإن بالمال یقوم أمر البشر إذ لو لا المال لم تستقم أمور الناس و معایشهم و المعاملة بینهم وَ ارْزُقُوهُمْ فِیها أی فی تلک الأموال، و لعل عدم ذکر «منها» بدل «فیها» مع أنه الأنسب، لإفادة لزوم أن لا یقتطع من المال قطعة ثم قطعة حتی تفنی بل یکون الرزق فی المال بأن یبقی المال علی أصله، و ذلک لا یکون إلا بتدبیره باتجار و نحوه حتی لا ینقص منه وَ اکْسُوهُمْ و ذکر هذین من باب المثال و إلا فاللازم القیام بجمیع نفقاتهم وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً بأن تتلطفوا لهم فی القول، و ذلک لأن الیتیم و السفیه معرضان للمخاشنة و النهر.

[۷] وَ ابْتَلُوا أی امتحنوا الْیَتامی حَتَّی إِذا بَلَغُوا النِّکاحَ أی السنّ الذی یتمکنون من النکاح و المواقعة فیه و هو سن البلوغ الشرعی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۴۴۴

فَإِنْ آنَسْتُمْ أی وجدتم مِنْهُمْ رُشْداً و الرشد عبارة عن تمکّن الشخص من إصلاح أمواله بلا سرف و لا تبذیر و لا سفه فَادْفَعُوا إِلَیْهِمْ أَمْوالَهُمْ المودعة عندکم وَ لا تَأْکُلُوها أی لا تأکلوا أموال الیتامی إِسْرافاً أی زیادة علی قدر أجرتکم فی حفظها فإن الإسراف التعدی عن الحد وَ بِداراً أَنْ یَکْبَرُوا أی لا تأکلوا أموالهم سریعا من جهة خوف أن یکبروا فیأخذوها منکم فقد کان بعض الأولیاء یتلف مال الیتیم قبل أن یکبر حتی إذا کبر قال له: أنفقته علیک وَ مَنْ کانَ من الأولیاء غَنِیًّا یجد مؤونة سنة کاملة فَلْیَسْتَعْفِفْ یقال: استعفف من الشیء إذا امتنع منه، و المعنی: أن الولی الغنی لا یأخذ شیئا لنفسه من مال الیتیم بعنوان الأجرة و العوض وَ مَنْ کانَ من الأولیاء فَقِیراً لا یملک مؤونته لا قوة و لا فعلا فله الحق فی أن یأکل من مال الیتیم بِالْمَعْرُوفِ الذی هو قدر أجرته علی حفظ أمواله لا أزید من ذلک فَإِذا دَفَعْتُمْ أیها الأولیاء إِلَیْهِمْ أی إلی الأیتام الذین بلغوا و رشدوا أَمْوالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَیْهِمْ حتی لا ینکروا فی المستقبل فإن الشهود حینئذ یکونون فی جانبکم لدی الإنکار وَ کَفی بِاللَّهِ حَسِیباً أی محاسبا و شاهدا، فارقبوه فی أعمالکم، فإنه یعلم ما تفعلونه بأموال الأیتام.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۴۴۵

[سورة النساء (۴): الآیات ۷ الی ۹]

لِلرِّجالِ نَصِیبٌ مِمَّا تَرَکَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّساءِ نَصِیبٌ مِمَّا تَرَکَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ کَثُرَ نَصِیباً مَفْرُوضاً (۷) وَ إِذا

حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً (٨) وَ لْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَ لْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٩)

[٨] و قد كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات، فكان الولى يدفع المال كله إلى أولاد الميت دون بناته فنهى اللّه عن ذلك بقوله: لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ أى أقرباء الرجال، فلا يعطى الرجل أكثر من حظه و نصيبه وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ فلا تحرم من نصيبها كما لا تعطى أكثر من حصتها مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أى مما ترك أَوْ كَثُرَ فالمهم أن يعطى كل واحد نصيبه على أن لا يكون ما يعطى كثيرا أو قليلا نَصِيباً مَفْرُوضاً فرضه اللّه سبحانه و أوجبه فلا يزاد عليه و لا ينقص منه.

[٩] وَ إِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أى شهد وقت قسمة التركة أُولُوا الْقُرْبى أقرباء الميت الذين لا يرثون وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينُ من غير أقربائه فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ أى أعطوهم شيئا من المال الموروث وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً حسنا غير خشن حتى يطيب خاطرهم و يجبر كسر عدم إرثهم و كسر يتمهم و مسكنتهم.

[١٠] ثم بيّن سبحانه أن من يأكل مال اليتيم أو يظلمه لا بد و أن يفعل ذلك بذريته اليتامى من بعده وَ لْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۴۴۶

[سورة النساء (۴): آية ١٠]

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً (١٠)

أى يجب أن يخاف ولى اليتيم من أكل ماله فإن الولى لو خلف يتيما من بعده كيف يخاف أولياء يتيمه أن يأكلوا أمواله كذلك فليجتنب هو عن ذلك، و الحاصل أن من كان فى حجره يتيم فليفعل به ما يحب أن يفعل بذريته. و لا يرد على هذا المعنى أنه كيف يزر وازرة وزر أخرى، إذ الجواب أن معنى ذلك أن اللّه سبحانه لا يرعى يتيمه حتى لا يقع فى مخالب أولياء ظلمة، بل يتركهم يفعلون به ما فعل أبوه بأيتام الناس، و هكذا يفسّر ما ورد من عقوبة الأبناء بفعل الآباء، و «ضعاف» جمع ضعيف فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ فى أمر الأيتام فلا يأكلوا أموالهم و لا يؤذوهم وَ لْيَقُولُوا للأيتام قَوْلًا سَدِيداً صحيحا موافقا للعدل و الشرع، فلا ينهروا الأيتام و لا يخشنوا معهم فى الكلام كما جرت عادة كثير من الأولياء.

[١١] ثم هددهم سبحانه بعذاب الآخرة بقوله: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً بلا مبرّر و استحقاق و القيد توضيحى، لإفادة أن أكل أموالهم ظلم و جور إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ أى يملئون بطونهم ناراً فإن مال اليتيم ينقلب نارا وَ سَيَصْلَوْنَ يقال: صلى الأمر إذا قاسى شدته و حرّه سَعِيراً أى نارا مسعّرة مؤجّجة، و الأكل فى الآية كناية عن التصرف فى المال و لو كان مثل الدار و اللباس فإن الأكل يستعمل بهذا المعنى كثيرا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۴۴۷

[سورة النساء (۴): آية ١١]

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ وَ إِنْ كانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَرِثَهُ أَبَواهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِها أَوْ دَيْنٍ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (١١)

[١٢] يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ و الوصية منه سبحانه فرض، كما قال سبحانه: وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ «١» و معنى «فى أولادكم» أى فى ميراث أولادكم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فإن الابن يرث ضعف البنت و قد كان هذا التقدير دقيقا جدا حيث أن كلفة الرجل أكثر من كلفة البنت لوجوب نفقة المرأة على الرجل غالبا و فى كثير من الأحيان هو يقوم بالنفقة و إن لم تجب عليه فَإِنْ كُنَّ المتروكات الوارثات للميت نِساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ أى اثنتين فما فوقها، فإن ذلك يعبر غالبا بمثل هذه العبارة، يقال: من

له فوق العشرة یؤخذ منه و من له دونها لا یؤخذ منه، یراد العشرة فما فوقها فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَکَ فإذا کان للمیت بنتان فما فوقهما و کان هناک وارث آخر فی طبقتهن کالأم و الأب کان لهن الثلثان و البقیة لسائر الورثة وَ إِنْ کانَتْ واحِدَةً أی أولاد المیت منحصرة فی بنت واحدة فَلَهَا النِّصْفُ من الترکة وَ لِأَبَوَیْهِ أی الأب و الأم للمیت اللذین اجتمعا مع الأولاد لِکُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فنصیب کلیهما الثلث مِمَّا تَرَکَ المیت إِنْ کانَ لَهُ أی للمیت وَلَدٌ سواء کان الولد واحدا أو

---

(۱) الأنعام: ۱۵۲.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۴۴۸

متعددا، ذکرا أو أنثی، أو بالاختلاف. و أما تفصیل میراثهم فموکول إلی کتب الفقه «۱» فَإِنْ لَمْ یَکُنْ لَهُ أی للمیت وَلَدٌ لا صلبیا و لا حفیدا وَ وَرِثَهُ أَبَواهُ الأب و الأم للمیت فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ و الثلثان الباقیان للأب فَإِنْ کانَ لَهُ أی للمیت الذی خلف الأبوین بدون الأولاد إِخْوَةٌ من الأبوین أو الأب، و المراد بالأخوة اثنین فما فوق، و الأختان تقومان مقام الأخ، فلو کان للمیت أب و أم و أخوان أو أخ و أختان أو أربع أخوات، فما فوق فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ و ذلک لأن الأخوة یمنعون الأم عن السدس و یوفرونه للأب فلا ترث الأم الثلث مع وجود الأخوة. و تقسیم الترکة هکذا إنما هو مِنْ بَعْدِ إنفاذ وَصِیَّةٍ یُوصِی بِها المیت أَوْ دَیْنٍ علی المیت، فأولا یؤخذ الدین من الترکة ثم تنفذ الوصیة من الترکة- إلی حد الثلث- ثم یقسم الباقی بین الورثة کما ذکر، فلو کان للمیت عشرة دنانیر، و کان علیه دین قدره أربعة دنانیر، و وصّی بالإنفاق فی الخیرات، مقدار ثلثه، کان للوارث مقدار أربعة دنانیر فقط، لأن أربعة خرجت دینا، و دینارین ثلثا، فلم یبق إلا أربعة آباؤُکُمْ وَ أَبْناؤُکُمْ لا تَدْرُونَ أَیُّهُمْ أَقْرَبُ لَکُمْ نَفْعاً فلا تمیلوا إلی توریث الآباء أکثر من الأبناء بظن أنهم أحق من جهة الأبوة و لا إلی العکس بظن أنهم أحق من جهة الضعف الفطری الموجود فی الأبناء

---

(۱) موسوعة الفقه: ج ۸۲ و ۸۳.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۴۴۹

[سورة النساء (۴): آیة ۱۲]

وَ لَکُمْ نِصْفُ ما تَرَکَ أَزْواجُکُمْ إِنْ لَمْ یَکُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ کانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَکُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَکْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ یُوصِینَ بِها أَوْ دَیْنٍ وَ لَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَکْتُمْ إِنْ لَمْ یَکُنْ لَکُمْ وَلَدٌ فَإِنْ کانَ لَکُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَکْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ تُوصُونَ بِها أَوْ دَیْنٍ وَ إِنْ کانَ رَجُلٌ یُورَثُ کَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِکُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ کانُوا أَکْثَرَ مِنْ ذلِکَ فَهُمْ شُرَکاءُ فِی الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ یُوصی بِها أَوْ دَیْنٍ غَیْرَ مُضَارٍّ وَصِیَّةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَلِیمٌ (۱۲)

فإنکم لا تعلمون أیهم أقرب نفعا، و اللّه الذی هو یعلم الأشیاء یقرر الحق کما تقدم فلا تخالفوا تحدیده فی أنصبة المیراث جریا وراء العاطفة و الأوهام، فإنکم لا تعلمون أنکم بأیهما أسعد فی الدنیا و الآخرة فَرِیضَةً مِنَ اللَّهِ أی فرض اللّه هذه الأنصبة فریضة واجبة إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلِیماً حَکِیماً فهو عالم بالمصالح حکیم فیما یفعل و یقرر.

[۱۳] وَ لَکُمْ أیها الأزواج نِصْفُ ما تَرَکَ أَزْواجُکُمْ أی زوجاتکم، فإن ماتت زوجة أحدکم فللزوج النصف إِنْ لَمْ یَکُنْ لَهُنَ أی للزوجات وَلَدٌ سواء کان من هذا الزوج أو من غیره فَإِنْ کانَ لَهُنَّ وَلَدٌ واحد أو متعدد فَلَکُمُ أیها الأزواج الرُّبُعُ مِمَّا تَرَکْنَ من میراثهن مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ یُوصِینَ بِها أَوْ دَیْنٍ فأولا یخرج الدین ثم تخرج الوصیة إلی حد الثلث ثم تقسّم الترکة فللزوج الربع و البقیة للأولاد وَ لَهُنَ أی للزوجة التی بقیت بعد وفاة زوجها الرُّبُعُ مِمَّا تَرَکْتُمْ من المیراث إِنْ لَمْ یَکُنْ لَکُمْ أیها الأزواج وَلَدٌ و قد دلت الشریعة أن الزوجة لا ترث من الأرض فَإِنْ کانَ لَکُمْ وَلَدٌ واحد أو متعدد،

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۴۵۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ۱ ۴۹۹

ذكر أو أنثى، من تلك الزوجة الباقية أو من غيرها فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم من الميراث مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِها أيها الأزواج أَوْ دَيْنٍ و لعل تقديم الوصية فى الآيات- مع أن الدين مقدم فى الإخراج- أن الغالب وجود الوصية بخلاف الدين. وَ إِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً الكلالـة هم: الأخوة سواء كانوا من الأب أو الأبوين أو الأم، و المعنى أنه إن كان الوارث كلالـة بأن لم تكن المرتبـة الأولى موجودة، فإن الأبوين و الأولاد فى المرتبة الأولى، و الأخوة و الأجداد فى المرتبـة الثانيـة، و الأعمام و الأخوال و العمات و الخالات فى المرتبة الثالثة، و الزوجان يرثان مع كل مرتبة. و «كلالة» فى الإعراب منصوب على الحالية، فالمعنى إن وجد رجل يرثه قريب له فى حال كون ذلـك القريب كلالـة له أَوْ إن كـان امْرَأَةٌ تورث كلالـة، أى وجـدت امرأة يرثهـا قريب لهـا فى حال كون ذلك القريب كلالـة لها، و الحاصل أنه لو مات رجل أو امرأة وَ لَهُ أى لكل واحـد من الرجل و المرأة الـذين ماتا أَخٌ أَوْ أُخْتٌ و المراد هنا كلالة الأمّى خاصة بأن كـان الوارث شـريكا مع الميت فى الأم فقط، بأن بقى أخوه أو أخته الأميان فَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ من تركـة الميت فَإِنْ كانُوا أى كانت الكلالة أَكْثَرَ مِنْ ذلِكَ الواحد، بأن كانت الكلالة اثنين فصاعدا فَهُمْ شُرَكاءُ فِي الثُّلُثِ يقسمونه بينهم بالسوية فإن الكلالة الأمى يرثون متساوين،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۵۱

[سورة النساء (۴): آية ۱۳]

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۱۳)

للـذكر مثل حظ الأنثى مِنْ بَعْـدِ وَصِـيَّةٍ يُوصـى بِها من قبل الميت أَوْ دَيْنٍ فإن الدين و الوصـية يخرجان من المال ثم يعطى للواحد من الكلالـة السـدس و للاثنين فصاعدا الثلث غَيْرَ مُضَارٍّ أى لا يضار الكلالة بأن يحرموه من الثلث، أو يكون المعنى: إنما تنفذ الوصـية إذا كـان الموصـى غير مضـار بـأن لم يوصـى بـأكثر من الثلث و إلاـ لم تنفـذ الوصـية فيما زاد على الثلث وَصِـيَّةً مِنَ اللَّهِ أى هـذه الأنصـبة يوصـيكم اللّه بها وصـية وَ اللَّهُ عَلِيمٌ فيقدر الأنصـبة حسب ما يعلم من المصالح حَلِيمٌ لا يعاجل العصاة بالعقوبة فمن خالفه فى الإرث و لم ير عقوبة عاجلة فذلك لحلمه سبحانه فلا يغرّه ذلك.

[۱۴] تِلْكَ التى بيّنت فى أمر الإرث حُدُودُ اللَّهِ أى الحدود التى جعلها اللّه سبحانه لمقادير الإرث فلا يجوز التجاوز عنها وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ بتطبيق أوامرهمـا و الاجتنـاب عـن مخالفتهمـا يُدْخِلْهُ اللّه سـبحانه جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهـارُ أى من تحت قصورهـا و أشـجارها خالِدِينَ فِيهـا فلاـ زوال لهم عنها بالموت أو الإخراج أو ما أشـبه وَ ذلِكَ أى نيل الجنـة و الخلود فيها الْفَوْزُ و الفلاح الْعَظِيمُ الذى لا يماثله شيء فلا يحسب أحد أن الفوز ببعض التركة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۵۲

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۴ الى ۱۵]

وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها وَ لَهُ عَذابٌ مُهِينٌ (۱۴) وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً (۱۵)

ظلما شيء يعتدّ به فإنه لا فوز كفوز الجنة الدائمة.

[۱۵] وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ بمخالفـة أوامرهما و ارتكاب نواهيهما وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ فيتجاوز ما حـدّ له من الطاعات يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيهـا أى دائمـا. و من المعلوم أن ذلـك لمن خالف جميع الأوامر لا بعضـها التى دل الـدليل على عـدم خلوده، و لعل عموم «حـدوده» حيث أنه جمع مضاف، يدل على ذلك وَ لَهُ عَذابٌ مُهِينٌ فيهان فى العذاب حتى يجتمع عليه عذاب الروح و عذاب الجسد.

[۱۶] و حيث بيّن سـبحانه حكم الرجال و النساء فى باب النكاح و الميراث بيّن حكم الحـدود فيهن إذا ارتكبن الحرام فقال سـبحانه: وَ اللَّاتِي جمع «التى» أى النساء اللاتى يَأْتِينَ الْفاحِشَـةَ أى الزنا، و إنما سـميت بالفاحشـة لأنه أمر يفحش و يتجاوز الحد مِنْ نِسائِكُمْ سواء

كنّ ذوات أزواج أو لا فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ أى اطلبوا شهادة أربعة رجال رأوا الزنا كالميل فى المكحلة فَإِنْ شَهِدُوا أربعة عدول على ذلك فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ أى فاحبسوهن فيها. و قد كان ذلك حكم الإسلام بالنسبة إلى الزانية ابتداء حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۵۳

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۶ الى ۱۷]

وَ الَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما فَإِنْ تابا وَ أَصْلَحا فَأَعْرِضُوا عَنْهُما إِنَّ اللَّهَ كانَ تَوَّاباً رَحِيماً (۱۶) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (۱۷)

أى حتى تموت أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا أى يجعل لهن أمرا آخر غير الحبس. و قد نزلت آية الحدود و هى قوله تعالى: الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ «۱» فارتفع حكم الحبس فى البيت. و ما ورد فى الأخبار من أن آية الحد ناسخة لآية الحبس، يراد به أن حكم الحبس ارتفع لانقضاء أمده، لأنه كان مؤقتا بجعل السبيل.

[۱۷] وَ الَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ لعل المراد ب «اللذان» اللائط و الملوط به فالضمير يرجع إلى الفاحشة لا بمعناها الأول بل بالمعنى المنطبق، أما تفسيره بالزانيين- فإن لم يرد بذلك حديث عن المعصوم عليه السّلام- فبعيد.

فَآذُوهُما الأذية أعم من الحد فلا حاجة إلى القول بنسخ الحكم- إن لم يرد بذلك حديث معتبر- فَإِنْ تابا من فعلهما وَ أَصْلَحا و المراد بالإصلاح الإتيان بالأعمال الصالحة فَأَعْرِضُوا عَنْهُما و لا تتعرضوا لهما بسوء إِنَّ اللَّهَ كانَ تَوَّاباً رَحِيماً.

[۱۸] ثم بيّن سبحانه ممن تقبل التوبة و ممن لا تقبل؟ لمناسبة قوله: «فإن تابا» فقال: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ أى أن قبول التوبة حق عليه سبحانه- جعله على نفسه- أو المراد توبة اللّه أى رجوعه عن المعاصى، فإن كلّا من اللّه و العبد توّاب بمعنى راجع إلى الآخر، فإن رجوع العبد بمعنى إقلاعه عن الذنب و رجوع اللّه بمعنى لطفه و إحسانه

---

(۱) النور: ۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۵۴

[سورة النساء (۴): آية ۱۸]

وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَ لا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (۱۸)

و إعادة نظره إلى العبد لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ العمل المحرّم بِجَهالَةٍ الظاهر أنه ليس المراد بالجهالة الجهل مقابل العلم، بل المراد مطلق العصيان، فإنها و إن صدرت عن عمد، لكن حيث أنها يدعو إليها الجهل بما يترتب عليه الذنب، يصح أن يقال: أنها عن جهل، و ليس القيد احترازيا حتى يقال: فما هو السوء بغير جهالة؟ بل فائدته أن السوء لا يصدر إلا عن جهل ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ قبل أن يروا علائم الموت فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يرجع عليهم بمحو ذنوبهم و إعادة لطفه عليهم وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً بمصالح العباد فيحكم بمقتضى علمه حَكِيماً يضع الأشياء فى مواضعها حسب ما تقتضيه الحكمة.

[۱۹] وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ المقبولة النافعة لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ المعاصى، و إنما سميت سيئة لأنها تسىء إلى صاحبها حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ بأن رأى آثاره من مشاهدة ملك الموت و نحوه قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ فإنها توبة المضطر الذى يريد الخلاص من العقاب لا توبة النادم المطيع، كما قال سبحانه فى قصة فرعون:

آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ «۱»

---

(۱) يونس: ۹۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۵۵

[سورة النساء (۴): آية ۱۹]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَ عاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً (۱۹)

وَ لَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ فقد انقطعت الحياة التى هى محل العمل و جاءت دار الحساب التى فيها حساب و لا عمل أُولئِكَ الطائفتان أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً أى هيّأنا لهم عذابا يؤلمهم بسبب ما فعلوا من المعصية، و لا يخفى أنه بالنسبة إلى من عمل السيئات حتى جاءه الموت لا يكون العصيان سببا موجبا للعقاب، فإن ذلك معلق بعدم الشفاعة و العفو.

[۲۰] ثم انتقل السياق إلى حكم آخر من الأحكام المرتبطة بالعائلة، و هو حكم المهر، فقال سبحانه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا و الحكم و إن كان عاما للمؤمن و غير المؤمن لكن الإصغاء حيث كان خاصا بالمؤمنين توجه الخطاب إليهم لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً فقد كان أهل الجاهلية إذا مات بعض ذويهم حبسوا زوجته حتى تموت عندهم و يرثونها أى يأخذون ميراثها و لم تكن المرأة تريد ذلك بل تريد الزواج من رجل آخر فيمنعونها عن ذلك وَ لا تَعْضُلُوهُنَ العضل: هو إمساك المرأة فى البيت دون تزويج، فإنه لغة بمعنى المنع لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَ فقد كان أهل الجاهلية إذا لم يرغبوا فى زوجاتهم لم يطلقوهن و تركوهن و منعوهن عن الزواج حتى تفتدى ببعض مهرها أو سائر أموالها إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ أى بمعصية ظاهرة من زنا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۵۶

[سورة النساء (۴): آية ۲۰]

وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً (۲۰)

أو غيره فإنه يحق حينئذ لكم أن تضيقوا عليهن حتى يفتدين ببعض ما آتيتموهن وَ عاشِرُوهُنَ أى عاشروا النساء- مطلقا- بِالْمَعْرُوفِ الذى يعرفه أهل العقل و الدين فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَ فلا تعجلوا بالطلاق فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً من ائتلاف و حب فى المستقبل، أو أولاد صالحين، أو نحو ذلك. فإنه كثيرا ما تقع نفرة بين الزوجين و تنتهى بوئام و سلام و وداد و حب و ألفة.

[۲۱] وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ بأن أردتم طلاق امرأة و أخذ امرأة أخرى مكانها وَ آتَيْتُمْ أى أعطيتم من باب المهر إِحْداهُنَ و هى المرأة السابقة قِنْطاراً ملء جلد ثور ذهبا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أى من ذلك المعطى لها مهرا، فقد كان الرجل فى الجاهلية إذا أراد طلاق امرأة و أخذ أخرى مكانها ضيّق على زوجته الأولى أو بهتها بفاحشة حتى يجبرها أن تفتدى نفسها فيجعل فداءها مهرا للزوجة الثانية أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً هو مصدر فى مكان الحال، و هذا استفهام استنكارى، أى هل تأخذون بعض مالها بالبهتان؟! وَ إِثْماً مُبِيناً أى بالإثم الواضح.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۵۷

[سورة النساء (۴): الآيات ۲۱ الى ۲۳]

وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً (۲۱) وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ مَقْتاً وَ ساءَ سَبِيلاً (۲۲) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَ بَناتُكُمْ وَ أَخَواتُكُمْ وَ عَمَّاتُكُمْ وَ خالاتُكُمْ وَ بَناتُ الْأَخِ وَ بَناتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَ أَخَواتُكُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ وَ أُمَّهاتُ نِسائِكُمْ وَ رَبائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ وَ حَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (۲۳)

[۲۲] وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ تعجّب من أخذ بعض مهر المرأة بهذا النحو المشين وَ قَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ هو كناية عن الجماع، أى و

الحال أنكم اقتربتم منهن فذهب المهر لما حصلتم عليه من البضع، و الإفضاء هو الوصول إلى شيء بالملامسة وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً و الميثاق هو العهد الذى أخذته الزوجة من الزوج بالعقد لأن العقد معناه مقابلة المهر بما تستحل من نفسها له، و قد كان لازم العقد الإمساك بالمعروف أو التسريح بالإحسان.

[۲۳] وَ لا تَنْكِحُوا أيها المؤمنون ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ فقد كان أهل الجاهلية ينكحون زوجات آبائهم بعد وفاتهم، فنهى اللّه سبحانه عن ذلك سواء دخل الأب بها أم لا إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ قبل إسلامكم فلا تؤاخذون بذلك الذنب، فإن الإسلام يجبّ ما قبله، يعنى أن ذنب أخذكم نساء آبائكم قبل الإسلام معفوّ عنه إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً أى زنا فإن زوجة الأب من محارم الابن فمقاربتها زنا وَ مَقْتاً أى موجبا لمقت اللّه و غضبه وَ ساءَ سَبِيلًا فإنه سبيل الكفار و العصاة.

[۲۴] ثم ذكر سبحانه سائر أصناف المحرمات من النساء، و من المعلوم أن التحريم يقوم بالطرفين فكما تحرم المرأة على الرجل كذلك يحرم الرجل على المرأة، و قد كانت هذه المحرمات، محللات عند بعض

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۵۸

الناس كالمجوس، و لذا صرح القرآن الكريم بتحريمها، فقال:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ و هى كل امرأة يرجع نسبك إليها بالولادة كالأم و الجدة من الطرفين وَ بَناتُكُمْ و هى كل امرأة يرجع نسبها إليك بالولادة بنتا أو بنت أولادك الذكور أو الإناث وَ أَخَواتُكُمْ و هن اللاتى جمعك و إياهن رحم أمّ أو صلب ذكر وَ عَمَّاتُكُمْ و هن أخوات لذكر يرجع نسبك إليه من طرف الأب، كأخت الأب و أخت الجد الأبى، أو من طرف الأم كعمة الأم التى هى أخت لأب الأم وَ خالاتُكُمْ و هنّ اللاتى يكن أخوات لأنثى يرجع نسبك إليها من طرف الأم كأخت الأم و أخت الجدة الأمية، أو من طرف الأب كأخت أم الأب التى هى خالة أبيك وَ بَناتُ الْأَخِ بلا واسطة أو مع الواسطة كحفيدة الأخ وَ بَناتُ الْأُخْتِ بلا واسطة أو مع الواسطة كحفيدة الأخت. و هذه السبعة هى أصناف المحرمات بالنسب.

ثم بين سبحانه المحرمات بالسبب فقال: وَ أُمَّهاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ بلا واسطة كأمك بالرضاع، أو مع الواسطة كالأم بالرضاع للأب، و الأم بالرضاع للأم و هكذا وَ أَخَواتُكُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ و لم يذكر الأصناف الأخرى من المحرمات بالرضاع كالعمة و الخالة، إما لفهم ذلك من السياق أو لدخولهن فى «أخواتكم» فإن العمة أخت الأب و الخالة أخت الأم، و إذا تحققت حرمة الأخت تحققت حرمة بنت الأخ و بنت الأخت.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۵۹

وَ أُمَّهاتُ نِسائِكُمْ أم الزوجة مباشرة كانت أو لا، كأم أب الزوجة، و أم أم الزوجة، و حيث أطلق سبحانه، تبيّن أنه بمجرد العقد على المرأة تحرم أمها سواء دخل بالزوجة أو لا وَ رَبائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ الربائب: جمع «ربيبة» و هى بنت زوجة الرجل من غيره سواء كانت قبل هذا الزوج أم بعد هذا الزوج، و قيد «اللاتى» للغلبة فإن الغالب أن الرجل إذا تزوج بامرأة لها بنت رباها فى حجره، و الحجور جمع حجر. ثم إنه لا فرق فى الربيبة بين أن تكون بلا واسطة كبنت الزوجة، أم مع الواسطة كبنت الربيبة، أو بنت ابنها، أو أخت بنتها مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَ أى حصل منكم جماع لهن، فإن الربيبة لا تحرم بمجرد العقد على أمها، و إنما تحرم لو دخل بأمها، فلو تزوج بامرأة و لم يدخل بها، ثم فارقها بطلاق أو فسخ أو انقضاء مدة فى العدة أو نحو ذلك، حل له أن يأخذ ربيبتها. و هذا هو الفارق بين «أم المرأة» و بين «بنت المرأة» فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فى نكاح بناتهن، بعد خروج الأمهات عن حبالتكم وَ حَلائِلُ أَبْنائِكُمُ حلائل: جمع حليلة، و هى الزوجة، أى زوجات أبنائكم، سواء كان الابن بلا واسطة، أو مع الواسطة كابن الابن، و ابن البنت الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ و ذلك مقابل «الدعى» و هو من يتبناه الإنسان،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۶۰

فإنه لا يحرم على الأب المتبنى زوجة الابن الذى تبناه، لقوله سبحانه:

وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ «۱» أما الابن الرضاعی فإنه بمنزلة الابن النسبی
لقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «الرضاع لحمة كلحمة النسب»
«۲».
وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ أی يحرم الجمع بين الأختين بأن تكونا فی حبالته معا، و يجوز أخذ واحدة ثم إخراجها عن حبالته و نكاح الأخرى إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ فإن أعمالكم فی الجاهلية بالنسبة إلی نكاح المحرمات غير مؤاخذين عليها فی الإسلام، لأن الإسلام يجبّ ما قبله إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً يغفر ذنوبكم السابقة رَحِيماً يرحم بكم فلا يجازيكم بسيئاتكم.

---

(۱) الأحزاب: ۵.

(۲) الوسيلة إلی نيل الفضيلة: ص ۳۰۱.

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۴۶۱

تقريب القران الی الأذهان الجزء الخامس سورة النساء من آية (۲۵) الی (۱۴۸)

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۴۶۲

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام علی أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفی و عترته الطاهرين

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۴۶۳

[سورة النساء (۴): آية ۲۴]

وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (۲۴)

[۲۵] وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ أی النساء اللاتی أحصنّ بالأزواج، أی حرمت عليكم النساء ذوات الأزواج، يقال: أحصن الرجل زوجته، أی حفظها من الفجور إِلَّا ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ و هن الإماء ذوات الأزواج التی يسبيهن المسلمون، فإن السبی يقطع عصمتهن بأزواجهن الكفار و يحل للمسلم إيقاعهن كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أی كتب اللّه- تحريم النساء المذكورات- عليكم كتابا، فهو منصوب علی المصدر بفعل محذوف وَ أُحِلَّ لَكُمْ أيها المؤمنون ما وَراءَ ذلِكُمْ المذكور فإن كل امرأة لا يقع عليها أحد العناوين المذكورة سابقا قريبة كانت أو لا- فهی محللة علی الشخص أن يتزوجها أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ أی تطلبوا بأموالكم- التی تجعلونها مهرا لهن- نكاحهن فی حال كونهم مُحْصِنِينَ أی تحصنون إياهن بالزواج غَيْرَ مُسافِحِينَ السفاح هو الزنا، بأن لا تبتغوا بالأموال السفاح كما يفعله الزانون حيث يسافحون بالنساء فی مقابل المال، ففی ما وراء ذلك التحريم المتقدم حلال أن تبتغوا النساء بالمال لكن من طريق الزواج لا عن طريق السفاح فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ «ما» موصولة يراد بها المرأة، و الضمير فی «به» عائد إلی «ما» أی النساء اللاتی استمتعتم بهن مِنْهُنَّ أی من النساء، و هذا بيان «ما» و المراد الاستمتاع طلب المتعة أی اللذة فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ أی: فالنساء اللاتی استمتعتم بهن من طريق الإحصان و الزواج يجب

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۴۶۴

عليكم إعطاؤهن أجورهن. و هذه الآية وردت فی نكاح المتعة، و المعبّر عنه بالنكاح المنقطع، كما ورد بذلك الروايات «۱»، و الفرق بينه و بين الدائم أنه محدّد بمدة طالت أو قصرت، فإذا انتهی أمده انفسخ من نفسه، بخلاف الدائم الذی يحتاج فسخه إلی الطلاق أو نحوه، و يؤيد كون الآية فی النكاح المنقطع لا الدائم، ذكر كلمة الاستمتاع التی هی ظاهرة فی المتعة، و ذكر الأجور فإن المنصرف من الأجر ما يعطی لقاء الاستمتاع لا النكاح الدائم، و لا ينافی أن يكون السابق علی هذه الجملة عاما يشمل الدائم و المنقطع، و هذه الجملة خاصة للمنقطع، فإنه كثيرا ما يذكر الخاص بعد العام، فالمنقطع مصداق من مصاديق «مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ» و فی ذلك فائدة

لطيفة، حيث تنبّه الآية على عدم الاحتياج إلى الزنا و الحال أن النكاح المنقطع بمكان من الإمكان فَرِيضَةً أى فرضت و وجبت الأجور فريضة فلا يجوز للرجل عدم إعطاء الأجور للمستمتع بها.

وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ أيها المستمتعون فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ أى فى المقدار الذى تراضيتم به مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ أى المقدار السابق من المهر، فإذا تراضيتم بزيادة المدة بعقد جديد أو إنقاصها بالهبة، بزيادة المهر أو نقصانه جاز لكما ذلك، و الحاصل أن ما تبانيا عليه سابقا فريضة، لا يجوز العدول عنها إلا برضا جديد إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً بالمصالح حَكِيماً فيما شرع من الأحكام، التى منها المتعة التى تفيد

---

(١) الكافى: ج ٥ ص ۴۴۹ ج ۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ۴۶۵

[سورة النساء (۴): آية ۲۵]

وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ الْمُؤْمِناتِ فَمِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمِناتِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَناتٍ غَيْرَ مُسافِحاتٍ وَ لا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ فَإِذا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ مِنَ الْعَذابِ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۵)

المسافرين و الغرباء و من لا يتمكن من الدائم، فإن ذلك وقاية للمجتمع من فتح أبواب الزنا و السفاح و اللواط و السحق و ما أشبه إذا ما سد باب المتعة.

[۲۶] وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ أيها المسلمون طَوْلًا أى من جهة الغنى و الثروة، بأن لم يكن له مال يكفيه أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ أى الحرائر الْمُؤْمِناتِ و إنما قيل لهن محصنات لإحصانهن أنفسهن عن البغاء كما قال سبحانه: وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها «١» فالمرأة العفيفة «محصنة» بالكسر، و «محصنة» بالفتح، بالاعتبارين، و المعنى:

أن الرجل لو كان فقيرا لا يقدر على مهر الحرة و نفقتها فلينكح مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ينكح أمة ملكتها يمين أخيه المسلم مِنْ فَتَياتِكُمُ جمع فتاة و هى المرأة الشابة، و المراد بها هنا الأمة،

فقد ورد «أن الرسول نهى- تنزيها- أن يقول أحد: عبدى و أمتى بل يقول: فتاى و فتاتى»

«٢» جبرا لخاطرهما الْمُؤْمِناتِ فإن مهر الأمة أقل و تكاليفها أيسر وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِكُمْ فليس المراد التنقيب عن حقيقة إيمان الأمة المراد تزوّجها بل يكفى الظاهر، أما الإيمان الراسخ القلبى فليس إلى ذلك سبيل بل اللّه أعلم به.

---

(١) التحريم: ١٣.

(٢) كنز العمال: ج ٣ ص ۶۵۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ۴۶۶

بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فليس الرجل الحر بأعلى إيمانا من الأمة المؤمنة بل المؤمنون سواء كانوا أحرارا أو عبيدا أمّة واحدة بعضهم من بعض، من طبقة أعلى من طبقة الآخرين، و إنما شرعت أحكام العبيد و الإماء لمصالح خاصة، كما شرعت أحكام الرجال و النساء مختلفة لمصالح خاصة فَانْكِحُوهُنَ أى تزوجوا بالفتيات المؤمنات بِإِذْنِ أَهْلِهِنَ أى سادتهن و مواليهن فإنه لا يجوز نكاحهن بدون رضى السادة وَ آتُوهُنَ أى أعطوا الفتيات المؤمنات أُجُورَهُنَ أى مهورهن، و إعطاء الفتيات لا يراد به إلا الدفع إلى تلك الجهة، و إن كان المولى يستحق المهر بِالْمَعْرُوفِ من دون عطل و إضرار، و ليكن نكاحكم إياهن بإذن أهلهن فى حال كونهن مُحْصَناتٍ عفيفات غَيْرَ مُسافِحاتٍ أى غير زانيات، و إنما قيد بذلك لأن «النكاح» يطلق على الوطء، كما يطلق على العقد الشرعى، قال سبحانه: الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَ الزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ «١» أى لا يزنى بها، و لا تزنى به، و قد كان فى الجاهلية من يجبر إمائه

على الزنـا، فكـان نكاحـا- أی جماعـا- بأجر، بإذن الأهل كما قال سـبحانه: وَ لا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً «۲» و لعل ذلك لمقابلة قوله سبحانه بالنسبة إلى الحرائر: «محصنين غير مسافحين».

---

(۱) النور: ۴.

(۲) النور: ۳۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۴۶۷

وَ لا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ أی لتكن الفتاة عفيفة غير متخذة لصديق، فإن الأخدان جمع خدن و هو الصديق، و الحاصل أن تكون الأمة التی تريـدون الزواج بها غير زانيـة و لا صديقـة لأحـد، و قـد كنّ بعض الإماء فی الجاهليـة كـذلك، فنهی اللّه سـبحانه عن التزوّج بهن فَإِذا أُحْصِنَ أی تزوجن فأحصـنهن أزواجهن فَإِنْ أَتَيْنَ بِفاحِشَةٍ أی بالزنا فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ مِنَ الْعَذابِ أی إن حدّهن نصف حدّ الحرة الزانية و هو خمسون جلدة، و قد كان من حكمة الإسـلام أن جعل المحاربين مع المسـلمين- إذا غلبوا عليهم- عبيدا و إماء، لا أن يقتل الجميع أو يسجنهم، ثم جعل العبودية تمشی فی أعقابهم، حتی لا يجرأ أحد على محاربة المسلمين خوفا من ذلك، أو على الأقل يحدّ من نشاط الحروب، فأیّ إنسان يسوّغ العبودية؟ مع العلم أن كثيرا من الناس يستسـيغون القتل و السـجن. ثم بعد ذلك جعل للعبيـد أحكاما خاصـة تشديـدا تارة و تخفيفا تارة أخرى ليقابل التخفيف التشديـد، ثم ليكون لهم بصورة عامة ميزة خاصة يعرفون بها عن الأحرار، و تفصيل فلسفة الأمرين يطلب من الكتب الخاصة بهذا الشأن «۱».

ذلِكَ النكاح للإماء لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ العنت هو

---

(۱) فی بعض الاعـداد من نشـرة «الأخلاـق و الآـداب» الكربلائيـة تفصـيل للجهـة الأـولی ای فلسـفة تشـريع العبـد و الإمـاء و انه بمعناه الاسلامی- لا الغربی السائد فی الأذهان- لم يلغ و لا يلغی الی يوم القيامة، كسائر احكام الإسلام.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۴۶۸

[سورة النساء (۴): الآيات ۲۶ الى ۲۷]

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۲۶) وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (۲۷)

الجهـد و الشـدة، أی خاف أن يقع فی جهـد و شدة من جهة ترك الزواج، أو خاف الوقوع فی الزنا لشدة رغبته الجنسـية وَ أَنْ تَصْبِرُوا فلا تتزوجوا بالإماء خَيْرٌ لَكُمْ فإنه لو اعتاد نكاح الإماء بقيت الحرائر بلا أزواج لقلة الكلفة بالنسـبة إلى الأمة، و كثرة الكلفة بالنسـبة إلى الحرة، فيقبل الناس على تزوّجهن، و ليس أمر العبيـد و الإماء و الفروع المتصـلة به قصـة تاريخيـة لظروف خاصـة، كما يقوله بعض من بهرته الثقافـة الغربيـة، و لو جـاز ذلـك فی هـذا الحكم لجـاز فی كـل حكم إسـلامی، و لم يبقی للإسـلام اسم و لاـ رسم. وَ اللَّهُ غَفُورٌ لذنوبكم رَحِيمٌ بكم فلا تيأسوا من رحمته لما اقترفتم من المحرمات المرتبطة بهذا الباب بعد عزمكم على التوبة منها.

[۲۷] ثم بيّن سـبحانه أن هـذه المحرمـات إنمـا حرمت لمصـلحة البشـر لاـ اعتباطا فقال: يُرِيـدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ أحكام دينكم و دنياكم وَ يَهْدِيَكُمْ يرشدكم سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ السـنن جمع سنة، و هی طريقة الأنبياء عليهم السّلام و المرسلين و عباد اللّه الصالحين وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ أی يرجع عليكم بلطفه و منّه حيث أنكم تعملون بطاعته- بعـد ما كنتم فی زمان الجاهلية تعملون بالمعاصـی و الآثام- فبين لكم الأحكام لتعملوا بها فيتوب عليكم وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بمصالحكم حَكِيمٌ فيما يأمر و ينهی.

[۲۸] وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ كرّر لفائدة المقابلة بقوله سبحانه:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۴۶۹

[سورة النساء (۴): الآیات ۲۸ الی ۲۹]

یُرِیدُ اللَّهُ أَنْ یُخَفِّفَ عَنْکُمْ وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِیفاً (۲۸) یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَأْکُلُوا أَمْوالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْباطِلِ إِلاَّ أَنْ تَکُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْکُمْ وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَکُمْ إِنَّ اللَّهَ کانَ بِکُمْ رَحِیماً (۲۹)

وَ یُرِیدُ الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ فی مواقعة کل امرأة من غیر نظر إلی الحلّ و الحرمة و المصلحة و المفسدة أَنْ تَمِیلُوا عن الحق مَیْلًا عَظِیماً أی انحرافا، فإن اقتراف محرمات النکاح من أکبر الآثام.

و الآیة و إن کانت عامة لکل باطل و لکل میل إلا أن قرینة السیاق تخصّصها بما ذکرنا.

[۲۹] یُرِیدُ اللَّهُ أَنْ یُخَفِّفَ عَنْکُمْ فی أمور دینکم و دنیاکم و لذا أحلّ کل النساء إلا ما فیه مضرة، و یقبل توبتکم، و لو أراد التشدید لم یقبل توبتکم، و حرم علیکم أقساما أخری من النساء کما قال سبحانه: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِینَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَیْهِمْ طَیِّباتٍ «۱» و فیه إفادة أن تحریم ما ذکر لیس تثقیلا- و إنما هو تخفیف، فإن التخفیف قد یکون بالنسبة إلی الشیء و قد یکون بالنسبة إلی نتائجه، و تحریم المحرمات المذکورة تخفیف بالنسبة إلی النتائج لما تشتمل علیه المحرمات من وخامة العاقبة فی الدنیا و الآخرة التی منها ضعف النسل بالنسبة إلی نکاح المحرمات کما ثبت فی الطب الحدیث وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِیفاً فهو لا یصبر علی شهواته و یرید اقتراف آثام الزنا مما یضره فی دنیاه و آخرته [۳۰] و لما بیّن سبحانه محرمات النساء مما یتعلق ب «الفرج»، بیّن محرمات

---

(۱) النساء: ۱۶۱.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۴۷۰

الأموال مما یتعلق ب «البطن»

فقد ورد عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن «من وقی شر لقلقه و قبقبه و ذبذبه فقد وقی الشر کله» «۱»، و المراد بلقلقه:

لسانه و قبقبه: بطنه، و ذبذبه: فرجه. فقال تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا تقدم أن الحکم و إن کان عاما للمؤمن و غیره إلا أن إصغاء المؤمن فقط أوجب توجیه الخطاب إلیه فقط لا تَأْکُلُوا أَمْوالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْباطِلِ و المراد بالأکل مطلق التصرف، و أتی بلفظ الأکل لشیوع هذا النوع من التصرف، فهو من استعمال الخاص و إرادة العام، و کلمة «بینکم» إنما أتی بها لإفادة أن الأکل بالباطل إنما یعود ضرره إلیهم أجمع فلیس الأکل لمال غیرهم، و إنما أکل لأموالهم فیما بینهم، و یعود ضرره إلی مجتمعهم، و الباطل هو خلاف الحق الذی لا یقرّه الشرع و العقل، أما أخذ الخمس و الزکاة و سائر الحقوق المالیة و الواجبات فلیس أکلا بالباطل إِلَّا أَنْ تَکُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْکُمْ الاستثناء منقطع لأنه لیس أکلا للمال بالباطل. و کثیرا ما یأتی مثل هذا الاستثناء فی الکلام فیقال:

لا تجالس الأشرار إلا الأخیار، و لا تأکل المضر إلا المفید، و قوله «عن تراض» یفید عدم جواز أکل المال مقابل التجارة الجبریة بدون الرضا وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَکُمْ أی لا یقتل بعضکم بعضا فإن القتل مهما وقع علی العدو فإنه واقع علی الجنس البشری، و المناسبة بین القتل و أکل المال، أن اللّه سبحانه حرم انتهاک الأعراض، و أکل الأموال و إراقة الدماء،

---

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۶۳ ص ۳۳۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۴۷۱

[سورة النساء (۴): الآیات ۳۰ الی ۳۱]

وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ عُدْواناً وَ ظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِیهِ ناراً وَ کانَ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیراً (۳۰) إِنْ تَجْتَنِبُوا کَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُکَفِّرْ عَنْکُمْ سَیِّئاتِکُمْ وَ نُدْخِلْکُمْ مُدْخَلاً کَرِیماً (۳۱)

فحيث ذكر الأولين، أشار إلى الثالث إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً و من رحمته بكم أن جعل أموالكم و أعراضكم و دماءكم محترمة لا يجوز لأحد أن يتصرف فيها.

[٣١] وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ القتل، أو أكل المال و القتل، أو انتهاك العرض و أكل المال و القتل، و السياق يؤيد المعنى الثالث، و إن كان قرب اللفظ يؤيد المعنى الأول عُدْواناً وَ ظُلْماً فإنه تعدّ للحدود و ظلم للنفس و للغير، و فى ذلك إخراج للسهو و النسيان و الخطأ فَسَوْفَ نُصْلِيهِ من أصلاه أى أدخله، ناراً فى الآخرة وَ كانَ ذلِكَ الإدخال فى النار لمن فعل ذلك عَلَى اللَّهِ يَسِيراً فلا يمنعه مانع و لا يسأل عما يفعل.

[٣٢] إن الإنسان لا بد و أن تقع منه مخالفات، و حيث أن المخالفات مختلفة: من كبيرة، كقتل النفس، و صغيرة ككذبة عفوية و نحوها.

لذا يختم اللّه سبحانه تلك الآيات المحذرة عن المحرمات المذكورة بقوله سبحانه: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ كانتهاك الأعراض و أكل أموال الناس بالباطل و إراقة دماء الأبرياء نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ و معنى التكفير: الستر و الغفران، أن نغفر سائر سيئاتكم، و لا نؤاخذكم بما لا بد و أن يقع فى الحياة

[سورة النساء (٤): آية ٣٢]

وَ لا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَ سْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (٣٢)

وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيماً أى مكانا حسنا طيبا يكرم صاحبه فيه، و «كريم» صفة الإنسان، يطلق على المحل بعلاقة الحال و المحل، و المراد ب «المدخل الكريم» الجنة.

[٣٣] و حيث سبق الكلام حول أكل الأموال بالباطل، جرى السياق فى موضوع أدق و هو تمنّى بعض الناس أن يكون نصيبهم كنصيب الآخرين، و التمنى قد يكون مقرونا بزوال النعمة من الآخر، و هذا هو الحسد المذموم الذى نهى عنه فى هذه الآية، و قد يكون طلبا لأن يكون للإنسان مثل ما لأخيه و هذه هى الغبطة، و هذه و إن كانت خلاف الأدب- بالنسبة إلى الأمور الدنيوية- لأنها تكشف عن ضعة فى النفس، لكنها ليست بمحرمة.

و ذكر صاحب «مجمع البيان» فى سبب النزول ما لفظه: «قيل:

جاءت وافدة النساء إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالت: يا رسول اللّه! أ ليس اللّه رب الرجال و النساء و أنت رسول اللّه إليهم جميعا، فما بالنا يذكر اللّه الرجال و لا يذكرنا، نخشى أن لا يكون فينا خير و لا لله فينا حاجة. فنزلت هذه الآية. و قيل: إن أم سلمة قالت: يا رسول اللّه يغزوا الرجال و لا تغزوا النساء. فنزلت الآية. عن مجاهد، و قيل: لما نزلت آية المواريث قال الرجال: نرجو أن نفضّل على النساء بحسناتنا فى الآخرة كما فضلنا عليهن فى الميراث فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء. و قالت النساء: إنا نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال فى الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم فى الدنيا. فنزلت الآية» «١».

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٧٣.

و على أى حال فقد كان هناك تمنى من أحد الجانبين فنهى اللّه عن ذلك بقوله: وَ لا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ فإن التمنى مع قطع النظر عن عدم جدواه يكشف عن ضعف النفس و عدم تبصر الإنسان بالأمور إذ التفضيل لم يقع اعتباطا، و إنما خلقة كل واحد من الرجال و النساء، و سائر الملابسات الاجتماعية، أوجبت هذه المفاضلة من عليم حكيم، فلا يقل أحدكم: ليت ما أعطى

فلانا من المال و الجاه و التشريع كان من نصيبى لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا من المال و الجاه و العمل وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ من الأمور المذكورة. ثم ليس كل ما اكتسبه الرجل له، بل قسم منه لله سبحانه يجب صرفه فى سبيله من مال أو جاه أو طاقة، و لذا قال: «مما اكتسبوا» و كذلك بالنسبة إلى النساء. فهذا النصيب الذى قدره سبحانه هو الذى ينبغى لكل منهما أن يقنع به و لا يتوقع أن يكون له مثل ما للصنف الآخر وَ سْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ أن يعطيكم ما تريدون لا أن تحسدوا و تتمنوا زوال نعمة الآخرين و انتقالها إليكم فإنه سبحانه هو القاسم و المعطى إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً فيعلم ما تضمرونه من التمنى و الحسد، أو ما تنوون فى قلوبكم من الالتجاء إليه سبحانه فى أن يوفر عليكم الناقص الذى تريدون كماله.

ثم إن ظاهر قوله سبحانه: «للرجال .. إلخ» أن التمنى كان بالنسبة إلى الأمور الاكتسابية لا الأمور التكوينية.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۷۴

[سورة النساء (۴): آية ۳۳]

وَ لِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً (۳۳)

[۳۴] ذكر سبحانه أن للرجال نصيب مما اكتسبوا و للنساء نصيب مما اكتسبن، أما القسم الآخر من الكسب أى بعض ما اكتسب الرجال و بعض ما اكتسبن النساء، فإنه من نصيب الوارث، و ليس ذلك على وجه الفريضة و إنما على نحو القضية الطبيعة الغالبة جرت على أن يتنعم الإنسان بقسم مما اكتسبه و يخلّف قسما آخر من كسبه للوارث وَ لِكُلٍ من الرجال و النساء جَعَلْنا مَوالِيَ هو جمع مولى، من ولى الشيء يليه ولاية، و هو اتصال الشيء بالشيء من غير فاصل، يعنى جعلنا للصنفين أشخاصا وارثين هم أولى فى التصرف فيما تركا إرثا، و هؤلاء الموالى الوارثون يرثون مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ كلّ حسب تشريع اللّه له قسما خاصا من الإرث، فلكلّ من الرجال و النساء حق فى الكسب و حق فى الإرث فلا يتمنى أحد ما لغيره فإن اللّه سبحانه جعل ذلك.

وَ الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ لعل المراد أن الذين تعاقدتم معهم بالأيمان لإعطائهم حصة من تركتكم فاللازم إعطاؤهم نصيبهم المشروع من دون الثلث إذا كان عقد اليمين غير ملزم، و ما زاد عن الثلث إذا كان العقد ملزما، و على أى حال فليس لهؤلاء إرث، إذ لكل موالى خاصة فلا يزاد عليهم بعقد الأيمان إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً أى حاضرا شاهدا، فلا تخالفوا أوامره بجعل غير

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۷۵

[سورة النساء (۴): آية ۳۴]

الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ فَالصَّالِحاتُ قانِتاتٌ حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ بِما حَفِظَ اللَّهُ وَ اللاَّتِي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيًّا كَبِيراً (۳۴)

الوارث وارثا بعقد اليمين، أو عدم إعطاء «الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ» نصيبهم المقرّر فى الشريعة.

[۳۵] و حيث تقدم إن لكلّ من الرجال و النساء نصيب، أراد سبحانه أن يبيّن علة زيادة الرجل فى نصيب الإرث، و نصيب الأمر و النهى، على المرأة، فقال: الرِّجالُ قَوَّامُونَ جمع قوّام و هو القائم بالأمر المسلّط على الشيء عَلَى النِّساءِ و من المعلوم أن المراد قوامة الرجل فى الجملة، لا أن كل رجل قريب قوام على كل امرأة قريبة بِما فَضَّلَ اللَّهُ أى أن القوامة بسبب تفضيل اللّه سبحانه بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ فإن اللّه سبحانه فضّل الرجل على المرأة عقلا و جسما و تحمّلا- كما هو واضح و قد ثبت فى العلم الحديث- و لم يكن تفضيل اللّه سبحانه اعتباطا فقد خلقت المرأة لغاية غير ما خلق لها الرجل فمثلهما مثل «مركبتين» صغيرة تحمل الركاب، و كبيرة تحمل الحديد و الأخشاب وَ بسبب ما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ فإن نفقة الزوجة واجبة على الزوج، و من المعلوم أن هذا الواجب يلزم أن يعوّض بحق فأعطى للزوج القوامة فى قبال ما وجب عليه من النفقة، و كذلك بالنسبة إلى المهر.

فَالصَّالِحاتُ قانِتاتٌ حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ و إذ ثبتت هذه القوامة، فالنساء الصالحات الخيرات سيحافظن على الهدوء و السكون و الموافقة

لأزواجهن و يتجنبن الشغب و التمرد و الاستعلاء و تجاوز الحدود

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۷۶

و النشوز، و القنوت بمعنى الإطاعة، أى فهن مطيعات للأزواج يحفظنهم فى حضورهم و غيابهم كما أن ذلك مقتضى كونهن مولّى عليهن، و المراد بالغيب حالة غيبوبة الزوج بخروج أو سفر أو نحوهما، فلا يخنّهم فى أنفسهم أو أموالهم أو نحو ذلك، و يكون هذا الحفظ منهن لهم بسبب ما حَفِظَ اللَّهُ لهن من الكرامة و الحقوق، أو مستعينات بحفظ اللّه تعالى فإن الإنسان لا يتمكن من حفظ شىء إلا إذا شاء اللّه حفظه، أو بمقابلة حفظ اللّه، كأن يكون حفظ اللّه عوضا لحفظهن إياهم، فالباء سببية، أو استعانة أو مقابلة.

أما المرأة التى لا تقنت و تريد الاستعلاء على الزوج، و لا تراعى حقوق الرجل، فلها حكم خاص بيّنه سبحانه فى قوله: وَ اللَّاتِی تَخافُونَ نُشُوزَهُنَ من نشز إذا ارتفع، أى عصيانهن، فكأنها ارتفعت عن حدّها فَعِظُوهُنَ من الوعظ، بالنصح و الإرشاد، و ما أشبهها وَ اهْجُرُوهُنَّ فِی الْمَضاجِعِ إن لم يفد الوعظ، و «المضاجع» جمع مضجع، و هو محل النوم و فراشه، و ذلك بتحويل الظهر، أو بعزل فراشه عن فراشها وَ اضْرِبُوهُنَ و فى بعض الأخبار أن الضرب بالسواك، و لا يخفى أن هذه المراتب بالتدريج و إن كانت الواو العاطفة لا تفيد ذلك- كما قالوا- كما أن المرأة كثيرا ما تتأدب بالهجر و الضرب الخفيف لأنهما يبعثان فيها العاطفة نحو الزوج و يتطلبان منها تحسين سلوكها ليرجع إليها قلب الزوج فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ و من المقرّر فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۷۷

[سورة النساء (۴): آية ۳۵]

وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها إِنْ يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُما إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً خَبِيراً (۳۵)

الشريعة أن الإطاعة الواجبة على المرأة ليست إلا عدم خروجها بدون إذنه و مطاوعتها له فى الاستمتاع بها متى أراد فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا أى لا تطلبوا لضررهن طريقا، بإيذائهن و عدم القيام باللطف و العطف المترقب من الزوج، بل سامحوهن،

فقد قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «إن من حق المرأة على الرجل أن يغفر لها إذا جهلت»

«۱»، إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيًّا فلا يتعال عليه أحد بقوته كَبِيراً فلا أكبر منه.

[۳۶] وَ إِنْ خِفْتُمْ أيها الناس المحيطون بالزوجين شِقاقَ بَيْنِهِما أى المخالفة و العداوة بين الزوجين، كأن كل واحد منهما فى شق و جانب، غير شق الآخر و جانبه فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها فإن الحكمين حيث يعرفان ملابسات الزوجين يتمكنان من فصل الأمر على أحسن الوجوه، و للحكمين الإصلاح و ليس لهما الطلاق إلا برضى الزوج أو وكالة سابقة إِنْ يُرِيدا يعنى الحكمين إِصْلاحاً بينهما يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُما و الضمير عائد إلى الحكمين لقرب اللفظ، و ربما يقال: عائد إلى الزوجين. إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً بمصالح العباد خَبِيراً بما يضمره الحكمين و يفعلانه فى أمر

---

(۱) جواهر الكلام: ج ۳۱ ص ۱۴۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۷۸

[سورة النساء (۴): آية ۳۶]

وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ بِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ الْجارِ ذِي الْقُرْبى وَ الْجارِ الْجُنُبِ وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالاً فَخُوراً (۳۶)

الإصلاح و الإفساد.

[۳۷] ثم يتوجه البيان إلى العلاقات الإنسانية العامة بما فيها الأقربون و غيرهم، بعد ما فرغ من نظام الأسرة، و ربطها بعبادة اللّه سبحانه الذى أمر بذلك، و يبيّن ما يجب على الإنسان تجاه الخالق و تجاه المخلوق، فقال: وَ اعْبُدُوا اللَّهَ و معنى العبادة منتهى الخضوع مما

يطلب من العبد قبال سيده، فإن العبادة و العبد من مادة واحدة وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ أى بالله شَيْئاً أى لا تجعلوا له شريكا من حجر أو مدر، أو جماد أو نبات، أو ملائكة أو بشر، فإنه هو الإله الواحد الذى لا شريك له وَ أحسنوا بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً فإنهما واسطة خلقكم، و كثيرا ما يقرن الإحسان إليهما بعبادة اللّه سبحانه فى القرآن الكريم، لإفادة تأكيد لزوم الإحسان إليهما وَ أحسنوا بِذِي الْقُرْبى القربى كاليسرى من اليسر، أى أصحاب القرابة، و هذا تعميم بعد التخصيص وَ الْيَتامى و هم الذين مات آباؤهم، أو الأعم منهم و ممن ماتت أمه وَ الْمَساكِينِ هم الفقراء بصورة عامة وَ الْجارِ ذِي الْقُرْبى و لمثله حقان: حق الجوار، و حق القرابة وَ الْجارِ الْجُنُبِ جنب بضم الأولين كعنق، صفة بمعنى الغريب، و كأنه باعتبار أن كلّا من الطرفين فى جنب وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ أى صاحبك الذى بجنبك، سواء كان فى مدرسة أو دكان أو سفر أو حضر، أو غيرها وَ ابْنِ السَّبِيلِ أى المنقطع عن بلده سواء كان ثريا أو لا، و يسمى «ابن السبيل» لأنه لا يعرف شيئا من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٤٧٩

[سورة النساء (۴): آية ٣٧]

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً (٣٧)

ملابساته إلا السفر، يقال ابن البلد و ابن السبيل و ابن العمل لمن يرتبط بهذه الأمور وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ من العبيد و الإماء.

و قد أطلق سبحانه الإحسان إلى هؤلاء ليشمل مطلق صنوف الحفاوة و الإكرام، و قد كان تأكيد الإسلام بالإحسان إلى هؤلاء تمشيا مع روحه العامة فى توثيق صلة البشر بعضهم مع بعض، و جمعهم فى رباط الود و الحب و الوئام إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالًا فَخُوراً المختال: المتبختر المتكبر، و الفخور: الذى يفخر بمناقبه كبرا و اعتزازا و تطاولا- ذكر هذه الجملة هنا بمناسبة أن من أمره سبحانه بالإحسان إلى الأصناف المذكورة كثيرا ما يتطاول و يتكبر، فلا يخضع للإحسان، كما هو المشاهد إلى الآن، فنهى سبحانه عن ذلك بعد ما أمر بالإحسان ليؤكده إثباتا و نفيا.

[٣٨] و حيث أن الإحسان إلى هؤلاء كثيرا ما يحتاج إلى بذل المال، ذم سبحانه الذين لا يبذلون أموالهم فى سبيل اللّه بقوله: الَّذِينَ صفة «مَنْ كانَ مُخْتالًا فَخُوراً» يَبْخَلُونَ فلا ينفقون الأموال فى سبيله سبحانه وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ و كأن هذا ملازم لصفة البخل فإن البخيل حيث جبل على حب المال لا يتمكن أن يرى غيره ينفق ماله، و قد تشتد هذه الصفة فى البخيل حتى يبخل على نفسه، فلو أنفق عليه غيره نهاه و أمره بالكف. وَ يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فإن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٤٨٠

[سورة النساء (۴): آية ٣٨]

وَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ وَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً (٣٨)

البخلاء يكتمون أموالهم لئلّا يعرفون فيذمّهم الناس بعدم إنفاقهم فى سبل المعروف، أما ما اشتهر من «استر ذهبك و ذهابك و مذهبك» فإنه فى محل الخوف لا- مطلقا وَ أَعْتَدْنا أى هيّئنا لِلْكافِرِينَ الذين يكفرون بنعم اللّه سبحانه و لا يعملون بما أمرهم اللّه سبحانه من إنفاق أموالهم عَذاباً مُهِيناً يهينهم و يكسر كبرياءهم، كما تكبّروا فى الدنيا و لم يحسنوا إلى من وجب الإحسان إليه، اختيالا- و افتخارا، كما قال سبحانه: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ «١» [٣٩] و هناك صفة أخرى ملازمة لعدم الإحسان إلى الأصناف السابقة، فإن المختال الذى لا يحسن و يبخل، لا بد و أن يكون إنفاقه رئاء و سمعة، لأن كبرياءه يجبره على أن يشوب إنفاقه بما يلائم صفته. فقال سبحانه: وَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ و هذه الجملة عطف على قوله «الذين يبخلون» يعنى أن إنفاقهم لأجل أن يراهم الناس، حتى يعظمون فى نفوسهم، و يمدحونهم بأنهم أهل خير و إنفاق، و المراد بالرئاء المثال، و إلا فالسمعة كذلك وَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حتى يكون حافزهم على الإنفاق أمر اللّه سبحانه و رضاه وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ حتى يكون باعثهم على البذل رجاء الثواب و خوف العقاب.

ثم إنه كثيرا ما يعبر بهذا التعبير عن عدم الإيمان الكامل، لا مطلق الإيمان، أو عدم الإيمان من هذه الجهة، و إن كان هناك إيمان من سائر

(١) الدخان: ٥٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨١

[سورة النساء (٤): الآيات ٣٩ الى ٤٠]

وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَ كانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً (٣٩) إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَ إِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَ يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً (٤٠)

الجهات، إذ أن الإيمان الكامل و الإيمان من جميع الجهات، يقتضى أن يكون باعث كل حركة و سكون هو الإيمان لا غيره، و ذلك كما يقال: فلان لا يطيع أباه، إذا لم يطعه إطاعة كاملة، أو إطاعة من جميع الجهات، فإنه لا يراد بذلك عدم الإطاعة مطلقا، بل عدم الإطاعة الكاملة من جميع النواحى.

وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً مقترنا، بأن صاحبه و لازمه و أتمر بأوامره فى البخل و الرياء و عدم الإيمان فَساءَ قَرِيناً لأنه يدعوه إلى المعصية الموجبة لذهاب دينه و دنياه.

[٤٠] وَ ما ذا عَلَيْهِمْ أى: أى شيء يكون عليهم و أى ضرر يتوجه إلى هؤلاء الذين لا يؤمنون و لا ينفقون لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ! فإنه بالعكس مما يظنون من أن الإيمان و الإنفاق يسببان أضرارا و مشاكل، إذ الإيمان يوجب الهدوء و السكينة و الاطمئنان و خير الدارين، و الإنفاق يوجب تقدم المجتمع و ازدهاره مما يعود إلى المنفق بأكثر مما أنفقه وَ كانَ اللَّهُ بِهِمْ أى بهؤلاء، سواء أنفقوا و آمنوا، أم لا عَلِيماً فيجازيهم بأعمالهم إن خيرا فخير، و إن شرا فشر.

[٤١] إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ المثقال الثقل، و الذرة هى واحدة «الهباء» التى يرى إذا دخل شعاع الشمس من الكوة، فمن أنفق

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨٢

[سورة النساء (٤): الآيات ٤١ الى ٤٢]

فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً (٤٢)

فلا يظن أن إنفاقه يذهب هباء، فإن اللّه سبحانه يجازيه على إنفاقه و لا يظلمه قدر مثقال ذرة وَ إِنْ تَكُ الذرة التى أتى بها العبد حَسَنَةً عملا خيرا يُضاعِفْها فإن من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وَ يُؤْتِ لمن أحسن مِنْ لَدُنْهُ دلالة على صدق الوعد و عظمه حيث أنه من لدن صادق كريم أَجْراً عَظِيماً و هو الثواب الباقى أبد الآبدين.

[٤٢] و إذا كان اللّه تعالى بهذه المثابة من العلم و العدل فَكَيْفَ بحال الناس الذين انحرفوا عن الجادة، و كفروا و بخلوا و عصوا إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ يشهد على أعمالهم، و هم أنبياؤهم و من جعله اللّه سبحانه واسطة بينه و بينهم فى التبليغ و بلاغ الأحكام وَ جِئْنا بِكَ يا رسول اللّه عَلى هؤُلاءِ القوم الذين أنت فيهم شَهِيداً تشهد على أعمالهم فى ذلك الموقف الرهيب.

[٤٣] يَوْمَئِذٍ أى فى يوم القيامة يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوُا الرَّسُولَ «الواو» إما للتقسيم، أى يود كل واحد منهما، أو للجمع أى يود الكافر العاصى لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ أى يجعلون متساوين مع الأرض كما قال سبحانه: وَ يَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً «١»

(١) النبأ: ٤١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨٣

[سورة النساء (۴): آية ۴۳]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ وَ لا جُنُباً إِلَّا عابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا غَفُوراً (۴۳)

وَ فى ذلك اليوم لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ أى لا يخفون عن اللّه حَدِيثاً بل تشهد عليهم ألسنتهم و جوارحهم بكل ما عملوا من الكفر و السيئات و الشرور، ففى مقابل تكبرهم فى الحياة يتمنون بلع الأرض لهم هناك، و فى مقابل كتمانهم الحق فى الدنيا لا يتمكنون من الكتمان هناك.

[۴۴] قد تقدم الأمر بعبادة اللّه سبحانه فارتد السياق هنا إلى بعض مصاديق العبادة و هى الصلاة و الغسل فقال سبحانه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى و النهى عنه «الاقتراب من الصلاة حال السكر» كالنهى عن نفس الشىء «الصلاة حال السكر» لكن للمبالغة فى التنزيه، كما قال سبحانه: لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ «۱» و «سكارى» جمع سكران.

و من المعلوم أنه لا منافاة «تكوينا لا شرعا» بين السكر الخفيف و الصلاة، و إنما السكر الشديد المزيل للعقل تماما لا يجتمع مع الصلاة حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ فإن الصلاة إنما شرعت للإقبال و السكران لا يعلم ما يقول و لا يحضر قلبه فيما ينطق به لسانه، و «حتى» هنا تصلح علة للحكم كما تصلح غاية فإذا شرب أحد الخمر- و العياذ بالله- فلا يقبل على الصلاة إلا و قد زال أثرها بحيث يعلم ما يقول وَ لا تقربوا الصلاة جُنُباً بالإدخال أو الإنزال إِلَّا عابِرِي سَبِيلٍ أى فى حال

---

(۱) الأنعام: ۱۵۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۸۴

السفر فإن الغالب أن المسافر- قديما- كان لا يجد الماء فيصلى جنبا بتيمم إذ التيمم لا يرفع جميع أثر الجنابة و لذا لو وجد الماء بطل تيممه و يلزم عليه الغسل حَتَّى تَغْتَسِلُوا أى لا تقربوا الصلاة جنبا حتى تغتسلوا. و الاغتسال: غسل للرأس و الرقبة ثم الطرف الأيمن ثم الأيسر مع النية، أو الارتماس فى الماء دفعة واحدة مع النية وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى جمع مريض، و المراد به المرض الذى يضر معه الماء و إن كان جرحا أو نحوه أَوْ كنتم عَلى سَفَرٍ أى مسافرين و كان الإتيان بلفظة «على» لما يكون المسافر عليه من الركوب على شىء و قد تقدم أن الكون على السفر لا يبيح بنفسه التيمم، و إنما لغلبة صعوبة الماء فيه- فى السابق- أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ أيها المريدون للصلاة مِنَ الْغائِطِ الغائط هو المكان المنخفض من الأرض، و سمّى «البراز» به لعلاقة الحال و المحل، و المراد أن أحدكم لو قضى حاجته ثم أراد الصلاة أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ أى جامعتم معهن فإن الملامسة كناية عن الجماع فَلَمْ تَجِدُوا ماءً مرتبط بالثلاثة المتقدمة المسافر و المحدث و المجامع فَتَيَمَّمُوا أى اقصدوا صَعِيداً أى أرضا، سواء كان عليها تراب أو لا طَيِّباً أى طاهرا حلالا إذ كل واحد من النجس و المغصوب خبيث غير طيب. و التيمم هو معناه التقصد ثم غلب فى الشريعة على الأعمال المخصوصة حتى إذا قيل: «تيمم» لا يتبادر منه إلا الأعمال المخصوصة شرعا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ و قد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۸۵

[سورة النساء (۴): آية ۴۴]

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَ يُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (۴۴)

دلت الشريعة على أن كيفيته أن يضرب الإنسان بيديه معا وجه الأرض- ما لم يخرج عن اسم الأرضية لكونه معدنا أو نحوه- ثم يمسح بهما جبهته من قصاص الشعر إلى طرف الأنف الأعلى، ثم يمسح بباطن الكف اليسرى ظهر الكف اليمنى من الزند إلى رؤوس الأصابع، ثم يمسح بباطن الكف اليمنى ظاهر الكف اليسرى من الزند إلى رؤوس الأصابع. و هناك احتياط بالضرب ثانيا و مسح

اليـدين. و قـد ثبت فى الطب الحـديث أن الأرض تطهر الجراثيم فى مرتبة أدنى من تطهير الماء، فقد كان من حكمة الشارع أن جعلها مطهرة فى المشى عليها و التعفير بها، فى النجاسة الخبثية، و التيمم بها فى النجاسة الحدثية إِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا يعفو عن الذى له حرج فى اسـتعمال الماء، و يظهر جمال العفو إذا قايس الإنسان أحكامه سـبحانه بأحكام الملوك و الحكومات و السادة الـذين لا يبالون بالناس فهم يطلقون أوامرهم مهمـا كلف الأـمر غَفُوراً يغفر الـذنوب التى يتعرض لها الإنسان فى تكاليفه، و هـذا كالتسـلية لمن أفلت منه ذنب لئلا ييأس من مغفرته سبحانه.

[۴۵] ثم يعود السـياق إلى الذين كفروا و عصوا الرسول و أن قسما من أهل الكتاب يبيعون أنفسهم بالضلالة و يحرفون الكلم و يؤذون الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أَ لَمْ تَرَ أى ألا تتعجب يا رسول اللّه و تنظر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِـيباً مِنَ الْكِتابِ أى قسما منه، و هم اليهود الذين أعطاهم اللّه التوراة و إنما ذكر «نصيبا» لأنهم لم يعطوا الكتاب- أى الأحكام- كاملا، و إنما أعطوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۸۶

[سورة النساء (۴): الآيات ۴۵ الى ۴۶]

وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدائِكُمْ وَ كَفى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَ كَفى بِاللَّهِ نَصِيراً (۴۵) مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنا وَ عَصَيْنا وَ اسْـمَعْ غَيْرَ مُسْـمَعٍ وَ راعِنـا لَيًّا بِأَلْسِـنَتِهِمْ وَ طَعْنـاً فِي الـدِّينِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ قالُوا سَـمِعْنا وَ أَطَعْنا وَ اسْـمَعْ وَ انْظُرْنا لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَقْوَمَ وَ لكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (۴۶)

قسـما من الأحكام، و البقية الباقية للمسـيح عليه السّـلام و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ يبيعون أنفسهم بالضلالة فعوض أن يصـرفوا أعمـارهم و طاقـاتهم ليشتروا الهدايـة بالإيمـان بالرسول و العمل الصالـح يبيعون أنفسـهم و طاقاتهم مقابل الكفر و الأعمال السـيئة، و الحال أنهم من أهل الكتاب و يعلمون الحق وَ يُرِيـدُونَ أَنْ تَضِـلُّوا أنتم المسـلمون السَّبِيلَ فتنحرفوا عن جادة الهـداية إلى السبل الملتوية المؤدية إلى الهلاك و الدمار.

[۴۶] وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدائِكُمْ منكم فلا تتخذوا هؤلاء أولياء ظنا منكم أنهم أحباؤكم و اغترارا بظاهرهم و زعما بأنهم ظهركم و سندكم وَ كَفى بِاللَّهِ وَلِيًّا أى أن ولاية اللّه لكم تغنيكم عن ولاية الكفار وَ كَفى بِاللَّهِ نَصِيراً فنصرته إياكم تكفى عن نصرة الكفار.

[۴۷] ثم ذكر سـبحانه بعض صـفات هؤلاء الكفار الذين أوتوا نصيبا من الكتاب، «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ» مِنَ الَّذِينَ هادُوا و اتخـذوا اليهودية دينا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ جمع كلمة، و المراد بها أحكام اللّه سـبحانه عَنْ مَواضِـعِهِ فيضـعون الحلال مكان الحرام و الحرام مكان الحلال و هكذا وَ يَقُولُونَ سَمِعْنا كلامك و احتجاجك يا محمد و عَصَيْنا أوامرك لأنا لا نعتقد بك نبيا صادقا. و ربما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۸۷

يحتمل أن يكون المراد عصيانهم عملا لا قولا فإن «القول» يراد به تارة الكلام و تارة العمل، يقال: «قال بيده كذا» أى أشار.

وَ يقول هؤلاء اليهود للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ يقصدون الدعاء على الرسول بأنه لا يسمع، كما يقال: اسمع لاـ أسـمعك اللّه. فإنهم كانوا يقصـدون بهـذا الكلام السبّ و الـدعاء عليه و يظهرون أنهم يريـدون معنى آخر و هو: اسـمع غير مأمور بالسمع، فإنه يقال: الكلام للرجل العظيم احتراما و إشعارا بأن أمره ب «اسمع» ليس أمرا فهو لا يؤمر بالاستماع لأنه أجلّ من الأمر.

وَ يقول هؤلاء اليهود للرسول: راعِنا يقصـدون بـذلك السبّ باطنا و يظهرون أنهم يتأدبون حيث أن ظاهر لفظة «راعنا» طلب المراعاة لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ من «لوى يلوى» إذا حرف و أمال، و الألسنة جمع لسان، وليّ اللسان قد يكون ظاهريا بأن يحرف لسانه، و قد يكون باطنيا بأن يقول شيئا ظاهره أمر، و هو لا يريد ظاهره وَ طَعْناً فِي الدِّينِ فإن الطعن فى رئيس الدين طعن فى الدين، لوهنه بسبب وهن رئيسه.

وَ لَوْ أَنَّهُمْ أى أن هؤلاء اليهود قالُوا سَـمِعْنا وَ أَطَعْنا ما جئت به، بأن صاروا متـدينين بالإسـلام وَ اسْـمَعْ بدون أن يضـيفوا «غير مسـمع» وَ انْظُرْنا عوض قولهم «راعنا» مما فيه إيمان و أدب و استقامة لَكانَ خَيْراً لَهُمْ فى دنياهم حيث ينعمون براحة المسلمين و رفاههم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۸۸

[سورة النساء (۴): آية ۴۷]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (۴۷)

و تقدمهم، و فى آخرتهم حيث يسعدون بجنات النعيم وَ أَقْوَمَ أى أكثر عدلا و استقامة.

وَ لكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ أى أبعدهم عن رحمته و لطفه و فضله بِكُفْرِهِمْ فإن الإنسان إذا لم يقبل الإيمان بعد ما عرفه طرده اللّه سبحانه عن فضله، كما أن الأب إذا رأى ولده لا يقبل نصحه طرده عن ألطافه فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا منهم كعبد اللّه بن سلام و أصحابه.

و هذا ليس استثناء من قوله سبحانه «لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ» بل من أصل الكتاب. و قد ذكرنا سابقا أن الاستثناء قد يراعى فيه أصل المطلب من دون النظر إلى قيوده، كقوله تعالى: لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ «۱»، وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِ «۲» و من المحتمل مراعاة القيد فى «إلا قليلا» أى أن إيمان هؤلاء ممكن تقبله حتى بعد لعن اللّه لهم إذا تيقظ ضميرهم و رجعوا عن الغفلة إلى الحق.

[۴۸] يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ أى نزل على نبيهم الكتاب السماوى و التزموا به، و تخصيص الخطاب بهم مع أن الأمر بالإيمان عام، لكونهم محل الحوار و البحث آمِنُوا بِما نَزَّلْنا من الفرقان على رسولنا محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حال كونه مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ فإن القرآن

---

(۱) النساء: ۳۰.

(۲) الأنعام: ۱۵۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۴۸۹

[سورة النساء (۴): آية ۴۸]

إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً (۴۸)

يصدّق بالكتب السماوية السابقة مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً طمس الشيء إذهاب أثره فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها جمع «دبر» و هو الخلف، و الظاهر من الآية أنه فى يوم القيامة إذ تطمس فيه الوجوه من بعض الناس حتى تتساوى جميع أجزاء الوجه فلا نتوء فيها، ثم يجعل الوجه إلى الخلف، كما ورد فى بعض الأحاديث. و

فى بعض الروايات

طمسها عن الهدى وردها على أدبارها فى ضلالتها

«۱» أَوْ نَلْعَنَهُمْ عاجلا قبل يوم القيامة فنجعل منهم القردة و الخنازير كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ و هم اليهود الذين اعتدوا فى السبت باصطياد السمك فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ «۲» و

فى بعض الأحاديث أنه فى آخر الزمان يبتلى بعض الفساق بالمسخ

«۳»- و العياذ بالله- وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا كائنا فلا تظنوا أنه لا يكون ذلك و إنما هذا مجرد تهديد و توعّد.

[۴۹] و لا يظن أهل الكتاب أنهم إن بقوا على شركهم حتى ماتوا يشملهم غفران اللّه سبحانه فيبقوا على كفرهم و شركهم إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ فإن الإنسان إذا مات مشركا لم يكن له الخلاص وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ أى دون الشرك من المعاصى لِمَنْ يَشاءُ ممن يكون أهلا للغفران، فلا يقاس الشرك بسائر المعاصى و الذنوب

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۷ ص ۱۴۱.

(۲) البقرة: ۶۶.

(۳) راجع تأويل الآيات الظاهرة: ص ۵۲۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۹۰

[سورة النساء (۴): الآيات ۴۹ الى ۵۰]

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (۴۹) انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ كَفى بِهِ إِثْماً مُبِيناً (۵۰)

وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ أى يجعل له شريكا فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً فإنه افتراء على مقام الألوهية بأن له شريك، و أى إثم أعظم من ذلك.

[۵۰] أَ لَمْ تَرَ يا رسول اللّه و هو استفهام تعجبى إِلَى اليهود الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ أى يمدحونها و يصفونها بالطهارة و الزكاة و النزاهة فقد كانوا يقولون عن أنفسهم أنهم نزيهون و أنهم أبناء اللّه و أحباؤه بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ فإن الطهارة بيد اللّه فمن شاء غفر ذنوبه و برّأه من العيوب و من شاء لم يغفر ذنبه فيبقى فى أدران المعصية، إنه سبحانه هو الذى يختار أمة ما و لا يختار أخرى وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا الفتيل هو ما فى شق النواة من خيط ضعيف، و المعنى أنه سبحانه بعدم تطهيرهم لا- يظلمهم و إنما ذلك بسبب عدم إيمانهم و عصيانهم.

[۵۱] انْظُرْ يا رسول اللّه- و ليس المراد النظر بالعين بل ملاحظتهم، فإن النظر كما يقع بالعين كذلك يقع على ملاحظة الأشياء بسائر القوى و الحواس- كَيْفَ يَفْتَرُونَ أى يفترى هؤلاء اليهود عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ فى قولهم: نحن أبناء اللّه و شعبه المختار و أحباؤه و لن تمسنا النار إلا أياما معدودة، و إنهم المزكون من عنده، و فى تحريفهم أحكامه وَ كَفى بِهِ أى بكذبهم عليه سبحانه إِثْماً معصية مُبِيناً واضحا و أى عصيان أعظم من التجرؤ على ساحة اللّه سبحانه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۹۱

[سورة النساء (۴): الآيات ۵۱ الى ۵۳]

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (۵۱) أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً (۵۲) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً (۵۳)

[۵۲] كانت اليهود تفضل المشركين على المسلمين و قد قال كعب- و هو أحد رؤسائهم- لأبى سفيان: أنتم و اللّه أهدى سبيلا مما عليه محمد، فنزل قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ يا رسول اللّه و هو استفهام تعجبى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا أى أعطوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ و هم اليهود الذين أنزل اللّه على نبيهم الكتاب فبقى بعضه فى يدهم يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ هما صنمان لقريش، فقد سجد كعب للصنمين استمالة لقلوب المشركين وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أى أبو سفيان و أصحابه هؤُلاءِ المشركون أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أى أن سبيل المشركين أحسن من سبيل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أصحابه، فقد أوجب حقده على الإسلام أن يفضّل الكفار الذين لا يعترفون حتى بموسى عليه السّلام على المسلمين الذين يشتركون معهم فى كثير من الأصول و الفروع.

[۵۳] أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ أى أبعدهم عن رحمته و طردهم عن الخير وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ينصره فيدفع اللعنة عنه و ينجيه من عقاب يوم القيامة.

[۵۴] إن اليهود الذين حكموا بأن المشركين أهدى من الذين آمنوا سبيلا، لا قيمة و لا وزن لحكمهم هذا، فإنهم لا يملكون تفضيلا حتى يفضلوا الكفار على المؤمنين، و لو فرض أنهم ملكوا أتفه شيء من الأمور

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۹۲

[سورة النساء (۴): الآيات ۵۴ الى ۵۵]

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً (۵۴) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ

وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً (۵۵)

المادية لحرموا الناس جميعا من أقل الأشياء و أبخسها أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ استفهام إنكارى، أى هل لهم شيء من ملك التفاضل حتى يهبوا من يشاءون فضلا؟ كلا- إنهم لا- يملكون ذلك، و إذا فرض أنهم ملكوا شيئا فَإِذاً لا- يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً النقير هو النقرة الصغيرة التى تكون فى ظهر النواة.

[۵۵] ثم إن تفضيل هؤلاء اليهود للمشركين ليس إلا حسدا للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أصحابه أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ الرسول و أصحابه المؤمنين عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ حيث اختار الرسول للرسالة و هدى المؤمنين إلى الإيمان فلا موقع للحسد، فإن الفضل قد يؤتيه من يشاء و قد منّ سابقا على إبراهيم عليه السّلام و آل إبراهيم لا بالنبوة فحسب بل بالملك و النبوة فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ و قد ذكرنا سابقا أنه قد يقال: «آل فلان» و يراد الأعم منه و من آله- تغليبا- الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ علم الشرائع مما يفيد الدنيا و الآخرة فهو أعم من الكتاب وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً حيث جعل بأيديهم أزمة الحياة و جعلهم ملوكا و أنبياء.

[۵۶] فَمِنْهُمْ أى من الناس، المعلوم من الكلام كقوله: لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ «۱» أو من آل إبراهيم عليه السّلام مَنْ آمَنَ بِهِ أى

---

(۱) النساء: ۱۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۴۹۳

[سورة النساء (۴): آية ۵۶]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً (۵۶)

بإبراهيم عليه السّلام و صدق نبوّته. و المراد من آل إبراهيم «مرجع الضمير» إما قومه الذين بعث إليهم، أو عشيرته و أحفاده وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ أى أعرض عن الإيمان أو عن إبراهيم عليه السّلام، و هؤلاء اليهود كأولئك فى أن بعضهم آمن بالرسول و بعضهم صد عنه. وَ كَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً أى يكفى هؤلاء الصادين سعير جهنم، و المراد بالسعير: الاشتعال و اللهب.

[۵۷] ثم ذكر سبحانه عاقبة كل واحد من المكذب و المصدق إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا أى بدلائلنا التى أقمناها على رسولنا و ما جاء به سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً من «أصلى يصلى» يقال: أصلاه النار إذا ألقاه فيها كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ و احترقت بالنار بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها أى جعلنا لهم جلودا جديدة مكان الجلود المحترقة لِيَذُوقُوا الْعَذابَ و لا ينقطع عنهم، و الجلود الجديدة هى الجلود القديمة التى خلقت من جديد، إذ الشيء المحترق تتفرق أجزاؤه فى الفضاء فيجمعها سبحانه و يعطيها الصورة الجلدية من جديد، هذا بالإضافة إلى أنه لو خلقت جلود جديدة لم يكن بذلك بأس إذ المتألم هو الروح فلا يقال: بما استحق الجلد الجديد العذاب؟ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً فلا يفوته شيء و لا يمتنع عليه شيء فإن العزة تلازمها الغلبة و القدرة حَكِيماً يصنع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۴۹۴

[سورة النساء (۴): الآيات ۵۷ الى ۵۸]

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلاً (۵۷) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً (۵۸)

كل شيء بحكمة و يضع الأشياء فى مواضعها، فليس تعذيب هؤلاء بهذه الكيفية خارجا عن نطاق قدرته و لا مخالفا للحكمة و المصلحة.

[۵۸] وَ الَّذِينَ آمَنُوا بالله و رسوله و ما جاء به وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أى الأعمال الصالحة سَنُدْخِلُهُمْ و لعل دخول ل «س» هنا و «سوف»

هناك للدلالة على أن الجنة أقرب إلى المؤمنين من النار إلى الكافرين، فإن الكفار حيث أنهم يقضون برزخا مؤلما يطول عليهم الأمد بخلاف المؤمنين الذين يقضون برزخا مريحا، فإن الإنسان إذا كان فى راحة زعم أن الوقت انقضى بسرعة بخلاف من كان فى تعب و أذية فإنه يطول عليه الوقت جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ البساتين ذات القصور التى تجرى من تحت أشجارها أنهار الماء خالِدِينَ فِيها أَبَداً كما أن الكفار خالدون فى النار و كلما نضجت جلودهم بدلت بغيرها لَهُمْ فِيها أى فى الجنات أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ من القذارات الخلقية و القذارات الخلقية وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا هو الوقاية من نور الشمس و نحوه ظَلِيلًا أى ليس فيه حرّ و لا برد، و هو مبالغة حسن الظل كقولهم:

ليل أليل.

[۵۹] إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أيها الناس أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها تامة غير ناقصة، و لعل الارتباط بين هذه الآية و ما سبقها أن أهل الكتاب خالفوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۹۵

[سورة النساء (۴): آية ۵۹]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا (۵۹)

ما أمروا به و خانوا الأمانة الإلهية كما قال سبحانه: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ «۱» فى حين أن اللّه تعالى يأمر بأداء الأمانة المادية، فكيف بأعظم الأمانات الروحية؟! كما أنهم حكموا بالجور حين قالوا: إن المشركين أهدى من الذين آمنوا سبيلا، بينما يحكم اللّه تعالى الحكم بالعدل وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ فى أمور دينهم أو دنياهم أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ فلا تميلوا إلى ناحية دون ناحية لمجرد الهوى أو الرشوة أو العاطفة أو ما أشبه إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ أى نعم الشىء الذى يعظكم به و هو أداء الأمانة و الحكم بالعدل و ضمير «به» راجع إلى «ما» إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعاً يسمع كلامكم بَصِيراً يبصر حركاتكم و أعمالكم، فإنكم إذا خنتم الأمانة أو حكمتم بالجور فإنه لا يذهب ذلك على السميع البصير.

[۶۰] و حيث بيّن سبحانه ما يجب على الحاكم من العدل، بيّن ما يجب على الأمة تجاه الحاكم العادل من الطاعة و السمع، و بيّن الحاكم الذى يحق له أن يحكم، بقوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ بالائتمار بأوامره و الانزجار عن زواجره وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ قد تقدم سابقا أن إطاعة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هى إطاعة اللّه و إنما يذكران معا تبجيلا للرسول و لإفادة أن أوامره كأوامر اللّه سبحانه وَ أطيعوا أُولِي الْأَمْرِ أى أصحاب

---

(۱) الأحزاب: ۷۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۴۹۶

السلطة الذين بيدهم الأمر مِنْكُمْ و قد عيّن أولو الأمر

فى غير واحد من الأحاديث أنهم الأئمة الهداة الاثنى عشر عليهم السّلام و هم: على أمير المؤمنين، و الحسن، و الحسين، و على، و محمد، و جعفر، و موسى، و على، و محمد، و على، و الحسن، و المهدى

«۱». أما إطاعة العلماء المراجع فهى طاعة لأولى الأمر، إذ هم نوّابهم.

أما من زعم أن المراد بأولى الأمر كل حاكم فهذا يستلزم التناقض، فكيف يمكن الجمع بين من يبيع الخمر، و اللّه سبحانه الذى يحرمها؟ و هكذا ... و لذا اشترطت الشيعة فى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمة عليهم السّلام العصمة، و فى العلماء العدالة.

فَإِنْ تَنازَعْتُمْ أى حدثت بينكم المنازعة و المخاصمة فِي شَيْءٍ من أمور دينكم فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ حتى ترون أن القرآن و السنة

مع أى جانب. و من حسن الحظ أنه ليس هناك شيء تحتاج إليه الأمة فى أى دور أن مصير يخلو منه الكتاب و السنة، إما بالخصوص أو بالعموم. و من المعلوم أن «الرد» الرجوع إلى أحاديث أهل البيت عليهم السّلام رجوع إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما أن الرجوع إلى العلماء النواب لهم، رجوع إليهم كما

قال عليه السّلام «أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتى عليكم و أنا حجة اللّه»

«۲».

إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أما الرجوع إلى غيرهما

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۳ ص ۲۸۳.

(۲) وسائل الشيعة: ج ۲۷ ص ۱۴۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۴۹۷

[سورة النساء (۴): آية ۶۰]

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً (۶۰)

فذلك من مقتضيات الكفر كما قال سبحانه: وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ «۱»، ذلِكَ الرجوع إلى اللّه و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى صورة التنازع خَيْرٌ لكم لأن إرشاداتهما لصلاح دينكم و دنياكم وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا أى من جهة الأول و العاقبة، فإن عاقبة الحق خير من عاقبة الباطل. و العاقبة تسمّى تأويلا لأنها مآل الأمر و مرجعه، و يحتمل أن يكون المراد: أنه أحسن من تأويلكم إياه.

[۶۱] و لما بيّن سبحانه وجوب الرجوع فى موارد النزاع إلى حكم اللّه و الرسول أبدى التعجّب من الذين يدّعون الإيمان ثم يرجعون فى قضاياهم إلى أحكام مخالفة لأحكام اللّه و الرسول بقوله: أَ لَمْ تَرَ يا رسول اللّه إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ ليعدّوا أنفسهم فى زمرة المسلمين وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ فإنهم يظهرون الإيمان بكل رسل اللّه و كتبه اتباعا لقوله: وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ .. «۲»، و هذا لتأكيد أنهم فى سمات المؤمنين بكل مقوماتها يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا أى يرفعوا مشاكلهم و قضاياهم المتنازع فيها إِلَى الطَّاغُوتِ مبالغة فى الطغيان و كل حكم غير

---

(۱) المائدة: ۴۵.

(۲) البقرة: ۱۳۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۴۹۸

[سورة النساء (۴): آية ۶۱]

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً (۶۱)

حكم اللّه سبحانه، فإنه للطاغوت، لأن حكم اللّه هو العدل و ما سواه زيغ و انحراف و طغيان، فهم ينتحلون الإيمان و يسلكون غير طريق الإيمان يريدون بذلك أن يوفروا على شهواتهم فيظهرون الإيمان ليحقن دماءهم و أعراضهم و أموالهم، و يرجعون إلى الطاغوت ليعطى الحكم لهم حينما علموا أن العدل لا- يعطيهم الحكم- إذ هم على الباطل- وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ كما قال اللّه سبحانه: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لَا انْفِصامَ لَها «۱»، وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ بما يزيّن لهم أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيداً عن الحق فإن مراجعة الطاغوت ضلال و زيغ.

جاء فی «مجمع البیان»: أنه کان بین رجل من الیهود و رجل من المنافقین خصومة فقال الیهودی: أحاکم إلی محمد، لأنه علم أنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا یقبل الرشوة و لا یجوز فی الحکم، فقال المنافق: لا، بینی و بینک کعب بن الأشرف، لأنه علم أنه یأخذ الرشوة «۲». فنزلت الآیة.

[۶۲] وَ إِذا قِیلَ لَهُمْ تَعالَوْا أی ائتوا للمحاکمة إِلی ما أَنْزَلَ اللَّهُ من الأحکام وَ إِلَی الرَّسُولِ لیحکم بیننا رَأَیْتَ یا رسول اللّه الْمُنافِقِینَ یَصُدُّونَ أی یعرضون عَنْکَ صُدُوداً أی إعراضا.

---

(۱) البقرة: ۲۵۷.

(۲) مجمع البیان: ج ۳ ص ۱۱۶.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۴۹۹

[سورة النساء (۴): الآیات ۶۲ الی ۶۳]

فَکَیْفَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِیبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ ثُمَّ جاؤُکَ یَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنا إِلاَّ إِحْساناً وَ تَوْفِیقاً (۶۲) أُولئِکَ الَّذِینَ یَعْلَمُ اللَّهُ ما فِی قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ عِظْهُمْ وَ قُلْ لَهُمْ فِی أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِیغاً (۶۳)

[۶۳] فَکَیْفَ یکون حال هؤلاء المنافقین إذا اضطروا للرجوع إلیک، و کیف لا یخجلون فی مراجعتک لتخلیصهم من مصائبهم، بعد ما أعرضوا عنک فی منازعاتهم؟! فیما إذا أَصابَتْهُمْ مُصِیبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ أی بسبب أعمالهم، فإن الأعمال السیئة قد تورث المصائب و النکبات ثُمَّ جاؤُکَ یا رسول اللّه یریدون منک إسعافهم فی مصیبتهم معتذرین عن مراجعتهم إلی الطاغوت من قبل یَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنا أی ما أردنا فی مراجعتنا إلی الطاغوت إِلَّا إِحْساناً إلیک حتی لا نزاحمک و نأخذ من وقتک وَ تَوْفِیقاً بین أمورنا، و لم یکن لنا غرض فی الإعراض عنک.

[۶۴] أُولئِکَ المنافقون الَّذِینَ یَعْلَمُ اللَّهُ ما فِی قُلُوبِهِمْ و إن قصدهم لم یکن الإحسان و التوفیق و إنما الإعراض عنک لأنک تحکم بالحق و لا تقبل الرشوة فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ و لا تظهر لهم القبول حتی یتمادوا فی غیهم و یظنون أنهم تمکنوا من إغوائک وَ عِظْهُمْ بأن تبین لهم خطأ طریقتهم وَ قُلْ لَهُمْ فِی أَنْفُسِهِمْ أی قل لهم قولا یبلغ قرارة نفوسهم، فإن من الأقوال ما یقال و لا ینفذ إلی القلب لعدم وجود حرارة و حماس فی القول لیعیه القلب، و من الأقوال ما یقال و ینفذ فی النفس فکأن النفس محل إیداع القول قَوْلًا بَلِیغاً یبلغ نفوسهم.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۵۰۰

[سورة النساء (۴): الآیات ۶۴ الی ۶۵] تقریب القرآن إلی الأذهان ج۱ ۵۴۹

وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِیُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِیماً (۶۴) فَلا وَ رَبِّکَ لا یُؤْمِنُونَ حَتَّی یُحَکِّمُوکَ فِیما شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لا یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً (۶۵)

[۶۵] وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِیُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ فلیس الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لمجرد الوعظ حتی یراجعه الناس مهما شاءوا و یراجعوا غیره إذا لم یشاءوا مراجعته، بل إن الرسول أرسل لإطاعة الناس له فی جمیع شؤونهم فهو المأذون من قبل اللّه سبحانه فی أن یطاع، أی لیس لأحد أن یطیع أحدا جبرا إلا إذا کانت السلطة ناشئة من قبل اللّه و إذنه، و إلا فأیة سیطرة لأحد علی أحد، مع العلم أن الأشیاء کلها ملک اللّه سبحانه.

ثم إن اللّه سبحانه لا یقطع صلته بهؤلاء المنافقین بل یفتح لهم مجال الرجوع و الإنابة وَ لَوْ أَنَّهُمْ أی هؤلاء المنافقون و العصاة إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بالنفاق و المعصیة، فإن العصیان یعود ضرره إلی العاصی جاؤُکَ تائبین معتذرین فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ أی طلبوا غفرانه و عفوه وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ بأن وجدهم أهلا لطلب المغفرة من اللّه لهم لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً أی کثیر التوبة. و قد تقدم أن معنی کون اللّه توابا:

أنه كثير الرجوع على عبده العاصى كلما تاب العبد و رجع رَحِيماً يرحمهم و يغفر ذنوبهم.

[۶۶] و هنا يتردد سؤال هو أنه: كيف يقال عن هؤلاء أنهم «يزعمون أنهم آمنوا بك»؟ أ ليس إيمانهم حقيقيا، فإنهم آمنوا بالله و رسوله و اليوم الآخر و التزموا بشرائع الإسلام من صلاة و زكاة و صيام؟ و الجواب:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٥٠١

فَلا وَ رَبِّكَ أى ليسوا بمؤمنين- قسما بربك- يا رسول اللّه لا يُؤْمِنُونَ إيمانا مرضيا أمر به اللّه و رتب عليه الجنة و الثواب حَتَّى يُحَكِّمُوكَ أى يجعلوك حاكما فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ أى فيما وقع بينهم من الخصومة ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً أى لا يجدوا فى قلوبهم صعوبة من قضائك، كما هو شأن المغلوبين فى القضاء حيث لا يتقبلون الحكم بسهولة بل يظنون أن الحاكم بخسهم حقهم مِمَّا قَضَيْتَ و حكمت وَ يُسَلِّمُوا أى ينقادوا لقضائك و حكمك تَسْلِيماً مطلقا بلا صعوبة و لا حرج يجدونه فى نفوسهم.

فعن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال «لو أن قوما عبدوا اللّه و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و صاموا شهر رمضان و حجوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول اللّه: ألا صنع خلاف ما صنع؟ أو وجدوا من ذلك حرجا فى أنفسهم، لكانوا مشركين، ثم تلا هذه الآية» «١».

و فى بعض التفاسير: إن الآية نزلت فى الزبير و ابن أبى بلتعة حيث تنازعا فحكم الرسول للزبير فخرجا و قال ابن أبى بلتعة متهما الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنه قضى لابن عمته، و عيّرهم بذلك يهودى فقال: كيف تعتقدون أنه رسول اللّه ثم تتهمونه فى قضاء قضاه «٢»؟

---

(١) الكافى ج ٢ ص ٣٩٨.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٢١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٥٠٢

[سورة النساء (۴): الآيات ۶۶ الى ۶۷]

وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَشَدَّ تَثْبِيتاً (۶۶) وَ إِذاً لَآتَيْناهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً (۶۷)

[۶۷] كيف أنهم يجدون حرجا من قضاء قضاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الحال أنه يجب إطاعة الرسول فى كل شيء حتى لو أمر بأن يقتلوا أنفسهم، كما أمر موسى قومه: فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ «١» فتابوا و فعلوا ما أمرهم به وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا أى أوجبنا عَلَيْهِمْ أى على هؤلاء الذين يجدون حرجا فى أنفسهم مما قضيت أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بأن يقتل بعضكم بعضا أو يقتل الشخص نفسه أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ بأن تهجروا مساكنكم إلى بلاد الغربة، كما خرج قوم موسى إلى التيه من منازلهم التى كانت فى مصر ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ لما فى ذلك من إهلاك النفس و المشقة وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ من عدم الحرج فى قضاء رسول اللّه و اتباع أوامره و أحكامه لَكانَ فعلهم ذلك خَيْراً لَهُمْ فى دنياهم و آخرتهم وَ أَشَدَّ تَثْبِيتاً فإن الإنسان كلما أطاع ثبّت دينه و قوّى ملكة عقيدته، فإن العقيدة بتكرار التعقّل و تكرار التذكّر و الاستسلام تقوى و تشد، فما أمروا به ليس فيه جهد قتل النفس و إخراجها من الديار، و مع ذلك فهو خير لهم و تثبيت لعقيدتهم المؤدية لكل سعادة.

[۶۸] وَ إِذاً أى إذا فعلوا ما يوعظون به لَآتَيْناهُمْ أى أعطيناهم مِنْ لَدُنَّا أى لدن أنفسنا. و هذه الكلمة تفيد تأكيد الوعد، إذ أن اللّه تعالى

---

(١) البقرة: ۵۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٥٠٣

[سورة النساء (۴): الآيات ۶۸ الى ۶۹]

وَ لَهَدَيْناهُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً (۶۸) وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً (۶۹)

ليس عاجزا لا يتمكن من إنجاز وعده و لا بخيلا أو مخلفا لوعده حتى لا يفى بما قال أَجْراً عَظِيماً أى كبيرا. و فى الأحاديث: إن نعيم الجنة بنحو «لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر» «۱».

[۶۹] وَ لَهَدَيْناهُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً أى ثبتناهم، و قد تقدم فى سورة الحمد اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ أن المعنى «ثبتنا»- بالتقريب الذى سبق- أو المراد هدايتهم صراط يوم القيامة الذى هو جسر على جهنم.

[۷۰] ثم ينتهى السياق إلى القاعدة العامة التى توجب خير الدنيا و الآخرة وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ باتباع أوامرهما و نواهيهما بصورة عامة فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فى الدنيا فى المكانة الرفيعة فى القلوب و الذكر الرفيع و النصرة، كما قال سبحانه: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا «۲» مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ الصديق هو الملازم للصدق فى أقواله و أعماله، أو هو المداوم على التصديق بما يوجبه الحق وَ الشُّهَداءِ الذين استشهدوا فى سبيل اللّه، و يسمى الشهيد شهيدا لشهادة الملائكة و الناس له بأنه من أهل الجنة وَ الصَّالِحِينَ الفاعلين للصلاح الملازمين له وَ حَسُنَ أُولئِكَ

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۸ ص ۹۲.

(۲) غافر: ۵۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۰۴

[سورة النساء (۴): الآيات ۷۰ الى ۷۲]

ذلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ عَلِيماً (۷۰) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُباتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً (۷۱) وَ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً (۷۲)

الأشخاص رَفِيقاً أى مرافقين لمن يطع اللّه و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

[۷۱] ذلِكَ التوفيق للإطاعة المعقب لكون رفقاء الإنسان النبيين و سائر من ذكر الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ أى تفضّل منه سبحانه لمن اهتدى بمثل هذه الهداية وَ كَفى بِاللَّهِ عَلِيماً أى يكفى اللّه سبحانه عالما بما يفعله الإنسان من خير و شر، فإنه إذا علم شيئا رتّب عليه الأثر.

[۷۲] و إذا انتهى الكلام حول الإطاعة المطلقة لله و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يلتفت السياق إلى حكم شاق من أحكام الإسلام هو القتال لتدريب المؤمنين على هذا العمل الجهادى العظيم، و تقرير الواجب عليهم فقال سبحانه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا- ذكرنا سابقا أن أحكام الإسلام عامة لكل شخص، و تخصيص المؤمنين بالخطاب لأنهم المستفيدون من ذلك- خُذُوا حِذْرَكُمْ يقال: خذ حذرك، أى احذر و تأهب لملاقاة الأمر بالمكروه، أو المراد بالحذر: الأسلحة- مجازا- لأنه آلة الحذر فيكون من باب المجاز فَانْفِرُوا ثُباتٍ أى أخرجوا إلى الجهاد. و «ثبات» جمع مفرده «ثبة» الجماعة فى فرقة، أى ليكن خروجكم فرقة بعد فرقة، كما تخرج السرايا سرية إلى هنا و سرية إلى هناك، أو جماعة إثر جماعة أَوِ انْفِرُوا و اخرجوا جَمِيعاً فى عسكر واحد.

[۷۳] وَ إِنَّ مِنْكُمْ أيها المسلمون لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ أى يتأخر عن الخروج استثقالا من الجهاد، و إرادة للفرار، كما كان ذلك حال المنافقين فإنهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۰۵

[سورة النساء (۴): الآيات ۷۳ الى ۷۴]

وَ لَئِنْ أَصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً (۷۳) فَلْيُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ وَ مَنْ يُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (۷۴)

كانوا لا يريدون الجهاد، و لذا كانوا يستثقلونه رجاء الفرار فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ من هزيمة أو قتل لبعض أفرادكم قالَ ذلك المنافق المبطئ و هو مسرور جذلا: قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً أي شاهدا حاضرا في القتال، حتى يصيبني ما أصابهم، و هذا دائما عادة المنافقين في كل حركة، أنهم يبطّئون حتى يذهب الناس، و يترقبون الأنباء حتى إذا وجدوا في الذاهبين كسرا سرّوا بأنهم كانوا بعداء عن المعركة.

[۷۴] وَ لَئِنْ أَصابَكُمْ في جهادكم فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ بالفتح و الغنيمة لَيَقُولَنَّ ذلك المبطئ متحسّرا- كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ جملة معترضة ليست مقولة للقول، و إنما هي حكاية حال المنافق الذي لا يريد إلا النفع و المادة، و لا يخلص للدين و الدعوة-: يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ حاضرا في الجهاد، لأنال مالا و فخرا فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً فإنه يتمنى الحضور لا لنصرتكم بل لأن يفوز هو بشرف الجهاد و غنيمة الفاتحين.

[۷۵] لما تقدم ذكر المنافقين الذين يبطّئون عن القتال، بيّن سبحانه ما هو واجب المسلم بالنسبة إلى هذا الأمر المهم فقال: فَلْيُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أي لأجل أمره و إعلاء كلمته الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۰۶

[سورة النساء (۴): آية ۷۵]

وَ ما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً (۷۵)

أي يبيعون الحياة القريبة الفانية بالحياة الآخرة الباقية، فإن من أقدم على الحرب، كان كمن باع نفسه و كل ما يملك لأجل الآخرة وَ مَنْ يُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بأن تكون مقاتلته لأجل إعلاء أمر اللّه و تنفيذ حكمه فَيُقْتَلْ يستشهد أَوْ يَغْلِبْ يظفر على الأعداء فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً فهو بين إحدى الحسنيين، الاستشهاد و الجنة، أو الغلبة و الفتح.

[۷۶] وَ ما لَكُمْ أيها المسلمون لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لإعلاء كلمته و تطبيق حكمه في البلاد وَ في سبيل نصرة الْمُسْتَضْعَفِينَ بإنقاذهم من براثن الحكّام الجائرين و السادة الظالمين مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الذين بقوا محصورين في أيدي الجائرين، فإنه يحق للمسلم أن يقاتل لأجل أحد هذين الأمرين، و لا يحق له أن يقاتل لأجل نشر السيطرة و الاستثمار و السيادة- كما هي العادة عند غير المسلم من المحاربين- و الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها أي المدينة التي هم فيها مما لا يجدون محيصا عنها، فلا يتمكنون من الخروج عنها لضعفهم و منع الظالمين لهم من الخروج، و لا لهم حول لدفع ظلم الظالمين عن أنفسهم وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ أي من عندك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۰۷

[سورة النساء (۴): الآيات ۷۶ الى ۷۷]

الَّذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً (۷۶) أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَ قالُوا رَبَّنا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتالَ لَوْ لا أَخَّرْتَنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقى وَ لا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (۷۷)

وَلِيًّا يلي أمورنا و يسير بنا بالعدل و الإحسان وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ عندك نَصِيراً ينصرنا على الظالمين.

[۷۷] ثم شجع سبحانه المجاهدين بأنهم أقوى من أعدائهم فإن الَّذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ و لمرضاته و إعلاء كلمته وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ الذي هو طاغ متجاوز للحد، فإن الذين كفروا لا يريدون بقتالهم إلا الظلم و الطغيان و إبقاء الأنظمة

الفاسدة و العادات و التقاليد الزائفة فَقاتِلُوا أيها المؤمنون أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ و أحبّاءه الذين يتولّونه إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ و مكره و حيلته فى سبيل إبقاء أمره و تقوية جيشه كانَ ضَعِيفاً فيغلبه نصر اللّه و ولاية للمؤمنين.

و لا مجال لأن يقال: فكيف نرى غلبة الكفار فى كثير من الأحيان؟ فإن الجواب: إن ذلك لعدم توفر شروط المقاتلة فى المؤمنين، إذ أن اللّه سبحانه لم يعد النصر مطلقا بل مشروطا بأن يعدّوا لهم ما استطاعوا من قوة، و أن يصدقوا فى الجهاد و المثابرة إلى غير ذلك، نعم مع توفر الشروط لا يفيد الأعداء جمعهم و كثرتهم، كما دلت التجارب على ذلك و صدّق الخبر الخبر.

[٧٨] كان المسلمون و هم بمكة يطلبون من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الإذن لهم فى قتال الكفار حينما كانوا يلاقون منهم الأذى و لما جاء دور القتال فى المدينة تولى بعضهم، كما هو العادة عند الناس غالبا حيث أنهم يحرّضون الرؤساء على الإقدام فلما أن أقدموا كانوا أول المنهزمين أَ لَمْ تَرَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٠٨

يا رسول اللّه استفهام تعجبى إِلَى المسلمين الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ بمكة- و القائل هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-: كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ أى أمسكوها و اقبضوها عن القتال وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ فإنه لا يجب عليكم الجهاد الآن، و كان النهى عن الجهاد لقلّتهم و عدم تمكنهم من مقابلة العدو، و أنهم إن قاتلوا أبيدوا و اجتثّت جذور الإسلام، بالإضافة إلى إرادة رسوخ الإيمان فى قلوبهم، فإن الإنسان مهما ابتلى بالمشقات و الشدائد يصفو جوهره و تصقل نفسه فَلَمَّا أتوا إلى المدينة و كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ أى فرض عليهم إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ أى من هؤلاء المسلمين الذين كانوا يطلبون الإذن بالقتال يَخْشَوْنَ النَّاسَ الكفار أن يقتلوهم إذا بارزوا كَخَشْيَةِ اللَّهِ كما يخافون من اللّه سبحانه أن يميتهم أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً إذ خوف الإنسان من الموت غالبا أقل من خوفه من القتل، إذ القتل يكتنف فى الأغلب بالأهوال و المرعبات بخلاف الموت.

وَ قالُوا أى قال هؤلاء الفريق: رَبَّنا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتالَ أى لأى علة فرضت علينا أن نقاتل فعلا؟! لَوْ لا أَخَّرْتَنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ أى لماذا لم تؤخر الأمر بالقتال إلى زمان آخر قريب، حتى نستعد للحرب. فقد ورد فى بعض التفاسير: أنه كان بالنسبة إلى «حرب بدر» حيث كان بعض المسلمين يكرهون ذلك لأنهم لم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٠٩

[سورة النساء (۴): آية ٧٨]

أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً (٧٨)

يستعدوا و يطلبون التأخير إلى أجل قريب ليستعدوا.

قُلْ يا رسول اللّه لهؤلاء: إن كان خوفكم من الحرب لأجل احتمال القتل فما فائدة البقاء فى الدنيا؟ إذ مَتاعُ الدُّنْيا أى ما يستمتع به فى الدنيا قَلِيلٌ الأمد يفنى بعد مدة وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقى المعاصى و عمل بالواجبات وَ لا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا أى مقدار فتيل، و هو ما فى شق النواة فإذا قتلتم، لا تهدر أتعابكم و أعمالكم.

[٧٩] ثم لماذا الفرار من القتال، الخوف الموت؟ فإن الموت لا محالة يدرك الإنسان أَيْنَما تَكُونُوا من الأماكن يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ أى يلحقكم و ينزل بكم وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ البروج جمع برج، و هو القصر أو البناء المستحكم الذى يرصد فيه للأعداء و يشرف منه على القادم و الذاهب، و ال «مشيدة» هى التى شيدت و بنيت بإحكام، أى أن الموت لا يهاب البروج و القلاع و الحصون و المراصد.

ثم وصف سبحانه حالة هؤلاء الضعاف الإيمان من المسلمين الذين قالوا: «لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتالَ» فإن دخائل نفوسهم تتلوّن و لا تبقى فى جهة واحدة و إيمان راسخ وَ ذلك لأنه إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ من نماء و زرع و بركة و تقدم فى الحرب و صحة و ما أشبه يَقُولُوا هذِهِ

الحسنة مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فإنه المتفضل المحسن وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ من غلاء و قحط و تأخر و مرض و ما أشبه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۱۰

[سورة النساء (۴): آية ۷۹]

ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَ أَرْسَلْناكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً (۷۹)

يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ يا رسول اللّه، فإنه أصابنا بسببك، كما حكى اللّه سبحانه عن قدم ذلك، حيث قال سبحانه: وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَ مَنْ مَعَهُ «۱».

قُلْ يا رسول اللّه لهم: كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فهو الذى يجدب و هو الذى يخصب و هو الذى يمرض و هو الذى يشفى ... و هكذا، فليس مصدر الكوارث الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ أى ما شأن هؤلاء الضعاف الإيمان؟ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً أى بعداء عن فهم ما نحدّثهم به من القرآن الحكيم.

[۸۰] و حيث تبين أن مصدر الخير و الشر هو اللّه سبحانه يبقى السؤال: ما هو سبب الشر؟ و لماذا يبتلى اللّه تعالى الإنسان بالشر، و الحال أنه سبحانه لا يريد بعباده إلا الخير؟ و يأتى الجواب: ما أَصابَكَ أيها الإنسان مِنْ حَسَنَةٍ كالزرع و الرّخص و الصحة و الغنى فَمِنَ اللَّهِ إنه يتفضل عليك بلا سبب، و إن كان قسم منها أيضا بسبب الأعمال الصالحة وَ ما أَصابَكَ أيها الإنسان مِنْ سَيِّئَةٍ قحط و غلاء و مرض و ما أشبه فَمِنْ نَفْسِكَ فإن أعمالك الشريرة هى التى سببت ابتلاءك بالسيئات و المصائب وَ أَرْسَلْناكَ يا رسول اللّه لِلنَّاسِ رَسُولًا فمهمتك تخصّ التبليغ و لا يرتبط وجودك بالمصائب و الآفات- كما

---

(۱) الأعراف: ۱۳۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۱۱

[سورة النساء (۴): الآيات ۸۰ الى ۸۱]

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (۸۰) وَ يَقُولُونَ طاعَةٌ فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَ اللَّهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً (۸۱)

يزعم هؤلاء- بل العكس، إنك منبع الخير و مبعث الهداية و الصلاح وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً أى يكفى كون اللّه شاهدا على رسالتك و أنك لا ترتبط بالشرور، لا يقال: كيف يمكن إثبات أن اللّه يشهد على رسالته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الحال أن أحدا لم يسمع من اللّه ذلك؟ الجواب: لأنا نقول: إن الشهادة التكوينية بإجراء المعجزة على يديه الكريمتين من أكبر أقسام الشهادة.

[۸۱] مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فى أوامره و زواجره، التى منها أمره بالجهاد- كما سبق فى بعض الآيات- فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ لأن أمر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو أمر اللّه سبحانه وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى «۱» وَ مَنْ تَوَلَّى و أعرض عن أوامر الرسول، فلا يهمك ذلك يا رسول اللّه و لا تذهب نفسك عليهم حسرات فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً تحفظهم عن المخالفة و التولى، كما قال تعالى فى آية أخرى: فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ «۲».

[۸۲] ثم حكى سبحانه حال المنافقين الذين تقدم بعض أحوالهم من أنهم يبطّئون عن الجهاد، و يقولون: لو لا أخرتنا إلى أجل قريب، و ما أصابتهم من سيئة يطيروا بالرسول وَ يَقُولُونَ هؤلاء: أمرك طاعَةٌ إنا مستعدون لتنفيذه و مستسلمون له فَإِذا بَرَزُوا أى خرجوا

---

(۱) النجم: ۴ و ۵.

(۲) الغاشية: ۲۲ و ۲۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۱۲

[سورة النساء (۴): آية ۸۲]

أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً (۸۲)

مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ أى قدّر ليلا- طائِفَةٌ أى جماعة مِنْهُمْ أى من هؤلاء المنافقين غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ فيتشاورون بينهم بالليل ليخالفوك و ينقضوا أمرك وَ اللَّهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ أى ما يتواطئون عليه ليلا، من نقض أمرك، فيجازيهم على المخالفة و العصيان فَأَعْرِضْ يا رسول اللّه عَنْهُمْ فلا تؤاخذهم بأعمالهم حتى تنشق صفوف المسلمين، فإنهم إن ظهرت خباياهم شقوا الصفوف و خالفوا وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فهو الذى ينصرك و يعينك فى جهادك الأعداء وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا فمن و كل إليه سبحانه أمره أنجزه أحسن إنجاز و أكمله أحسن إكمال.

[۸۳] فهل يظن هؤلاء العصاة الذين يخالفون الرسول و يبيتون غير ما يقول، أن الرسول يأمر و ينهى عن نفسه، دون أن يكون كلامه من الوحى، و أن القرآن من كلامه لا من كلام اللّه سبحانه، و لذا يسهل مخالفته؟

فإن كان هذا ظنهم فهو خطأ محض، إذ القرآن الذى يقرأه الرسول إنما هو من عند اللّه، لا من كلام الرسول أ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ تدبرا عميقا حتى يعرفوا أنه فوق كلام البشر و لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ حتى لو كان من عند الرسول- على عظمته- لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً لأن البشر مهما أوتوا من الموهبة لا بد و أن تختلف تعبيراتهم و تتفاوت أفكارهم حسب الأزمان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۱۳

[سورة النساء (۴): آية ۸۳]

وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلاَّ قَلِيلًا (۸۳)

و الظروف، فعدم الاختلاف فى القرآن من جهة من الجهات، أدل دليل على أنه ليس من كلام البشر و إنما هو من عند إله حكيم.

[۸۴] و يعود السياق إلى حالة هؤلاء المنافقين الذين تقدمت بعض صفاتهم، فقال سبحانه: وَ إِذا جاءَهُمْ أى جاء هؤلاء أَمْرٌ أى شيء مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ من ظهور المؤمنين على عددهم الموجب للأمن، أو انهزام المسلمين الموجب للخوف، و نحو ذلك من كل شيء يوجب أمنا أو خوفا أَذاعُوا بِهِ أى أفشوه فى الأوساط، فقد كانت الأخبار المختلفة تذاع و تنشر فى المدينة لغرض الدعاية للمسلمين أو عليهم، فكان هؤلاء الضعاف الإيمان يتلقفونها فورا و يأخذون فى إشاعتها، من دون نظر إلى عاقبة الأمر، و إلى أن الخبر هل هو صحيح أو لا. و من الأمور الضرورية بالنسبة إلى الحركات أن تكون أخبارها طى الدرس عند القادة، ليروا هل من الصلاح إشاعتها أم لا إذ كثيرا ما يكون الخبر مكذوبا و كثيرا ما تكون إشاعة خبر الأمن، ضد المصلحة- و لو كان صحيحا- حينما يقتضى الحال الحذر و الاستعداد، و كثيرا ما تكون إشاعة خبر الخوف ضد الصلاح- و لو كان صادقا- حينما يقتضى الحال الأمن و الأمان، لئلّا يجبن الناس عن الاستعداد و الحركة.

وَ لَوْ رَدُّوهُ أى أرجعوا ذلك الخبر الذى سمعوه إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ و المراد به الأئمة عليهم السّلام، و الذين هم معيّنون من قبل الرسول و الأئمة، فإنه لا أولى أمر إلا هؤلاء كما تقدم ذلك لَعَلِمَهُ أى: لعلم ذلك الأمر صدقه و كذبه و كون الصلاح فى نشره أو

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۱۴

[سورة النساء (۴): آية ۸۴]

فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ اللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا (۸۴)

كتمانه الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ أى يستخرجونه مِنْهُمْ أى من أولى الأمر فلا يبقى الخبر مردّدا بين الصدق و الكذب، و لا بين الصلاح فى

إشاعته و عدمه، و لم يكن محل للظنون و الأوهام و لم ترج- بعد- الأكاذيب لأنها تحت الرقابة. و لم يقل «لعلموه» للإشارة إلى علة علمهم و أنهم بسبب استنباطهم يعلمونه.

وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ أيها المسلمون، حيث يرشدكم إلى مواقع الزلل و مهاوى الخطأ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ فى ما يلقيه عليكم مما يوجب بلبلة صفوفكم و انشطار كلمتكم إِلَّا قَلِيلًا من الذين قويت عقولهم فلا يتبعون خطوات الشيطان، حتى إذا لم يكن رسول، كما كان ذلك فى زمن الجاهلية حيث أن بعضهم لم يكن يتبع الشيطان بما أوتى من قوة فى العقل و سداد فى الرأى فليس المراد- لو لا فضل اللّه إطلاقا- بل المراد الفضل الخاص.

[٨٥] و عند ما بيّن القرآن سلوك القوم فى الجهاد و أن اللّه هو الذى يتفضل على المؤمنين، يتوجه السياق إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قائلا: فَقاتِلْ يا أيها الرسول فِي سَبِيلِ اللَّهِ و لإعلاء كلمته و تنفيذ حكمه لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ فإنك لا تضرّر بفعل المنافقين و إرجافهم و ما يبدو منهم، فإنك لست مكلفا بأفعالهم و أعمالهم كما أنك لست مسئولا عن المؤمنين إلا بقدر نطاق التبليغ و الإرشاد وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ أى حثّهم على القتال عَسَى اللَّهُ أى لعلّ اللّه أَنْ يَكُفَ و يمنع بسبب قتالك بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥١٥

[سورة النساء (٤): الآيات ٨٥ الى ٨٦]

مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْها وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً (٨٥) وَ إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً (٨٦)

أى شدة الكفار و قوتهم بأن يغلّبك عليهم فيعودوا خائبين وَ اللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً فأنتم بقوة اللّه و شدته تتقدمون و هو أشد من الكفار قوة وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا أى أشد من حيث العقوبة و النكال.

[٨٦] و حيث تقدم أن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يكلّف إلا نفسه، استدرك الأمر بأن ليس المراد بذلك أن الإنسان الوسيط لا يكون له شيء بالنسبة إلى ما توسط فيه بل مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً حَسَنَةً أى يكون قد شفع صاحبه فى الأمور الخيرية، و ذلك إما بالتوسط، أو بالتحريض أو بالإرشاد يَكُنْ لَهُ أى للشفيع نَصِيبٌ و حصة مِنْها أى من تلك الحسنة فإن الدال على الخير كفاعله وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً سَيِّئَةً بأن توسط فى الأمر السيئ أو حرّض أو دلّ على ذلك يَكُنْ لَهُ أى للشفيع كِفْلٌ أى نصيب مِنْها لأنه قد تعاون على الإثم و العدوان وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً أى مقتدرا فهو القادر فى أن يعطى الشفيع نصيبا من الحسنة أو كفلا من السيئة. أو معنى المقيت: المجازى، أى يجازى على الأمرين.

[٨٧] و قد ناسب الكلام الذى هو حول القتال و الجهاد، الكلام حول السلام و الكف عن القتال، لتقابل الضدين بين الأمر، و يأتى الجو عاما لا يخص سلام الحرب، بل السلام المطلق، فقال سبحانه: وَ إِذا حُيِّيتُمْ أيها المسلمون بِتَحِيَّةٍ و التحية: السلام، يقال: «حيّ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥١٦

[سورة النساء (٤): الآيات ٨٧ الى ٨٨]

اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً (٨٧) فَما لَكُمْ فِي الْمُنافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَ اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِما كَسَبُوا أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨)

يحيى» إذا سلم فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أى من تلك التحية. و الآية عامة تشمل كل تحية. قال فى «المجمع»: «فلما أمر سبحانه بقتال المشركين عقبه بأن قال: من مال إلى السلم و أعطى ذاك من نفسه و حيّ المؤمنين بتحية فاقبلوا منه» «١». أَوْ رُدُّوها بمقدارها فإذا قال أحد لك:

«السلام عليكم» فالرد الأحسن أن تقول: «السلام عليكم و رحمة اللّه» و الرد المساوى أن تقول: «السلام عليكم» إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً أى حفيظا محاسبا، فيحسب ردّكم إن كان بالأحسن أو بالمساوى ليجازيكم عليه.

[۸۸] اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فهو المالك المطلق ذو الصفات الكمالية لَيَجْمَعَنَّكُمْ ببعثكم بعد الممات و يحشرنكم إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ أى إلى موقف الحساب ليجازيكم بأعمالكم فما عملتم فى دنياكم من حرب و سلم أو غيرهما لا بد و أن تجازوا عليه هناك لا رَيْبَ فِيهِ أى ليس محلا للريب و إن ارتاب فيه المبطلون، أو أنه بالنظر إلى الواقع ليس فيه ريب و شك، فهو أمر واقع لا محالة منه وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً فحديثه صادق لا خلف فيه، و ليأتينكم يوم القيامة و تجازون بما عملتم فى الدنيا.

[۸۹] ثم يرتد السياق إلى الجهاد و ما يتخلله من الاختلاف و الانشقاق و يذكّر

---

(۱) مجمع البيان: ج ۳ ص ۱۴۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۱۷

اللّه سبحانه المؤمنين بأنه لا ينبغى لهم أن يختلفوا فى جهاد الكفار و المنافقين لأعذار واهية، فقال سبحانه: فَما لَكُمْ أيها المسلمون صرتم فِي الْمُنافِقِينَ أمر المنافقين فِئَتَيْنِ فئة تؤيد محاربتهم لأنهم كفار واقعا، و فئة لا تؤيد لأنهم أظهروا الإسلام فى يوم ما وَ الحال أن اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ أى ردّهم إلى حكم الكفر بِما كَسَبُوا أى بسبب كسبهم للنفاق و الشقاق أَ تُرِيدُونَ أى هل تريدون أيها المسلمون أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ أى: أ تطمعون فى هداية هؤلاء المرتدين، و قد أضلهم اللّه؟ و قد تقدم أن معنى إضلال اللّه تركهم و ضلالهم، بعد أن عرفوا الحق فأعرضوا عنه وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فيتركه على كفره و ضلاله فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا لإنقاذه، و كيف يمكن إنقاذه و هو معاند يتعامى عن الحق عمدا.

و

قد روى عن الإمام الباقر عليه السّلام: «أن هذه الآية نزلت فى قوم قدموا المدينة من مكة فأظهروا للمسلمين الإسلام ثم رجعوا إلى مكة، لأنهم استوخموا المدينة فأظهروا الشرك، ثم سافروا ببضائع المشركين إلى اليمامة، فأراد المسلمون أن يغزوهم فاختلفوا فقال بعضهم: لا نفعل فإنهم مؤمنون، و قال آخرون: إنهم مشركون. فأنزل اللّه فيهم هذه الآية» «۱».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۴۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۱۸

[سورة النساء (۴): آية ۸۹]

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَواءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِياءَ حَتَّى يُهاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ لا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (۸۹)

و هذا الأمر عام دائما فى كثير من الحركات فإن قسما من الذين يؤمنون لا بد و أن ينقلبوا ثم يختلف فيهم الباقون، هل أنهم خارجون حقيقة أم لا، و الآية تبين وجوب وحدة الصف أمام هؤلاء بعد ما ظهر منهم الارتداد. ثم لا يخفى أن تعبير الآية بالمنافقين لا يدل على أنهم لم يكفروا إذ النفاق أعم من الكفر، و من المحتمل أن الآية تريد بيان وجوب وحدة الصف أمام المنافقين، حتى يكون التجنب عنهم عاما و ليقروا بالعزلة، و هذا أقرب إلى ظاهر الآية بمناسبة ما سبق من أحكام المنافقين كما أن صريح الرواية و ظاهر الآية اللاحقة «وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ» يدل على المعنى الأول، و أنه أريد بالنفاق الكفر.

[۹۰] وَدُّوا أى أحبّ هؤلاء المنافقين الذين ارتدوا عن الإسلام و أظهروا الشرك لَوْ تَكْفُرُونَ أنتم أيها المسلمون كَما كَفَرُوا هم فَتَكُونُونَ سَواءً فى الكفر و مثل هؤلاء لا ينبغى أن ينقسم المسلمون بالنسبة إليهم قسمين فَلا تَتَّخِذُوا أيها المسلمون مِنْهُمْ أَوْلِياءَ أحبّاء و أخلاء، فإن المسلم لا يصادق الكافر كما قال سبحانه: لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ «۱» حَتَّى يُهاجِرُوا من دار الكفر إلى دار السلام فِي سَبِيلِ اللَّهِ و ذلك يلازم الإيمان، إذ الهجرة لا تكون إلا بعد الإيمان فَإِنْ تَوَلَّوْا و أعرضوا عن

الإيمان الملازم للهجرة

---

(١) المجادلة: ٢٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥١٩

[سورة النساء (۴): آية ٩٠]

إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ أَوْ جاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقاتِلُوكُمْ أَوْ يُقاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقاتِلُوكُمْ وَ أَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَما جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً (٩٠)

فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ أى أينما أصبتموهم من حلّ أو حرم، و لا إشكال فى محاربة الجانى فى الحرم، أو المراد أينما كانوا من الأرض وَ لا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا أى صديقا خليلا وَ لا نَصِيراً أى ناصرا ينصركم على أعدائكم، فإن الكافر لا ينصر المسلم و لو نصره فى الظاهر فإنه لا يؤمن شره.

[٩١] ثم استثنى سبحانه عن وجوب مقاتلة هؤلاء من كان داخلا فى حلف قوم بينهم و بين المسلمين معاهدة، فإن دخوله فى ذلك الحلف يحقن دمه، و من لا يريد محاربة المسلمين و إنما يريد معاهدتهم، فقال سبحانه- مستثنيا من قوله «فخذوهم ..»-: إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلى قَوْمٍ أى لهم مواصلة و أحلاف مع قوم بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ أى بين أولئك القوم مِيثاقٌ و

فى الحديث: «أن هلال بن عويمر السلمى واثق الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن لا يتعرض هو لأحد أتاه من المسلمين، و لا يتعرض الرسول لمن أتى هلال بن عويمر. فأنزل اللّه هذه الآية ناهيا أن يمس من يأتى هلال من الكفار بسوء» «١».

أَوْ الذين جاؤُكُمْ أى أتوا إليكم أيها المسلمون حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أى ضاقت صدورهم- و السبب أن من يهمه أمر تنتفخ رئته لتجلب أكبر قدر من الهواء، ليرفّه على القلب الذى حمى بواسطة

---

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١۴۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٢٠

غليان الدم، فيضيق الصدر لتوسع الرئة- أَنْ يُقاتِلُوكُمْ أَوْ يُقاتِلُوا قَوْمَهُمْ أى تضيق صدورهم من قتالكم و قتال قومهم فلا يكونون لكم و لا عليكم.

و

فى «المجمع»، قال: «إنما عنى به بنى أشجع، فإنهم قدموا المدينة فى سبعمائة يقودهم مسعود بن دخيلة فأخرج إليهم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أحمال التمر ضيافة، و قال: نعم الشيء الهدية أمام الحاجة و قال لهم: ما جاء بكم؟ قالوا: لقرب ديارنا منك، و كرهنا حربك و حرب قومنا- يعنون بنى حمزة الذين بينهم و بينهم عهد- لقلّتنا فيهم، فجئنا لنوادعك، فقبل النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلك منهم و وادعهم فرجعوا إلى بلادهم» «١».

وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ أى سلط هؤلاء الكفار عَلَيْكُمْ بأن لم يلق فى قلوبهم رعبكم أيها المسلمون حتى يخافوكم فيسالموكم، فقد كان هذا من فضل اللّه سبحانه أن يجعلكم محل هيبة و منعة، مع أن عددكم و عددكم لا يقتضيان ذلك، و لو لم يلطف بكم فَلَقاتَلُوكُمْ لكن حيث أنعم اللّه عليكم بذلك فلا تمدوا إليهم يد المحاربة فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ هؤلاء الذين ذكروا و هم «الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلى قَوْمٍ ..» أو «جاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ..» فَلَمْ يُقاتِلُوكُمْ وَ أَلْقَوْا إِلَيْكُمُ أيها المسلمون السَّلَمَ يعنى صالحوكم و استسلموا لكم

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٥٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۲۱

[سورة النساء (۴): آية ۹۱]

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَ يَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّما رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيها فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَ يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَ يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أُولئِكُمْ جَعَلْنا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطاناً مُبِيناً (۹۱)

فَما جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا فلا تباح دماؤهم، و لا أموالهم، و لا أعراضهم.

و ما في بعض التفاسير من أن الآية منسوخة، لم يظهر وجهه، إذ الجملة الأولى لا تقبل النسخ فإن المعاهدات تبقى إلى أمدها، و الجملة الثانية في مورد خاص، و مثله لا يقبل النسخ.

[۹۲] سَتَجِدُونَ أيها المسلمون جماعة آخَرِينَ ممن يبطنون الكفر و يظهرون الإسلام يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ أي يأمنوا من طرفكم وَ يَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ أي يأمنوا من طرف قومهم الكافرين، و هؤلاء كُلَّما أتوكم أظهروا الإسلام و إذا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ بأن رجعوا إلى قومهم و دعوهم إلى الكفر- و هو المراد بالفتنة هنا- أُرْكِسُوا فِيها أي وقعوا فيها و ارتدوا عن إسلامهم و الإسلام لا يعترف بهكذا أناس، فإن مثلهم خطرون على سلامة المسلمين فلا بد و أن يحدد هؤلاء موقفهم، إما أن يعلنوا سلمهم العام و اعتزالهم- حياديا- عن المشاركة في التحركات ضد المسلمين، و لا يشتركوا في حرب عليهم، فهم في أمان من جانب الدولة الإسلامية، و إما أن يحاربهم المسلمون كسائر الكفار، لا فضل لهم و لا حرمة فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ أي لم يعتزل هؤلاء الكفار عن المؤمنين وَ لم يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ بأن يسالموكم و يصالحوكم وَ لم يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۲۲

[سورة النساء (۴): آية ۹۲]

وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ إِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (۹۲)

بأن لا يشاركوا في حرب و تحرك ضدكم فَخُذُوهُمْ أي فأسروهم، و لا تراعوا نفاقهم في إظهارهم الإسلام إذا جاءوكم وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ أي أينما وجدتموهم وَ أُولئِكُمْ أي هؤلاء المذبذبون جَعَلْنا لَكُمْ أيها المسلمون عَلَيْهِمْ سُلْطاناً مُبِيناً أي برهانا واضحا، فإنه لا وسط بين الحرب و الحياد، فإن أخذوا جانب الحياد فهو، و إلا فالحرب حالهم حال سائر الكفار.

و من المحتمل أن لا يكون المراد من «يأمنوكم» إظهارهم الإسلام، بل إظهارهم الموادعة و المسالمة، و سوق الآية إلى آخرها- على هذا المعنى واضح- و هذا هو الذي يؤيده

ما في بعض التفاسير من «أن الآية نزلت في عيينة بن حصين الفزاري، أجدبت بلادهم فجاء إلى رسول اللّه و وادعه على أن يقيم ببطن نخل و لا يتعرّض له، و كان منافقا ملعونا، و هو الذي سماه رسول اللّه الأحمق المطاع».

و على هذا يكون الفرق بينه و بين ما تقدم في قوله سبحانه: «أَنْ يُقاتِلُوكُمْ أَوْ يُقاتِلُوا قَوْمَهُمْ» أن الأولين جاءوا بحسن نية و صدق طوية، بخلاف هؤلاء حيث جاءوا نفاقا و مكرا، فقبل من أولئك دون هؤلاء.

[۹۳] هذا ما كان حول معارك المسلمين مع غيرهم، و حكم إراقة الدماء بالنسبة إلى الطرفين. أما المسلمون بعضهم مع بعض فلا يحق لأحد أن يريق قطرة من دم أحد وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۲۳

الاستثناء منقطع، أي لا يجوز لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا أن يخطأ في قتله، كما لو أراد قتل حيوان فأخطأ و أصاب الرمي مؤمنا، أو نحو ذلك وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فعليه أن يكفّر عن خطأ ب تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ أي أن يعتق إنسانا عبدا مؤمنا، و يقال للعبد: رقبة، بعلاقة

الجزء و الكل، من باب استعمال اللفظ الموضوع للجزء فى الكل، كما يقال للجاسوس: عين. وَ عليه دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ الدية من «ودى يدى»، أى أعطى المال المقابل للدم، و يجب أن تكون «مسلمة» أى يسلمها إلى أهل المقتول كاملة غير منقوصة، و المراد بكون الدية عليه، وجوب الدية فى الجملة، لا أنها عليه بالذات، فإنها فى الخطأ على «العاقلة» و هذه الدية تقسم بين أولياء المقتول إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا أى يتصدق أولياء المقتول بالدية على القاتل فلم يأخذوها منه، و لا يخفى أن أصل «يصدقوا» يتصدقوا، فأدغمت التاء فى الصاد لقرب مخرجهما على ما هو المعروف فى باب التفعّل.

فَإِنْ كانَ المقتول مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ أى كان من طائفة هم أعداء للمسلمين، بأن كانوا كفارا محاربين وَ هُوَ أى القتيل مُؤْمِنٌ و كان قتله له خطأ- كما يقتضيه العطف على الجملة الأولى- فعلى قاتله كفارة هى تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ أما الدية فلا تجب إذ ليس للمقتول أهل مسلمون. و من المعلوم أن الحربى لا يرث المسلم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٢٤

[سورة النساء (۴): آية ۹۳]

وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً (۹۳)

وَ إِنْ كانَ المقتول كافرا ليس بمسلم و لكنه كان مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ و معاهدة و قتله المسلم خطأ فعلى القاتل دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ أى أهل المقتول وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ و ذلك لأنه لا يجوز قتل المعاهد كما لا يجوز قتل المؤمن فَمَنْ لَمْ يَجِدْ العبد و لا ثمنه فعليه صيام شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ أى متواليين فلا يصح التفريق فى أيام الشهرين، لكن إذا صام شهرا و يوما كفاه فى التتابع، و جاز أن يصوم البقية بعد زمان غير متصل بالأول تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ أى شرع ذلك فى القتل لأجل التوبة و الرجوع من اللّه سبحانه على العبد القاتل، و القاتل و إن كان مخطئا مما يوجب عدم الذنب عليه، إلا أن بعده الطبيعى بسبب هذا العمل القبيح يعدّ ذنبا، فإن بعض الأعمال لها آثار وضعية، كمن شرب الخمر جهلا- فإنه يسكر و تصيبه الأمراض الملازمة للخمر وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً يعلم مصالحكم حَكِيماً فيما يأمر و ينهى.

[۹۴] قد تقدم حكم القتل الخطأ وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً ظاهر الآية أن القتل وقع عمدا مقابل قتل الخطأ فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها أبد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٢٥

[سورة النساء (۴): آية ۹۴]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (۹۴)

الآبدين، إلا أن تدركه شفاعة أو عفو، و هذا الاستثناء بدليل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ «۱» وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ و المراد فى مثل هذه الصفات نتائجها، و إلا فالله سبحانه ليس محلّا للحوادث وَ لَعَنَهُ أى طرده عن رحمته وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً و فى آية أخرى: مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً «۲».

[۹۵] ثم أشار القرآن الحكيم إلى بعض الاحتياطات اللازمة على المجاهدين، لئلّا يقتلوا مسلما خطأ، و ذلك إثر وقوع حادثة و هى أن أسامة بن زيد و أصحابه بعثهم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى سرية فلقوا رجلا قد انحاز بغنم له إلى الجبل و كان قد أسلم فقال لهم: السلام عليكم، لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، فبدر إليه أسامة فقتله و استاقوا غنمه، فلما رجع إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخبره بذلك، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «أ فلا- شققت الغطاء عن قلبه، لا ما قال بلسانه قبلت و لا ما فى نفسه علمت» «۳».

و نزلت الآية يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أى خرجتم للجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الإسلام، فإن الضرب بمعنى السفر، لأن المسافر يضرب برجله الأرض فَتَبَيَّنُوا أى ميزوا بين الكافر و المؤمن ليكون أمركم واضحا مبينا و لا تفعلوا شيئا بدون التثبت و التبيّن

و التأنى وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكَمُ السَّلامَ

---

(١) النساء: ٤٩.

(٢) المائدة: ٣٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ۶۵ ص ٢٣۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۵٢۶

[سورة النساء (۴): آية ٩۵]

لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً (٩۵)

أى حياكم بتحية الإسلام و أظهر لكم أنه مسلم و اعتزلكم فلم يقاتلكم: لَسْتَ مُؤْمِناً حقيقة و إنما إيمانك صرف لقلقة لسان خوفا من القتل تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا أى هل تطلبون الغنيمة و المال، حيث تنكرون إسلام من ألقى إليكم السلام؟ فيكون الكلام على الاستفهام التوبيخى، أى لماذا تقتلون مظهر الإسلام لغنيمته الزائلة التى هى عرض الحياة الدنيا؟ أو أن الاستفهام ليس توبيخيا بل على ظاهره، أى إن كنتم تطلبون المال فَعِنْدَ اللَّهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ جمع «مغنم» و هى الغنيمة فى الدنيا بما ستحوزونه من الكفار، و فى الآخرة، و فسرت الغنيمة لغة بأنها الفائدة كَذلِكَ الذى ألقى إليكم السلام كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فإنكم كنتم كفارا كما كان هو كذلك فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بأن هداكم إلى الإيمان، فكما لم يصح لأحد أن يقول: إن إيمانكم عن خوف، كذلك لم يصح لكم أن تقولوا: إن إيمان من ألقى إليكم السلام عن خوف، و إذا علمتم خطإكم فى هذه المرة فَتَبَيَّنُوا من بعد. و قد كرّر اللفظ تأكيدا، و لكى يقع الكلام موقع القبول بعد قيام الحجة، فكان «تبينوا» فى الأول مجرد أمر و «تبينوا» هنا بعد الدليل و البرهان على لزوم التبيّن عقلا إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً فهو يعلم أعمالكم و بواعثها، فراقبوا اللّه فى كل عمل تقومون به.

[٩۶] ثم يأتى السياق ليبين فضل المجاهدين تحريضا على الجهاد و تحفيزا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۵٢٧

للقاعدين على النهوض لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الذين يقعدون فى محلّهم و لا ينهضون لمقاتلة الأعداء غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ يعنى القاعدين الذين ليس بهم ضرر يمنعهم عن الجهاد كالأعمى و الأعرج و نحوهما، أما من بهم ضرر فهم معذورون ليس عليهم حرج. و لعل المفهوم من الآية أن من به ضرر، و كان مستعدا نفسيا أن يجاهد لو لا الضرر، كان له أجر المجاهدين حسب

الحديث المأثور: «نية المؤمن خير من عمله» «١».

و عليه فإن هؤلاء القاعدون لا يستوون وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ بأن أنفقوا أموالهم للجهاد و قدموا أنفسهم للقاء الكفار فى سبيل إعلاء كلمة الإسلام. و سمى الجهاد جهادا لما يستلزمه من الجهد و المشقة، فإن فى بذل المال و النفس أعظم المشقات فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً إذ المجاهد يفضل على القاعد بالجهاد، و لكن لكلّ منهما فضل الإيمان و الصلاة و الصيام و سائر شرائع الإسلام وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى أى المجاهد و القاعد، فإن الجهاد فرض كفاية، فإذا قام به البعض سقط عن الآخرين، و لذا فكلاهما موعود بالصفة الحسنى من الخير و السعادة و إن كان المجاهد أفضل.

---

(١) الكافى: ج ٢ ص ٨۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۵٢٨

[سورة النساء (۴): آية ٩۶]

دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِیماً (۹۶)

و فی تفسیر «الأصفی» ورد: «لقد خلفتم فی المدینة أقواما ما سرتم مسیرا و لا قطعتم وادیا إلا کانوا معکم، و هم الذین صحت نیاتهم و نضجت جیوبهم و هوت أفئدتهم إلی الجهاد، و قد منعهم من المسیر ضرر أو غیر ضرر». أقول: کان هذا فی غزوة تبوک.

وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِینَ عَلَی الْقاعِدِینَ أَجْراً عَظِیماً

فقد ورد: «إن فوق کل برّ برّ إلا الجهاد فی سبیل اللّه» «۱»

، کما

ورد: «إن الأجر علی قدر المشقة»

«۲»، و

ورد: «ما أعمال البر کلها ... إلا کنفثة فی بحر لجی»

«۳» و کان قوله «أجرا عظیما» لدفع و هم ربما یتوهم من قوله «درجة» فیقال: أنه لا فرق بین المجاهد و القاعد إلا درجة، فیقال فی الجواب: أنه لا أهمیة للدرجة فی مقابل تعب الجهاد و مشقته فقد جعل اللّه له أجرا عظیما.

[۹۷] ثم بیّن سبحانه الأجر العظیم بقوله: ذلک الأجر هو دَرَجاتٍ مِنْهُ أی من قبل اللّه سبحانه، و هذا تعظیم للأمر، فإن الدرجة لو کانت من غیره لکانت هینة، إذ الدنیا عرض زائل أما التی منه سبحانه فإنها شیء عظیم باق. و

فی الحدیث «إن اللّه فضل المجاهدین علی القاعدین سبعین درجة، بین کل درجتین مسیرة سبعین خریفا للفرس الجواد المضمر».

«۴» وَ مَغْفِرَةً أی غفرانا لذنوب المجاهد وَ رَحْمَةً أی یرحم اللّه

---

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۷۱ ص ۸۳.

(۲) بحار الأنوار: ج ۷۰ ص ۲۷۵.

(۳) نهج البلاغة: حکمة رقم ۳۷۳.

(۴) کنز الدقائق: ج ۲ ص ۵۸۳.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۵۲۹

[سورة النساء (۴): آیة ۹۷]

إِنَّ الَّذِینَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِکَةُ ظالِمِی أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِیمَ کُنْتُمْ قالُوا کُنَّا مُسْتَضْعَفِینَ فِی الْأَرْضِ قالُوا أَ لَمْ تَکُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِیها فَأُولئِکَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ ساءَتْ مَصِیراً (۹۷)

المجاهد بإعطائه النعم الکثیرة وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِیماً فیغفر للمجاهد ذنوبه السابقة و یرحمه برحمته الواسعة. قال البعض: إن المراد بالدرجة الأولی علو المنزلة، کما یقال: فلان أعلی درجة عند الخلیفة من فلان، و أراد بالثانیة الدرجات فی الجنة التی بها یتفاضل المؤمنون.

[۹۸] ثم یأتی السیاق إلی طائفة أخری من القاعدین الذین لم یعدهم اللّه الحسنی، بل وعدهم العذاب لأنهم هم السبب فی ظلم الکفار لهم و سلبهم حقوقهم إِنَّ الَّذِینَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِکَةُ أی تقبض الملائکة أرواحهم، فإن لملک الموت أعوانا، کما ورد فی السنة، و دلت علیه هذه الآیة ظالِمِی أَنْفُسِهِمْ أی فی حال کونهم ظالمین لأنفسهم، لأنهم بقوا فی دار الهوان حیث یسومهم الکفار العذاب و یمنعوهم من الإیمان بالله و الرسول، و قد کان بإمکان هؤلاء أن یهاجروا إلی دار الإیمان و یؤمنوا. و لعل الآیة أعم منهم و من المؤمنین الذین بقوا فی دار الکفر و لا یتمکنون من إظهار واجبات الإسلام و العمل بما أوجبه اللّه سبحانه قالُوا أی قالت الملائکة لهم عند قبض أرواحهم: فِیمَ کُنْتُمْ أی فی أی شیء کنتم من أمر دینکم، و هو استفهام تقریری توبیخی قالُوا کُنَّا مُسْتَضْعَفِینَ فِی الْأَرْضِ یستضعفنا

أهل الشرک فی بلادنا فلا یترکوننا لأن نؤمن، أو لا یترکوننا نعمل بالإسلام قالُوا أی قالت الملائکة لهم: أَ لَمْ تَکُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِیها حتی تخرجوا من سلطة الکفار، و تتمکنوا من العمل بالإسلام

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۵۳۰

[سورة النساء (۴): الآیات ۹۸ الی ۹۹]

إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا یَسْتَطِیعُونَ حِیلَةً وَ لا یَهْتَدُونَ سَبِیلًا (۹۸) فَأُولئِکَ عَسَی اللَّهُ أَنْ یَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ کانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً (۹۹)

و بشرائعه. فَأُولئِکَ الذین سبق وصفهم مَأْواهُمْ مرجعهم و محلهم جَهَنَّمُ وَ ساءَتْ مَصِیراً أی أنها مصیر سیئ لعذابها و أهوالها.

[۹۹] ثم استثنی سبحانه من هؤلاء من لا یتمکن من المهاجرة فإنه لیس مکلفا، و إنما أمره إلی اللّه تعالی إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِینَ الذین استضعفهم الکفار فی بلادهم مِنَ الرِّجالِ العجزة وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ و هاتان الطائفتان فی طبیعتهم العجز عن الفرار و الهجرة لا یَسْتَطِیعُونَ حِیلَةً أی علاجا لأمرهم و فکّا لأنفسهم من سلطة المشرکین وَ لا یَهْتَدُونَ سَبِیلًا للفرار و الهجرة.

[۱۰۰] فَأُولئِکَ العاجزون من المستضعفین عَسَی اللَّهُ أَنْ یَعْفُوَ عَنْهُمْ أی لعلّ اللّه سبحانه یغفر لهم ذنبهم، و دخول «عسی» فی مثل هذه الآیة للدلالة علی کون الأمر بید اللّه سبحانه، و أنه کان قادرا أن یأمرهم بما یحرجهم من وجوب خروجهم و إظهار دینهم، و إن بلغ بهم الأمر ما بلغ، و لا یقال: إن کان المراد بالمستضعفین الکفار فکیف یعفی عن الکفر؟ لأن الدلیل العقلی و النقلی قد دلّ علی امتحان الضعفاء و العجزة و البله و من إلیهم فی الآخرة، و ذلک بخلاف الکافر المعاند الذی مصیره النار حتما وَ کانَ اللَّهُ عَفُوًّا یعفو عمن یشاء غَفُوراً یغفر

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۵۳۱

[سورة النساء (۴): آیة ۱۰۰]

وَ مَنْ یُهاجِرْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ یَجِدْ فِی الْأَرْضِ مُراغَماً کَثِیراً وَ سَعَةً وَ مَنْ یَخْرُجْ مِنْ بَیْتِهِ مُهاجِراً إِلَی اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ یُدْرِکْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَی اللَّهِ وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِیماً (۱۰۰)

الذنوب. و لعلّ الفرق بین العفو و الغفران: أن العفو غفران بلا ستر، و الغفران عفو مع الستر، فإن عدم العقاب لا یلازم الستر.

[۱۰۱] و قد یمنع عن الهجرة خوف أن لا یجد الإنسان فی محلّه الجدید ما یلائم مسکنه و مکسبه، و لکنه لیس إلا توهما، فإن الأرض واسعة و الکسب ممکن فی کل مکان وَ مَنْ یُهاجِرْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ لأمره سبحانه و من أجله یَجِدْ فِی الْأَرْضِ مُراغَماً کَثِیراً «المراغم» مصدر بمعنی «المتحوّل» و أصله من الرغام و هو التراب وَ سَعَةً أی فی الکسب و سائر شؤون الحیاة وَ مَنْ یَخْرُجْ مِنْ بَیْتِهِ مُهاجِراً یهجر وطنه و محله، و ینقطع عنه إِلَی اللَّهِ وَ رَسُولِهِ و الهجرة إلی اللّه بمعنی: إلی محل أمره، و الهجرة إلی الرسول إما حقیقیة کما فی زمان حیاته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و إما مجازیة کما إذا هاجر إلی بلاد الإسلام حسب أمر الرسول ثُمَّ یُدْرِکْهُ الْمَوْتُ أی یموت فی طریقه فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَی اللَّهِ لأنه خرج فی سبیله و حسب أمره فأجره و ثوابه علیه سبحانه وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً یغفر ذنوب المهاجر رَحِیماً یرحمه بإعطائه الثواب.

و فی الحدیث «من فرّ بدینه من أرض إلی أرض و إن کان شبرا من الأرض، استوجب الجنة، و کان رفیق إبراهیم و محمد علیهما السّلام»

«(۱)».

و قد ورد فی بعض التفاسیر: أن السبب فی نزول هذه الآیة أنه لما

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹، ص ۳۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣٢

[سورة النساء (۴): آية ١٠١]

وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكافِرِينَ كانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً (١٠١)

نزلت آيات الهجرة سمعها رجل من المسلمين كان بمكة يسمى «جندب بن حمزة» فقال: و اللّه ما أنا مما استثنى اللّه إنى لأجد قوة، و إنى لعالم بالطريق، و كان مريضا شديد المرض فقال لبنيه: و اللّه لا أبيت بمكة حتى أخرج منها، فإنى أخاف أن أموت فيها، فخرجوا يحملونه على سرير حتى إذا بلغ التنعيم مات، فنزلت الآية «١».

[١٠٢] و لما أمر سبحانه بالجهاد و الهجرة، بيّن كيفية الصلاة فى السفر و الخوف إشفاقا على الأمة و رحمة بهم و تفضلا عليهم، و الآية و إن كانت ظاهرة فى الخوف فقط لأنه سبحانه قال: «إن خفتم» لكن القيد على الغالب فى ذلك الزمان عند نزول الآية، و إنما الاعتبار بالضرب فى الأرض، و قد، كثر فى القرآن الحكيم «القيد الغالبى» كقوله تعالى:

وَ رَبائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ «٢» مع أن كونهن «فى حجوركم» ليس بشرط، و كقوله: وَ لا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً «٣» و غيرهما.

وَ إِذا ضَرَبْتُمْ أى سافرتم أيها المسلمون فِي الْأَرْضِ و من المعلوم أن السفر مشروط بأمور أخرى مذكورة فى الكتب الفقهية فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ ليس لفظ «ليس عليكم جناح» للإباحة كما هو الظاهر منه، بل فى مقام دفع توهم «الحضر»، كقوله: فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما «۴» فقد كان التمام واجبا، و فى السفر، حيث يتوهم بقاؤه على الوجوب،

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٧١.

(٢) النساء: ٢۴.

(٣) النور: ٣۴.

(۴) البقرة: ١۵٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣٣

[سورة النساء (۴): آية ١٠٢]

وَ إِذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرائِكُمْ وَ لْتَأْتِ طائِفَةٌ أُخْرى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً (١٠٢)

نفى سبحانه وجوبه و أجاز القصر، و ذلك لا ينافى وجوب القصر، على ما دل الدليل عليه، و المراد بالقصر تنصيف الرباعية بأن يصلى الظهر و العصر و العشاء ركعتين، فإذا تشهد التشهد الوسط سلم و لم يقم للركعتين الباقيتين، أما الصبح و المغرب فتبقيان على ما كانتا عليه إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أى خفتم فتنة الذين كفروا، و الفتنة:

العذاب و القتل و ما أشبه، فإنهم إذا أرادوا الصلاة أربعا، طال الأمد عليهم و أمكن أن يهجم عليهم الكفار و يعذبوهم أو يقتلوهم، فمنّ اللّه عليهم بالقصر ليقل الأمد و لا يبقى للكفار- فى ساحة الحرب- مهلة ينتهزونها للهجوم. و لصلاة السفر و الخوف و المطاردة تفصيل مذكور فى الكتب الفقهية.

إِنَّ الْكافِرِينَ كانُوا ليس معنى «كان» الماضى، بل مجرد الربط كما فى مثل: إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيًّا «١» و ما أشبهها لَكُمْ أيها المسلمون عَدُوًّا

مُبيناً أي واضحا لظهور عداوتهم للمسلمين، فإذا لم تقصروا من الصلاة انتهزوا مدة انشغالكم بها فرصة للعدو أن يفتنكم.

[١٠٣] ثم بيّن سبحانه صلاة الخوف إذا أرادوا أن يصلوها جماعة فإن المجاهدين ينقسمون إلى طائفتين، طائفة تقتدى بالإمام، و طائفة تبقى في الميدان، فإذا سجد الإمام السجدتين من الركعة الأولى، تقوم الطائفة المقتدية للركعة الثانية و تأتى بها فرادى و تتشهد و تسلم و الإمام بعد

---

(١) النساء: ٣٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣٤

لم يركع، فتذهب هذه الطائفة إلى الميدان و تأتى الطائفة الثانية و تقتدى بالإمام في الركعة الثانية، حتى إذا جلس الإمام للتشهد قامت و أتت بالركعة الثانية فرادى و لحقت بالإمام في التشهد و أتمت الصلاة معه فتطول صلاة الإمام بمقدار صلاتيهما وَ إِذا كُنْتَ يا رسول اللّه فِيهِمْ فيمن ضرب في الأرض لأجل الجهاد- و من المعلوم أن الحكم لا يخص الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بل هذا عام لكل إمام في المجاهدين يريدون الصلاة جماعة- فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ يقتدون بك في الصلاة، و تقوم طائفة ثانية من المجاهدين في وجه العدو وَ لْيَأْخُذُوا أي الطائفة الذين يصلون معك أَسْلِحَتَهُمْ لئلا يستسهل أمرهم العدو فيهجم عليهم، و يكونون عزلا فيحرج موقفهم. و قد استثنى من كراهية حمل السلاح في الصلاة هذا الموضع، و لم يبين أخذ الطائفة المقاتلة أسلحتهم لوضوح ذلك. فَإِذا سَجَدُوا و قمت أنت للركعة الثانية، أتموا صلاتهم فرادى و ذهبوا مكان الطائفة المقاتلة، و هذا هو المراد بقوله سبحانه: فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرائِكُمْ و إنما قال بصيغة الجمع و لم يقل: «من ورائك» باعتبار صلاة الطائفة الثانية مع الإمام، و هذا لا ينافي قوله بعد ذلك «وَ لْتَأْتِ طائِفَةٌ أُخْرى إذ المراد كونهم وراء المصلين باعتبار الأول وَ لْتَأْتِ طائِفَةٌ أُخْرى لَمْ يُصَلُّوا و هم الذين كانوا في الميدان فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ أي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣٥

ليكونوا حذرين متأهبين للقتال آخذين أسلحتهم، و لعل إضافة كلمة «حذرهم» هنا بخلاف الجملة الأولى، أن هجوم العدو على هؤلاء أقرب من هجومهم على الطائفة الأولى، لأنه بمجرد الانقسام إلى طائفتين و انسحاب طائفة من الحرب لأجل الصلاة لا يدرك العدو الأمر، و لذا لا يأخذ استعداده الكامل للهجوم- بظن كون الجميع في حال القتال- بخلاف الأمر إذا طال الأمد و تبين الأمر، و أن قسما من المسلمين رفعوا أيديهم عن الحرب لأجل الصلاة. و إنما حكم بانقسام الجيش طائفتين لما بينه سبحانه بقوله: وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا من المحاربين لكم، أي تمنوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ فلا تحملوها وَ أَمْتِعَتِكُمْ فتبتعدون عنها فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً أي يحملون عليكم حملة واحدة و أنتم متشاغلون بأجمعكم بالصلاة فيقضون عليكم قضاء مبرما حيث أصابوكم على غرّة بلا سلاح يقيكم و لا متاع يمدكم، و لذا فقد أمروا بأن ينقسموا طائفتين حالة الصلاة و يحملوا أسلحتهم و هم في الصلاة وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ أي لا حرج و لا إيجاب لحمل السلاح إِنْ كانَ بِكُمْ أيها المجاهدون الذين تريدون الصلاة جماعة أذىً و صعوبة مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ فلا تحملوها في حال الصلاة للاستراحة بقدر الصلاة من ثقل السلاح، أما المريض فواضح أذية السلاح له، و أما المطر فلأن هطوله يثقل على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٣٦

[سورة النساء (٤): آية ١٠٣]

فَإِذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً (١٠٣)

الإنسان، فإذا اجتمع مع السلاح كان أثقل و أتعب و هكذا بالنسبة إلى حمل الدرع الموحل حال السجود و نحو ذلك وَ لكن إذا

وضعتم سلاحكم لجهة الأذى ف خُذُوا حِذْرَكُمْ أى احترسوا عن هجوم الكفار حتى إذا هاجموكم تكونون على استعداد لا أن تكونوا غافلين إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ أى هيأ لهم عَذاباً مُهِيناً أى يذلهم، عذابا فى الدنيا بأيديكم و فى الآخرة بالنار و الجحيم.

قال فى «المجمع»: و فى الآية دلالة على صدق النبى و صحة نبوته و ذلك أنها نزلت و النبى بعسفان و المشركون بضجنان فتوافقوا فصلى النبى و أصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع و السجود فهمّ المشركون بأن يغيروا عليهم، فقال بعضهم: إن لهم صلاة أخرى أحب إليهم من هذه يعنون صلاة العصر، فأنزل اللّه عليه هذه الآية فصلى بهم العصر صلاة خوف «۱».

[۱۰۴] فَإِذا قَضَيْتُمُ أى أديتم أيها المجاهدون الصَّلاةَ المأتى بها على نحو الخوف فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً أى فى حال كونكم قائمين و قاعدين، و هما جمعان ل «قائم و قاعد» وَ عَلى جُنُوبِكُمْ أى فى حال الاضطجاع فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ و ذهب الخوف فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ كاملة بحدودها و شروطها

---

(۱) مجمع البيان: ج ۳ ص ۱۷۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۳۷

[سورة النساء (۴): آية ۱۰۴]

وَ لا تَهِنُوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (۱۰۴)

إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً أى كتبت كتابا، بمعنى فرضت فريضة مَوْقُوتاً أى ذات وقت محدد لأدائها.

[۱۰۵] ثم كرر سبحانه الحث على لزوم الجهاد فقال: وَ لا تَهِنُوا من «وهن يهن» بمعنى ضعف، أى لا تضعفوا و لا تكاسلوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ أى طلب الكفار و محاربتهم إِنْ تَكُونُوا أنتم أيها المسلمون تَأْلَمُونَ مما ينالكم من الجرح و المشقة فى الحرب فَإِنَّهُمْ أى القوم الكفار يَأْلَمُونَ مما ينالهم من الجرح و المشقة كَما تَأْلَمُونَ فكلاكما سواء فى التألم وَ تَرْجُونَ أنتم أيها المؤمنون مِنَ اللَّهِ أى من قبل اللّه سبحانه الفتح و الظفر و الثواب ما لا يَرْجُونَ هم، فأنتم أولى و أحرى أن تطلبوهم و تجدّوا فى قتالهم من أولئك، حيث ليس لهم وعد بالنصر و لا بالثواب وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً بكم فأنتم بعلم اللّه سبحانه- كما تعتقدون- و هم و إن كانوا بعلم اللّه لكنهم لا يعتقدون بذلك حَكِيماً فأوامره و نواهيه عن تدبير و تقدير.

و

ورد أن المسلمين قالوا يوم أحد للمشركين: لا سواء، قتلانا فى الجنة و قتلاكم فى النار، فقال أبو سفيان: نحن لنا العزى و لا عزى لكم، فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للمسلمين: قولوا اللّه أعلى و أجل.

و

روى القمى أن الآية نزلت بعد رجوع النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من واقعة أحد، فإن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما رجع إلى المدينة نزل جبرائيل عليه السّلام فقال:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۳۸

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۰۵ الى ۱۰۶]

إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ وَ لا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً (۱۰۵) وَ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (۱۰۶)

يا محمد إن اللّه يأمرك أن تخرج فى أثر القوم و لا يخرج معك إلا من به جراحة، فأقبلوا يضمدون جراحاتهم و يداوونها فخرجوا على ما بهم من الألم و الجراح

«۱».

[۱۰۶] و بعد ذكر جملة من الأحكام المتعلقة بالحرب و الجهاد يرجع السياق إلى ما تقدم من لزوم العدل في الحكم كما قال: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ «۲» فإن الجهاد لم يشرع إلا للعدل، و النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يبعث إلا لإقامة العدل إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ يا رسول اللّه الْكِتابَ بِالْحَقِ أي إنزالا مقارنا بكونه بالحق فإن الإنزال قد يكون بالباطل إذا كان من غير المستحق، أو إلى غير المستحق، و بما هو باطل لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ من الشريعة العادلة وَ لا تَكُنْ يا رسول اللّه لِلْخائِنِينَ خَصِيماً أي لأجل الخائنين خصيما على الأبرياء بمعنى لا تأخذ جانب الخائن على البرىء فتعطى الحكم للمجرم.

[۱۰۷] وَ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ أي اطلب غفرانه، و هذا تنبيه للأمة حيث يريدون القضاء، فإن القضاء يحتاج إلى ستر اللّه سبحانه حتى لا يزل القاضي إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً يستر العيوب و يرحم المسترحم.

---

(۱) تفسير القمي: ج ۱ ص ۱۲۴.

(۲) النساء: ۵۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۳۹

[سورة النساء (۴): آية ۱۰۷]

وَ لا تُجادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثِيماً (۱۰۷)

و قد ورد في سبب نزول هاتين الآيتين و ما بعدهما ما مجملة: أن بني أبيرق المسمون بشيرا و مبشرا و بشرا و كانوا منافقين نقبوا على عم قتادة بن النعمان فأخرجوا طعاما و سيفا و درعا، فشكا قتادة ذلك إلى مؤمنا فخرج عليهم بالسيف، و قال: أ ترمونني بالسرقة و أنتم أولى بها مني و أنتم المنافقون تهجون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تنسبون الهجاء إلى قريش، فداروه، ثم جاء رجل من رهط بني أبيرق و كان منطقيا بليغا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: إن قتادة عمد إلى أهل بيت منا أهل شرف و حسب و نسب فرماهم بالسرقة، فاغتم رسول اللّه و عاتب قتادة عتابا شديدا فاغتم قتادة و كان بدريا. فنزلت الآيات تبرّئ قتادة و تدين بني أبيرق، فبلغ بشير ما نزل فيه من القرآن- و أنه الخائن- فهرب إلى مكة و ارتد كافرا «۱».

[۱۰۸] وَ لا تُجادِلْ يا رسول اللّه، و كون النهي للرسول لا ينافي مقام العصمة إذ النواهي تتوجه إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما تتوجه إلى سائر المسلمين، و الأوامر تعنيه كما تعني غيره عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ اختان بمعنى خان، أي لا تخاصم عن طرف الخائنين الذين يخونون أَنْفُسَهُمْ فإن الإنسان إذا صرف نفسه في المعصية فقد خانها، لأنها وديعة يجب أن ترد، و ردّها بصرفها في الطاعة شيئا فشيئا حتى ينتهي الأمد و يأتي الأجل إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً هو «فعّال» من الخيانة أَثِيماً أي

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۷۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۴۰

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۰۸ الى ۱۰۹]

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَ لا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ وَ كانَ اللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطاً (۱۰۸) ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ جادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فَمَنْ يُجادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (۱۰۹)

عاصيا، و معنى «لا يحب» يكره، لأنه لا واسطة، فالعاصي مكروه و المطيع محبوب.

[۱۰۹] يَسْتَخْفُونَ من «استخفى» بمعنى كتم، أي يكتمون أعمالهم السيئة مِنَ النَّاسِ فإن السرّاق في قصة ابن أبيرق كانوا يكتمون

عملهم من النـاس خوف الفضـيحة وَ لا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ أى لا يكتمون عملهم الإجرامى من اللّه، و معنى الاستخفاء من اللّه عـدم العمل، لا العمل مكتوما عنه، إذ لا يخفى عليه سبحانه خافية، و إنما جاءت لفظة يستخفون للمقابلة نحو: تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ «١» وَ هُوَ مَعَهُمْ أى و الحال أن اللّه تعالى معهم بالإحاطة و العلم فهو يعلم أقوالهم و أعمالهم إِذْ يُبَيِّتُونَ أى يدبرون بالليل ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ فإن أبناء أبيرق دبروا بالليل أقوالا و طبخوها ليتظاهروا بتلك الأقوال عنـد الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و المسـلمين وَ كـانَ اللَّهُ بِمـا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً فهو مطلع على أقوالهم محيط بأعمالهم، و معنى الإحاطـة: العلم الشامل بحيث لا يفوته شـىء كالمحيط بالشيء الذى لا يخرج منه جانب من جوانب الشيء المحاط.

[١١٠] ها أَنْتُمْ «ها» للتنبيه هنا و فى هؤلاء هؤُلاءِ أى أنتم الذين دافعتم و جادَلْتُمْ عَنْهُمْ أى عن أولئك المجرمين الذين سرقوا

---

(١) المائدة: ١١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤١

[سورة النساء (۴): الآيات ١١٠ الى ١١١]

وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً (١١٠) وَ مَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّما يَكْسِبُهُ عَلى نَفْسِهِ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١١١)

فِي الْحَياةِ الدُّنْيا هنا حيث يمكن الإخفاء و المجادلة بما يظن النـاس أنه حق و هو فى الواقع باطل فَمَنْ يُجادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ استفهام إنكارى، أى ليس هنالك من يجادل عنهم فى محضر عـدل اللّه سبحانه الـذى يطلع على السرائر و الواقعيات أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا يتوكل عنهم فى إنقاذهم من عملهم الذى صنعوه خفية.

و الاستفهام فى معنى الإنكار، أى ليس هناك وكيلا يـدافع عنهم، و لعل الفرق بين «من يجادل» و «من يكون» أن المجادل لا يلزم أن يكون وكيلا فقد يوكل الإنسان من يدافع عنه، و قد يدافع عنه شخص تبرعا.

[١١١] ثم بيّن سبحانه أن لا يأس من روح اللّه، و أن الآثم لا يظن أنه قد انقطعت الصلة، بل باب التوبة مفتوح وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً بإتيان معصية تتعداه إلى غيره كالزنا و السرقة أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ بمعصية لا تتعداه، كشرب الخمر و ترك الصلاة. و من المعلوم أن كل ظلم للنفس و كـل سوء ظلم، لكن حيث تقابلا فى التعبير فرقنا بينهما بما لعله المستفاد من السياق ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يطلب غفرانه بما أمر من التوبة و التدارك، إن كان للعصيان له تدارك يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً يغفر ذنبه و يتفضل عليه بالرحمة و المنّ.

[١١٢] وَ لا يظن الآثم أنه أضر الغير و ربح نفسه، بل بالعكس

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤٢

[سورة النساء (۴): الآيات ١١٢ الى ١١٣]

وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً (١١٢) وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَ ما يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً (١١٣)

فـإنه مَنْ يَكْسِبْ إِثْمـاً فَإِنَّمـا يَكْسِبُهُ عَلى نَفْسِهِ إذ كل خير يفعله الإنسان يعود إلى نفسه، و كل عصيان يأتى به يعود إلى نفسه، و إنَّما تُجْزَوْنَ مـا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ «١» وَ كـانَ اللَّهُ عَلِيمـاً بمـا يكسبه الإنسان حَكِيماً فى عقابه و ثوابه يضع الأشياء مواضعها، فلا يظن أحـد أنه يعصـى ثم يفرّ من عدل اللّه، أو أنه ما الفائدة من الخير الذى لا يعود نفعه إليه؟ إنه سبحانه حكيم، و قد تقدم أن الحكمة وضع الأشياء مواضعها.

[١١٣] وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً لعلّ الفرق بينهما كون الأول لا عن عمـد، و الثانى عن عمـد، و هذا الفرق إنما هو فى المقام حيث

تقابلا- و إلا- فالخطيئة تطلق على كل إثم. ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً من «رمى يرمى» أى ينسب ذنبه إلى إنسان برىء، كما سبق فى قصة ابن أبيرق فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً أى إثم البهتان، و هو رمى الناس بالذنب كذبا وَ إِثْماً مُبِيناً أى معصية واضحة، فهو يتحمل إثمين إثم العمل و إثم البهتان.

و هذا لا ينافى ما احتملنا فى الخطيئة إذ الخطأ ينقلب إثما إذا تمادى الإنسان فى توابعه، و لم يتداركه.

[۱۱۴] فى بعض التفاسير: أن وفدا من ثقيف قدموا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قالوا: يا محمد جئناك نبايعك على أن لا نكسر أصنامنا بأيدينا، و على أن نمتّع بالعزى سنة. فلم يقبل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم طلبهم، و إنما قبل منهم

---

(۱) الطور: ۱۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۴۳

الإسلام بجميع شرائطه «۱»، فأنزل اللّه سبحانه: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ بتأييدك من لدنه و تثبيتك على الصحيح الحق لَهَمَّتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ أى قصدت و أضمرت جماعة من هؤلاء- و الضمير عائد إلى المقدّر، نحو: وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ «۲»- أَنْ يُضِلُّوكَ بأن تجيز لهم ما أرادوا. و قيل إن الآية من تتمة قصة ابن أبيرق و ما أراده المزكى من تزكية السرّاق و إلقاء التهمة على البرىء.

وَ ما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ إذ وبال كلامهم يعود إلى أنفسهم فهم يزيلون أنفسهم عن الحق و يهلكونها، لا أنهم يزيلونك و يهلكونك، ثم المراد بقوله «لو لا» نفى تأثير ما همّ به أولئك فى الرسول لا نفى همّهم، فالمراد: أنه لو لا فضل اللّه لأضلوك، لا أن المراد: لو لا فضل اللّه لهمت طائفة .. وَ ما يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ فإنهم لا يضرونك- بكيدهم- فى الدنيا لأن اللّه ناصرك، و لا فى الآخرة وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ يا رسول اللّه الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ أى علم وضع الأشياء مواضعها و تقدير الأشياء بأقدارها، فأنت العالم بالأشياء الحكيم فى التطبيق، فكيف يمكن إضلالك- كما همّ أولئك- فإن الإضلال يحصل لمن لا يعرف الأشياء أو لا يتمكن من وضع الأشياء مواضعها

---

(۱) مجمع البيان: ج ۳ ص ۱۸۸.

(۲) النساء: ۱۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۴۴

[سورة النساء (۴): آية ۱۱۴]

لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (۱۱۴)

وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ من الأمور الخارجة عن نطاق الكتاب، فإن الكتاب خاص بعلم بعض الأشياء- حسب الظاهر- وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ يا رسول اللّه عَظِيماً و ارتباط الآية بما قبلها على القول الأول- أى كونها حول وفد ثقيف- كون القصتين من واد واحد حيث حفظ اللّه الرسول فى قصة السرقة و فى قصة الوفد حتى لا يقول و لا يعمل إلا بالحق.

[۱۱۵] و بمناسبة الحديث عن المؤامرات التى تجرى فى السر، و يتناجى فى شأنها المبيّتون، و حيث أن فى مثل هذه القضايا لا بد و أن تكثر النجوى و غالبها حول النقد و الرد و الطعن، يذكر القرآن حكم النجوى، و أنه لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ أى حديث بعضهم مع بعض سرّا و ذكر «كثير» إما من باب المورد، فإنه فى مثل الموارد السابقة يكثر النجوى، و إما أن المراد: الكثير من النجوى لا خير فيه، أما القليل الذى لا بد لكل أحد حيث عنده بعض الأسرار التى يجب الإعلان عنها فلا بأس به، لكن الظاهر المعنى الأول، و أن المفهوم المطلق للنجوى كما قال سبحانه:

إِنَّمَا النَّجْوى مِنَ الشَّيْطانِ «۱» إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ بأى قسم منها من المال على الفقراء، أو الوقف، أو الإحسان أَوْ أمر ب مَعْرُوفٍ من أبواب البر الذى يعرفه الناس- و منه سمى المعروف معروفا مقابل المنكر

(۱) المجادلة: ۱۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۴۵

[سورة النساء (۴): آية ۱۱۵]

وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً (۱۱۵)

الذى هو ما ينكره الناس- أَوْ أمر ب إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ فإن الحاجة غالبا تدعو إلى الإسرار بهذه الأمور لتكمل و لا يمنع عنها مانع وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ أى النجوى فى هذه الأمور، أو المراد: من فعل أحد هذه الأمور ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ أى طلب رضاه سبحانه فَسَوْفَ فى القيامة نُؤْتِيهِ أى نعطيه أَجْراً عَظِيماً مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر- كما هو كذلك فى كل طاعة-.

[۱۱۶] و حيث تقدم فى القصتين مخالفة الجماعتين للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيما أرادوا، بيّن سبحانه أن عاقبة المخالفة و خيمة وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ أى يخالفه، و معنى المشاقة أى يكون كل واحد فى شق غير شق الآخر مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى أى ظهر له الحق و أن الرسول لا يقول و لا يعمل إلا بالحق- أما من قبل التبيين فالمشاقّ معذور لعدم تمام الحجة عليه- وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ أى غير طريقهم الذى هو دينهم، و هذا أعم من الأول، و إن كان فى مخالفة الدين مشاقة للرسول بالنتيجة نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى أى نخلى بينه و بين معتقده و عمله فلا نجبره على الرجوع، لأن الدنيا للاختبار و الامتحان و الجبر ينافى ذلك، كما قال سبحانه: لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ «۱» وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ من «أصلاه

(۱) البقرة: ۲۵۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۴۶

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۱۶ الى ۱۱۷]

إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً (۱۱۶) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِناثاً وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطاناً مَرِيداً (۱۱۷)

يصليه» أى أدخله النار، أى نتركه فى الدنيا على حاله و ندخله يوم القيامة النار وَ ساءَتْ جهنم مَصِيراً أى محلّا يصير إليه المجرمون.

[۱۱۷] و بمناسبة ذكر مشاقة الرسول، يبيّن سبحانه أنه لا يأس من رحمة اللّه تعالى، فمن تاب كان اللّه غفورا، فإذا أخطأ أحد فليرجع إلى اللّه تعالى، ليغفر ذنبه و يتوب عليه إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ إذا مات مشركا كما دل الدليل وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ أى دون الشرك لِمَنْ يَشاءُ إن تاب و إن لم يتب فذلك رهن إرادته سبحانه، و الإرادة ليست اعتباطا، بل حسب النفسيات و الأعمال و القابليات و ما أشبه وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ أى يجعل له شريكا فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً أى عن طريق الحق.

[۱۱۸] ثم يبيّن سبحانه وجه ضلال المشركين بصورة فردية قبيحة فقال تعالى:

إِنْ يَدْعُونَ أى ما يدعون و يعبدون مِنْ دُونِهِ أى من دون اللّه إِلَّا إِناثاً جمع أنثى، فإنهم كانوا يعبدون اللات و العزى و مناة و أساف و نائلة، و كان لكل قبيلة صنم تعبده، و كانوا يسمون الأصنام أنثى فيقولون: أنثى قريش و أنثى تميم، و كان الشيطان يكلمهم منها أحيانا، كما أن قسما منهم كان يعبد الملائكة و يقول: إنها بنات اللّه، كما حكى سبحانه عنهم: وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً «۱»

(١) الزخرف: ٢٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤٧

[سورة النساء (۴): الآيات ١١٨ الى ١١٩]

لَعَنَهُ اللَّهُ وَ قالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً (١١٨) وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً (١١٩)

وَ إِنْ يَدْعُونَ أى ما يدعون إِلَّا شَيْطاناً مَرِيداً أى ماردا، فإن «المريد و المارد و المتمرد» بمعنى واحد، و هو العاصى العاتى، و كانت عبادتهم للشيطان عين عبادتهم للأصنام إذ هى من صنع الشيطان و أمره فلا يستشكل بأنه كيف يجمع بين النفيين؟

[١١٩] لَعَنَهُ اللَّهُ أى طرد اللّه الشيطان عن رحمته و قربه، فهؤلاء يعبدون و يطيعون المطرود عن رحمة اللّه وَ قالَ الشيطان لله سبحانه حين طرده: لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ أى عبيدك نَصِيباً مَفْرُوضاً أى معلوما، و المراد من اتخاذه لهم: إضلالهم و إغوائهم عن الإيمان و العمل الصالح، و قد كان الشيطان يعلم ذلك حين قال له سبحانه:

فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ «١» و لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ «٢».

[١٢٠] وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ عن طريق الهداية، و هذا إما عطف بيان لقوله «اتخذن» أو المراد من الاتخاذ الاختصاص أى أختص بجملة من عبادك فأضلهم وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ من الأمنية أى أمنيهم طول البقاء فى الدنيا و حب الرئاسة و المال حتى يعصون وَ لَآمُرَنَّهُمْ بالوسوسة و الإلقاء فى قلوبهم فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ من «بتك يبتك» بمعنى «قطع يقطع» فقد كان المشركون يقطعون آذان الأنعام علامة على حرمة

---

(١) الإسراء: ۶۴.

(٢) ص: ٨۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤٨

[سورة النساء (۴): آية ١٢٠]

يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً (١٢٠)

ركوبها و أكلها و شرب لبنها، و كان ذلك حراما إذ هو من المثلة و

قد قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «إياكم و المثلة و لو بالكلب العقور»

«١» كما أن تحريمهم كان بدعة و تشريعا محرما وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ من التغييرات المحرمة كإخصاء العبد و فقء عين الدابة و التمثيل بالأحياء و الأموات و ما أشبه ذلك. و يستفاد من الآية أن كل تغيير فى الخلق حرام إلا ما دل عليه الدليل.

و بعد ما ذكر سبحانه بعض أقسام وساوس الشيطان التى كانت دارجة فى ذلك الزمان و إلى زماننا هذا، جعل الكل فى إطار عام، و أعطى القاعدة الكلية المنطبقة على كل جزئى بقوله سبحانه: وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيًّا يلى أموره و يطيع أوامره مِنْ دُونِ اللَّهِ قيد توضيحى للتهويل، لا أنه من الممكن الجمع بين تولى الشيطان و تولى اللّه سبحانه فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً أى خسرانا ظاهرا.

[١٢١] يَعِدُهُمْ أى يعد الشيطان أولياءه النصر و السعادة إن اتبعوه وَ يُمَنِّيهِمْ بالأمانى الكاذبة الباطلة حتى يركنوا إلى الدنيا و يتركوا الآخرة و يرجّحوا الشهوات على الأعمال الصالحة وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً فكل و عوده غرور و كذب يغرّ به البسطاء الغافلين.

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٩ ص ١٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٤٩

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۲۱ الى ۱۲۲]

أُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ لا يَجِدُونَ عَنْها مَحِيصاً (۱۲۱) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (۱۲۲)

[۱۲۲] أُولئِكَ الذين اتخذوا الشيطان وليا و ناصرا مَأْواهُمْ أى مرجعهم و محلهم جَهَنَّمُ وَ لا يَجِدُونَ عَنْها أى عن جهنم، فإنها «مؤنثة سماعية» مَحِيصاً أى مخلصا و مهربا، من «حاص» بمعنى عدل و انحرف.

[۱۲۳] هذا لمن اتخذ الشيطان وليا، أما من اتخذ الرحمن وليا وَ الَّذِينَ آمَنُوا بما يجب الإيمان به من أصول الدين وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أى الأعمال الحسنة سَنُدْخِلُهُمْ قيل: إن «السين و سوف» بمعنى واحد، و قيل: إن السين للمستقبل القريب، و تستعمل الكلمتان بالنسبة إلى الجنة باعتبارين: فباعتبار أن كل آت قريب تستعمل السين، و باعتبار فصل البرزخ الطويل تستعمل سوف جَنَّاتٍ جمع «جنة» و هى البستان، سمى بها لكونها مستورة بالأشجار من «جن» بمعنى ستر، و منه «الجنّ و الجنين و الجنّة» تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أى من تحت أشجارها و قصورها خالِدِينَ فِيها أَبَداً لا انقطاع لها و لا زوال وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا أى وعد اللّه ذلك وعدا فى حال كونه حقا، أو متصفا بكونه حقا، لا خلف فيه و لا كذب وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا أى من حيث القول، فهو أصدق القائلين، خبيرا و مخبرا، و الاستفهام فى معنى النفى، أى لا أصدق من اللّه، و السبب أن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۵۰

[سورة النساء (۴): آية ۱۲۳]

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۱ ۵۹۹

لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (۱۲۳)

الإنسان مهما أوتى من الصدق، فإنه قد يجهل و قد لا يقدر و قد يشتبه، و اللّه منزّه عن جميع ذلك.

[۱۲۴] ثم يبين السياق القاعدة الكلية للعمل و الجزاء، بعد ما بيّن ما لمن أشرك و ما لمن آمن؟ فقال سبحانه: لَيْسَ أمر الثواب و العقاب و السعادة و الخسران بِأَمانِيِّكُمْ جمع «أمنية» بمعنى رغبة النفس، فلا ينال الإنسان خيرا بالأمانى فيما إذا كان عمله خلاف ذلك، و الخطاب للمسلمين وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ فى «المجمع» قيل: تفاخر المسلمون و أهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم و كتابنا قبل كتابكم، و نحن أولى بالله منكم. فقال المسلمون: نبينا خاتم النبيين، و كتابنا يقضى على الكتب، و ديننا الإسلام. فنزلت الآية، فقال أهل الكتاب: نحن و أنتم سواء. فأنزل اللّه الآية التى بعدها «وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ ..» ففلح المسلمون «۱».

مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ فإن الذى ينفع عند اللّه هو العمل الصالح، أما الأنساب و الأحساب و ما أشبه فلا تنفع إلا بقدر ما يرجع إلى العمل أيضا كما

قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «المرء يحفظ فى ولده»

«۲» و لذا من عمل عملا- سيئا يجز به. و بما ذكرنا تبين أن حفظ نسب النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنما يرجع إلى أتعاب النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمة عليهم السّلام.

وَ لا يَجِدْ العامل للسوء لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ غير اللّه

---

(۱) مجمع البيان: ج ۳ ص ۱۹۷.

(۲) البحار: ج ۲۸ ص ۳۰۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۵۱

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۲۴ الى ۱۲۵]

وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لا يُظْلَمُونَ نَقِيراً (١٢۴) وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا (١٢۵)

وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً فلا أحد يتولى أمره و ينصره.

[١٢۵] و لما كان الأمر محتملا لأن يشمل أهل الكتاب إذا لم يعملوا سوءا طبقا للمفهوم من الآية السابقة، ذكر سبحانه أن من شروط قبول الأعمال الخيرة الإيمان الكامل وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ أي بعض الصالحات فإن الصالحات كلها لا يمكن أن يؤتى بها مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى و لعل التنصيص هنا لإفادة العموم، و لدفع و هم جرى التقاليد الجاهلية، التى كانت تقضى بأكل الرجال ثمار الأعمال الطيبة للنساء، و حرمان النساء من الحقوق وَ هُوَ مُؤْمِنٌ بما فى الكلمة من معنى- لا إيمان ببعض الأصول دون بعض فَأُولئِكَ العاملون المؤمنون يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لا يُظْلَمُونَ نَقِيراً أى قدر نقير، و هو النكتة الصغيرة المنخفضة فى ظهر النواة التى منها تنبت.

[١٢۶] ثم بيّن سبحانه فوائد الإيمان و مزاياه و أنه أحسن من جميع الطرق و المذاهب وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً الدين هو الطريقة التى يسلكها الإنسان فى حياته لأجل نيل السعادة، و الاستفهام فى معنى الإنكار أى ليس أحد أحسن طريقة مِمَّنْ أَسْلَمَ و أخضع وَجْهَهُ لِلَّهِ و المراد بالوجه: الذات و النفس، و إنما ذكر الوجه لأن خضوع الوجه كاشف عن خضوع الذات، و معنى إسلام الوجه الإيمان بالله حيث أنه اعترف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۵۵٢

[سورة النساء (۴): آية ١٢۶]

وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً (١٢۶)

به و خضع له وَ هُوَ مُحْسِنٌ أى يحسن العمل فيتبع الأوامر و النواهى، و إنما لم يكن أحد أحسن دينا من هذا الإنسان لأن الإيمان اعتراف بالحقيقة الكبرى، و الإحسان، عمل بما هو الأصلح، إذ ما يقرره الإله العليم الحكيم أحسن مما يقرّره الإنسان الجاهل ذو الطيش و السفه وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ أى طريقته حَنِيفاً أى فى حال كون إبراهيم عليه السّلام مستقيما فى الطريق عقيدة و عملا فإيمان و إحسان و اتباع طريقة صحيحة. و قد تكرر فى الكتاب و السنة لزوم اتباع إبراهيم عليه السّلام لأن دينه لم يكن يتطرّق إليه التحريف الذى تطرق إلى كتابى الكليم و المسيح عليهما السّلام بالإضافة إلى أن موسى و عيسى عليهما السّلام كانا بعد إبراهيم عليه السّلام و أنه عليه السّلام بصفته أب المسلمين العرب، كان ذكره محفّزا لهم على الإيمان، إنه طريقة جدهم كما قال سبحانه: مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ «١» وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا من الخلة، بمعنى الحب و الود لإبراهيم عليه السّلام بإطاعته لله صار خليل اللّه، فما يمنع الناس أن يتبعوا طريقة إبراهيم، كى ينالوا حب اللّه و رضاه.

[١٢٧] و أخيرا فمن الأحسن اتباع طريقة الإله الذى له كل شىء و هو العالم بكل شىء وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ فهو المالك لكل شىء، و إذا أراد الإنسان اتباع طريقة للنفع فليتبع طريقة من له كل نفع وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً أى إحاطة علمية لا يعزب عنه شىء،

---

(١) الحج: ٧٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۵۵٣

[سورة النساء (۴): آية ١٢٧]

وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّساءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ فِي يَتامَى النِّساءِ اللَّاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدانِ وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتامى بِالْقِسْطِ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِهِ عَلِيماً (١٢٧)

و إحاطة بالقدرة، إذ المحيط بالشىء يقدر عليه.

[۱۲۸] قد سبق قوله سبحانه: إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ «۱» و قد سبق الكلام فی الآيات التالية حول هذا الموضوع مع شیء من الاستطراد. ثم يأتی السياق ليبين بعض أحكام النساء، فإنه من الحكم بين الناس بما أراه اللّه سبحانه وَ يَسْتَفْتُونَكَ يا رسول اللّه فِی النِّساءِ أی يسألونك الفتوی- و هو تبيين المشكل من الأحكام- فقد سألوا الرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم عن الواجب لهن و عليهن و كيفية معاشرتهن قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَ أی فی النساء و إنما نسب الجواب إلی اللّه سبحانه لتقوية إفادة أن الحكم لا يصح إلا من اللّه سبحانه، فليس لأحد أن يحكم إطلاقا، و قد سئل مثل هذه الأسئلة فی غير الأحكام فجاء الجواب بدون النسبة إليه تعالی، نحو: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی «۲» يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ «۳» يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ «۴» و هكذا. وَ ما يُتْلی عَلَيْكُمْ فِی الْكِتابِ عطف علی «اللّه» أی أن الفتوی فی باب النساء تأخذونه من اللّه سبحانه بما سيأتی، و تأخذونه بما تلی عليكم فی القرآن سابقا، فقد سبق فی ابتداء السورة وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِی الْيَتامی فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ «۵»،

---

(۱) النساء: ۱۰۶.

(۲) الإسراء: ۸۶.

(۳) البقرة: ۲۱۶.

(۴) البقرة: ۱۹۰.

(۵) النساء: ۴.

وَ آتُوا الْيَتامی أَمْوالَهُمْ وَ لا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلی أَمْوالِكُمْ «۱» و الحاصل أن الفتوی- أی تبيين مسائل النساء- يأتی فيما يقول اللّه و فيما سبق. فِی يَتامَی النِّساءِ أی البنات الصغيرات اليتيمات اللَّاتِی لا تُؤْتُونَهُنَ أی لا تعطوهن ما كُتِبَ لَهُنَ من الصداق فقد كان أهل الجاهلية لا يعطون اليتيمة صداقها لتمنع هذه العادة فقوله «فی يتامی» متعلق ب «ما يتلی»، أی تأخذون الفتوی فی أمر النساء من اللّه و مما تلی عليكم سابقا فی باب النساء اليتامی اللاتی تحرمونهن من مهورهن وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَ أی تريدون نكاحهن لأكل أموالهن. ثم إن قوله «و ما يتلی» بصيغة المضارع للاستمرار لا الاستقبال. وَ ما يتلی عليكم فی الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدانِ أی ما تقدم فی باب أمر الأيتام، و هو قوله سبحانه: وَ آتُوا الْيَتامی أَمْوالَهُمْ فإنه عام يشمل اليتيمات أيضا وَ ما يتلی عليكم فی أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتامی بِالْقِسْطِ أی بالعدل كما تقدم فی قوله «وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِی الْيَتامی و علی هذا فقوله «و ما يتلی» إلی «بالقسط» جملة واحدة، عطف علی «اللّه».

و الحاصل أن اللّه يفتيكم، و ما تقدم فی القرآن من آيات اليتامی

---

(۱) النساء: ۳.

[سورة النساء (۴): آية ۱۲۸]

وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يُصْلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (۱۲۸)

يفتيكم به أيضا، ثم جمع سبحانه الكل فی إطار عام فقال: وَ ما تَفْعَلُوا أيها المؤمنون مِنْ خَيْرٍ عدل و إحسان بالنسبة إلی النساء فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِهِ عَلِيماً يعلمه و يجازيكم عليه بحسن الثواب.

[۱۲۹] ثم توجه السياق إلی بعض أحكام النساء إيفاء لقوله سبحانه: «قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ» و ذلك حكم خوف النشوز، فقد كانت

بنت محمد بن سلمة عند رافع بن خديج و كانت قد دخلت في السن و كانت عنده امرأة شابة سواها فطلقها تطليقة حتى إذا أبقى من أجلها يسيرا، قال إن شئت راجعتك و صبرت على الأثرة، و إن شئت تركتك. قالت: بلى راجعنى و أصبر على الأثرة فراجعها، فنزلت وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها أى من زوجها نُشُوزاً ارتفاعا عليها بأن لا يعاملها معاملة الأزواج، بل يعاملها و كأنه أرفع منها أَوْ إِعْراضاً أى يعرض عنها إطلاقا، أو طلاقا، و قد خافت لظهور أمارات ذلك فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أى على الزوجين أَنْ يُصْلِحا بَيْنَهُما الضمير فى «يصلحا» راجع إلى الزوجين، أى يصطلحا فيما بينهما صُلْحاً أى نوع من أنواع الصلح الجائز، فتتنازل هى عن بعض حقوقها ليبقى النكاح على حاله و لا تحصل الفرقة، أو نحوها وَ الصُّلْحُ بينهما ببقاء عقد الزواج و الألفة خَيْرٌ من الافتراق و الشقاق وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَ الشح البخل و عدم التنازل عن الحقوق، أى أن الأنفس يخالطها الشح، فلا هى ترغب أن تتنازل عن بعض حقوقها لتبقى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۵۶

[سورة النساء (۴): آية ۱۲۹]

وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ وَ إِنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (۱۲۹)

الألفة، و لا الزوج مستعد لأن يعاشرها معاشرة صالحة لئلّا ينتهى الأمر إلى الطلاق وَ إِنْ تُحْسِنُوا يحسن أحد الزوجين إلى الآخر وَ تَتَّقُوا فلا تفعلوا ما يوجب سخط اللّه، فإن الغالب أن يرتكب أحد الطرفين الحرام، فيما إذا حدث بينهما صدام فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً فيجازيكم عليه. و لا مفهوم للآية بأنه «إن لم تحسنوا فلا يعلم اللّه» كما هو واضح، بل الشرط أتى به للتحريض و الترغيب.

[۱۳۰] ثم ذكر سبحانه حكم تعدّد الأزواج، و أنه لا يمكن التسوية بينهن فى الحب و الود، فإذا كان الميل القلبى يميل كليّا إلى جهة، فاللازم حفظ العدالة بين الزوجات، لئلّا يبقى بعضهن كالمعلقة وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أيها الرجال أبدا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ عدالة فى المودة و الحب، فإنه ليس بأيديكم، و لا بد أن تكون بعض النساء أقرب إلى قلوبكم من بعض وَ لَوْ حَرَصْتُمْ فى العدالة القلبية فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ إلى جانب امرأة من زوجاتكم المتعددات فَتَذَرُوها أى المرأة التى لا تميلون إليها كَالْمُعَلَّقَةِ التى علقت فلا هى مستريحة بالزوج و لا هى مستريحة بعدم الزوج، فتكون فى عذاب و شقاء، و إذا لم يكن باستطاعتكم العدالة فباستطاعتكم عدم الميل الكلى.

و

قد روى عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه كان يقسم بين نسائه و يقول:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۵۷

[سورة النساء (۴): آية ۱۳۰]

وَ إِنْ يَتَفَرَّقا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَ كانَ اللَّهُ واسِعاً حَكِيماً (۱۳۰)

«اللهم هذه قسمتى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك و لا أملك»

.«۱»

و

قد ورد أنه سئل الصادق عليه السّلام عن الجمع بين هذه الآية و بين قوله: فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَواحِدَةً «۲» فقال أما قوله: «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا» فإنه عنى فى النفقة، و أما قوله: «وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا» فإنه عنى فى المودة، فإنه لا يقدر أحد أن يعدل بين امرأتين فى المودة

.«۳»

وَ إِنْ تُصْلِحُوا بالتسوية فى القسمة و النفقة الواجبتين وَ تَتَّقُوا باجتناب المحرمات، و ذلك بترك الميل الكلى الذى نهى اللّه عنه فَإِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً يغفر ما صدر منكم من الذنوب رَحِيماً يرحمكم بلطفه و يسبغ عليكم فضله.

[١٣١] وَ إِنْ يَتَفَرَّقا فيما إذا لم يصطلح الزوجان، بل طالبت هذه بكل حقوقها و أراد الرجل الميل، فخيّرها بين الطلاق و التنازل عن بعض حقوقها، فاختارت الطلاق، فتفرقا و وقع الافتراق يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا من الزوجين مِنْ سَعَتِهِ أى سعة فضله و رحمته، فليس بابه مرتجا فى وجه أى من الطرفين، بل الرجل يستغنى عن هذه المرأة بامرأة أخرى و عيشة أخرى، و المرأة تستغنى عن هذا الرجل برجل آخر و سعادة هنيئة. و فى هذه الجملة لفتة مشرقة لجبر انكسار قلبى الطرفين، إذ من المعلوم أن كلّا منهما ينكسر قلبه حين الافتراق، و لو كان هو السبب

---

(١) تفسير التبيان: ج ٣ ص ٣٤٩.

(٢) النساء: ۴.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٢٠٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ۵۵۸

[سورة النساء (۴): الآيات ١٣١ الى ١٣٢]

وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً (١٣١) وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٣٢)

فى الفراق وَ كانَ اللَّهُ واسِعاً فى فضله حَكِيماً فيما يأمر و ينهى و يفعل و يريد، و نسبة السعة إليه يراد به السعة فى فضله «مجازا».

[١٣٢] ثم ذكر سبحانه أنه يملك كل شىء فهو يقدر على إغناء الزوجين من فضله وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ قد تقدم أن المراد ب «ما فى» الأعم من الظرف و المظروف وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ أى اليهود و النصارى و المجوس و غيرهم مِنْ قَبْلِكُمْ إشارة إلى كون الوصية لم تزل من القديم وَ إِيَّاكُمْ أى وصيناكم أيها المسلمون أن اتَّقُوا اللَّهَ أى خافوا عقابه، فاعملوا بالأوامر و النواهى وَ إِنْ تَكْفُرُوا كفرا فى العقيدة بإنكار الأصول، أو كفرا فى الفروع بالعصيان فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ فلا يضره كفركم و لا ينفعه إيمانكم و عملكم وَ كانَ اللَّهُ غَنِيًّا لا يحتاج إلى إيمانكم و لا إلى أعمالكم و إنما أنتم تحتاجون إلى ذلك حَمِيداً أى مستوجبا عليكم الحمد له لصنائعه الحميدة.

[١٣٣] ثم يؤكّد غناه سبحانه و أن له كل شىء بقوله: وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ ليس شىء لغيره، فإذا قطع عنكم رحمته لا تحصلون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ۵۵۹

[سورة النساء (۴): الآيات ١٣٣ الى ١٣۴]

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ وَ كانَ اللَّهُ عَلى ذلِكَ قَدِيراً (١٣٣) مَنْ كانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ كانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً (١٣۴)

على ما تريدون من غيره وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا أى أنه أحسن وكيل و أكفى وكيل، فلا يحتاج الإنسان إلى وكيل آخر إذا وكله سبحانه فى أمره. و قد قيل فى وجه التكرار فى الآيتين ثلاث مرات أن الأولى:

لإيجاب طاعته، حيث له كل شىء و المالك تجب طاعته على المملوك، و الثانية: لأن الخلق محتاجون إليه و هو الحميد المطلق، فن ذلك لا يكون إلا لمن له كل شىء، و الثالثة: لبيان أنه يكفى توكيله مطلقا، فإن ذلك لا يكون إلا لمن يملك كل شىء.

[١٣۴] إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إنه فى غنى عنكم، و قدرته تعمّكم فناء و إيجادا، فإن أراد أذهبكم و أفناكم و أهلككم وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ أناسا آخرين يوجدهم من العدم وَ كانَ اللَّهُ عَلى ذلِكَ قَدِيراً يقدر على إنفاذه.

[١٣۵] و لقد كان المنافقون يتبعون النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للغنيمة و للتحفظ على دنياهم، و حيث تقدم أن لله ما فى

السماوات و الأرض، ذكّرهم بأن الإطاعة توجب خير الدنيا و الآخرة، فلم لا يسلكون أنفسهم فى سلكها مَنْ كانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيا أى منافعها، فإن الثواب من «ثاب» بمعنى رجع، لأن الثواب جزاء العمل الصادر من الإنسان، يرجع إليه فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ إذ يملك الجميع و بيده أزمة الكل، فلم لا يطيعون حتى ينالوا الأمرين وَ كانَ اللَّهُ سَمِيعاً لأقوالهم بَصِيراً بأعمالهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٦٠

[سورة النساء (۴): آية ١٣۵]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ وَ لَوْ على أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا وَ إِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (١٣۵)

[١٣۶] و لما ذكر سبحانه أن عنده ثواب الدنيا و الآخرة، عقّبه بالأمر بالعدل و عدم الجور كى ينالوا الثوابين، و قد سبق الأمر بالعدل فى قوله: وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ «١» فقال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قد تقدم أن الخطاب إنما خصص بالمؤمنين لأنهم المنتفعون السامعون، و إلا فالأوامر و النواهى عامة للجميع كُونُوا قَوَّامِينَ جمع «قوّام» و هو كثير القيام بِالْقِسْطِ هو العدل، أى كونوا دائمين فى القيام بالعدل، بأن تكون عادتكم على ذلك قولا و عملا، و لعلّ فى ذلك إشارة تنبيه إلى ما اعتاده الناس من أنهم لا بد و أن يزيغوا عن العدل إذا تمادت بهم الأزمان، و لذا نرى من الحكام من يتنزّه عن الجور فى أول أمره ثم إذا امتد به الزمان زاغ و انحرف شُهَداءَ جمع شهيد لِلَّهِ وَ لَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ أى اشهدوا بالحق- لأجل أمر اللّه و رضاه- و لو كانت الشهادة فى ضرركم و نفع الغير أَوِ على الْوالِدَيْنِ أى فى ضررهما لنفع الغير، إذا كان الحق مع الغير وَ على الْأَقْرَبِينَ أى من يتقرب إليكم بنسب، فلا تميلوا عن الحق لنزوات أنفسكم، أو ملاحظة مصلحة الوالدين، أو رعاية الأقربين إِنْ يَكُنْ المشهود له أو المشهود عليه غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فلا تشهدوا للغنى أو للفقير باطلا، مراعاة لغناه أو شفقة عليه لفقره فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما إنه

---

(١) النساء: ۵٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۵٦١

[سورة النساء (۴): آية ١٣۶]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً (١٣۶)

سبحانه أولى بالغنى و الفقير و أنظر لحالهما من سائر الناس، و مع ذلك فقد أمركم بالشهادة على الحق فلا بد من ملاحظة أمره، لا مراعاة الغنى لغناه و الفقير شفقة عليه فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أى هوى النفس فى الحكم الجائر أَنْ تَعْدِلُوا أى لأن تعدلوا، قالوا: و ذلك كقولهم:

«لا تتبع هواك لترضى ربك»، أو المعنى: «لا تتبعوا الهوى فى أن تعدلوا من الحق» وَ إِنْ تَلْوُوا من «لوى يلوى»، بمعنى الانحراف، أى أن تنحرفوا أيها المؤمنون- فى حال الحكم- عن الحق أَوْ تُعْرِضُوا عن الحق إطلاقا. و لعل الفرق أن «اللّىّ» الانحراف اليسير، و «الإعراض» الانحراف مطلقا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً فيعلم الانحراف و الإعراض و يجازيكم عليهما، كما يعلم إقامتكم للحق.

[١٣٧] ثم أنه سبحانه بعد أن ذكر لزوم القيام بالقسط، بيّن لزوم الإيمان الحقيقى عن قلب و عقيدة، و لا يكون ذلك القيام بالقسط إلا إذا توفر فى الإنسان ذلك الإيمان يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فى الظاهر، فإن الخطاب موجّه إلى كل من أظهر شهادة أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا رسول اللّه، و من المعلوم أن كثيرا منهم كانوا مؤمنين لفظا فقط آمَنُوا إيمانا راسخا و عقيدة فى الجوارح و الجوانح بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ آمنوا ب الْكِتابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ و هو القرآن الكريم وَ الْكِتابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۵٦٢

[سورة النساء (۴): آية ۱۳۷]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً (۱۳۷)

أي جنس الكتاب، فإن من شرائط الإيمان، الإيمان بكتب اللّه جميعا وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ بأن يجحدهم أو يعاديهم أو ينزلهم عن المنزلة اللائقة بهم وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ و إن كان بجحد أحد من الرسل أو أحد من الكتب وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ بأن جحد أو شك في الميعاد فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً عن الحق كمن يضل الطريق و يبعد عنه كثيرا، و ذلك في قبال من يعمل محرما أو ما أشبه، فإنه قد ضل ضلالا، لكن لا بذلك البعد.

[۱۳۸] و بعد ما ذكر سبحانه لزوم الإيمان واقعا، بيّن حالة أولئك الذين لا يؤمنون إلا إيمانا سطحيا، و لذا يميلون مع كل جانب قوى، فإذا قوى الإسلام آمنوا و إذا ضعف كفروا، و هكذا يراوحون بين الإيمان و الكفر حتى يموتون و هم كفار لتغلّب الطبيعة الكافرة فيهم إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا إما كفر باللفظ أو بالقلب، فإن كثيرا من الأشخاص الذين يقدمون على الإيمان يقدمون عليه سطحيا، و بمجرد هبوب ريح الكفر يكفرون قلبا، و إن بقوا في الظاهر مؤمنين ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا و هذا من باب المثال، و إلا فليس للتكرار أربع مرات مزية لا توجد في المرتين، أو في الست، أو ما أشبه ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً بأن تطبّعت قلوبهم بالكفر فلم يؤمنوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ لأنهم بقوا كافرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۶۳

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۳۸ الى ۱۳۹]

بَشِّرِ الْمُنافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (۱۳۸) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَ يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً (۱۳۹)

و إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ «۱» وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا أي طريقا إلى الجنة و الخلاص، كما قال سبحانه: وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً* إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ «۲» و يحتمل أن يكون المعنى: «أنه يخذلهم في الدنيا و لا يلطف بهم عقوبة لهم على كفرهم، فلا يهتدون إلى الحق بعد ما تكرر منهم الإيمان و الكفر».

[۱۳۹] بَشِّرِ يا رسول اللّه الْمُنافِقِينَ الذين هم يظهرون الإسلام و يبطنون الكفر- خلافا لما تقدم من قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» و البشارة هنا مجاز للاستهزاء، كما يقال للزنجي: كافور بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً يؤلمهم جسديا و نفسيا. و لعلّ هذه الآية تدل على كون الآية المتقدمة في شأن المنافقين، و أن المراد بالكفر، الكفر القلبي الذي كانوا يراوحون فيه بين الإذعان و الكفر، مع التحفظ على ظاهرهم في الإيمان.

[۱۴۰] و بمناسبة النفاق، ذكر اللّه سبحانه أظهر ميزات المنافق، فقال:

الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ و أحباء من صميم القلب مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أي لا يتخذون المؤمنين أولياء، بل يعاملونهم معاملة ظاهرية فقط لتأمين حياتهم، و إنما قلوبهم مع الكفار و ميلهم إليهم أَ يَبْتَغُونَ أي هل يطلبون عِنْدَهُمُ أي عند الكفار الْعِزَّةَ

---

(۱) النساء: ۴۹.

(۲) النساء: ۱۶۹ و ۱۷۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۶۴

[سورة النساء (۴): آية ۱۴۰]

وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَ الْكافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً (۱۴۰)

الدنيوية، فإن الغالب أن المنافق إنما ينافق تحفظا على دنياه، أى على عزته المزعومة التى يجدها فى ضلال الكفر و بمؤاخاة و صداقة الكافرين فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً إذ بيده الدنيا بجميع ما فيها، فلو آمنوا حقيقة لكان لهم من العزة ما ليس للمنافقين، لأن دنياهم بالإضافة إلى عزتهم الظاهرية حاصلة عند المؤمنين، فإن المنافق منبوذ لا عزة له بين المؤمنين.

[۱۴۱] ثم ذكر سبحانه خصلة أخرى للمنافقين، فقد كانوا يجالسون أهل الكتاب، فيسخر أولئك من القرآن و الرسول، و المنافقون ساكتون حيث يوافقونهم قلبا، بخلاف المؤمنين الذين لم يكن أهل الكتاب يجرءون لمثل ذلك أمامهم، و هذه صفة المؤمن و المنافق فى كل زمان وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أى فى القرآن فى قوله: وَ إِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَ إِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ «۱» بمعنى أنه إذا خاضوا فى غيره حال مجالستهم أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ أيها المسلمون آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ بِها و الفرق بينهما واضح فإن الكفر بها إنكارها، و الاستهزاء بها السخر و الاستهانة بها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ بل قوموا و اذهبوا حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ الخوض فى الحديث

---

(۱) الأنعام: ۶۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۶۵

[سورة النساء (۴): آية ۱۴۱]

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قالُوا أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَ إِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ قالُوا أَ لَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَ نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (۱۴۱)

الدخول فيه كالخوض فى الماء، و «حتى» للغاية، و هى غير داخلة فى المعنى، يعنى يجوز لكم مجالستهم إذا خاضوا فى حديث غير الكفر بالآيات و الاستهزاء بها إِنَّكُمْ أيها المسلمون إذا جالستم الكفار و هم يكفرون و يستهزءون إِذاً مِثْلُهُمْ حيث لم تنكروا عليهم، مع قدرتكم على الإنكار، و من رضى بعمل قوم قلبا أو تظاهرا فهو منهم إِنَّ اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ الذين أبطنوا الكفر وَ الْكافِرِينَ الذين أظهروا الكفر فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً لأن كليهما كافر، و إن كان فى الظاهر تجرى أحكام الإسلام على المنافق.

[۱۴۲] ثم وصف سبحانه المنافقين بما هى السمة الظاهرة لهم فى كل حال و زمان الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ التربّص الانتظار و الترقّب، يعنى أنهم ينتظرون لأموركم و يراقبون أحوالكم فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ بالظفر و الغلبة و الغنيمة قالُوا أى أولئك المنافقون: أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ أيها المؤمنون، فإنا آمنا و غزونا و صلينا و عملنا تحت لواء الإسلام، يريدون بذلك التحفظ على أنفسهم فى مستوى المؤمنين جاها و غنيمة وَ إِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ بأن تقدم الكفار أو دارت الدائرة على المؤمنين قالُوا أولئك المنافقون للكافرين الذين كان لهم نصيب: أَ لَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ أى نسيطر عليكم و نرشدكم مواقع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۶۶

[سورة النساء (۴): آية ۱۴۲]

إِنَّ الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ وَ إِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يُراؤُنَ النَّاسَ وَ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (۱۴۲)

صلاحكم وَ نَمْنَعْكُمْ مِنَ بأس الْمُؤْمِنِينَ بدلالتكم على مواقع الهلكة، و كنا نلقى الرعب فى قلوب المؤمنين منكم، حتى نلتم أيها الكافرون ما نلتم بسببنا، و لذا فلنا ما لكم، يريدون بذلك إشراك أنفسهم فى جاه الكفار و أرباحهم فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ و يعطى كلّا جزاءه، ثم لا يظن المسلمون أن المنافقين يتمكنون بنفاقهم أن يحدثوا ثغرة بينهم، فإن الكافر لا يسلّط على المؤمن أبدا لا فى الحجة و لا فى غيرها، ما دام المؤمنون ملتزمين بشرائط الإيمان عقيدة و عملا وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ أبدا لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا نعم إذا خرج المؤمنون عن شرائط الإيمان عقيدة أو عملا، صار للكفار عليهم سبيل. و قد نرى فى طول التاريخ أنه لم يتغلّب الكفار على المؤمنين إلا إذا خرج المؤمنون عن طاعة اللّه و رسوله، كما رأينا فى قصة أحد حين ترك الرماة مواقعهم، و هذا لا ينافى تسلط

بعض أفراد الكفار على بعض أفراد المؤمنين قتلا و نحوه، لأن قضية «لن يجعل» طبيعية كسائر القضايا الواردة في مثل هذا المقام.

[۱۴۳] و لما ذكر سبحانه أن المنافقين يراوحون بين المؤمنين و الكافرين لإرضاء كليهما و لأن يهيئوا لهم حياة سعيدة مهما تقلبت الظروف و الأحوال، بيّن أن خداعهم هذا لا ينطلي على اللّه سبحانه إِنَّ الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ حيث يظهرون الإيمان لحقن دمائهم و حفظ أموالهم و أعراضهم، بينما هم كفار غير مؤمنين وَ هُوَ خادِعُهُمْ إذ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۶۷

[سورة النساء (۴): آية ۱۴۳]

مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إِلى هؤُلاءِ وَ لا إِلى هؤُلاءِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (۱۴۳)

يلزمهم أحكام المسلمين في الدنيا و يجازيهم جزاء الكافرين في الآخرة وَ من صفاتهم الظاهرة أنهم إِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى جمع «كسلان» أي متثاقلين، لأنهم لا يعتقدون بالصلاة حتى يقوموا إليها قيام نشاط و فرح كما يقوم المؤمنون إليها يُراؤُنَ النَّاسَ أي أن أصل عملهم لأجل الرياء و أن يظهروا للمؤمنين أنهم مسلمون لا لأجل اللّه، و لذا لو تمكنوا من تركها تركوها وَ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا في مواقع الشدة و المحنة كما قال سبحانه: فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ «۱» بخلاف المؤمنين الذين يعتقدون بالله فإنهم ذاكرون له دائما.

[۱۴۴] مُذَبْذَبِينَ يقال: «ذبذبته» أي حركته، أي أن المنافقين مترددين بَيْنَ ذلِكَ المجتمع المنقسم إلى المؤمن و الكافر لا إِلى هؤُلاءِ المؤمنين، أي لا- مع هؤلاء تماما وَ لا إِلى هؤُلاءِ الكافرين، و دخول كلمة «إلى» باعتبار أن من يكون مع قوم ينتهي إليهم في حركاتهم و سكناتهم، بخلاف المنافق الذي هو في الوسط لا ينتهي إلى أحد الجانبين وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ و إضلاله بترك لطفه الخاص به، بعد ما أراه الطريق فلم يسلكه، و قد تقدم معنى الإضلال من اللّه فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا إلى الحق لأنه قد ران على قلبه ما كسبه من السيئات و الإعراض عن الإيمان بالله و العمل الصالح.

---

(۱) العنكبوت: ۶۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۶۸

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۴۴ الى ۱۴۵]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً (۱۴۴) إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (۱۴۵)

[۱۴۵] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ أي أنصارا و أخلاء يتولّون شؤونكم مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ بأن تتركوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً السلطان: الحجة و المبين، بمعنى الواضح، فينكّل بكم حيث انحرفتم عن طريقته إلى طريقة الكفار، إن المنافقين قد اتخذوا الكافرين أولياء، فأنتم أيها المؤمنون لا تكونوا مثلهم، لتتم عليكم الحجة فيصحّ عقابكم لأنه جاء بعد البيان و الإنذار، و الاستفهام بمعنى الإنكار، أي لا تجعلوا لله سلطانا عليكم.

[۱۴۶] إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ أي في الطبقة السفلى، و ذلك لأن المنافق شرّ من الكافر، إذ هو كافر بإضافة أنه في المسلمين فيطّلع على عوراتهم و يعين الأعداء عليهم. و في آية أخرى قال تعالى بالنسبة إلى المنافقين: هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ «۱» على نحو الحصر، و لعلّ السبب في قبول المنافق بعد العلم بباطنه رجاء زوال نفاقه، و أنه لو وكل الأمر إلى الناس لأخذوا كثيرا من المؤمنين بأنهم منافقين وَ لَنْ تَجِدَ يا رسول اللّه لَهُمْ أي للمنافقين نَصِيراً من بأس اللّه و عقابه.

---

(۱) المنافقون: ۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٦٩

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۴۶ الى ۱۴۷]

إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً (۱۴۶) ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ كانَ اللَّهُ شاكِراً عَلِيماً (۱۴۷)

[۱۴۷] إِلَّا الَّذِينَ تابُوا من نفاقهم وَ أَصْلَحُوا نياتهم و أعمالهم كسائر المؤمنين وَ اعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ أى تمسكوا به و أخلصوا طريقهم لله، بخلاف المنافق الذى يبعّض فى طريقته، فبعضها لله و بعضها للأصنام فَأُولئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فى دنياهم و آخرتهم وَ سَوْفَ فى الآخرة يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً هو النعيم المقيم الذى لا زوال له و لا اضمحلال.

[۱۴۸] و لما ذكر سبحانه أن المنافقين فى الدرك الأسفل، بيّن أنه ليس من حاجة له إلى عذاب أحد، و إنما ذلك لسوء صنيعهم، فلو بدّلوا صنيعهم لكان خيرا لهم ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِكُمْ أيها الناس، و الاستفهام فى معنى الإنكار، أى لا حاجة إلى عذابكم إذ لا ينتفع اللّه بذلك كما لا يتضرر بتركه إِنْ شَكَرْتُمْ نعمه سبحانه وَ آمَنْتُمْ إيمانا صحيحا وَ كانَ اللَّهُ شاكِراً لمن شكره، و معنى كونه شاكرا: أنه يفعل فعل الشاكر من الحفاوة إلى المشكور له عَلِيماً بكم و بأعمالكم، فلا يفوته شيء منها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧١

تقريب القران الى الأذهان الجزء السّادس من آية (۱۴۹) من سورة النساء إلى (۸۳) من سورة المائدة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧٢

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧٣

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۴۸ الى ۱۴۹]

لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَ كانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً (۱۴۸) إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيراً (۱۴۹)

[۱۴۹] و حيث تقدم الكلام حول النفاق و هو شيء ربما اشتبه فيه الناس، و لذا نراهم يرمى بعضهم بعضا بالنفاق، بيّن سبحانه أنه لا يجوز أن يجهر الإنسان بالقول السيئ بالنسبة إلى أحد إلا إذا كان الإنسان الجاهر مظلوما فإنه يحق له أن يجهر بظلامته فلا يحق لأحد أن يبدى عورة غيره حتى فيما إذا علم، فكيف بما لو ظن أو توهم؟ و فى آية أخرى:

اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ «۱» لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ بأن يقول القول السيئ بالنسبة إلى غيره جهرا أمام الناس، و معنى «لا- يحب» أنه يكره ذلك إِلَّا مَنْ ظُلِمَ فإنه يحق له أن يذكر ظلامته أمام الناس وَ كانَ اللَّهُ سَمِيعاً يسمع ما يجهر به الإنسان من القول السيئ فى غيره عَلِيماً بصدق الصادق و كذب الكاذب فيجازى كلّا حسب جزائه.

[۱۵۰] و إذ ذكر تعالى جواز الجهر بالسوء لمن ظلم، بيّن أن إبداء الخير و إخفاء السوء أحسن، فإن ذلك من صفات اللّه سبحانه العفوّ القدير، الذى يعفو مع قدرته إِنْ تُبْدُوا أى تظهروا خَيْراً أى عملا حسنا جميلا لمن أحسن أَوْ تُخْفُوهُ أى تتركوا إظهار الخير، أو المعنى: تعزموا عليه أى تنووه. و لعل الثانى أقرب أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فلا تنتقموا ممن أساء إليكم مع قدرتكم على الانتقام، ففى المقام

---

(۱) الحجرات: ۱۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧٤

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۵۰ الى ۱۵۱]

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ

ذلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً (١٥١)

لا تجهروا بالقول السيئ بالنسبة إلى من ظلمكم فَإِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا كثير العفو عن خلقه ممن أساء و ظلم قَدِيراً على الانتقام منهم، فما أجدر أن يتصف الخلق بصفة الخالق.

[١٥١] و لما ذكر سبحانه في الآيات السابقة حال المنافقين، أتم الكلام في الآيات التالية حول حال الكافرين و المؤمنين، فالناس ينقسمون أمام الدعوة الجديدة إلى مؤمن و كافر و منافق بين أولئك إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ و إن كان كفرا برسول واحد، و الكفر إما بالإنكار أو نحو ذلك وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ لعلّهم طائفة أخرى حيث أنهم يؤمنون بالله و يكفرون بالرسل، فبهذه الصفة أنهم يفرقون بين اللّه بالإيمان و بين الرسل بالكفر وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ فإن هناك المنكر المطلق و الذى لا ـ ينكر اللّه و لكن ينكر الأنبياء جملة، و الذى يبعّض في الأنبياء وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ الحق الواقع سَبِيلًا طريقا لا الإنكار المطلق و لا الإذعان المطلق، و إنما يفعلون ذلك لأغراض نفسية و تقاليد بالية.

[١٥٢] أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا أي حقيقة، فلا يخرج إيمانهم ببعض عن كونهم كافرين، كما قد ينطبق على البعض الذين لا يعرفون معيار الكفر و الإيمان، فإن الكفر هو إنكار أحد الأصول و الإيمان هو الإقرار بها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧٥

[سورة النساء (٤): الآيات ١٥٢ الى ١٥٣]

وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (١٥٢) يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ فَعَفَوْنا عَنْ ذلِكَ وَ آتَيْنا مُوسى سُلْطاناً مُبِيناً (١٥٣)

أجمع وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ أي هيّئنا لهم عَذاباً مُهِيناً يهينهم و يذلهم.

[١٥٣] وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ جميعا وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ لفظ «أحد» إذا دخل عليه النفي أو كان في معناه أفاد العموم، و لذا صحّ إدخال «بين» عليه و ليس كذلك إذا كان للإثبات أُولئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ اللّه أُجُورَهُمْ في الآخرة وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً يغفر ما صدر منهم من ذنب رَحِيماً يرحم بلطفه و رحمته.

[١٥٤] و إذ تقدم الكلام عن الذين يؤمنون ببعض و يكفرون ببعض، و من أظهر مصاديق أولئك أهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء السالفة و لم يؤمنوا بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بحجج واهية، انتقل السياق إلى هؤلاء مبيّنا أنهم كاذبون في زعمهم الإيمان بموسى عليه السّلام بأسئلة و أعمال بشعة، يَسْئَلُكَ يا رسول اللّه أَهْلُ الْكِتابِ و المراد بهم هنا اليهود أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ كما نزل على موسى التوراة، مكتوبا جملة، لا أن تأتي الآيات على نحو الوحي.

و في بعض التفاسير: أن كعب الأشرف و جماعة من اليهود قالوا: يا محمد إن كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة جملة «١»

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٧٦

[سورة النساء (٤): آية ١٥٤]

وَ رَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثاقِهِمْ وَ قُلْنا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُلْنا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً (١٥٤)

فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فهل آمنوا بموسى عليه السّلام لما آتاهم الكتاب من السماء؟ كلا بل سألوه شيئا أكبر من ذلك فَقالُوا له عليه السّلام:

أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً حتى نشاهده بأعيننا فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بسبب ظلمهم و تجرّؤهم على ساحة قدس اللّه و جلاله، فقد جاءت صاعقة و أماتتهم جميعا- كما تقدم في سورة البقرة «۱»- ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إلها عبدوه من دون اللّه سبحانه مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ أي الأدلة الواضحة على الربوبية و النبوة، من نجاتهم من بني إسرائيل، و تفريق البحر لهم، و ما رأوا من معجزات العصا و غير ذلك فَعَفَوْنا عَنْ ذلِكَ بما تقدم في سورة البقرة من أمرهم بقتل بعضهم بعضا، و لكن لم ينفعهم ذلك أيضا بل بقوا معاندين قساة جفاة وَ آتَيْنا مُوسى أي أعطيناه سُلْطاناً مُبِيناً أي حجة واضحة تبين صدقه و نبوته، و مع ذلك لم يؤمنوا.

[۱۵۵] وَ رَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ أي جبل الطور حيث اقتلع جزء منه و رفع فوق رؤوس بني إسرائيل تخويفا لهم حتى يأخذوا الأحكام و يقبلوا التعاليم بسبب ميثاقهم أي عهدهم، و لعل المراد: حين إرادة

---

(۱) البقرة: ۵۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۷۷

[سورة النساء (۴): آية ۱۵۵]

فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ وَ كُفْرِهِمْ بِآياتِ اللَّهِ وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً (۱۵۵)

أخذ الميثاق منهم وَ قُلْنا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبابَ أي باب القرية سُجَّداً أي في حال السجود، اسجدوا و ادخلوا الباب وَ قُلْنا لَهُمْ لا تَعْدُوا أي تعتدوا فِي السَّبْتِ باصطياد السمك، فقد كان ذلك محرما عليهم وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ أي من أهل الكتاب المتقدم ذكرهم مِيثاقاً غَلِيظاً أي عهدا أكيدا بأن يسمعوا الأوامر و ينزجروا عن النواهي. و قد تقدم بعض الكلام حول الأمور المذكورة في سورة البقرة.

[۱۵۶] ثم ذكر سبحانه أن اليهود بأعمالهم القبيحة استحقوا عقاب الدنيا و عقاب الآخرة أما عقاب الدنيا فتحريم الطيبات عليهم و أما عقاب الآخرة فالنار المهيأة لهم، فقوله سبحانه: «فَبِما نَقْضِهِمْ .. إلى آخر الآيات» متعلق بقوله: «حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ ..» فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ أي بسبب نقض اليهود معاهدتهم مع اللّه بأن يعملوا بكل ما في التوراة من الأحكام فإنهم لم يعملوا بغالب أحكامها أصولا و فروعا وَ كُفْرِهِمْ بِآياتِ اللَّهِ التي أقامها على صدق أنبيائه ككفرهم بأدلة نبوة عيسى عليه السّلام وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍ فإنهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا يقتلون و فريقا يكذبون و كلمة «بغير حق» للتوضيح لا للتأكيد إذ قتل الأنبياء لا يكون بالحق أبدا وَ بسبب قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ جمع «أغلف» أي في غلاف من دعوتك يا محمد، فلا نفهم ما تقول، كالشيء المغلف الذي لا يصل إليه شيء من الخارج، فقد كانوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۷۸

[سورة النساء (۴): آية ۱۵۶]

وَ بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً (۱۵۶)

يقولون ذلك للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى لا يدعوهم إلى الهدى. ثم جاء سبحانه بجملة معترضة في الكلام ردا لقولهم «قلوبنا غلف» بقوله:

بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فإن الإنسان إذا رأى الحق فأنكره و تكرر منه العصيان يكون قلبه في معزل عن الحق، و صار الإنكار كالملكة له فإنه يعرف الحق كلما رآه لكنه ينكره، لا لأنه لا يرى الحق- لأن قلبه في غلاف- و على هذا يكون معنى بكفرهم: لسبب كفرهم فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا إذ قلّما يرتدع من صار الإنكار ملكة له بسبب غيه و ضلاله، ثم إن نسبة الطبع إلى اللّه تعالى إما حقيقة لأنه خلق القلب كذلك، بحيث يصير الأمر المتكرر ملكة له، و إما مجازا يراد بذلك: تركهم و شأنهم.

[۱۵۷] وَ بسبب كفرهم بعيسى المسيح عليه السّلام أو المراد: الكفر المطلق، كرّر تأكيدا أو هو إرهاص لقوله «وَ قَوْلِهِمْ عَلى مَرْيَمَ» يريد

بذلک أنهم صاروا کفارا بسبب هذه التهمة لعظمتها وَ قَوْلِهِمْ عَلی مَرْیَمَ الصدیقة المعصومة أم المسیح علیها السّلام بُهْتاناً عَظِیماً حیث نسبوها إلی الزنا لما ولد عیسی علیه السّلام منها من غیر أب.

عن «الکلبی» أن عیسی علیه السّلام مر برهط فقال بعضهم لبعض:

جاءکم الساحر ابن الساحرة. فقذفوه بأمه فسمع ذلک عیسی فقال:

اللهم أنت ربی و لم آتهم من تلقاء نفسی، اللهم العن من سبّنی و سبّ والدتی فاستجاب اللّه دعوته فمسخهم خنازیر «۱».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۴ ص ۳۴۰.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۵۷۹

[سورة النساء (۴): الآیات ۱۵۷ الی ۱۵۸]

وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِیحَ عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لکِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِیهِ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ یَقِیناً (۱۵۷) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَیْهِ وَ کانَ اللَّهُ عَزِیزاً حَکِیماً (۱۵۸)

[۱۵۸] وَ بسبب قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِیحَ عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ و هذا القول موجب لسخط اللّه تعالی لأنه علیه السّلام رسوله، و قوله: رَسُولَ اللَّهِ إما قول الیهود علی وجه الاستهزاء، و إما قول اللّه تعالی، فلیس «مقول قولهم» و إما أنه اعتراف منهم بأنه الرسول، کما اعترف أهل الکوفة بأن الحسین إمام و قتلوه لهوی النفس. ثم ردهم اللّه سبحانه بقوله: وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ لأنهم کانوا یقولون: قتلناه صلبا وَ لکِنْ شُبِّهَ لَهُمْ بأن ألقی اللّه شبه عیسی علی بعض الیهود، فقتلوا ذلک الشبیه لعیسی علیه السّلام لا- أنهم قتلوا نفس المسیح وَ إِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِیهِ أی فی المسیح علیه السّلام هل أنه قتل أم لم یقتل؟ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ فإنهم صاروا فریقین: قسم یقولون قتلناه، و قسم یقولون لم نقتله و إنما قتلنا شبیها له، و لم یکن قولهم عن یقین و إنما عن شک و تردد ما لَهُمْ بِهِ أی لهؤلاء القائلین بقتله مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِ هذا الاستثناء منقطع، فإنه کثیرا ما یستثنی من أصل الکلام لا- من قیوده، فکأنه قال هنا: «ما لهم من حالة نفسیة حول هذا الموضوع إلا- اتباع الظن» فمن یقول قتلناه یظن ذلک لا أنه یستیقن. و لا یخفی أن الشک بمعناه اللغوی یلائم الظن، و لیس الشک بمعنی تساوی الطرفین حتی ینافی الظن الذی بمعنی ترجیح أحد الطرفین. وَ ما قَتَلُوهُ یَقِیناً أی: بالیقین و القطع لم یقتلوا عیسی.

[۱۵۹] بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَیْهِ أی إلی محل تشریفه و هو السماء، فإنه قد ثبت

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۵۸۰

[سورة النساء (۴): الآیات ۱۵۹ الی ۱۶۰]

وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ إِلاَّ لَیُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ یَکُونُ عَلَیْهِمْ شَهِیداً (۱۵۹) فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِینَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَیْهِمْ طَیِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَ بِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ کَثِیراً (۱۶۰)

فی علم الکلام أنه سبحانه لا محلّ له. ثم إن رفعه له إلی السماء یمکن أن یکون فی بعض الکواکب فإنها- کما فی الحدیث «مدن کمدنکم»

«۱» وَ کانَ اللَّهُ عَزِیزاً ذا عزة و سلطة یتمکن مما أراد و أمر حَکِیماً یضع الأشیاء مواضعها و تقدیراته عن حکمة و بصیرة.

[۱۶۰] وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ أی ما من أحد من أهل الکتاب من الیهود إِلَّا لَیُؤْمِنَنَّ بِهِ أی بالمسیح علیه السّلام قَبْلَ مَوْتِهِ أی قبل موت المسیح علیه السّلام ینزل من السماء و یصلی خلف الإمام المهدی علیه السّلام فیؤمن به کل یهودی «۲». و من المعلوم أن المراد بکل یهودی من کان فی ذلک الوقت، لا کل یهود العالم الذین ماتوا من قبل. و هذه العبارة عرفیة فیقال: یعرف أهل البلد الفلانی جمیعهم حتی إذا خرجت منها، یرید بذلک: من کان منهم فیها، لا کل من مات أو خرج قبل رحلته وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ یَکُونُ المسیح علیه السّلام

عَلَيْهِمْ أي على اليهود شَهِيداً بأنه قد بلغ رسالات ربه، و أنهم آذوه و طردوه و لم يقبلوا منه.

و هناك احتمال أن يعود الضمير «به» إلى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى هو محل البعث مع الكفار، و ضمير «موته» إلى الكتابى، أى كل كتابى يؤمن بالرسول قبل أن يموت حين الاحتضار حيث ينكشف له الواقع.

[۱۶۱] و لما ذكر سبحانه اليهود قال: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا أى بسبب

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲ ص ۲۱۹.

(۲) العمدة: ص ۴۳۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۸۱

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۶۱ الى ۱۶۲]

وَ أَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ وَ أَكْلِهِمْ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً (۱۶۱) لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً (۱۶۲)

ظلم اليهود لأنبيائهم و لأنفسهم و لغيرهم. بما تقدم من أقسام الظلم حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ فقد أحلّ قسم من الطيبات لهم، لكنهم لما ظلموا حرّم عليهم تلك الطيبات جزاء على أعمالهم. و المحرمات هى ما بيّن فى قوله تعالى: وَ عَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ .. «۱»، وَ بِصَدِّهِمْ أى بمنعهم عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً عطف على قوله: «فبظلم» فإنهم كانوا يصدون عن سبيل اللّه و يمنعون الناس عن التدين بدين المسيح و محمد عليهما السّلام كما كانوا يحرفون التوراة حسب رغباتهم و أهوائهم.

[۱۶۲] وَ ب أَخْذِهِمُ الرِّبَوا و هو أخذ الزيادة من المقترض، فقد كان حراما حتى فى شريعتهم و لكنهم لم يكونوا يأبهون بالشريعة وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ أى و الحال أنهم كانوا قد نهوا عن أخذ الربا وَ ب أَكْلِهِمْ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ فقد كانوا يأخذون الرشوة فى الحكم و يسيطرون على أموال الآخرين بالمكر أو القوة وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ مِنْهُمْ الذين لم يؤمنوا بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عَذاباً أَلِيماً يؤلم أجسامهم و أرواحهم.

[۱۶۳] و لما ذكر سبحانه «للكافرين منهم» فهم أن بعضهم ليس كذلك، و قد

---

(۱) الأنعام: ۱۴۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۵۸۲

بيّن ذلك سبحانه بقوله: لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ كعبد اللّه بن سلام و أصحابه الذين رسخوا فى العلم و ثبتوا فيه و عرفوا العلم حق المعرفة وَ الْمُؤْمِنُونَ يعنى أصحاب الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و المحتمل أن المراد بهم: المؤمنون بموسى حقيقة، مقابل سائر اليهود الذين كان إيمانهم مزيفا كاذبا يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ يا رسول اللّه من القرآن الحكيم وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ من كتب موسى و عيسى عليهما السّلام بخلاف اليهود الذين لم يؤمنوا إطلاقا، و كان إيمانهم بالتوراة كذبا، كما قال سبحانه: مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً «۱».

و هنا قد يتساءل البعض: أن اليهود إن كان فى طبيعتهم الانحراف كما هو المشهور بين الناس و الظاهر من قوله تعالى: فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً «۲» و قوله: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ «۳» و من أعمالهم مع أنبيائهم و بالأخص موسى عليه السّلام، فكيف يمكن لهم التخلّى عن هذه الطبيعة؟ و كيف يقبلون بالإسلام إذا أسلموا؟

و كيف يمكن التفريق بين من كفر منهم و بين من قال سبحانه عنه «لكن الراسخون ..»؟

و الجواب: أن اليهود لهم جهتا انحراف: الأولى طبيعتهم المتحجرة، و الثانية دينهم الباطل الذى يأمرهم بكل منكر، و تقاليدهم

---

(۱) الجمعة: ۶.

(۲) البقرة: ۷۵.

(۳) المائدة: ۸۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۸۳

البالية السخيفة. و من المعلوم أن اليهودى إذا أسلم روضت طبيعته و صقلت بالإسلام، كالجبان الذى يشجع نفسه حتى تصبح له ملكة الشجاعة، و الفاسق الذى يسلك الصلاح حتى تحصل له ملكة العدالة.

و كذلك تذهب تقاليده و دينه المحرّف فلا يكون حافز له على الاجرام و الرذيلة، بالإضافة إلى أن الانحراف ليس من طبيعة الكل مطلقا بل الأغلب، كما لا يخفى.

وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ عطف على «الراسخون» أى الذين يقيمون الصلاة من اليهود فإن لكل دين صلاة، و إنما عطف بالنصب و القاعدة الرفع أى «المقيمون» لأنه نصب على المدح، و هذا تفنّن فى الكلام لإزالة الضجر النفسى الذى يحصل من سبك واحد. و قد كانت إقامة الصلاة الدائمة من أقوى العوامل للإيمان بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأنها مذكرة مستمرة توجب ملكة طيبة وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكاةَ فقد كان كل دين يأمر بالزكاة بمعناها الأعم وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ إيمانا حقيقيا لا صوريا- كما كان عند غالب اليهود- أُولئِكَ المتصفون بهذه الصفات سَنُؤْتِيهِمْ فى الآخرة أَجْراً عَظِيماً فى جنات النعيم التى فيها ما تشتهى الأنفس و تلذ الأعين و هم فيها خالدون.

و يمكن أن يكون الكلام من قوله: «و المقيمين» استئنافا إلى أن الراسخين فى العلم من اليهود و المؤمنين الذين يقيمون الصلاة- من المسلمين- أولئك نعطيهم الأجر العظيم، فلا يكون «المقيمين .. إلخ» من صفات اليهود الراسخين فى العلم، و ربما يؤيد هذا الوجه نصب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۸۴

[سورة النساء (۴): آية ۱۶۳]

إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ عِيسى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هارُونَ وَ سُلَيْمانَ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً (۱۶۳)

«المقيمين» كأنه أراد بيان الانقطاع عما قبله و أنه فى حكم الضمير فى «سنؤتيهم» أى سنؤتى المقيمين .. سنؤتيهم أجرا عظيما، كباب الاشتغال.

[۱۶۴] ثم ذكر سبحانه أن مجادلات اليهود باطلة و أن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أوحى إليه كما أوحى من قبله إلى سائر الأنبياء، و قولهم بإنزال الكتاب عليهم بحيث قد كثر فى الأنبياء السابقين من أوحى إليه، قال تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ يا رسول اللّه «الوحى» هو الإلقاء فى القلب بواسطة ملك، أو ابتداء بدون ملك فى اليقظة أو المنام كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ أى من بعد نوح عليه السّلام. ثم ذكر بعض الأنبياء بالاسم تعظيما و إن كانوا داخلين فى عموم النبيين وَ أَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ و قدّم إسماعيل لأنه أرفع شأنا فى الإيمان، و إن كان الثانى أكبر سنا- كما هو المشهور- وَ يَعْقُوبَ و هو حفيد إبراهيم ابن إسحاق جدّ اليهود، كما أن إسماعيل جد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ الْأَسْباطِ أى: الأنبياء المبعوثون من أولاد يعقوب، و يسمّون الأسباط لأنهم أحفاد يعقوب كيوسف و غيره عليهم السّلام وَ عِيسى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هارُونَ وَ سُلَيْمانَ و لم يذكر موسى عليه السّلام لأنه نزل عليه الكتاب من السماء الذى كان محل احتجاج اليهود- كما تقدم- وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً جمع «زبر» أى شيئا فشيئا،

و لم ننزل على هؤلاء الأنبياء كتابا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ۵۸۵

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۶۴ الى ۱۶۶]

وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً (۱۶۴) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (۱۶۵) لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ الْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً (۱۶۶)

كاملا بل إما وحيا و إما جزءا، كداود عليه السّلام.

[۱۶۵] وَ أرسلنا رُسُلًا بالوحى إليهم قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ كيونس عليه السّلام مِنْ قَبْلُ فى سائر القرآن وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ فقد كان عدد الأنبياء- على المشهور- مائة و أربعة و عشرين ألفا «۱» وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً فلم يكن كل ما أتاه بشكل الكتاب، فموسى عليه السّلام الذى هو محل احتجاج اليهود كان اللّه قد كلمه، و الكلام قسم من الوحى، و لا يخفى أن كلام اللّه سبحانه إنما هو بخلق الصوت فى الفضاء لأنه سبحانه منزّه عن الجسمية و لوازمها.

[۱۶۶] رُسُلًا مُبَشِّرِينَ لمن آمن و أطاع بالثواب وَ مُنْذِرِينَ لمن كفر و عصى بالعقاب لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ إرسال الرُّسُلِ بل لله الحجة البالغة، و المراد بالناس الغالب لا الكل إذ بعضهم لم تدركه الدعوة كما هو معلوم بالضرورة، و صرحت بذلك بعض الأحاديث وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً مقتدرا للعقاب و الثواب حَكِيماً يفعل الأفعال عن مصلحة و حكمة.

[۱۶۷] إن اليهود إن لم يشهدوا لك يا رسول اللّه بالنبوة بحجة مختلقة

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۱ ص ۲۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ۵۸۶

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۶۷ الى ۱۶۸]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً (۱۶۷) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (۱۶۸)

لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ و شهادة اللّه هى إجراء المعجزة على يد الرسول و لا يكون ذلك إلا لله وحده، و الفرق بين السحر و المعجزة أن السحر يوصل بالأسباب إلى مسبباتها و لو كانت الأسباب ختوما و أورادا، و المعجزة خرق لنواميس الطبيعة بمجرد إرادة الرسول و من آتاه اللّه ذلك. و لا يفرق بين الأمرين إلا أهل المعرفة، فالرسول يتمكن من إحياء الميت بينما لا يتمكن الساحر من ذلك و هكذا. أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ أى بعلمه أنك أهل للنبوة، أو أنزله مقترنا بالعلم الذى من لدنه، أو أن الإنزال كان معلوما لله تعالى لا كما يأمر الآمر و هو غافل أو جاهل أو ناس أو ساه، و الأول أقرب وَ الْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ بما أنزل إليك، و لعل ذكر الملائكة تشريعى، أى بشهادة واقعية و إن لم يكن لها أثر، أو أن الأثر نصرة الملائكة كما رأوا فى يوم بدر و كما ظهر بعض الآثار لنزول الملائكة وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً يشهد بأنك رسوله.

[۱۶۸] ثم ذكر سبحانه جزاء الكافرين بالرسول بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أى منعوا الناس عن الإيمان و منعوا الإسلام عن التقدم قَدْ ضَلُّوا طريق الحق ضَلالًا بَعِيداً متباعدا عن الطريق السوى.

[۱۶۹] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بالله و رسله و ما جاءوا به وَ ظَلَمُوا أنفسهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ۵۸۷

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۶۹ الى ۱۷۰]

إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (۱۶۹) يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (۱۷۰)

بالعصيان و الناس بالحرمان عن طريق الهداية لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ إذا ماتوا على الكفر، كما يظهر القيد من سائر الآيات وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً و المراد طريق الجنة.

[۱۷۰] إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ جزاء لما فعلوا من الكفر و الظلم خالِدِينَ فِيها أَبَداً لا- زوال للعذاب و لا- انقطاع. و قد يتساءل البعض: و لم العذاب الدائم مقابل العمل الذى كانت له مدة محدودة له؟ و الجواب: أن العذاب للشر الكامن الذى كان له مظهر، و ذلك باق أبدا، و لذا قال سبحانه: وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ «۱»، وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً لقدرته الكاملة و سلطانه المطلق.

[۱۷۱] ثم خاطب سبحانه جميع الناس بوجوب الإيمان و التنكّب عن طريق الكفر بقوله: يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بِالْحَقِ أى مجيئه بالحق، أو بالدين الذى ارتضاه اللّه لعباده مِنْ رَبِّكُمْ أى من طرفه و جانبه، فربكم هو الباعث له. و فيه تأكيد لوجوب القبول فَآمِنُوا بما أتى به من الأصول، و أتوا خَيْراً لَكُمْ أى خيرا تعود فائدته إلى أنفسكم وَ إِنْ تَكْفُرُوا فلا تظنوا أن ذلك يضر اللّه تعالى

---

(۱) الأنعام: ۲۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۸۸

[سورة النساء (۴): آية ۱۷۱]

يا أَهْلَ الْكِتابِ لا- تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً (۱۷۱)

فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فلا ينقصه كفركم شيئا وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً بمصالحكم و مفاسدكم، فالرسول آت بما هو الصلاح لكم حَكِيماً فى أمره و نهيه و تدبيره و تقديره.

[۱۷۲] ثم توجه السياق إلى أهل الكتاب الذين تقدم الكلام عنهم، لكن هنا يراد بهم النصارى فقط، فقال سبحانه: يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ الغلو: هو مجاوزة الحد و الارتفاع، و منه «غلا فى دينه» أى تجاوز الحد إلى الارتفاع، فقد كان المسيحيون يقولون بتعدد الآلهة:

الأب و الابن و روح القدس، و يريدون بالأول هو اللّه، و بالثانى المسيح، و بالثالث جبرائيل عليه السّلام وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ أى لا تفتروا على اللّه بأن تقولوا: إن اللّه أمرنا بعبادة آلهة ثلاثة، أو المعنى: لا تقولوا بالنسبة إلى اللّه ما ينافى عظمته من قولكم إن له شريكا إِلَّا الْحَقَ و هو أنه لا شريك له و لم يأمر إلا بذلك إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ قيل: إنما سمى بالمسيح لأنه كان يمسح الأرض و يسيح فى البلاد، و «عيسى ابن مريم» بيان لقوله «المسيح» يعنى أنه ابن مريم، لا- أنه ابن اللّه، و «رسول اللّه» خبر لقوله «المسيح» وَ كَلِمَتُهُ أى كلمة اللّه، و هذا تشبيه، فكما أن المتكلم إذا قال القول، حدث منه فى الخارج شبه إلقاء، كذلك اللّه سبحانه يلقى الأشياء إلى الخارج فهى كلماته، و لذا يقال للمخلوقات «كلمات اللّه» و «إنما» هنا للحصر الإضافى مقابل النبوة و الألوهية.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۸۹

أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ أى أوجدها فى رحمها الطاهرة بدون زواج و اقتراب من رجل وَ رُوحٌ مِنْهُ سبحانه و «الروح» هى القوة- الطاقة- التى تتحرك و تحرك، و المعنى: أن عيسى روح من قبل اللّه سبحانه، و لذا يقال له: «روح اللّه»، و من المعلوم أن الإضافة تشريفية نحو: بيت اللّه.

فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ إيمانا صحيحا بالإذعان لوحدانيته، و أنه لا- شريك له و لا- ولد، و أن المسيح رسوله الكريم وَ لا تَقُولُوا أيها النصارى أن الإله ثَلاثَةٌ أب و ابن و روح القدس انْتَهُوا عن هذا الكلام البشع، و أتوا خَيْراً لَكُمْ فى دنياكم و آخرتكم من التوحيد و التنزيه إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ لا شريك له فليس المسيح شريكا له فى الألوهية، فإن من كان له شريك لا يصلح أن يكون إلها إذ الشركة تلازم التركيب، و التركيب يلازم الحدوث، فإن كل مركّب لا بد له من مركّب و أجزاء سابقة- و لو رتبة- و ما سبقه غيره ليس بإله سُبْحانَهُ أى أسبّحه سبحانه، بمعنى: أنزهه تنزيها أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ كما قال المسيحيون من أن المسيح ابن اللّه، فإنه لو أريد بالولد المعنى المتعارف مما يستلزم الولادة، فإن ذلك من صفات الممكن لا من صفات الإله، إذ لا يعترى الإله التغيير، و إلا كان حادثا، و لو أريد المعنى التشريعى كما يقول الشخص الكبير لبعض

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۹۰

[سورة النساء (۴): آية ۱۷۲]

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَ لا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً (۱۷۲)

الناس- إذا أراد تشريفهم-: «فلان ولدى» فإن ذلك لا يجوز بالنسبة إلى اللّه سبحانه إذ شؤونه كلها توقيفية، فقد أذن أن يقال: «فلان خليله» و لم يأذن أن يقال: «ابنه أو ولده». و المراد بالآية هو المعنى الأول.

لَهُ أى اللّه تعالى ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ و من يكون كل شيء ملكه، لا يمكن أن يكون شيء ولدا له، إذ الولد من جنس الوالد، و هو جسم فعل لله فليس له نظير و لا- شبيه وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى نفاذ أمره، و هو وعيد للقائلين بالتثليث.

[۱۷۳] ثم ذكر سبحانه أن المسيح عليه السّلام يعترف بأنه عبد اللّه فلم يقول هؤلاء بأنه ابن اللّه أو شريك اللّه؟ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أى لن يأنف عيسى عليه السّلام أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ بل اعترف هو عليه السّلام حين ولادته بذلك قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا «۱»، وَ لَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ الذين قربهم سبحانه من ساحة لطفه. و لعل هذا إشارة إلى رد من زعم أنهم أولاد اللّه كما حكى سبحانه بقوله: وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً «۲»، وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ يأنف و يمتنع عَنْ عِبادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فيرى نفسه أكبر و أعظم من أن يعترف لله بالعبودية

---

(۱) مريم: ۳۱.

(۲) الزخرف: ۲۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۹۱

[سورة النساء (۴): الآيات ۱۷۳ الى ۱۷۴]

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَ اسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِيماً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (۱۷۳) يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً (۱۷۴)

فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً الحشر هو الجمع، أى يجمعهم يوم القيامة جميعا ليجازيهم باستكبارهم. و «إليه» ليس للمكان لأنه سبحانه منزّه عنه، بل المراد: المحل المعدّ لقضائه و جزائه.

[۱۷۴] فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا إيمانا صحيحا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أى الأعمال الصالحات فَيُوَفِّيهِمْ أى يعطيهم عطاء كاملا تاما أُجُورَهُمْ التى وعد اللّه لهم وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ أى يزيدهم على ما كان قد وعدهم به من الجزاء على أعمالهم الحسنة تفضّلا منه و كرما وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَ اسْتَكْبَرُوا عن عبادته و طاعته فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِيماً أى مؤلما وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا يتولى أمورهم و ينجيهم من عذاب اللّه وَ لا نَصِيراً ينصرهم.

[١٧٥] يـا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهـانٌ مِنْ رَبِّكَمْ أى حجـة و دليل يـدلّكم على الحق وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَمْ نُوراً مُبِيناً أى نورا واضـحا و هو القرآن، فكما أن النور يهدى الإنسان إلى طريقه فى ظلمات الليل و نحوه، كذلك القرآن يهدى الإنسان إلى طريقه فى ظلمات الحياة، و بهذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩٢

[سورة النساء (۴): الآيات ١٧٥ الى ١٧۶]

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ اعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِنْهُ وَ فَضْلٍ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِراطاً مُسْتَقِيماً (١٧٥) يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَها نِصْفُ ما تَرَكَ وَ هُوَ يَرِثُها إِنْ لَمْ يَكُنْ لَها وَلَدٌ فَإِنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثانِ مِمَّا تَرَكَ وَ إِنْ كانُوا إِخْوَةً رِجالاً وَ نِساءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧۶)

المعنى يعنى اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ «١».

[١٧۶] فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ إيمانا صحيحا كما أمر العقل و الشرع وَ اعْتَصَمُوا بِهِ أى تمسكوا بالله فى أمورهم، أو أن الضمير «به» يرجع إلى النور فَسَيُدْخِلُهُمْ يوم القيامة فِى رَحْمَةٍ مِنْهُ سبحانه يرحمهم بها و يتفضل عليهم بالجنة وَ فَضْلٍ أى زيادة على ما استحقوا وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ أى يرشـدهم إلى نفسه، كما قال سبحانه: وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً «٢»، صِراطاً مُسْتَقِيماً أى جادة مستقيمة، فهم يصلون إلى الحقائق و السعادة فى صراط مستقيم، حيث أنهم اتبعوا الـدعوة و لبّوا الـداعى. و مفهوم الآية: أن الذين كفروا بالله و اعتصـموا بسواه فسيدخلهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا و يضلهم ضلالا بعيدا. و ما فى بعض الأخبار من تفسير «النور» بأمير المؤمنين و الأئمة الطاهرين عليهم السّلام فإن ذلك من باب أظهر المصاديق، كما قد تكرّر بيانه.

[١٧٧]

فى حديث أن جابر بن عبد اللّه الأنصارى كان مريضا فعاده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فسأل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قائلا: إن لى كلالة- أى أخوات- فكيف أصنع فى مالى بالنسبة إلى ميراثهن؟ فنزلت الآية

«٣» يَسْتَفْتُونَكَ أى يطلبون منك الفتوى يا رسول اللّه، و لهذه الآية ربط بما سبق فى حكم

---

(١) النور: ٣۶.

(٢) محمد: ١٨.

(٣) راجع كتاب فقه القرآن: ج ٢ ص ٣٣٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩٣

الكلالة وَ إِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً «١»، قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ أى يبيّن لكم الحكم فِى مسألة الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ أى مات، و ليس معنى «الهلاك» ما يتبادر غالبا من كونه هلاكا سيئا بل مطلقا، كما قال فى قصة يوسف عليه السّلام حَتَّى إِذا هَلَكَ «٢»، لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ و لا أبوان حتى لا يكون هناك من فى الطبقة الأولى كما دل عليه النص و الإجماع وَ لَهُ أُخْتٌ واحدة فَلَها نِصْفُ ما تَرَكَ فرضا، و النصف الآخر ردّا وَ هُوَ يَرِثُها أى الأخ يرث الأخت، لو كانت الأخت ميتة و الأخ حيا يرث جميع أموالها فرضا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَها وَلَدٌ و لا والدان، و هذا مع قطع النظر عن الزوجين، و إلا فهما يرثان نصيبهما الأعلى و الباقى للكلالة.

فَإِنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ أى كان للرجل الميت أختان فَلَهُمَا الثُّلُثانِ مِمَّا تَرَكَ فرضا و الثلث الآخر قرابة وَ إِنْ كانُوا أى الكلالة التى ترث الميت إِخْوَةً أى جماعة أكثر من الاثنين رِجالًا وَ نِساءً بعضهم أخوان و بعضهم أخوات فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ لكل أنثى سهم واحد و لكل ذكر سهمان اثنان، و هذا كله فى الأخوة من الجانبين

---

(١) النساء: ١٣.

(٢) غافر: ٣٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩۴

أو من جانب الأب، أما الأخوة من جانب الأم فقد سبق حكمهم فى أول السورة يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الأحكام أَنْ تَضِلُّوا أى لئلا تضلوا، أو كراهة أن تضلوا. بمعنى: تخطئوا الحكم فى مسألة الكلالة وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فيعلم الصالح و الفاسد و لذا يكون أمره و نهيه و تقديره عن حكمة و صلاح.

قال فى «المجمع»: و قد تضمنت الآية التى أنزلها اللّه فى أول هذه السورة بيان ميراث الولد و الوالد، و الآية التى بعدها بيان ميراث الأزواج و الزوجات و الأخوة و الأخوات من قبل الأم، و تضمنت هذه الآية التى ختم بها السورة بيان ميراث الأخوة و الأخوات من الأب و الأم، و الأخوة و الأخوات من قبل الأب عند عدم الأخوة و الأخوات من الأب و الأم. و تضمن قوله سبحانه: وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ «١»، أن تدانى القربى سبب فى استحقاق الميراث فمن كان أقرب رحما و أدنى قرابة كان أولى بالميراث من الأبعد، و اللّه العالم «٢».

---

(١) الأنفال: ٧۶.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢۵۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۵٩۵

۵ سورة المائدة مدنية- آياتها ١٢١

سميت السورة بالمائدة لاشتمالها على كلمة «المائدة»، و حيث ختمت السورة المتقدمة ببيان الحكم بين الميت و الحى، تبتدئ هذه السورة ببيان الحكم بين الأحياء، فقال سبحانه:

[سورة المائدة (۵): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ إِلاَّ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ ما يُرِيدُ (١)

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ و قد كان لتكرار البسملة أول كل سورة تعليما للناس أنهم إذا أرادوا أن يبتدءوا بعمل أن يقولوا هذه الجملة المباركة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۵٩۶

[٢] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا سبق أن الأحكام عامة، و إنما يخاطب المؤمنون بها لكونهم المستفيدين منها أَوْفُوا بِالْعُقُودِ «الجمع المحلّى بأل» يفيد العموم، أى كل العقود و «عقود» جمع عقد، و هو كل التزام و ميثاق بين جانبين، فتشمل عقود الناس بعضهم مع بعض و المعاهدات الدولية و المواثيق التى بين اللّه و بين خلقه، و حيث كانت المواثيق بين اللّه و الخلق أولى العهود بالوفاء، ابتدأ بها بقوله سبحانه: أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ فإن الحلال و الحرام و سائر الأحكام عقود بين اللّه و الخلق، أن يعمل الخلق بالأوامر و يجزيهم اللّه عوض ذلك الجنة، كما قال سبحانه: فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ «١»، و البهيمة من «الإبهام» يراد بها كل دابة، و الأنعام هى الإبل و البقر و الغنم و ما أشبهها كالظبأ و اليحمور، و سميت بهيمة لأنها لا تميّز، و الأنعام من «النّعم» لأنها من نعم اللّه على الخلق، و المراد ب «الحلية» الحلية ذبحا و أكلا و انتفاعا.

إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ أى يقرأ عليكم مما هو محرم و هو قوله سبحانه: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ «٢»، غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَ

أَنْتُمْ حُرُمٌ حال من «أحلت» أى أن التحليل فى حال كونكم لا تحلّون الصيد فى حال الإحرام، و هـذا الحال استثناء يأتى بهذه الصورة كما تقول: «يجوز لك أن تتصرف فى أموالى فى حال

---

(۱) التوبة: ۱۱۱.

(۲) المائدة: ۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۹۷

[سورة المائدة (۵): آية ۲]

يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا ـ تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ وَ لا ـ الشَّهْرَ الْحَرامَ وَ لا ـ الْهَدْيَ وَ لا الْقَلائِدَ وَ لا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْواناً وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَ تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى وَ لا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (۲)

كونك لا يجوز لك التصرف فى النفائس منها» تريـد أن الجواز فى غيرها إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ ما يُرِيدُ من تحليل و تحريم و سائر الأحكام مما يراه صلاحا.

[۳] يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ الشعائر جمع شعيرة، و هى الأمر المرتبط بشـىء كأنه من علائمه و مزاياه، فشعائر الحـج: الأمور المرتبطة بالحج، و شعائر اللّه الأمور المرتبطة بالله، و لعل اشتقاقها من «الشعر» بمعنى ما ينبت من الإنسان، كأن الشعيرة تلازم الشـىء تلازم الشعر، أو تلازم الشعار- الـذى هو الثوب الـذى على الجسد مقابل الـدثار الـذى هو الثوب الفوقانى- لبدن الإنسان. و الشعائر فى الآية- لكونها مطلقة- تشمل كل شىء كان أو أصبح من الأمور المرتبطة بالله مما لم ينه عنه، فمعالم الحج من الشعائر، كما أن تشييد القباب على أضرحة الأئمة الطاهرين من الشعائر. و المراد من عدم إحلال الشعائر:

خرق حرمات اللّه.

و

قد ورد عن الإمام الباقر عليه السّلام أنه قال «نزلت هذه الآية فى رجل من بنى ربيعة يقال له الحطم، و قيل أنه أتى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سأله عن معالم الإيمان، ثم أخبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأنه دخل بوجه كافر و خرج بعقب غادر، و لما وصل إلى سرح ساقه معه بها و أقبل فى القابل حاجا قد قلد هديا، فلما قصد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم معاقبته نزلت الآية»

«۱» يريد بذلك «آمّين البيت الحرام».

---

(۱) البحار: ج ۱۹ ص ۱۴۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۵۹۸

وَ لَا تحلوا الشَّهْرَ الْحَرامَ بأن تقاتلوا فيه، و الأشهر الحرم هى: رجب و ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم وَ لَا تحلوا الْهَدْيَ و هو الشـىء الذى يهديه الحاج إلى بيت اللّه الحرام للذبح من إبل أو بقر أو غنم، و المراد: لا تحولوا دون بلوغ ذلك إلى محله وَ لَا تحلوا الْقَلائِدَ و هى جمع قلادة، ما يقلد به الهدى من الإبل، و هو أن يقلد فى عنقها شىء ليعلم أنه هدى لا يجوز تحليتها إذ بعد تقليدها تكون لله و لا يجوز الرجوع فيها وَ لَا تحلوا حال كونكم آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ جمع «آمّ» على وزن «مادّ» من «أمّ» بمعنى قصد أى لا تتعرضوا لمن قصـد البيت الحرام لأداء الحج يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْواناً أى يطلبون بقصدهم الحج الفضل- أى الزيادة فى الثواب أو المال أو غيرهما- من اللّه و رضاه مقابل من قصد الحج للإفساد فإن صده جائز.

وَ إِذا حَلَلْتُمْ عن الإحرام فَاصْطادُوا الصيد الـذى حرمه الإحرام، و الأمر هنا للجواز لأنه فى مقام توهم الحضر، و هذا دفع لما تقدم من

قوله سبحانه: «غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ» فقد كان السياق لبيان المحرمات، و لذا أتت الآية الثانية لبيان سائر المحرمات مما أشير إلى بعضها في الآية الأولى و هو «غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ».

ثم إنه لما أنهى سبحانه عن تحليل تلك الحرمات، بيّن أن هذه الحرمات لا فرق فيها بين من اعتدى عليكم و بين من لم يعتد عليكم،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٥٩٩

[سورة المائدة (٥): آية ٣]

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ وَ الْمُتَرَدِّيَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ ما أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا ما ذَكَّيْتُمْ وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)

بقوله: وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ أي لا يحملنّكم من «جرمني فلان على أن صنعت كذا» أي حملني شَنَآنُ أي بغضاء و عداوة قَوْمٍ لكم ب أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أي منعوكم عنه كما في عام الحديبية.

أَنْ تَعْتَدُوا عليهم بتحليل المحرمات المذكورة بالنسبة إليهم وَ تَعاوَنُوا أيها المسلمون عَلَى الْبِرِّ أي الخير واجبا كان أو غير واجب وَ التَّقْوى و هو اجتناب المحرمات، بأن يعين بعضكم بعضا في الأعمال الخيرية و ترك الآثام وَ لا تَعاوَنُوا أيها المسلمون عَلَى الْإِثْمِ فإذا أراد أحد منكم أن يعمل إثما فلا تعينوه وَ الْعُدْوانِ أي الظلم و التعدي، و هذا مرتبط بقوله: «أن تعتدوا» فقد جرت العادة أن يتعاون الناس على الإثم و الظلم، و لذا نهى اللّه المسلمين عنه وَ اتَّقُوا اللَّهَ اجتنبوا مخالفته و عصيانه إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ لمن خالفه و عصاه.

[۴] و في سياق المحرمات المرتبطة بالحج- غالبا- ذكر سبحانه قسما آخر من المحرمات و هو ما استثناه سبحانه في الآية السابقة بقوله: «إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» فقال: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ أيها المسلمون الْمَيْتَةُ و هي التي لم تمت بسبب شرعي من ذبح و نحر و غيره، و ذلك مختلف ففي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ١ ٦٤٩

الأنعام مثلا تحتاج التذكية إلى فرى الأوداج و سائر الشرائط، و في الصيد رميه، و في السمك موته خارج الماء، و هكذا .. و المراد بالتحريم: أكلها، فإن التحريم الشرعي يراد منه: بحسب الأمر المتوقع منه، فتحريم الحرير يراد به لبسه، و تحريم الأم يراد به اقترابها، و تحريم المسكن يراد به سكناه وَ الدَّمُ و هو ما بيّنه سبحانه في آية أخرى بقوله: دَماً مَسْفُوحاً «١»، أما المقدار المتبقي في اللحم فلا حرمة فيه وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ و خصّص بالذكر مع كثرة تحريم اللحوم لاعتياد الناس أكله و ظنهم طيبه.

ثم لا يخفى أن المحرمات تنقسم إلى قسمين: قسم لما فيه من الإضرار.

أما ما يذكره بعض الناس- الآن من العلم الحديث- من إمكان التخلص من أضرار لحم الخنزير بالتعقيم، فليس بمحرم إذا عقّم.

فالجواب عنه: أنه أي دليل لعدم وجود أضرار أخرى فيه بعد التعقيم لم يكشف عنها العلم إلى الآن، كما لم يهتد العلم طيلة أربعة عشر قرنا لهذا الضرر الذي اكتشف الآن.

و قسم حرم لجهة معنوية، كالذي لم يسمّ عليه اسم اللّه سبحانه، و هذا لا يتوقف تحريمه على الضرر الجسدي بل يحرم لانحرافه عن الميزان المستقيم.

وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ الإهلال بالشيء الابتداء به بِهِ أي

---

(١) الأنعام: ١٤٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠١

الذبيحة التى ذكر اسم غير اللّه عليها عند الذبح- كما تقدم فى سورة البقرة «١» وَ الْمُنْخَنِقَةُ و هى ما خنقت بأى نحو كان وَ الْمَوْقُوذَةُ الوقذ هو الضرب، أى التى ضربت حتى ماتت وَ الْمُتَرَدِّيَةُ التردى:

الوقوع من مكان عال، و المراد بها: التى وقعت من مكان عال فماتت، و قد كان أهل الجاهلية يقتلون الحيوان بهذه الكيفيات وَ النَّطِيحَةُ و هى التى ينطحها غيرها فتموت وَ ما أَكَلَ السَّبُعُ فريسة السبع: و هى التى أكل الحيوان المفترس بعضها و أبقى بعضا، فإنه يحرم أكل الباقى إِلَّا ما ذَكَّيْتُمْ التذكية لغة هى «تمام الشىء» و المراد بها هنا: تحليل الحيوان بإجراء السنن الشرعية عليه من كون الذابح مسلما، و التوجه إلى القبلة بالذبيحة، و كون آلة التذكية من حديد، و ذكر اللّه حالة الذبح، و فرى الأوداج الأربعة، و المراد: الاستثناء من «ما أَكَلَ السَّبُعُ» و إن كان الحكم عاما أى أنه لو أدركتم ما أكله السبع فذكيتموه فهو حلال.

و إدراكها ما

عن الباقرين عليهما السلام حيث قالا: «إن أدنى ما يدرك به الذكاة أن تدركه يتحرك أذنه أو ذنبه أو تطرف عينه»

«٢».

وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ جمع «نصاب» و هى الحجارة التى كانوا يعبدونها، أى التى تذبح باسم الأوثان تقرّبا إليها

---

(١) البقرة: ١٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٢ ص ١٠٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠٢

وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ الاستقسام طلب القسمة، و الأزلام جمع «زلم» و هو القدح أى السهام، فقد كان أهل الجاهلية يشترون جزورا ثم يكتبون على سهام عشرة أسماء خاصة، فلسهم حصة واحدة، و لسهم حصتان، و هكذا إلى سبعة حصص، و يتركون ثلاثة أسهم لا حصة لها، ثم يجتمعون عشرة أشخاص فيخرج سهم باسم شخص و يعطى بمقدار حصة السهم لذلك الشخص و هكذا .. بعد ما كانوا يقسمون الجذور ثمانية و عشرين قسما، أما ثمن الجزور فقد كان على من يخرج باسم السهام التى لا حصة لها. و هذا نوع من القمار فحرمه الإسلام.

ذلِكُمْ أى الاستقسام بالأزلام أو جميع ما سبق من المحرمات، إتيانها فِسْقٌ و الفسق هو الخروج عن الطاعة و ارتكاب المعصية الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ قال فى «مجمع البيان»: ليس يريد يوما بعينه، بل معناه: «الآن يئس الكافرون من دينكم» «١». و روى القمى: إنه يوم نصب الإمام عليه السّلام «٢» و هذا هو الأوفق بما تواترت به النصوص و ذكره المفسرون من شأن نزول آية الإكمال، فقد كان الكفار يترقبون أن يترك الرسول الأمر سدىً حتى إذا قبض و لم يقم له خلف انقضوا على الإسلام يهدمونه، فلما نصب الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الإمام يئسوا من ذلك حيث كانوا يعلمون كفاية الإمام و قدرته العظيمة، و لذا لما مات الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و علم الكفار و المنافقين باغتصاب الخلافة انقضوا على الإسلام يريدون

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٧٣.

(٢) تفسير القمى: ج ١ ص ١٦٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٠٣

اقتلاع جذوره و قد علم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلك حين وصى الإمام بالصبر و إلا قامت حروب داخلية و خارجية تذهب بالإسلام.

و هنا يتساءل البعض: كيف أن الإمام لما نهض بالأمر نكثت طائفة و مرقت أخرى و قسط آخرون؟ و الجواب: أن الظروف التى تقدمت على نهضة الإمام غيّرت معالم الإسلام، و لذا احتاج الإمام إلى إرساء قواعد الدين من جديد، و ذلك مما يوجب اضطرابا و اختلافا شأن الأنبياء حين يدعون أممهم إلى الخير، لكن الخطر الخارجى كان حين ذاك بعيدا حيث أن الكفار انكمشوا و قوى الإسلام- و لو الصورى منه- و الحروب الداخلية لم تكن تؤثر شيئا بالنسبة إلى انعكاس كفة الإسلام و الكفر، لتميل الكفة الثانية على حساب خفة الكفة الأولى.

فَلا تَخْشَوْهُمْ أن يظهروا على دين الإسلام كما كنتم تخشونهم من قبل وَ اخْشَوْنِ فى أن ترتكبوا العصيان و تخالفوا أمر اللّه و الرسل. الْيَوْمَ أى يوم الغدير أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ بنصب على عليه السّلام خليفة من بعد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي فإن نعمة الإسلام دون نعمة الإيمان بالولاية ناقصة وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فإن الإسلام ذو درجات، و اليوم رقيتم الدرجة القصوى فرضى اللّه عن المسلمين بالحال التى و صلوا إليها، و «الرضى» هنا ليس فى مقابل السخط بل فى مقابل النقص الأثرى، كما أن من يريد بناء دار إذا بلغ منتصفها يقول: لم أرض بعد، أى لم يكمل رضاى، و إنما يقول:

رضيت الآن، إذا تم بناء الدار.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۰۴

[سورة المائدة (۵): آية ۴]

يَسْئَلُونَكَ ما ذا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وَ ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (۴)

و قد كان ذلك عند نصب الرسول للإمام أمير المؤمنين خليفته الرسمى بعد منصرفه من حجة الوداع بمحضر مائه و عشرين ألف من الأصحاب من الرجال و النساء،

فصعد المنبر و خطب خطبة طويلة ثم قال: «من كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله» «۱» و هو آخذ بكف على.

و نزل عن المنبر و أمر المسلمين أن يسلموا عليه بإمرة المؤمنين، و بقوا هناك ثلاثة أيام حتى تمت البيعة ثم قفلوا راجعين إلى المدينة.

فَمَنِ اضْطُرَّ إلى أكل المحرمات المذكورة فِي مَخْمَصَةٍ و هى «القحط» يسمى بذلك لإيجابه خمص البطون جوعا غَيْرَ مُتَجانِفٍ أى فى حال كون المضطر لم يمل لِإِثْمٍ فإن «الجنف» بمعنى الميل، فلا يفرط فى الأكل، كأن يكون محتاجا إلى شرب نصف رطل من الخمر- مثلا- فيشرب رطلا، و كذا بالنسبة إلى الميتة و سائر المحرمات فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يستر هذه السيئة الذاتية بمعنى عدم العقاب عليها رَحِيمٌ يرحم الناس فلا يجبرهم على الترك حتى عند أشد الضرورات.

[۵] و بعد بيان قسم من المحرمات، يأتى السياق لبيان قسم من المحللات لتتعادل الكفتان، و قد ورد فى سبب نزول هذه الآية: أن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أمر بقتل الكلاب «۲»، فسئل عن الاستثناء، فنزلت الآية تحلل ما يصطاده

---

(۱) الكافى: ج ۱ ص ۲۹۵.

(۲) فقه القرآن: ج ۲ ص ۲۴۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۰۵

الكلاب المعلمة و التى فيها نفع، و نهت عن إمساك ما لا نفع فيه و أمرت بقتل الكلب العقور و ما يضر و يؤذى يَسْئَلُونَكَ يا رسول اللّه ما ذا أُحِلَّ لَهُمْ من المأكولات بقرينة السياق قُلْ يا رسول اللّه: أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ و الطيب هو الشىء الذى لا خبث فيه مما لا ينفر

منه الطبع، و إذن الشارع فی بعض المأکولات دون بعض لهذا المیزان، و إن لم یعرف العرف أن هذا طیب و هذا خبیث، فما أباحه الشارع فهو طیب و إن ظنّه العرف خبیثا، و ما حرمه الشارع فهو خبیث و إن ظنّه العرف طیبا.

وَ أحل لکم صید ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ و حذف المضاف أی «صید» لدلالة قوله: «مِمَّا أَمْسَکْنَ عَلَیْکُمْ»، و «الجوارح» جمع جارحة، سمی بذلک الکلب و سائر السباع لأنها تجرح الصید، ثم خصّص سبحانه عموم الجوارح بقوله: مُکَلِّبِینَ أی فی حال کونکم أصحاب کلاب معلّمة، یقال: «کلّب الکلب» إذا علّمه الصید تُعَلِّمُونَهُنَ أی الکلاب الجارحة.

مِمَّا عَلَّمَکُمُ اللَّهُ فإن اللّه قد علمکم تعلیمهن، و لعل الإتیان بضمیر «هن» الذی هو للمؤنث العاقل لانسجام سیاق التعلیم و التعلم مع ذلک، و إلا فالقاعدة «تعلموها» کما أن فائدة «مِمَّا عَلَّمَکُمُ اللَّهُ» لإیقاظ الضمیر و توجیهه إلی اللّه سبحانه، فإن القرآن الحکیم یربط الأحکام و القصص بذاک الرباط العام و هو معرفة اللّه و سوق النفس إلیه فی کل مقام و مناسبة فَکُلُوا أیها الصائدون مِمَّا أَمْسَکْنَ أی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۶۰۶

حفظن و اصطدن تلک الکلاب عَلَیْکُمْ أی لأجلکم لا لأنفسهن، فإن ذلک حرام وَ اذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَیْهِ أی علی «ما أمسکن» حین إرسال الکلب. و لا یخفی أن بهذا القید أی «مکلبین» خرج صید سائر الجوارح إذا لم یدرک الإنسان ذکاته.

روی الحضرمی عن الإمام الصادق علیه السلام قال سألته عن صید البزاة و الصقور و الفهود و الکلاب؟ فقال: «لا تأکل إلا ما ذکیت إلا الکلاب». فقلت: فإن قتله؟ قال: «کل، فإن اللّه یقول: وَ ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُکَلِّبِینَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَکُمُ اللَّهُ فَکُلُوا مِمَّا أَمْسَکْنَ عَلَیْکُمْ وَ اذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَیْهِ» ثم قال علیه السلام: «کل شیء من السباع تمسک الصید علی نفسها إلا الکلاب المعلمة فإنها تمسک علی صاحبها»

«۱» و إنما تعدی الإمساک ب «علی» لإفادة الإمساک ثقلا و مشقة، أو یتضمن معنی «الرد» فالکلب یرد بعض الحیوان لصاحبه و قد أکل بعضه، کما قال سبحانه: أَمْسِکْ عَلَیْکَ زَوْجَکَ «۲».

وَ اتَّقُوا اللَّهَ فیما أمرکم و نهاکم فلا تتناولوا ما حرمه إِنَّ اللَّهَ سَرِیعُ الْحِسابِ فإن الإنسان و إن ظنّ طول المدة فی الدنیا و أنه بعید جزاؤه، لکن لا تمض إلا مدة یسیره و إذا به یری نفسه أمام الحساب.

قال أمیر المؤمنین علیه السلام «فکأنهم لم یکونوا للدنیا عمارا و کأن الآخرة لم تزل لهم دارا»

«۳».

---

(۱) وسائل الشیعة: ج ۲۳ ص ۳۳۳.

(۲) الأحزاب: ۳۸.

(۳) نهج البلاغة: خطبة ۱۸۶ ص ۳۸۵.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۶۰۷

[سورة المائدة (۵): آیة ۵]

الْیَوْمَ أُحِلَّ لَکُمُ الطَّیِّباتُ وَ طَعامُ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ حِلٌّ لَکُمْ وَ طَعامُکُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکُمْ إِذا آتَیْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِینَ غَیْرَ مُسافِحِینَ وَ لا مُتَّخِذِی أَخْدانٍ وَ مَنْ یَکْفُرْ بِالْإِیمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِی الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِینَ (۵)

[۶] الْیَوْمَ الذی تمّ فیه بیان کل الأحکام، و نوجز المحللات فنقول:

أُحِلَّ لَکُمُ الطَّیِّباتُ و هذا عام یشمل الطیب من المآکل و المناکح و المساکن و الملابس و غیرها بقرینة «و المحصنات» بخلاف الآیة السابقة التی کانت خاصة بالمأکل بحکم السیاق، و هذه الآیة تدل علی کون الأصل فی کل الأشیاء الحلّ إلا ما خبث، و من المعلوم

أن الخبث لا يميّز إلا بالشرع أو بالعقل نادرا وَ طَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ أى الذين أرسل لهم الكتاب السماوى كاليهود و النصارى و المجوس حِلٌّ لَكُمْ و الطعام إما المراد به الحبوب، كما هو المروى و المتعارف إلى اليوم، فإن كلمة «باعة الأطعمة» أو ما أشبهها تنصرف إلى باعة الحبوب، أو المراد به العام لكل طعام، و قد استثنى من ذلك الذبائح، لقوله سبحانه: وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ «۱»، و ألحق به غيره إجماعا، كما استثنى ما لامسة الكتابى برطوبته لأنهم مشركون لقوله سبحانه: فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ «۲»، و فى آية أخرى حكم بنجاسة المشرك بقوله سبحانه: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ «۳»، و تفصيل البحث فى الفقه «۴».

و هنا سؤال يفرض نفسه و هو: ما الفائدة من هذا التنصيص و الحال أن طعام غير أهل الكتاب حلّ أيضا؟ و الجواب: إنه من باب المورد و القيد الغالب لابتلاء المسلمين به غالبا، كما يدل على ذلك وَ طَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ و من المعلوم أن طعام المسلم حلّ حتى

---

(۱) البقرة: ۱۷۴.

(۲) الأعراف: ۱۹۱.

(۳) التوبة: ۲۸.

(۴) موسوعة الفقه: ج ۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۶۰۸

للمشرك الوثنى، ثم لو قلنا: إن الجملة عامة لكل طعام، فهل معنى حلية طعامنا لهم الحلّية بالنسبة إلينا أى أن طعامهم حل لنا، أو الحلية بالنسبة إليهم أى يجوز لهم أن يطعموه؟ الظاهر الثانى، و إن كان لا يبعد الأول لأن قاعدة «ألزموهم بما التزموا به» تقتضى كون الحرام عندهم من أطعمتنا كذبائحنا بالنسبة إلى اليهود مثلا، لا يجوز لهم أن يطعموه. و فى الكلام مناقشة.

وَ أحلت لكم الْمُحْصَناتُ أى العفيفات اللاتى أحصن أنفسهن عن الحرام مِنَ النساء الْمُؤْمِناتِ بأن تنكحوهن، أما الزانيات غير العفيفات فالمشهور بين العلماء جواز نكاحهن بالسّنّة، و لا مفهوم للآية حتى يمنع عن ذلك، لما ثبت فى الأصول من عدم حجية مفهوم اللقب و إنما خصّصن لأنهن من «الطيبات».

وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ أى أعطوا الكتاب مِنْ قَبْلِكُمْ و هم اليهود و النصارى و المجوس- و المجوس أهل كتاب على الأصح- و قد اختلف العلماء فى جواز نكاحهن نكاحا دائما بعد كون المشهور جواز نكاحهن منقطعا، و لو قلنا بعدم جواز الدائم فهو تخصيص بالسنّة، و قد ثبت جواز تخصيص الكتاب بالسنة الواردة إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَ أى أعطيتموهن مهورهن، و ليس معنى «الإعطاء» الإعطاء الفعلى بل ذلك و إن كان فى المستقبل، و لا مفهوم للآية بالنسبة إلى الحكم الوضعى حتى يكون: «من لا يريد الإعطاء إطلاقا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۶۰۹

و لم يعط تحرم عليه المرأة المزوجة» بل المراد: الحكم التكليفى، أى أن ذلك حرام لا يجوز و هذا تحريض للإعطاء.

فى حال كونهم مُحْصِنِينَ بالمسلمة أو الكتابية، بأن كان اقترابكم منهن بالإحصان و النكاح غَيْرَ مُسافِحِينَ تأكيد لقوله «محصنين» و السفاح هو الزنا وَ لا مُتَّخِذِي أَخْدانٍ الخدن هو الصديق، و هو أن ينفرد الرجل بالمرأة يزنى بها دائما فهى و هو خدنان، أى أنه لا يجوز للرجل بالنسبة إلى المسلمة و الكتابية ذلك كما لا يجوز العكس. و قد تقدم شبه هذا فى سورة النساء، و معنى الآية جملة: أن مقاربة المرأة المسلمة العفيفة و الكتابية العفيفة يجوز لكم و يطيب، و أعطوا مهورهن، لكن اللازم أن يكون الاقتراب بالنكاح لا بالسفاح أو باتخاذهن أخدانا كما يكثر الأمران عند غير المسلمين.

ثم إن ما ذكرناه من المحرمات و المحللات كلها من مقتضيات الإيمان الواجب التمسك به وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ تعبير آخر عن المعصية و الخروج عن الطاعة، و لعل الإتيان بهذه اللفظة هنا لإفادة أن الكفر- فى باب المحللات و المحرمات- ليس بالأصول و إنما

هو بالفروع، و قد تقدم فى بعض الآيات أن الكفر قسمان: كفر بالأصول هو الموجب لخروج الإنسان عن كونه مسلما، و كفر بالفروع، كما قال سبحانه: وَ مَنْ كَفَرَ «١»، و قال وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ «٢»، و هو الموجب لكون

---

(١) النور: ۵۶.

(٢) إبراهيم: ٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۶١٠

[سورة المائدة (۵): آية ۶]

يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۶)

الإنسان فاسقا فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ معنى «الحبط» عدم استحقاق الثواب على العمل كما قال سبحانه: إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ «١»، وَ هُوَ الكافر بالإيمان فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ اللذين خسروا أنفسهم حيث استحقوا العقاب حين استحق سائر المطيعين الثواب.

[٧] و فى سياق ذكر الطيبات و الملاذ الجسدية يأتى دور الطيبات و الملاذ الروحية التى من أكثرها طيبا و لذة الصلاة بما لها من طهارة يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ أى أردتم إياها فان المريد لشىء يقوم إليه ليأتى به، ألا ترى أن الناس يقعدون إلى أشغالهم فإذا أذّن المؤذن قاموا إلى الصلاة ليأتوا بها فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ من قصاص الشعر إلى الذقن طولا، و ما اشتملت عليه الإبهام و الوسطى عرضا، بالماء الطاهر المباح، غسلا طبيعيا، من الأعلى إلى الأسفل وَ اغسلوا أَيْدِيَكُمْ و لما كان المنصرف من «اليد»: تمام اليد إلى الكتف، أخرجه بقوله: إِلَى الْمَرافِقِ فإن الغسل يستثنى منه غسل العضد و لذا لا يستفاد من «إلى» هذه كونها غاية للغسل بل المستفاد كونها غاية للمغسول، فإنك لو قلت لمصاب بالمرض: ادهن رجلك إلى الركبة.

لم يستفد عرفا منه لزوم كون التدهين من الإصبع إلى الركبة بل استفيد كون الفخذ خارجا عن التدهين، و على هذا فاللازم الابتداء من الأعلى لأنه الغسل الطبيعى الذى وردت به السنة وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ

---

(١) المائدة: ٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۶١١

«الباء» للتبعيض أى: بعض رؤوسكم، و هو الربع المقدم من الرأس من المفرق إلى قصاص الشعر وَ امسحوا أَرْجُلَكُمْ و المراد بهما ظهرهما إِلَى الْكَعْبَيْنِ و هما قبتا القدمين، و إنما قرء بالنصب مع أنه معطوف على المجرور باعتبار المحل، و قد كان الترتيب المجزى قطعا فى باب الوضوء غسل الوجه ثم اليد اليمنى ثم اليسرى ثم مسح الرأس ثم الرجل اليمنى ثم اليسرى، و المسح ببقية بلل الوضوء.

وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً «الجنب» لفظ يقع على المفرد و المثنى و الجمع، و المذكر و المؤنث، بلفظ واحد، هو من «البعد»، كأن الإنسان إذا اعترته هذه الحالة يبتعد من النظافة، و حصول الجنابة بالإنزال أو الإدخال فَاطَّهَّرُوا من «تطهر» ثم أدغمت التاء فى الطاء و جيء بهمزة الوصل لامتناع الابتداء بالساكن، و التطهير هو الاغتسال بالارتماس فى الماء مرة واحدة، أو الترتيب بغسل الرأس و الرقبة ثم الجانب الأيمن ثم الجانب الأيسر وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى لا تتمكنون من استعمال الماء للوضوء أَوْ عَلى سَفَرٍ أى مسافرين- و قد سبق أن ذكر السفر لغلبة عدم وجود الماء فيه- أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ و «الغائط» هو المحل المنخفض من الأرض و سمى البراز به بعلاقة الحال و المحل و ذلك كناية عن الحدث أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ و هو كناية عن الجماع فَلَمْ تَجِدُوا ماءً هذا مرتبط بالسفر و الحدث و اللمس

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۶١٢

فَتَيَمَّمُوا معنى الآية بالجملة: إن مريد الصلاة يلزم عليه الوضوء و الغسل إن كان جنبا. و إن كان مريضا يضره الماء أو مسافرا أو مجامعا، و لم يجد الماء للغسل أو الوضوء فليتيمّم و يبقى قوله: «أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ» فإنه ليس فى مرتبة تلك الأمور، و لعل الإتيان به لمراعاة غلبة التخلى عند إرادة الصلاة.

و قد سبق أن التيمم مصدر باب التفعل بمعنى القصد، أى اقصدوا صَعِيداً أى أرضا طَيِّباً ليس بنجس و لا مغصوب فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ الباء للتبعيض، أى بعض وجوهكم، و هو من قصاص الشعر إلى طرف الأنف الأعلى وَ أَيْدِيَكُمْ من الزند إلى رؤوس الأصابع مِنْهُ أى مبتدءا بالمسح من ذلك الصعيد، فاللازم أن يضرب باليدين على الأرض ثم يمسح بها ليصدق «منه».

ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ من ضيق فأمره بالوضوء و الغسل و التيمم ليس لأجل التضييق عليكم وَ لكِنْ يُرِيدُ اللّه سبحانه لِيُطَهِّرَكُمْ و ينظفكم من الأدران و الأوساخ الظاهرية و الباطنية، أما تطهير الغسل و الوضوء من الأدران فظاهر، و أما تطهير التيمم فقد ثبت فى العلم الحديث أن التراب يقتل الجراثيم بمرتبة أضعف من مرتبة الماء وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ بإرشادكم إلى مصالحكم كلها بعد ما أرشدكم إلى أكبر النعم و هو الإيمان لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إياه بما أنعم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦١٣

[سورة المائدة (٥): الآيات ٧ الى ٨]

وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مِيثاقَهُ الَّذِي واثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنا وَ أَطَعْنا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (٧) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَداءَ بِالْقِسْطِ وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (٨)

عليكم و أرشدكم إلى مصالحكم و ما يقربكم منه سبحانه.

[٨] وَ إذ أتم سبحانه نعمته عليكم ف اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ اذكروا مِيثاقَهُ الَّذِي واثَقَكُمْ بِهِ أى عهده الذى عاهدكم به من الإيمان و السمع و الطاعة، فقد أخذ سبحانه ميثاق الأمم على يد الأنبياء إِذْ قُلْتُمْ بعد ما آمنتم: سَمِعْنا وَ أَطَعْنا فعليكم حسب المعاهدة السمع و الطاعة و على اللّه الإسعاد فى الدنيا و الآخرة، و اللّه سبحانه فعل ما عليه فعليكم أن تفعلوا ما عليكم وَ اتَّقُوا اللَّهَ فلا تخالفوا أوامره و نواهيه إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ فى «ظلال القرآن» قال: و «ذات الصدور» أى صاحبة الصدور الملازمة لها اللاصقة بها، و هى كناية عن النيات المقيمة و الأسرار الدفينة و المشاعر التى لها صفة الملازمة للقلوب و الاستقرار فى الصدور و هى على خفائها هناك مكشوفة لعلم اللّه و اللّه بها عليم.

[٩] ثم يرجع السياق إلى لزوم الجادة و عدم الاعتداء- كما سبق- فى قوله:

وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ «١»، كما تجد مثل ذلك كثيرا فى القرآن الحكيم حيث يلطف الجو بذكر الصلاة و نحوها ثم يرجع إلى المطلب السابق بعد ما لطف الجو و ربطه بالطابع الإلهى العام و أخرج الكلام عن كونه مملّا. ثم إن ما يأتى هو من الميثاق الذى واثق اللّه

---

(١) المائدة: ٣

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦١٤

[سورة المائدة (٥): آية ٩]

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٩)

عباده به يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ أى كثيرى القيام لأمر اللّه سبحانه و رضاه شُهَداءَ بِالْقِسْطِ أى بالعدل فى كل أمر من الأمور وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ أى لا يحملنكم شَنَآنُ قَوْمٍ أى: عداؤهم لكم عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا فى الحكم عليهم و عند مخالطتهم، فإن الإنسان إذا

عادى شخصا لا يعدل بالنسبة إليه- غالبا- انتقاما و شفاء لما فى صدره من الضغينة عليه، و لذا كان من أسس الإسلام قول الحق فى الرضى و الغضب اعْدِلُوا هُوَ أى العدل أَقْرَبُ لِلتَّقْوى و ليس المفهوم: أن الجور قريب إلى التقوى، فإن التفضيل فى مثل المقام ينسلخ عن معناه اللغوى وَ اتَّقُوا اللَّهَ باجتناب نواهيه و الإتيان بأوامره إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ فيجازيكم على أعمالكم إن خيرا فخير و إن شرا فشر.

[۱۰] وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالله و رسله و ما جاءوا به وَ عَمِلُوا الأعمال الصَّالِحاتِ و ذلك يلازم ترك السيئات لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لذنوبهم وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ و جملة «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» فى موضع نصب مفعولا ل «وعد» و لعلّ سر الإتيان بالجملة، إفادة أن المطلب مقطوع به، فإن الجملة الاسمية تفيد اليقين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۶۱۵

[سورة المائدة (۵): الآيات ۱۰ الى ۱۱]

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (۱۰) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (۱۱)

[۱۱] وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فلم يؤمنوا إيمانا صحيحا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا براهيننا و أدلتنا التى أقمناها على التوحيد و سائر الأصول أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ الذين يصاحبون النار و يخلدون فيها.

[۱۲] ثم ذكّر المؤمنين بنعمة من نعمه سبحانه و أنه كيف و فى لهم بميثاقه حيث أنقذهم من كيد أعدائهم يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَ أى قصد و أراد قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ و المراد ب «بسط اليد» إيذاؤهم و قتلهم و استئصالهم. قال القمى يعنى: أهل مكة من قبل فتحها، فكف أيديهم بالصلح يوم الحديبية «۱». و قيل: إن المراد بذلك العموم، أى من أراد السوء بالمسلمين. و قيل: المراد بالقوم خصوص بنى النظير حيث أرادوا قتل النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأخبر بذلك فنجى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من كيدهم. و قيل غير ذلك فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ أى منعهم من الفتك بكم بل نصركم عليهم وَ اتَّقُوا اللَّهَ بامتثال أوامره و اجتناب زواجره وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ يكلون إليه سبحانه أمورهم و يجعلونه نصيرا و ظهيرا لهم.

---

(۱) تفسير القمى: ج ۱ ص ۱۶۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۶۱۶

[سورة المائدة (۵): آية ۱۲]

وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَ قالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكاةَ وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ لَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ (۱۲)

[۱۳] لو كانت الآية السابقة حول بنى النظير- و هم من اليهود- لكان الارتباط بين الآيتين واضحا، إذ بيّن سبحانه هنا أنهم خانوا الأنبياء مع ما تفضل اللّه عليهم بكل خير و نعمة، فكيف لا يريدون خيانة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟! و يحتمل أن يكون الارتباط من جهة الميثاق فيريد سبحانه أن يذكر المسلمين حتى لا يكونوا كاليهود الذين خانوا و نقضوا الميثاق بعد أخذه منهم إذ قد سبق قوله: وَ مِيثاقَهُ الَّذِي واثَقَكُمْ بِهِ «۱» وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ العهد الأكيد الذى أخذه اللّه منهم على لسان أنبيائه وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً من «النقب» و هو الكشف، فكأن النقيب- و هو كفيل القوم- ينقب عن أسرارهم و يكشف ضمائرهم ليسير بهم نحو الخير و الصلاح فى المجتمع. أى أمرنا موسى بأن يبعث من الأسباط الاثنى عشر، اثنى عشر رجلا كالطلائع يتحسّسون و يأتون بنى إسرائيل بأخبار أرض الشام و أهلها الجبارين، فاختار من كل سبط رجلا يكون لهم نقيبا- أى أمينا كفيلا- فرجعوا يثنون قومهم عن

قتالهم لما رأوا من شدة بأسهم و عظم خلقهم إلا رجلين منهم، بن يوقنا و يوشع بن نون وَ قالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ أى قال لبنى إسرائيل، و كونه معهم بمعنى أنه يؤيدهم و ينصرهم و يهديهم لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ يا معشر بنى إسرائيل وَ آتَيْتُمُ الزَّكاةَ أى أعطيتموها

---

(۱) المائدة: ۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۱۷

[سورة المائدة (۵): آية ۱۳]

فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَ لا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۱۳)

وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِي الذين يأتون من بعد موسى عليه السّلام و لذا أخّر الإيمان عن إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ أى عظمتموهم، أو نصرتموهم وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً أى أنفقتم فى سبيله، فإنه كالقرض الذى يعطى ثم يؤخذ، و المراد بكونه «حسنا» أن لا يكون فيه منّ و لا- أذى و لا- دواع غير اللّه سبحانه لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ أى أذهبن، و معنى «التكفير» التغطية، أى أغطى بالغفران سَيِّئاتِكُمْ التى صدرت منكم، و هو جواب «لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ» وَ لَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أى من تحت قصورها و بساتينها فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ أى بعد أخذ الميثاق مِنْكُمْ يا بنى إسرائيل فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ أى أخطأ وسط الطريق، فإن سواء كل شيء وسطه.

[۱۴] فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ أى بسبب نقض اليهود ميثاقهم الذى كان بينى و بينهم حيث أنهم تركوا الصلاة و منعوا الزكاة و كذبوا بالرسل و قتلوهم لَعَنَّاهُمْ أى طردناهم عن ساحة القرب و قطعنا رحمتنا عنهم حيث جعلنا بعضهم قردة و خنازير و جعلناهم مشردين مطرودين دائما لا تقوم لهم قائمة وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً يابسة غليظة تنبو عن قبول الحق

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۱۸

و تميل نحو الظلم و الكفر. و جعله سبحانه قلوبهم قاسية، بمعنى: تركه اللطف بهم حتى تردّت ملكة أخلاقهم، كمن يعصى أستاذه فى أوامره فيترك تدريسه و تهذيب أخلاقه حتى يصبح جاهلا ذا أخلاق سيئة.

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ جمع كلمة عَنْ مَواضِعِهِ و تحريفهم الكلم على قسمين: قسم بمحو بعض التوراة، و قسم بتأويله على غير المعنى المقصود منه.

وَ نَسُوا حَظًّا أى قسما مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ أى من الأحكام التى ذكّرناهم بها فى التوراة فإنه قد فقد بعض التوراة مما لا يعلّمونه للناس، أو المراد من «النسيان» أنه صار كالمنسى عندهم من جرّاء عدم العمل، فإن النسيان يطلق على ما أهمله الإنسان يقال: «نسينى» أى أهملنى، و قال سبحانه: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ «۱»، وَ لا تَزالُ يا رسول اللّه تَطَّلِعُ باستمرار عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ أى طائفة خائنة، أو نفس خائنة، إذا قالوا قولا خالفوه و إذا عاهدوا عهدا نقضوه- كما أراد بنو النظير الغدر به و الخيانة بعد الميثاق- إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ إما استثناء من الجميع أو من الجملة الأخيرة، فإن «قليلا منهم» ليسوا كذلك كعبد اللّه بن سلام، أو إن «قليلا منهم» لا يخون فَاعْفُ عَنْهُمْ أى عن

---

(۱) التوبة: ۶۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۱۹

[سورة المائدة (۵): آية ۱۴]

وَ مِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ (۱۴)

هؤلاء وَ اصْفَحْ أى تجاوز، فإنك لست منتقما، و أن ذلك ليس من شأنك إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ فإن العفو و الصفح إحسان، و

الإحسان محبوب حتى بالنسبة إلى المجرم.

[١٥] هذا كان شأن اليهود، أما النصارى فليسوا أحسن حالا من اليهود في بعض الجهات وَ مِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى قولا باللفظ لا اعتقادا بالقلب، كما تقول: فلان يقول إني مسلم، تريد بذلك أنه ليس بمسلم حقيقة بل مسلم قولا أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ من إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و الإيمان بالرسل و اتباع أوامر اللّه فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ كما نسي اليهود ذلك من ذي قبل فَأَغْرَيْنا التسليط و التحرّش و التحريض بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ فإنهم انقسموا إلى أقسام و أخذ بعضهم يعادي بعضا عداء لا مثيل له، حتى إن عداء بعضهم بلغ إلى حد لم يبلغ عداؤهم لليهود و المسلمين و الوثنيين، و قد شهد التاريخ قديما مذابح في فرق النصارى و معاداة الكاثوليك و البروتستانت و الأرثوذكس فعلا لا يحتاج إلى برهان، و هذه إحدى معجزات القرآن الحكيم، كإخباره عن ذلّة اليهود ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ «١».

---

(١) البقرة: ٦٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٦٢٠

[سورة المائدة (٥): آية ١٥]

يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ (١٥)

و هنا سؤال و هو: كيف يكون إلى يوم القيامة، و في زمان المهدي عليه السّلام الكلّ يسلم وجهه إلى اللّه؟ ثم إن يوم القيامة إنما يكون بعد موت الناس عشرات السنوات؟

و الجواب: إن هذا معناه: بقاء العداوة ما بقوا، يعبّر عن استمرار الشيء إلى الآخر بمثل هذا التعبير.

وَ سَوْفَ في يوم القيامة يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ أي يخبرهم سبحانه بِما كانُوا يَصْنَعُونَ و يقف التعبير إلى هذا الحد ليرسم صورة من التهديد، كما تقول للمجرم: غدا أنبئك بما عملت اليوم، تريد بذلك تهديده بالعقاب القاسي.

[١٦] ثم خاطب سبحانه أهل الكتاب بصورة عامة لهدايتهم سواء السبيل:

يا أَهْلَ الْكِتابِ أيها اليهود و النصارى- و لعل المجوس أيضا داخلون في الخطاب- قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ من أحكام اللّه سبحانه التي عارضت مصالحهم فأخفوه عن الناس إبقاء على كيانهم و انحرافهم وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ممّا استوجبوه من العقاب، أو يعفو عن بعض الأحكام التي أوجبت عليهم العقوبة، كما قال سبحانه:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٦٢١

[سورة المائدة (٥): آية ١٦]

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)

فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ «١»، فالفرصة سانحة الآن لتتداركوا ما فات منكم.

قَدْ جاءَكُمْ يا أهل الكتاب مِنَ اللَّهِ نُورٌ هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فكما أن النور الخارجي يهتدى به إلى الأمور المحسوسة في الظلمة، كذلك النور المعنوي يهتدى به إلى دروب الحياة في ظلمات الأهواء و الجهل وَ كِتابٌ مُبِينٌ هو القرآن، فإنه واضح لا لبس فيه و لا غموض.

[١٧] يَهْدِي بِهِ أي بكل واحد من «النور و الكتاب»، كما قال سبحانه:

فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَ شَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ «٢» أي كل واحد منهما اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ أي من اتبع رضوان اللّه- أي رضاه- بقبول القرآن و نبوة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سُبُلَ السَّلامِ أي طرق السلامة في كل شيء، السلامة في الدين، و السلامة في الدنيا، و

السلامة فی الآخرة للفرد و المجتمع وَ یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ فإن الحیاة ظلمات لا یدری الإنسان کیف یسیر فی دروبها، و بالقرآن و النبی یهتدی إلی الحق و ینیر طریقه بِإِذْنِهِ بإذن اللّه و لطفه وَ یَهْدِیهِمْ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ یوصلهم إلی

(۱) النساء: ۱۶۱.

(۲) البقرة: ۲۶۰.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۶۲۲

[سورة المائدة (۵): آیة ۱۷]

لَقَدْ کَفَرَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِیحُ ابْنُ مَرْیَمَ قُلْ فَمَنْ یَمْلِکُ مِنَ اللَّهِ شَیْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ یُهْلِکَ الْمَسِیحَ ابْنَ مَرْیَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً وَ لِلَّهِ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما یَخْلُقُ ما یَشاءُ وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۱۷)

سعادة الدنیا و الآخرة.

[۱۸] إنه یهدی إلی الصراط المستقیم فی العقیدة لا الاعتقاد بأن المسیح هو اللّه أو الاعتقاد بأن لله أبناء لَقَدْ کَفَرَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِیحُ ابْنُ مَرْیَمَ فإنه سواء جعلوه إلها واحدا أو شریکا له، فقد کفروا، إذ إنکار اللّه سبحانه و التشریک معه کلاهما کفر قُلْ یا رسول اللّه فی إبطال قولهم: فَمَنْ یَمْلِکُ مِنَ اللَّهِ شَیْئاً أی من یقدر علی أن یدفع أمرا من أوامر اللّه و إرادة من إرادته إِنْ أَرادَ أَنْ یُهْلِکَ الْمَسِیحَ ابْنَ مَرْیَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً إن النصاری یعترفون بذلک، و أنه بإمکان اللّه أن یهلک کل أولئک، فکیف یجتمع هذا الاعتراف مع الاعتقاد بألوهیة المسیح؟ إن الإله لا یمکن لأحد مخالفة أمره التکوینی فکیف یتمکن أحد إهلاکه؟

وَ لِلَّهِ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما فکیف یمکن أن یکون له شریک مع أن کل شیء یتصور فهو ملک لله؟ و هل یمکن أن یکون إله مملوک؟ یَخْلُقُ ما یَشاءُ إن شاء خلق من غیر ذکر و لا أنثی کآدم و حواء علیهما السّلام، و إن شاء خلق من ذکر و أنثی کسائر الناس، و إن

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۶۲۳

[سورة المائدة (۵): آیة ۱۸]

وَ قالَتِ الْیَهُودُ وَ النَّصاری نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ یُعَذِّبُکُمْ بِذُنُوبِکُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ یَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ وَ لِلَّهِ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما وَ إِلَیْهِ الْمَصِیرُ (۱۸)

شاء خلق من أنثی دون ذکر کالمسیح علیه السّلام، فلیس فی خلقه دلالة علی ألوهیته کما زعمت النصاری وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ لیست قدرته منحصرة فی شیء أو أشیاء خاصة حتی إذا کان قد خلق بذلک الشکل «بشکل عیسی» دل علی أنه لیس من خلقه.

[۱۹] وَ قالَتِ الْیَهُودُ وَ النَّصاری نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ فإن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لما حذّرهم نقمة اللّه و عذابه قالوا: نحن أبناؤه، و الابن الحبیب لا یخاف من نقمة الأب الودود قُلْ یا رسول اللّه لهؤلاء المفترین: فَلِمَ یُعَذِّبُکُمْ اللّه بِذُنُوبِکُمْ حیث تعترفون بما حکی القرآن عنهم:

وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَیَّاماً مَعْدُودَةً «۱»، فإن کنتم أبناء أحباء لم یکن معنی للعذاب، و لعل المراد من «المستقبل»: الماضی، أی لم عذبکم سابقا بذنوبکم حیث جعل منکم القردة و الخنازیر و أشباه ذلک؟ بَلْ أَنْتُمْ أیها الیهود و النصاری بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ تعالی إن أحسنتم جوزیتم و أن أسأتم جوزیتم کما یجازی غیرکم من الناس یَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ من العاصین وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ منهم، لأنه لا بنوّة و لا عواطف خاصة بین اللّه و بینکم وَ لِلَّهِ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فلیس

(۱) البقرة: ۸۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۲۴

[سورة المائدة (۵): الآيات ۱۹ الى ۲۰]

يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۹) وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ (۲۰)

شيء من نفس اللّه حتى لا يملكه سبحانه- كما تدعون أنتم من كونكم أبناءه- وَ ما بَيْنَهُما من سائر المخلوقات و المراد بالسماء هنا: الكواكب و ما يرى فى ناحيتها- كما هو المنصرف- حتى يتصور ما بينهما، لا جهة العلو وَ إِلَيْهِ سبحانه الْمَصِيرُ المرجع و المآل، فليس هناك غيره يملك شيء أو يرجع إليه فى أمر.

[۲۰] يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا محمد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يُبَيِّنُ لَكُمْ الأصول و الفروع عَلى حين فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أى انقطاع منهم، فلم يكن قرب بعثة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نبى، و قد كنتم فى جهالة و ضلالة، و الآن جاء المعلم المنقذ الهادى. و لعل سر «تبيين الأمر» و بوضوح أن الدنيا لا تستقيم إلا بهدى السماء، فإنه لما انقطع الوحى فى الفترة ساد العالم خراب و فوضى لا مثيل لها، و بذلك يكون تجربة عملية، و إنما جاء الرسول لئلّا تحتجوا و أَنْ تَقُولُوا يوم القيامة: ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذِيرٍ حتى نهتدى و نصلح فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ لمن آمن و اتقى بالجنة وَ نَذِيرٌ لمن كفر أو عصى بالنار وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقدر على أن يرسل الرسول، فليس لشخص أن يقول: كيف يكون هذا رسول؟

[۲۱] و يرجع السياق إلى قصة بنى إسرائيل الذين نقضوا كل المعاهدات و المواثيق و لم يفوا لموسى نبيهم المعترف به، فكيف يفون لغيره ممن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۲۵

لا- يعترفون به عنادا و حسدا؟! وَ اذكر إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فقابلوها بالإطاعة و اتباع الأحكام إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ فقد كان سبعون نبيا فى عهد موسى عليه السّلام. و لعل سر كثرة الأنبياء عليهم السّلام فى تلك الأزمنة كون البشر فى مثل حال الأطفال الذين يحتاجون إلى عدد من المربين، بخلاف عهدى عيسى عليه السّلام و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث نضج البشر أكثر فأكثر، كالكبار الذين لا يحتاجون إلّا إلى مرشد واع.

و هنا نكتة لا بد من ذكرها و هى أن الانهزامية الغربية التى غزت نفوس المسلمين جعلتهم يفكرون فيما يخص الأنبياء عليهم السّلام و الأمم كما فكر «دارون» و تلاميذه القائلون ب «نظرية التطور» مع العلم أن القرآن و السنة يكذّبون ذلك و أن أول بشر على وجه الأرض كان نبيا أوتى النبوة من بين جميع أولاده و زوجته الذين بعث إليهم نبيا. و هكذا تسلسلت الأمم كلما ابتعدوا عن النبى توحشوا و كلما اقتربوا إليه ارتقوا فى مدارج الإنسانية. و بنو إسرائيل كانوا أمة بعيدة عن الإنسانية و الفضيلة- بأنفسهم- لا أن من هم قبلهم كانوا أكثر توحشا كما يقول أصحاب «نظرية التطور» و يتصورون كذبا و اختلافا و تقليدا أن إنسان الغاب و قبله تطور من القرد، و من حسن الحظ أن علماء الغرب نقدوا رأى «دارون» و أقاموا أدله على بطلانه، لكن المنهزمين عندنا لا زالوا فى هزيمتهم النكراء يلعقون قصاع «دارون».

وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً فقد كان فيهم الملوك و الساسة و القادة وَ آتاكُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۲۶

[سورة المائدة (۵): الآيات ۲۱ الى ۲۲]

يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ (۲۱) قالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ (۲۲)

أى أعطاكم ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ من إنزال المنّ و السلوى و التفضيل على سائر الأمم الذين فى زمانهم، بجعلهم من نسل الأنبياء، و لبث الأنبياء فيهم، و جعلهم ملوكا، و إغراق أعدائهم إلى غيرها.

[٢٢] يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ و هى أرض الشام التى قدست و طهّرت من الشرك و بوركت بكثرة الأشجار و الأنهار و طيب الهواء و كثرة الأنبياء فيها، و قد كانوا فى مصر عبيدا و ها هم قد نجوا من أعدائهم، و يريد اللّه بهم أن يدخلوا الشام ليكونوا فيها سادة و ملوكا الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ فيها السيادة و السعادة وَ لا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ أى لا ترجعوا عن الأرض التى أمرتم بدخولها فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ سعادة الدنيا و ثواب الآخرة، بسبب تخيّركم الأمكنة المريحة لكم فى الدنيا، و عدم سماع أمر اللّه الموجب لحرمانكم من الثواب فى الآخرة.

[٢٣] قالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها فى الأرض المقدسة قَوْماً جَبَّارِينَ شديدى البأس و البطش وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أى الأرض المقدسة حَتَّى يَخْرُجُوا أى يخرج الجبارون مِنْها هم بأنفسهم بدون تعب أو نصب أو قتال فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ فيها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٦٢٧

[سورة المائدة (٥): آية ٢٣]

قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣)

قال فى «المجمع»- بتخليص-: قال المفسرون: لمّا عبر موسى و بنوا إسرائيل البحر و هلك فرعون، أمرهم سبحانه بدخول الأرض المقدسة، فلما نزلوا على نهر الأردن خافوا من الدخول، فبعث موسى من كل سبط رجلا و هم الذين ذكرهم اللّه فى قوله: وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً «١»، فعاينوا من عظم شأنهم و قوتهم شيئا عجيبا فرجعوا إلى بنى إسرائيل فأخبروا موسى عليه السّلام بذلك، فأمرهم أن يكتموا ذلك فوفى اثنان منهم يوشع بن نون و كالب بن يوقنا و عصى العشرة و أخبروا بذلك و فشا الخبر فى الناس، فقالوا: إن دخلنا عليهم تكون نساؤنا و أهالينا غنيمة لهم، و هموا بالانصراف إلى مصر و هموا بيوشع و كالب أن يرجموهما بالحجارة، فاغتاظ لذلك موسى و قال: «إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي»، فأوحى اللّه إليهم: «إنهم يتيهون فى الأرض أربعين سنة و إنما يخرج منهم من لم يعص اللّه فى ذلك». فبقوا فى التيه أربعين سنة فى ستة عشر فرسخا و هم ستمائة ألف مقاتل لا تتخرّق ثيابهم و تثبت معهم و ينزل عليهم المن و السلوى، و مات النقباء غير يوشع و كالب، و مات أكثرهم و نشأت ذريتهم فخرجوا إلى حرب أريما و فتحوها «٢».

[٢٤] قالَ رَجُلانِ هما يوشع و كالب مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ اللّه تعالى فيتبعون أوامره و زواجره أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا بالدين و العقل ادْخُلُوا يا بنى إسرائيل عَلَيْهِمُ أى على هؤلاء الجبارين الْبابَ أى باب

---

(١) المائدة: ١٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٠٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٦٢٨

[سورة المائدة (٥): الآيات ٢٤ الى ٢٥]

قالُوا يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ (٢٤) قالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَ أَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ (٢٥)

المدينة فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ أى الباب فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ فقد كان أخبرهم موسى عليه السّلام بالنصر وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا فى نصرة اللّه لكم على الجبارين إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إيمانا حقا، فإن من توكل على اللّه كفاه.

[٢٥] قالُوا أى قال بنو إسرائيل لموسى عليه السّلام: يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أى لن ندخل المدينة أَبَداً ما دامُوا فِيها أى ما دام الجبارون

فی المدینة، فقد خافوا منهم و لم یثقوا بوعد اللّه النصر لهم فَاذْهَبْ یا موسی أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقاتِلا الجبارین. و لعل مرادهم لیس ما ینافی نزاهة اللّه عن التجسیم، بل قصدوا أن الرب یدفع عنهم، کما قال سبحانه: وَ ما رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لکِنَّ اللَّهَ رَمی «۱»، و قال: وَ جاءَ رَبُّکَ «۲»، و لذا لم ینکر موسی علیه السّلام مقالتهم، أو أنهم قصدوا التجسیم و أنکر موسی لکن القرآن لم یحک ذلک لأنه لیس بصدد بیان الواقعة بکل مزایاها إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ ننتظر تطهیر المدینة من الجبارین حتی ندخلها، أما أن نحارب الجبارین فلا طاقة لنا بذلک و لا نقدم علیه.

[۲۶] قالَ موسی علیه السّلام معتذرا لله عن مخالفة قومه مخاطبا اللّه سبحانه:

---

(۱) الأنفال: ۱۸.

(۲) الفجر: ۲۳.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۶۲۹

[سورة المائدة (۵): الآیات ۲۶ الی ۲۷]

قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَیْهِمْ أَرْبَعِینَ سَنَةً یَتِیهُونَ فِی الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَی الْقَوْمِ الْفاسِقِینَ (۲۶) وَ اتْلُ عَلَیْهِمْ نَبَأَ ابْنَیْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَ لَمْ یُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قالَ لَأَقْتُلَنَّکَ قالَ إِنَّما یَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِینَ (۲۷)

رَبِّ إِنِّی لا أَمْلِکُ إِلَّا نَفْسِی وَ أَخِی هارون فأنا وحدی الذی أطیع أوامرک و کذلک أخی هو الذی یطیعنی و یسمعنی إذا أمرته بشیء، أما هؤلاء فلیسوا کذلک، أما یوشع علیه السّلام و من کان علی شاکلته فلعلهم لم یکونوا حاضرین إذ ذاک عند هذا الحوار فَافْرُقْ أی افصل اللهم بَیْنَنا أنا و أخی وَ بَیْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِینَ الذین لا یطیعون الأوامر.

و المراد ب «الفرق» عدم إجراء حکم واحد علیهم فی الدنیا و الآخرة، فإنهما علیهما السّلام قد باینا قومهما بالإطاعة حین عصی أولئک.

[۲۷] قالَ اللّه تعالی لموسی علیه السّلام: و إذ عصونی و لم یؤمنوا بوعدی فَإِنَّها أی الأرض المقدسة مُحَرَّمَةٌ عَلَیْهِمْ دخولها، أی نمنعهم عنها أَرْبَعِینَ سَنَةً یَتِیهُونَ من «تاه» إذا ضلّ و لم یهتد الطریق إلی مقصده فِی الْأَرْضِ فإنهم کانوا یمشون إلی اللیل فإذا أرادوا فی الیوم الثانی السفر رأوا أنفسهم فی مکانهم السابق فَلا تَأْسَ أی لا تحزن عَلَی الْقَوْمِ الْفاسِقِینَ و أنهم کیف تاهوا أربعین سنة و وقعوا فی هذه الصعوبة.

[۲۸] إن حال الیهود فی نقض العهود و ارتکاب الفواحش بلا مبرر حال ابنی آدم علیه السّلام هابیل و قابیل، فإن اللّه أوحی إلی آدم أن یدفع الوصیة و اسم اللّه الأعظم إلی هابیل و کان قابیل أکبر، فبلغ قابیل فغضب فقال: أنا

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۶۳۰

[سورة المائدة (۵): آیة ۲۸]

لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَیَّ یَدَکَ لِتَقْتُلَنِی ما أَنَا بِباسِطٍ یَدِیَ إِلَیْکَ لِأَقْتُلَکَ إِنِّی أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِینَ (۲۸)

أولی بالکرامة و الوصیة. فأمرهما أن یقرّبا قربانا بوحی من اللّه إلیه ففعلا، فتقبّل قربان هابیل حیث أخلص و قدم خیر ماله، و لم یتقبّل قربان قابیل حیث أساء النیة و قدم شر ماله. و لما رأی قابیل أن قربانه لم یقبل حسد و عمد إلی هابیل و وضع رأسه بین حجرین فشدخه فمات، و لم یدر ماذا یصنع بجثته، فجاء غرابان فقتل أحدهما الآخر و دفن جثته، فتعلم قابیل فدفن جثة هابیل وَ اتْلُ أی أقرأ عَلَیْهِمْ أی علی الیهود یا رسول اللّه نَبَأَ أی خبر ابْنَیْ آدَمَ هابیل الصالح و قابیل الطالح بِالْحَقِ أی تلاوة بالحق و الصدق، فلیس فیه کذب إِذْ قَرَّبا قُرْباناً القربان هو ما یقصد به التقرّب إلی اللّه تعالی فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما و هو هابیل وَ لَمْ یُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ و هو قابیل، قالوا: و کانت علامة القبول أن تأتی نار من السماء فتأکل ما تقبل، فأکلت النار قربان هابیل و لم تأکل قربان قابیل قالَ قابیل الذی لم یتقبّل

قربانه لهابيل عليه السّلام: لَأَقْتُلَنَّكَ حسدا و عنادا قالَ هابيل عليه السّلام: و ما ذنبى؟ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ و لعل هذا كان تنبيها له لأن يتقى اللّه حتى يحبوه بكرامته، و لم يكن تبجّحا قطعا.

[٢٩] ثم قال هابيل عليه السّلام لقابيل: لَئِنْ بَسَطْتَ أى مددت إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي أى تريد قتلى ما أَنَا بِباسِطٍ أى ماد يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ فإن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٦٣١

[سورة المائدة (٥): الآيات ٢٩ الى ٣٠]

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ وَ ذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِينَ (٣٠)

من يريد قتل إنسان ظلما لا يجوز للمظلوم إلا المدافعة لا قتل الظالم، إلا إذا توقف الدفاع عليه. أو المراد: إن أردت قتلى ظلما فإنى لست أريد قتلك كذلك إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ فى أن أقتل أحدا ظلما.

[٣٠] إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ أى ترجع أنت يا قابيل بِإِثْمِي أى إثم قتلى وَ إِثْمِكَ أى وزرك الذى عليك من غير جهة القتل، و معنى «الإرادة» هنا مجازى لأنه إرادة الفاعل، فإن الإنسان إذا أراد شيئا يقول: أردت، و إذا لم يرد أن يفعله و أراد غيره فعله يقول: أردت أن يفعله غيرى.

فالتعبير بالإرادة هنا للمقابلة نحو قوله: تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ «١»، فقولنا: «أريد أن تذنب» يراد به «أنى لا أذنب بل أنت تحمل الذنب» لا أنه إرادة حقيقية من المتكلم لذنب المخاطب، فلا يقال: كيف يصح أن يريد هابيل عليه السّلام أن يأثم قابيل؟! فَتَكُونَ أنت يا قابيل مِنْ أَصْحابِ النَّارِ الملازمين لها وَ ذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ الذين يظلمون أنفسهم.

[٣١] فَطَوَّعَتْ أى شجعت لَهُ أى لقابيل نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ هابيل فَقَتَلَهُ قالوا: قتله غيلة فَأَصْبَحَ قابيل مِنَ الْخاسِرِينَ الذين

---

(١) المائدة: ١١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ٦٣٢

[سورة المائدة (٥): آية ٣١]

فَبَعَثَ اللَّهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قالَ يا وَيْلَتى أَ عَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هذَا الْغُرابِ فَأُوارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)

خسروا الدنيا و الآخرة.

[٣٢] و حين قتله لم يدر كيف يصنع بجثته لأنه لم ير من قبل ذلك ميتا فَبَعَثَ اللَّهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ أى يطلب و يفتش و يثير التراب ليدفن غرابا آخر قد قتله، إذ جاء غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فدفنه لِيُرِيَهُ أى يرى الغراب قابيل كَيْفَ يُوارِي أى يستر سَوْأَةَ أى جثة أَخِيهِ و إنما سمى البدن «سوءة» لأنه ساءه و كره أن يرى بدنه المقتول قالَ قابيل لما رأى فعل الغراب: يا وَيْلَتى أى يا ويلى و «الويل» بمعنى الهلاك، أى: يا هلاكى احضر فهذا أوانك، نحو: يا عجبا أَ عَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هذَا الْغُرابِ فى العلم بكيفية الخلاص من جثة الميت فَأُوارِيَ أى استر بالتراب سَوْأَةَ أَخِي ثم دفنه فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ على قتله، و لم يكن ندم توبة، و إنما ندم فعل، فلا يقال: كيف يعاقب و قد تاب؟

قال ابن عباس: لما قتل قابيل هابيل أشاك الشجر، و تغيرت الأطعمة، و حمضت الفواكه، و أمرّ الماء، و اغبرّت الأرض، فقال آدم: قد حدث فى الأرض حدث فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل هابيل، فانشأ يقول:

تغيرت البلاد و من عليهافوجه الأرض مغبرّ قبيح

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۶۳۳

[سورة المائدة (۵): آية ٣٢]

مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُنا بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)

تغير كل ذى لون و طعمو قلّ بشاشة الوجه الصبيح

[٣٣] و لما حكى سبحانه قصة ابنى آدم و أظهر بشاعة الجريمة، ذكر جملة من الحدود على الجرائم، و ابتدأ بالقتل للمناسبة، فقال تعالى: مِنْ أَجْلِ ذلِكَ «أجل» فى اللغة بمعنى الجناية- على أحد الوجوه- يقال:

«أجل عليهم شرا» أى جنى. أى من ابتداء تلك الجناية. ف «من» ابتدائية و ذلك إشارة إلى قتل قابيل هابيل أى من وقت تلك الجناية قررنا الحكم الآتى و هو أن «من قتل نفسا» الآية. و بعض المفسرين يفسر «أجل» بالمعنى المتعارف، فالمعنى: من أجل الاعتداء الذى لا موجب له و لا مبرر على المسالمين المتورعين الذين لا يريدون شرا و لا مدافعة كَتَبْنا أى فرضنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ و ليس الحكم خاصا بهم و إنما أتى بذكرهم لأنهم مورد البحث و الكلام، و أنهم الذين عاكسوا أحكام اللّه و قتلوا أنبيائه.

أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً أى إنسانا قتلا ظلما بِغَيْرِ نَفْسٍ أى:

لا بمقابل نفس حتى يخرج قتل القاتل نفسا من موضوع الحكم أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ أى لم يكن المقتول مفسدا حتى يستحق بذلك أن يقتل فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً أنه باعتدائه على حياة نفس واحدة بلا مبرر كان كمن اعتدى على الحياة كلها وَ مَنْ أَحْياها لا إحياء من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۶۳۴

[سورة المائدة (۵): آية ٣٣]

إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ (٣٣)

العدم، بل إحياء بمعنى التحفظ على حياتها و إنقاذها من الهلاك فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً حيث أن تحفظه على حياة نفس واحدة يكون كتحفظه على الحياة كلها، لأن الحياة كلّ سار فى كلّ حى، فالتعدى على فرد تعدى على الكل، كما أن التحفّظ على فرد تحفّظ على الكل وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ أى أتت إلى بنى إسرائيل- الذين يدور الكلام حولهم- رُسُلُنا أنبياؤنا إليهم بِالْبَيِّناتِ أى الأدلة الواضحة الدالة على صدق نبوتهم.

ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ أى من بنى إسرائيل بَعْدَ ذلِكَ أى بعد مجىء الرسل إليهم فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ أى يجاوزون الحد، فقد كانوا يستحلون المحارم و يسفكون الدماء.

[٣۴] و بمناسبة قتل النفس بغير حق، ذكر سبحانه حكم من يسعى فى الأرض فسادا. و

قد ورد فى شأن نزول هذه الآية: أن قوما من بنى ضبة قدموا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مرضى فبعثهم إلى إبل الصدقة يشربون من أبوالها و يأكلون من ألبانها فلما برءوا و اشتدوا قتلوا ثلاثة ممن كانوا فى الإبل و ساقوا الإبل، فبعث إليهم عليا عليه السّلام فأسرهم، فنزلت هذه الآية، فاختار رسول اللّه القطع، فقطع أرجلهم و أيديهم من خلاف.

«١»

---

(١) الكافى: ج ٧ ص ٢۴۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۶۳۵

و

فى بعض الروايات: أنها نزلت فى قطاع الطرق.

و لا- منافاة بين الأمرين إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ أى يحاربون أولياءه فإن محاربة المتعلقين بشخص هو محاربة ذلك الشخص، كقوله تعالى:

(يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ) «۱»، وَ رَسُولَهُ أى يحاربون رسوله. و هذا أيضا كذلك فإن محاربة أولياء الرسول محاربة للرسول وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً بالإفساد و شهر السلاح للإخافة. و لا يخفى أنه لو لم نقل بعموم الآية لكل من صدق عليه هذا الموضوع، كان اللازم أن يحمل على قطاع الطريق، لما ورد به الروايات، و كأنه اعتبر محاربة الناس و إخافتهم محاربة لله و الرسول.

أَنْ يُقَتَّلُوا تقتيلا- و إنما عدّى ب «التفعيل» لأن المراد منه قتلهم كلهم، و باب «التفعيل» يدلّ على التكثير كما قال تعالى: وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوابَ «۲»، أى غلقت كل باب أَوْ يُصَلَّبُوا بالمشنقة و «أو» هنا للتخيير، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السّلام، و الاختيار إلى الإمام فى ذلك أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ بأن تقطع اليد اليمنى و الرجل اليسرى، فيكون قطع كل واحدة خلاف الجهة التى يقع فيها قطع الأخرى أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ أى من بلد إلى بلد حتى يتوب

(۱) الأحزاب: ۵۸.

(۲) يوسف: ۲۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۳۶

[سورة المائدة (۵): الآيات ۳۴ الى ۳۶]

إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۳۴) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَ جاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۳۵) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذابِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ما تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۳۶)

و يرجع و قوله سبحانه «إنما» معناه: أن جزاءه ذلك فحسب، لا جزاء له سواه ذلِكَ الذى ذكر أنه يفعل بهم لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا أى عقوبة و فضيحة وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ فى النار.

[۳۵] إِلَّا الَّذِينَ تابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فإن التوبة قبل الوقوع فى يد حاكم الشرع تقبل، أما لو وقع ثم تاب فإنه لا تقبل توبته بالنسبة إلى درء الحد، بل يجرى عليه الحد فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يغفر ذنبهم رَحِيمٌ لا يعاقبهم لا فى الدنيا و لا فى الآخرة.

[۳۶] ثم يتوجه القرآن الحكيم إلى تربية الوجدان إلى جنب تربية الخارجين عن طاعته بالسيف و العقاب يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ بإتيان أوامره و اجتناب زواجره وَ ابْتَغُوا أى اطلبوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ السبب الذى يقرّبكم إليه سبحانه: من فعل الخيرات و الأعمال الصالحة وَ جاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ الخارجين عن طاعته لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أى رجاء أن تفلحوا، فإن الرجاء قائم فى الفوز و الفلاح ما دمتم تتقون و تجاهدون.

[۳۷] و لا تكونوا كالذين كفروا، الذين لم يتقوا و لم يجاهدوا و لا طلبوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۳۷

[سورة المائدة (۵): الآيات ۳۷ الى ۳۸]

يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ (۳۷) وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۳۸)

رضاه سبحانه و الوسيلة إليه إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً من المال و الجاه وَ مِثْلَهُ مَعَهُ بأن كان لهم ضعف ما فى الأرض، و هذا من باب المثل، و إلا فالمراد كل شىء، فإن اللفظ قد يأتى للكثرة لا للتحديد نحو: إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً «۱»،

لِيَفْتَدُوا بِهِ بما فی الأرض و مثله، بمعنی: أن یجعلوه فداء لهم و بدلا مِنْ عَذابِ يَوْمِ الْقِيامَةِ حتی ینجوا کما اعتادوا الفداء و الخلاص فی الدنیا ما تُقُبِّلَ مِنْهُمْ الفداء وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ مؤلم موجع.

[۳۸] يُرِيدُونَ أی یرید الذین کفروا و یتمنون أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها حیث أن عذابهم دائم لا انقطاع له و لا مدة وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ دائم ثابت لا یزول.

[۳۹] و هنا یرجع السیاق إلی بیان الحدود التی افتتحت بقصة ابنی آدم وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ ذکر سبحانه کلّا علی حدة حتی لا یظن أن

---

(۱) التوبة: ۸۰.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۶۳۸

[سورة المائدة (۵): الآیات ۳۹ الی ۴۰]

فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَ أَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۳۹) أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۴۰)

الحکم لا یشمل السارقة، و قدم السارق لأنه الغالب، و فی آیة الزنا قدّم الزانیة لامتهان بعض النساء للزنا فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما الأربع أصابع من الید الیمنی، و الید تطلق علی مجموع العضو، و إلی المرفق، و إلی الزند، و علی الأصابع فقط. و لم یقل «یداهما» لما استحسن فی العربیة من أنه متی اجتمع تثنیتان و هو قوله «أیدیهما» مضافة إحداهما إلی الأخری جیء بالأول بلفظ الجمع، کقوله سبحانه: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما «۱»، و لعل الأصل أن الجوارح فی الإنسان أکثر من واحد فتکون فی إنسانین جمعا، و «الفاء» إنما أتت فی «الخبر» دلالة علی الترتب و الجزاء. و للقطع شروط مذکورة فی الفقه جَزاءً بِما كَسَبا من السرقة نَكالًا مِنَ اللَّهِ أی عقوبة علی ما فعلاه وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ یأخذ بعزته و یحکم بذلک بحکمته.

[۴۰] فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ بأن ندم عن السرقة وَ أَصْلَحَ صار صالحا فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ و یغفر ذنبه إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ یغفر لمن تاب و یرحم عباده العصاة إذا ندموا و أقلعوا.

[۴۱] إن ما ذکر من عقاب اللّه و غفرانه مقتضی سلطته المطلقة أَ لَمْ تَعْلَمْ

---

(۱) التحریم: ۵.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۶۳۹

[سورة المائدة (۵): آیة ۴۱]

يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذا فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ (۴۱)

أیها الإنسان أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ له التصرف فی الجمیع کما یشاء يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ممن استحق العقاب وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ حسب حکمته البالغة وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فلا یعجزه شیء.

[۴۲] و فی سیاق بیان الحدود و ذکر مساوئ الیهود یتعرض القرآن الحکیم إلی قصة زنا وقعت فی الیهود و راجعوا الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی حکمها. فقد

روی عن الإمام الباقر علیه السّلام ما ملخصه «أن امرأة شریفة من خیبر زنت و قد کان حکم زنی المحصن فی التوراة الرجم، لکنهم

راجعوا النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم رجاء أن یخفّف عنهم و یأخذوا بذلک، فأفتاهم النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالرجم، و ذکر أنه حکم التوراهٔ أیضا، لکن جماعهٔ من علمائهم أنکروا ذلک فجعل الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «ابن صوریا» أعلمهم حکما فاعترف هو أن الحکم فی التوراهٔ هو الرجم و أنهم حرّفوا حکم التوراهٔ فوضعوا مکانه أن یجلد أربعین جلدهٔ ثم یسوّد وجهه و یطاف علی حمار مقلوبا، تشهیرا به!»

«۱».

و فی بعض التفاسیر: أنه کان بین بنی النضیر و قریضهٔ معاهدهٔ فی باب القتل علی خلاف حکم التوراهٔ، فقد کان حکم التوراهٔ القتل للقاتل، و لکن کانت معاهدهٔ بین القبیلتین أنه إن قتل بنو قریضهٔ من بنی النضیر قتل القاتل، و إن قتل بنو النضیر من بنی قریضهٔ أخذت الدیهٔ،

---

(۱) راجع فقه القرآن: ج ۲ ص ۳۷۵.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۶۴۰

فأراد بنو قریضهٔ المراجعهٔ إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الحکم لیحکم لهم بحکم التوراهٔ و قال «ابن أبی» المنافق الصدیق لهم: إن حکم محمد بما ترضون- یرید خلاف حکم التوراهٔ- فارضوا به و إلا فلا تقبلوه «۱».

أقول: و من المحتمل کون الآیهٔ إشارهٔ إلی القصتین، و علی أی حال فالله سبحانه یسلّی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی مخالفهٔ المنافقین و الیهود له فقال سبحانه: یا أَیُّهَا الرَّسُولُ لا یَحْزُنْکَ أی لا یوجب حزنک و غمک الَّذِینَ یُسارِعُونَ فِی الْکُفْرِ أی یسرعون للدخول فیه بالقیام علی خلافک و عدم قبول حکمک مِنَ المنافقین الَّذِینَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ جمع «فوه» بمعنی «الفم» أی أن إیمانهم لفظی و بمجرد الشهادتین، لا عن قلب و عقیدهٔ، و المقصود ابن أبی کما تقدم وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ بل بقیت علی کفرها و ضلالها.

وَ مِنَ الَّذِینَ هادُوا أی الیهود و المراد بمسارعهٔ الیهود فی الکفر ترکهم لأحکام التوراهٔ و تمسکهم بالأحکام المخالفهٔ لما أنزل اللّه فإنه کفر فی مرتبهٔ الیهودیهٔ و إن کان الیهود کفارا من أصلهم و بمقتضی بقائهم علی الیهودیهٔ سَمَّاعُونَ لِلْکَذِبِ أی هؤلاء الیهود- أو مع المنافقین- مبالغون فی سماع الکذب و قبول ما یفتریه أحبارهم

---

(۱) راجع مجمع البیان: ج ۳ ص ۳۳۶.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۶۴۱

و شیاطینهم سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِینَ لَمْ یَأْتُوکَ یا رسول اللّه، إنهم خاضعون لقول غیرک ممن لم یأتوک لتحکیمک فی قصهٔ الزنا أو فی قصهٔ القتل یُحَرِّفُونَ الْکَلِمَ جمع «کلمهٔ» أی کلام اللّه تعالی مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ أی من بعد أن وضعه اللّه سبحانه فی مواضعه، کما حرفوا حکم زنا المحصن الذی هو الرجم إلی الجلد، و کما حرفوا حکم القتل قصاصا إلی الدیهٔ یَقُولُونَ أی یقول المنافقون و الیهود بعضهم لبعض إِنْ أُوتِیتُمْ أی أعطاکم الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هذا و هو الجلد فی الزنا و الدیهٔ فی القتل فَخُذُوهُ و اقبلوه وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ هذا الحکم، بل حکم الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بما فی التوراهٔ من رجم الزانی و قتل القاتل فَاحْذَرُوا عن قبول قوله.

ثم توجه الخطاب إلی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تسلیهٔ له عن نفاق المنافقین و تحریف الیهود قال سبحانه: وَ مَنْ یُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ أی امتحانه، فقد أراد اللّه سبحانه اختبار الیهود و المنافقین فی هذه القضیهٔ لیتبیّن عنادهم و غیّهم و أنهم لا یرجعون إلی حکم اللّه، و یظهر کذبهم فی قولهم أنهم متدینون فَلَنْ تَمْلِکَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَیْئاً أی لن تستطیع یا رسول اللّه أن تدفع عنه من أمر اللّه شیئا، بل إرادته نافذهٔ و حکمه ماض أُولئِکَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٤٢

[سورة المائدة (٥): آية ٤٢]

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢)

المنافقون و اليهود الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ من الكفر، فلم يلطف بهم اللطف الخاص- كما يلطف بسائر المؤمنين- حتى تتطهر قلوبهم من أدران الكفر، إن اللّه سبحانه بيّن لهم الدلائل و نصب لهم الحجج لكنهم أبوا من الرضوخ و لذا قطع اللّه تعالى لطفه عنهم.

لَهُمْ أى للمنافقين و اليهود فِي الدُّنْيا خِزْيٌ فضيحة و ذلة، أما المنافقون فلظهور نفاقهم عند المؤمنين مما يوجب التنفّر منهم، و أما اليهود فبضرب الذلة عليهم إلا بحبل من اللّه و حبل من الناس وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار، و اليهود معلوم حالهم هناك.

[٤٣] سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ تكرار لتصوير واقعهم البشع فإن الإنسان إذا أراد أن يؤكد شيئا قاله أكثر من مرة حتى يقع فى نفس السامع موقع القبول أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ جمع «أكال» مبالغة ل «آكل» أى كثير و الأكل للرشوة و سائر أقسام الحرام، فَإِنْ جاؤُكَ يا رسول اللّه ليجعلوك حكما فيما بينهم فى قصة الزنا و القتل فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بحكم اللّه سبحانه أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ و قد جاز الإعراض لأنهم كانوا يعلمون بالحكم حيث كان مثبتا فى التوراة فلم يكن الإعراض يسبب سحق حكم اللّه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٤٣

[سورة المائدة (٥): الآيات ٤٣ الى ٤٤]

وَ كَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِيها حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ ما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ وَ كانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوْنِ وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ (٤٤)

سبحانه و جهالة المجتمع به وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فلم تحكم بينهم فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً إذ النفع و الضرر بيد اللّه سبحانه لا بيد غيره وَ إِنْ حَكَمْتَ يا رسول اللّه فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ أى بالعدل الذى هو إجراء حكم اللّه من رجم الزانى المحصن و قتل القاتل شخصا ما إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ أى العادلين الذين يعدلون فى حكمهم.

[٤٤] إن أمر هؤلاء اليهود عجيب فإنهم لا يعترفون بك رسولا و مع ذلك يحكمونك فى قضيتهم و ذلك ليس إلا أنهم يريدون فرارا من حكم التوراة إلى حكم يطابق أهواءهم وَ كَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ أى يجعلونك حكما يا رسول اللّه وَ عِنْدَهُمُ التَّوْراةُ أى و الحال أن لديهم التوراة التى يعترفون بها كتابا فِيها حُكْمُ اللَّهِ بالنسبة إلى الزنا و القتل ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ التحكيم، أو من بعد حكمك فلا يقبلون حكمك أيضا وَ ما أُولئِكَ اليهود و المنافقون الذين حكّموك، ثم تولوا بِالْمُؤْمِنِينَ بالتوراة أو بحكمك، و إنما يظهرون الإيمان كذبا و اختلاقا.

[٤٥] ثم بيّن سبحانه أن التوراة التى أعرض عن حكمها فى قصة الزنا و القتل كتاب سماوى يجب العمل به، و من المعلوم أنه ليس المراد بذلك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٤٤

التوراة المحرّفة التى بأيدى اليهود اليوم، فقد كان قسم من التوراة محفوظا عن التحريف إلى زمان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، كما أن المعلوم أن المراد كون التوراة فى وقتها هدى و نور، أما إذا جاء أهدى منها و أكثر نورا و نسخ قسما من أحكامها لم يعمل بالمنسوخ منها، و ذلك كما لو قلنا:

أن القرآن هدى و نور، يراد المجموع من حيث المجموع، لا أنه يعمل به حتى بالنسبة إلى الآيات المنسوخ حكمها على تقدير تسليم النسخ فى القرآن.

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً يهتدى به الناس إلى سبل الحق وَ نُورٌ ينير دروب الحياة المظلمة- و لعل العطف للبيان- يَحْكُمُ بِهَا أى بالتوراة النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لله و أذعنوا لحكمه، و من جملة أولئك الأنبياء الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى حكم على طبقها فى قصة الزانى و القاتل لِلَّذِينَ هادُوا أى أن الحكم إنما كان للذين هادوا أما غيرهم من النصارى و المسلمين فإنما يحكم بينهم حسب معتقدهم.

و قد ثبت فى الشريعة جواز الحكم لكل أهل كتاب بكتابهم.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام «و اللّه لو ثنيت لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزبور بزبورهم، و بين أهل القرآن بقرآنهم»

«۱»، كما

ثبت قولهم عليهم السّلام «ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم»

«۲».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۳۰ ص ۶۷۲.

(۲) تهذيب الأحكام: ج ۹ ص ۳۲۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۶۴۵

لكن من المعلوم أنه ليس كل الأحكام كذلك، بل من الأحكام ما لا يجوز أن يحكم بها، و القاعدة الكلية: أنه كل ما أجاز الإسلام أن يحكم به الحاكم على طبق دياناتهم جاز ذلك، و كل ما لم يجز كان اللازم الرجوع إلى حكم الإسلام.

وَ يحكم بالتوراة الرَّبَّانِيُّونَ و هم المتدينون فإن «ربانى» منسوب إلى «الرب» من غير قياس وَ الْأَحْبارُ جمع «حبر» بالكسر و «حبر» بالفتح، و هو العالم، أى أن الأنبياء و الأتقياء و العلماء يحكمون بالتوراة، و إنما يحكم هؤلاء بالتوراة بسبب ما اسْتُحْفِظُوا أى استدعوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ أى حيث أن اللّه سبحانه جعلهم حافظين للكتاب و ائتمنهم عليه فى أن يحكمون بموجبه وَ كانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ أى أن النبيين و الربانيين و الأحبار كانوا شهداء على أن ما فى الكتاب حق و صدق. و الحاصل أن هؤلاء يحكمون بالتوراة لأنه وديعة عندهم و هم يشهدون بصدقه.

و حيث بيّن سبحانه أن التوراة يحكم بها أولئك الصفوة و أنهم محل وديعة و الشهداء على صحته، بيّن أن مقتضى ذلك أن يكون الإنسان المتصف بهذه الصفات شجاعا فى إظهار أحكامه فلا يخون و لا يكتم و لا يخشى الناس فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ فى إظهار أحكام التوراة و منها مسألة رجم الزانى و قتل القاتل وَ اخْشَوْنِ فى ترك أمرى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۶۴۶

[سورة المائدة (۵): آية ۴۵]

وَ كَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (۴۵)

و تحريف حكمى فإن النفع و الضرر بيدى وَ لا تَشْتَرُوا بمقابل آياتى و أحكامى ثَمَناً قَلِيلًا حيث أنكم إذا كتمتم الأحكام لأجل الرشوة و الرئاسة كنتم كمن يعطى السلعة ليأخذ المال، و كل شيء من المال و الرئاسة فى مقابل حكم اللّه ثمن قليل لأنه يزول و ينتقل و تبقى تبعة التحريف و الكتمان و الحكم بخلاف ما أنزل اللّه وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ لعلّ وجه الإتيان بالنفى دون أن يقول «و من

حکم بغیر ما أنزل اللّه» لیشمل الحاکم بالخلاف و الساکت الکاتم، فإن من یعلم حکم اللّه و یسکت و یکتم یکون مصداقا ل «مَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ» فَأُولئِکَ هُمُ الْکافِرُونَ و من المعلوم أن عدم الحکم کفر عملی لا کفر اعتقادی، إلا إذا رجع إلی الجحود لأصل من أصول الدین، و إنکار ضروری من ضروریات الإسلام، و یسمی کافرا لأنه ستر الحق، فإن الکفر لغة بمعنی الستر.

[۴۶] وَ کَتَبْنا عَلَیْهِمْ أی علی بنی إسرائیل فِیها أی فی التوراة أَنَّ النَّفْسَ تقتل بمقابل النفس فإذا قتل الإنسان شخصا عمدا، قتل القاتل فی قبال ذاک، و لعل هذه الآیة تؤید کون الآیات السابقة کانت بشأن قصة بنی النضیر و بنی قریضة- کما تقدم- وَ الْعَیْنَ مفقوءة بِالْعَیْنِ أو معمیة بها وَ الْأَنْفَ مجدوعة بِالْأَنْفِ أما

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۶۴۷

ذهاب حاسة الشم فلعله خلاف الظاهر و إن کان الحکم کذلک إذا أمکن وَ الْأُذُنَ مصلومة بِالْأُذُنِ و فی ذهاب السمع ما تقدم وَ السِّنَ مقلوعة بِالسِّنِ و لذلک کله شرائط مذکورة فی کتب الفقه «۱».

وَ الْجُرُوحَ فیها قِصاصٌ فمن جرح إنسانا جرح کما جرح، و یدخل فیه الشفة و الذّکر و البیضتان و الیدان و الرجلان و سائر أقسام الجروح. و «القصاص» مشتق من «قص» بمعنی اتّباع الأثر، کأن المجروح یتبع أثر الجارح فیجرحه فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ أی بالقصاص بأن عفا عنه و أسقطه و تنازل عن حقه فَهُوَ أی التصدّق کَفَّارَةٌ أی حط عن الذنوب لَهُ أی للمتصدق المجروح.

قال الإمام الصادق علیه السّلام: «یکّفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا من جراح أو غیره»

«۲».

وَ مَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ تقدم الکلام فیه فَأُولئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ الظلم هو ظلم النفس و ظلم الغیر، و قد اختلف التعبیر هنا عن الآیة السابقة «الکافرون» و الآیة الآتیة «الفاسقون» لإفادة أن من لم یحکم بما أنزل اللّه یتصف بصفات ثلاث لأنه قد ستر حکم اللّه و کتمه فهو «کافر» إذ الکافر بمعنی الساتر، کما تقول: الزارع کافر، لأنه یستر

(۱) موسوعة الفقه: ج ۸۹.

(۲) الکافی: ج ۷ ص ۳۵۸.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۱، ص: ۶۴۸

[سورة المائدة (۵): آیة ۴۶]

وَ قَفَّیْنا عَلی آثارِهِمْ بِعِیسَی ابْنِ مَرْیَمَ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَ آتَیْناهُ الْإِنْجِیلَ فِیهِ هُدیً وَ نُورٌ وَ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَ هُدیً وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِینَ (۴۶)

الحبة تحت الأرض، و لأن الکافر قد ظلم نفسه لأنه عصی اللّه سبحانه فی کتمان حکمه و ظلم المترافعین و المجتمع لأن حکم اللّه هو الحق و سواه انحراف و زیغ فهو «ظالم» و أنه قد خرج بحکمه ذاک أو سکرته عن الحق عن الجادة المستقیمة فهو «فاسق» إذ الفسق بمعنی الخروج و المروق.

[۴۷] و لما ذکر سبحانه الیهود، اتجه الکلام إلی ذکر النصاری مبیّنا أن الأنبیاء من سلسلة واحدة و أن کتبهم کلها هدی و نور، و أن بعضها یصدّق بعضا وَ قَفَّیْنا من «التقفیة» أصله «القفو» بمعنی اتباع الأثر یقال: قفیته بکذا أی اتبعته به عَلی آثارِهِمْ أی آثار الأنبیاء حیث قال سبحانه: «یَحْکُمُ بِهَا النَّبِیُّونَ» بِعِیسَی ابْنِ مَرْیَمَ أی أتبعنا علی آثار النبیین عیسی ابن مریم فقد بعثناه رسولا من بعدهم مُصَدِّقاً أی فی حال کون المسیح علیه السّلام یصدّق لِما بَیْنَ یَدَیْهِ أی ما تقدمه مِنَ التَّوْراةِ بیان «ما» و یقال للسابق الزمانی: «بین یدیه» تشبیها بالسابق المکانی الذی هو «بین یدی الإنسان» أی فی قباله وَ آتَیْناهُ أی أعطینا عیسی علیه السّلام الْإِنْجِیلَ أی أنزلناه علیه فِیهِ هُدیً وَ نُورٌ تقدم معنی ذلک وَ مُصَدِّقاً أی فی حال کون الإنجیل مصدقا لِما بَیْنَ یَدَیْهِ مِنَ التَّوْراةِ فقد کان عیسی علیه السّلام یصدق التوراة، و کتابه

الإنجيل يصدقها أيضا وَ هُدىً أى أن الإنجيل كتاب هداية و إرشاد وَ مَوْعِظَةً أى واعظا لِلْمُتَّقِينَ الذين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۴۹

[سورة المائدة (۵): الآيات ۴۷ الى ۴۸]

وَ لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (۴۷) وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۴۸)

يتقون الآثام، فهو يحذّرهم من العقاب و يرشدهم و يحرضهم على الثواب. و قد كرر التصديق و الهداية، تأكيدا و تركيزا.

[۴۸] وَ لْيَحْكُمْ أى يجب أن يحكم أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ من الأحكام و الدلالات التى منها التبشير بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و وجوب اتّباعه وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ أى أن الديانات كلها من عند اللّه، و أن الأنبياء كلهم سفراء له وحده، و أن الكتب كلها منزلة من عند اللّه، فمن الضرورى أن يحكم الأنبياء بالكتب المنزلة و يتبع الناس الأنبياء و الكتب، أما ما حرّف منها فليس من اللّه، كما أن ما نسخ منها فاللازم تركه و اتباع الناسخ عوضه.

[۴۹] و لما أتم الكلام حول التوراة و الإنجيل- و هما الكتابان المتداولان فى أيدى الناس- ذكر سبحانه القرآن الحكيم وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ يا رسول اللّه الْكِتابَ أى القرآن الحكيم بِالْحَقِ كتابا بالحق لأنه ليس فيه باطل، أو إنزالا بالحق، حيث كان المنزل و المنزل عليه لهما الحق فى ذلك، فالمنزل إله يحق له التنزيل و التشريع، و المنزل إليه رسول يحق له الأخذ و القبول مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ اللام للجنس أى أن القرآن يصدق ما سبقه من كتب الأنبياء وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ أى أن القرآن مهيمن على الكتاب المتقدم، و معنى الهيمنة السيطرة، فإن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۵۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ۱ ۶۷۹

القرآن الحكيم كشاهد مسيطر يدل على مواقع الخطأ و الصواب من الكتب السابقة، كل ما حرفوه دل عليه و كل ما زادوا أو أنقصوا منهما أشار إليه، و ذلك لأن القرآن يبيّن كليات العقائد و أصول العبادة و المعاملة و الأخلاق، و فى الكتب السابقة مواقع كثيرة قد زاغت عن الحق بأيادى أثيمة، يدل عليها القرآن و يشير إليها فَاحْكُمْ يا رسول اللّه بَيْنَهُمْ أى بين أهل الكتب السالفة، أو بين اليهود بِما أَنْزَلَ اللَّهُ من الأحكام، و منها فى رجم زنا المحصن، و قتل القاتل وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ أى ما يشتهون من خلاف حكم اللّه، فقد أحبوا أن يحكم الرسول بخلاف الحق، فيفتى بجلد المحصن الزانى، ودية القاتل عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِ أى لا- تزغ عما جاءك، فإن معنى اتباع أهوائهم: الزيغ عن الحق. و كثيرا ما يشبه فعل معنى فعل آخر فيتعدى الفعل الأول بما يتعدى به الفعل الثانى، كما ذكره «المغنى».

و لما كان المقام يوهم اتحاد الديانات من جميع الحيثيات حيث أن الآيات السابقة أفادت تصديق كل نبى و كتاب لما سبقه، فأية حاجة إذا لإيمان اليهود و النصارى بالنبى و القرآن، تعرّض السياق إلى اختلاف الشرائع و المناهج فى الخصوصيات و المزايا و إن اتحد الجميع فى الأصول و الجوهر لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ أى لكل أمة منكم أيها اليهود و النصارى و المسلمون جميعا جعلنا شِرْعَةً أى طريقة وَ مِنْهاجاً «الشرعة» أول الطريق، و «المنهاج» الطريق المستقيم الذى يلزمه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۵۱

[سورة المائدة (۵): آية ۴۹]

وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَ احْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ (۴۹)

الإنسـان فى حيـاته ليسير عليه، و كـأن وجه تقـديم «جعلنا» على «منكم» أن المقام مقام الجعل، لا مقام ذكر الأمم. و قـد تقرر فى علم البلاغة أن المقدم من الألفاظ هو الذى سيق له الكلام، يقال: «زيد جاء» إذا كان المقام مقام ذكر زيد و أعماله، و يقال: «جاء زيد» إذا كـان المقـام مقـام ذكر الجـائين. وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أيها الأمم الثلاث أُمَّةً واحِـدَةً بأن لا ينزل عليكم إلا كتابا واحـدا و لا يرسل إلا رسولا واحدا وَ لكِنْ جعلكم على شـرائع مختلفة لِيَبْلُوَكُمْ أى يمتحنكم فِي ما آتاكُمْ أى فيما فرضه عليكم و أعطاكم و شرع لكم حتى يتبين من يقبـل الرسول اللاـحق و من لاـ يقبـل، و من يعمـل بـأوامره عملاـ تامـا و من لا يعمل فَاسْـتَبِقُوا أيتها الأمم الْخَيْراتِ أى ليبادر بعضـكم بعضا فى تحصـيل الخيرات و العمل بما أمر اللّه إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ و مصـيركم جَمِيعاً أيتها الأمم. و إنما سـمى «مرجعا» تشبيها للمعقول بالمحسوس، و إلا فلا مكان لله سبحانه حتى يكون مبدءا و مرجعا فَيُنَبِّئُكُمْ أى يخبركم بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ من أمور دينكم. و فى الإجمال ما لا يخفى من التهويل- كما يقول الملك لبعض رعيته:

أعلمك بما صنعت- ثم يجازيكم حسب أعمالكم و عقائدكم.

[٥٠] ثم كرر سبحانه وجوب الحكم بين اليهود بما أنزل اللّه، و قد كرر ذلك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥٢

لأنهم حكّموه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى قصتين قصة الزنا و قصة القتل وَ أَنِ احْكُمْ عطف على قوله فى الآية السابقة «فاحكم» أو عطف على «الكتـاب» أى أنزلنا إليك الكتاب و أنزلنا إليك «أن احكم» بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ و ما يشـتهون من خلاف الحكم وَ احْذَرْهُمْ يا رسول اللّه، أى احذر اليهود أَنْ يَفْتِنُوكَ أى يضلوك عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ بأن تفتى بغير ما أنزل اللّه. فقد ورد أن اليهـود عرضوا على الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أن يؤمنوا له إذا تصالـح معهم على التسامـح فى أحكـام خاصـة، منها حكم الرجم فى الزانى المحصن، و هذا التحذير للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليس معناه أنه كان يعمل على الخلاف، و إنما هو لبيان الحكم، كما يخاطب بقوله تعالى: أَقِمِ الصَّلاةَ «١»، و نحوه فَإِنْ تَوَلَّوْا أى أعرضوا عن الحق و لم يقبلوا قولك و حكمك فَاعْلَمْ يا رسول اللّه أَنَّمـا يُرِيـدُ اللَّهُ أَنْ يُصِـيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ فـإن التمرد على اللّه و رسوله يوجب نكـال اللّه سـبحانه، و تمردهم عن حكمك موجب لأن يسخط اللّه عليهم فيأخذهم ببعض ما سلف من ذنوبهم، أو نفس التمرد نكال سببه بعض ذنوبهم السابقة.

روى أن رجلا قال للإمام أمير المؤمنين عليه السّلام إنى حرمت صلاة الليل؟ قال الإمام: «أنت رجل قيدتك ذنوبك» «٢».

---

(١) هود: ١١٥.

(٢) عوالى اللآلى: ج ٢ ص ٥١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥٣

[سورة المائدة (٥): الآيات ٥٠ الى ٥١]

أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)

وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِـقُونَ أى الخـارجون عن طاعـة اللّه، و هـذا تسـلية للنبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أن لاـ يغتم لعـدم نفوذ حكمه.

[٥١] أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ اسـتفهام إنكـارى، أى هـل يبغى هؤلاـء اليهود حكم الجاهليـة، و المراد بهـا جاهليـة البشـر التى لا يرجع حكمهم فيها إلى قانون ثابت بل تحكم الأهواء و القبليات و العصبيات و ما أشبه، فكل من يبتغى حكما غير حكم اللّه فإنه يبتغى حكم الجاهليـة، حتى إذا كان الحكم أكثريـة «برلمانيـة» وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً أى ليس هناك حكما أحسن من حكم اللّه لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ

باللّه و اليوم الآخر، فإنهم يعلمون أن حكم اللّه أحسن الأحكام لأنه خال من جميع الانحرافات التى تصيب حكم البشر.

[٥٢] و بعد ما بيّن سبحانه انحراف اليهود و ضلالهم، ذكر سبحانه هنا عدم جواز اتخاذ اليهود أو النصارى أولياء. و قيل فى سبب النزول: أنه لما كانت وقعة أحد اشتد الأمر على طائفة من الناس فقال رجل من المسلمين: أنا ألحق بفلان اليهودى و آخذ منه أمانا، و قال آخر: أنا ألحق بفلان النصرانى فآخذ منه أمانا، فنزلت الآية يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ فلا تصادقوهم مصادقة الولى لوليه و الحميم لحميمه بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ فإن بعضهم ينصر بعضا و يعينه عليكم، و قد ظهر انطباق كلامه سبحانه على الخارج طيلة أربعة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥٤

[سورة المائدة (٥): آية ٥٢]

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ (٥٢)

عشر قرنا فإن اليهود و النصارى لم يزالا ينصر أحدهما الآخر على المسلمين على ما بينهما من العداء و البغضاء وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ أى يصادقهم و ينتصر بهم و يجعلهم أولياء له فَإِنَّهُ مِنْهُمْ فإنه كافر عملا، من أهل النار، و هو خطر على المسلمين، فالذين تولّوا الكفار كانوا من أخطر الناس على المسلمين، و كانوا فى زمرة الكفار ينصرونهم و ينتصرون بهم إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الذين يظلمون أنفسهم بعد ما علموا و عرفوا، فإنه سبحانه لا يلطف بهم ألطافه الخفية.

[٥٣] و بعد هذا القرار الجازم، الذى دل عليه منطق التاريخ السابق على الإسلام، حيث أن كل موال لا بد و أن يكون هواه مع من يوالى، لا مع مجتمعة، و الذى قد نهى عنه صريحا فَتَرَى يا رسول اللّه الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أى شك و نفاق. قال ابن عباس: إن المراد بذلك عبد اللّه بن أبى، أن عبادة بن الصامت الخزرجى أتى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: يا رسول اللّه إن لى أولياء من اليهود، كثير عددهم، قوية أنفسهم، شديدة شوكتهم، و أنا أبرأ إلى اللّه و رسوله من ولايتهم و لا مولى لى إلا اللّه و رسوله. فقال عبد اللّه بن أبى: لكن لا أبرأ من ولاية اليهود لأنى أخاف الدوائر و لا بد لى منهم.

ثم أنه شبّه النفاق بالمرض لأن كليهما موجب لانحراف الإنسان، فالمرض يوجب انحراف مزاجه، و النفاق يوجب انحراف سلوكه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥٥

المنبعث من انحراف روحه يُسارِعُونَ فِيهِمْ أى فى تولى أهل الكتاب و اتخاذهم أولياء، و لعل الإتيان بلفظة «يسارعون» لإفادة أنهم يوالونهم قبل ظهور علائم الاحتياج إليهم «من هزيمة المسلمين» فإنهم يحتاطون باتخاذهم أولياء لئلا يأتى يوم يحتاجون إليهم، و ذلك أسوأ حالا- ممن يوالونهم إذا ظهرت علامة هزيمة فى المسلمين يَقُولُونَ أى قائلين لتبرير موقفهم نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ أى دوران الفلك الموجب لغلبة الكفار على المسلمين فإنا نتخذهم من الآن أولياء لنكون فى أمان إذا دارت الدائرة فَعَسَى اللَّهُ أى لعل اللّه أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ للمسلمين بأن يفتحوا بلاد الكفار و يكون الغلب لهم على الكفار أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ غير الفتح من إعزاز المسلمين و تكثير عددهم و جلاء الكفار فَيُصْبِحُوا أى يصبح هؤلاء المنافقون الذين والوا الكفار خوف غلبتهم و دوران الدائرة على المسلمين عَلى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ من موالاة اليهود و تمنى الغلبة لهم. و لعل ذكر «أسروا» مع أنهم أعلنوا عن ولائهم خوف الدائرة، لإفادة أنهم كانوا قد أسروا أشياء كثيرة فى أنفسهم، كما هو شأن النفاق و المنافقين نادِمِينَ و ليس ندمهم من جهة الحق، بل من جهة أنهم خسروا الطرفين، طرف المسلمين لأنهم عرفوا نفاقهم، و طرف الكفار لأنهم هزموا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٥٦

[سورة المائدة (٥): الآيات ٥٣ الى ٥٤]

وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خاسِرِينَ (٥٣) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَأْتِی اللَّهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ أَعِزَّةٍ عَلَی الْکافِرِینَ یُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ لا یَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ (۵۴)

[۵۴] وَ إذ قسم اللّه الفتح للمؤمنین، أو أتاهم بأمر من عنده یَقُولُ الَّذِینَ آمَنُوا إیمانا صادقا، یقولون متعجبین من نفاق المنافقین و اجترائهم علی اللّه بالأیمان الکاذبة: أَ هؤُلاءِ الَّذِینَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ أی: هل هؤلاء المنافقون الذین انکشفت حقائقهم هم الذین حلفوا بالله جَهْدَ أَیْمانِهِمْ أی جهدوا جهد أیمانهم، بمعنی: حلفوا بأغلظ الأیمان إِنَّهُمْ لَمَعَکُمْ أی مع المؤمنین فی صدق الإیمان و المناصرة؟ کیف حلفوا بتلک الأیمان المغلظة، و قد ظهر نفاقهم خلال المعرکة الحاسمة الموجبة لترجیح کفة المسلمین؟ فإن النفاق لا یظهر جیدا إلا فی المعارک و المخاوف. و هناک حیث عرف المسلمون حقیقتهم تعجبوا من إیمانهم المزیف، و أیمانهم المغلظة الکاذبة التی أرادوا بها دعم إیمانهم و إدخال أنفسهم فی زمرة المؤمنین حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ جملة مستأنفة، أی أن المنافقین ضاعت أعمالهم الإیمانیة بسبب النفاق، أو: أنهم ضاعت مساعیهم فی مصانعة الطرفین بسبب انهزام الکفار فلا ظهر لهم، و کشف باطنهم للمسلمین فیتجنبون عنهم فَأَصْبَحُوا خاسِرِینَ دنیا و آخرة.

[۵۵] ثم بعد ما بیّن مضرّة النفاق، توجه السیاق إلی المؤمنین مبیّنا لهم أنهم إن ارتدوا فلا یظنوا أن ذلک یضر دین اللّه سبحانه فقد و کلّ اللّه بدینه فی کل دور أناسا یقومون بشرائط الإیمان، فالمرتد إنما یضر نفسه لا أنه یضر دین اللّه تعالی یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۶۵۷

ارتدادا إلی الکفر، أو إلی النفاق، فإن انقلاب الباطن عن الإسلام هو نوع من الارتداد أیضا فَسَوْفَ یَأْتِی اللَّهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ فهو ذو صلة بهم و هم ذووا صلة به سبحانه. و لعل الإتیان بکلمة «سوف» لئلّا یظنون أن فی تأخیر الأمر انقطاعا و انفصاما للإیمان، بل قد یتأخر مجیء الصلحاء بعد ارتداد قسم من الناس عن الإیمان أَذِلَّةٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ أذلة من «الذّل» بکسر الذال: ضد الصعوبة، و قد یکون من «الذّل» بضم الذال: ضد العزة أَعِزَّةٍ عَلَی الْکافِرِینَ أی یکونون لیّنین علی المؤمنین، غلاظ شداد علی الکافرین. و إنما کان ذلک مدحا لأن اللّین مع الکافر موجب لبقاء الکفر، بخلاف إظهار الشدة الذی یوجب حصر الکفر علی نفسه و انکماشه، و عدم تعدیه إلی المؤمنین الضعاف، کما قال سبحانه فی آیة أخری: أَشِدَّاءُ عَلَی الْکُفَّارِ رُحَماءُ بَیْنَهُمْ «۱»، یُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ لإعلاء کلمته وَ لا یَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ فإن الجهاد یلازم لوم اللائمین من المؤمنین و من الکافرین، أما «من الکافرین» فواضح، و أما «من المؤمنین» فلأن الآراء غالبا ما تختلف بسبب لوم بعضهم لبعض کما هو المشاهد المحسوس، و کثیرا من الناس یمنعه الجهاد و الإقدام لوم اللائمین لا صعوبة الجهاد.

و قد نزلت هذه الآیة فی علی أمیر المؤمنین علیه السّلام و أصحابه الأکرمین، و إن کانت عامة بحسب اللفظ، کما هو شأن آیات القرآن غالبا.

---

(۱) الفتح: ۳۰.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۱، ص: ۶۵۸

[سورة المائدة (۵): آیة ۵۵]

إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاةَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاةَ وَ هُمْ راکِعُونَ (۵۵)

و لعل وجه قوله: «یأتی» مع أن الإمام علیه السّلام کان حاضرا وقت النزول، اعتبار الوصف أی قوله «یجاهدون». تقول: «سوف آتی بشخص یفعل کذا» ترید أن الفعل «سوف» یأتی لا الشخص.

ذلِکَ المذکور فی أوصاف القوم من محبة اللّه لهم و محبتهم لله و لینهم مع المؤمنین و شدتهم علی الکافرین و جهادهم بدون خوف

اللوم فَضْلُ اللَّهِ حيث تفضل عليهم بهذه الصفات و هداهم إلى الحق يُؤْتِيهِ أى يعطى هذا الفضل مَنْ يَشاءُ ممن كان قابلا و أهلا وَ اللَّهُ واسِعٌ فضله فلا يخاف نفاده إن أعطى أحدا عَلِيمٌ بموضع فضله وجوده.

[۵۶] و لما ذكر سبحانه أنه لا يجوز أن يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء، بيّن ولى المؤمنين و أن اللازم أن يتخذوا اللّه و رسوله و من نصبه اللّه وليا.

و قد أجمع المفسرون بأن هذه الآية نزلت فى على أمير المؤمنين عليه السّلام «۱». و قد يقال أن الأئمة الأحد عشر عليهم السّلام ليسوا بمشمولين للآية، لدلالة «إنما» على الحصر؟ و الجواب من وجهين:

الأول: إن الآية حصرت الأمر فى وقت النزول، و كانت ولايتهم عليهم السّلام بعد ذلك.

و الثانى: و هو الأصح أن ولاية الأئمة من ولاية على عليه السّلام، كما لو قال: والى بلدكم فلان، فإن من عينه الوالى للأمور كان امتدادا لولاية فلان.

---

(۱) مجمع البيان: ج ۳ ص ۳۶۱ و تفسير العياشى: ج ۱ ص ۳۲۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۶۵۹

[سورة المائدة (۵): آية ۵۶]

وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ (۵۶)

إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ فالله له الولاية المطلقة و السلطنة الكاملة من جميع الجهات عليكم وَ رَسُولُهُ محمد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ الَّذِينَ آمَنُوا المتصفون بكونهم الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ أى الصدقة وَ هُمْ راكِعُونَ

و قد روت العامة و الخاصة أن هذه الآيات نزلت فى على أمير المؤمنين عليه السّلام لما تصدّق بخاتمه و هو فى الركوع. و فى بعض الأخبار أنه كان تصدق قبل ذلك أيضا فى صلاة أخرى بحلّة قيمتها ألف دينار أرسلها النجاشى إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأهداها إلى على عليه السّلام. «۱» [۵۷] ثم ذكر سبحانه أنه فى تولى هؤلاء النجاح و الغلبة، فمن ظن أن فى تولى غيرهم النجاح فقد اشتبه، و دل التاريخ أنه كلما التزم المسلمون بهؤلاء نجحوا و تقدموا، و كلما تولوا غيرهم خسروا و تأخروا وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ أى يتخذه اللّه سبحانه وليا يأتمر بأوامره و ينتهى عن زواجره وَ رَسُولَهُ يقتدى به فى أعماله و أقواله وَ الَّذِينَ آمَنُوا على و الأئمة من ولده عليهم السّلام- حسب النزول- أو كل مؤمن حسب العموم، فى مقابل اتخاذ الكفار أولياء فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ جنده و جماعته هُمُ الْغالِبُونَ على من سواهم من الأحزاب و الجنود، و فى قطع قوله:

---

(۱) الكافى: ج ۱ ص ۲۸۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۶۶۰

[سورة المائدة (۵): الآيات ۵۷ الى ۵۸]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ أَوْلِياءَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۵۷) وَ إِذا نادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوها هُزُواً وَ لَعِباً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (۵۸)

«فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ» عن الجملة السابقة، إذ لم يقل «فإنهم الغالبون»، إفادة أن المتولى يعدّ من حزب اللّه و جماعته، فليس الأمر من ناحية العبد فقط، بل من ناحية اللّه أيضا.

[۵۸] قد نهى المسلمون عن اتخاذ اليهود و النصارى أولياء، ثم الآن يأتى السياق لينهى عن اتخاذ أى كافر أو كتابى- و لو لم يكن يهوديا أو نصرانيا- وليا. و قد ورد فى سبب النزول أن زيد بن التابوت و سويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم كان رجال من

المسلمين يوادّونهما فنزلت هذه الآية، و لو كان الأمر كذلك فالمراد، بمن ذكر في الآية أعم من المنافق يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً أي سخرية و تلاعبا، و ذلك بأن أظهروا الإسلام باللسان و أبطنوا الكفر بالجنان، أو المراد جعله سخرية و لعب يستهزئون به مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ أي أنزل عليهم الكتاب مِنْ قَبْلِكُمْ و هم أهل الأديان السابقة على الإسلام وَ مِن الْكُفَّارَ المراد بهم الأعم من المنافقين- كما سبق- و لا يخفى أن الكفار أعم من أهل الكتاب، لكن إذا ذكروا في كلام كان المراد بالكفار غيرهم أَوْلِياءَ تتولونهم كاتخاذ المؤمنين لله و رسوله أولياء وَ اتَّقُوا اللَّهَ فلا تخالفوه إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ باللّه و بما أمر به.

[۵۹] وَ إِذا نادَيْتُمْ أيها المؤمنون إِلَى الصَّلاةِ إي دعوتم إليها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۶۶۱

[سورة المائدة (۵): الآيات ۵۹ الى ۶۰]

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ (۵۹) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ (۶۰)

اتَّخَذُوها أي اتخذوا الصلاة هُزُواً وَ لَعِباً مهزلة و تلاعبا فيتضاحكون و يتغامزون بينهم- كما هي عادة منافقي اليوم أيضا- ذلِكَ بِأَنَّهُمْ أي ذلك الاستهزاء بالصلاة بسبب أن الكفار قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ منافع الصلاة و أنها موجبة للنجاة من النار.

[۶۰] و جاء قوم من اليهود يسألون الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عمن يؤمن به من الرسل؟

فقال: أؤمن بالله و ما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق .. إلى أن ذكر عيسى عليه السّلام فلما سمعوا ذلك منه جحدوا نبوته و قالوا: ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا و الآخرة منكم، و لا دينا شرّا من دينكم، فنزلت قُلْ يا رسول اللّه لأهل الكتاب: يا أَهْلَ الْكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا أي تسخطون علينا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ إيمانا لا يشوبه كفر- كإيمانكم- وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا يعني القرآن الحكيم وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ على جميع الأنبياء وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ فإن فسقكم- أي خروجكم- عن دين اللّه هو سبب نقمتكم علينا. و هذا كقولهم: «هل تنقم مني إلا أني عفيف و أنك فاجر»، أو: «إلا أني كريم و أنت بخيل»، فهو من باب الازدواج يحسن في الكلام لتعميم المقابلة، فهو عطف على قوله: «أن آمنا».

[۶۱] قُلْ يا رسول اللّه لهؤلاء المستهزئين: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ أي أخبركم بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ أي إن كان إيمانا شرا عندكم فأنا أخبركم بشر من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۶۶۲

[سورة المائدة (۵): آية ۶۱]

وَ إِذا جاؤُكُمْ قالُوا آمَنَّا وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما كانُوا يَكْتُمُونَ (۶۱)

ذلك مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ أي جزاء من عنده سبحانه، و سمّى «مثوبة» استهزاء بهم، و إنما سمّى ما عند المؤمنين شرا- و إن لم يكن ما للمؤمنين إلا الخير- للمقابلة في الكلام مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ أي طرده عن رحمته، فلعنة اللّه لكم من شر إيماننا نحن وَ غَضِبَ عَلَيْهِ بسبب عصيانه و تمرده عن الحق وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ جمع «قرد»، كما قال سبحانه: فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ «۱»، وَ الْخَنازِيرَ بأن مسخهم على صور هذين الحيوانين النجسين وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ عطف على قوله: «لعنه اللّه» و الطاغوت هو العجل الذي عبدوه أُولئِكَ اليهود الذين هذه صفاتهم شَرٌّ مَكاناً أي أن مكانهم في سقر الذي هو شر من مكان المؤمنين الذين نقموا منهم، و قد ذكرنا أن هذا الكلام من باب المشاكلة اللفظية و إلا فليس في مكان المؤمنين شر وَ أَضَلُّ أي أكثر ضلالا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ أي وسط الطريق.

[۶۲] و حيث ابتدأ الكلام بعرض المنافق و أهل الكتاب في صف واحد، ذكر سبحانه صفة من صفات المنافقين، و أنهم كيف لا يؤثر فيهم الوعظ و الإرشاد وَ إِذا جاؤُكُمْ أي جاءكم المنافقون قالُوا آمَنَّا إيمانا كإيمانكم وَ لكنهم في دعواهم تلك كاذبون، إذ

(۱) البقرة: ۶۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۶۶۳

[سورة المائدة (۵): الآيات ۶۲ الى ۶۳]

وَ تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۶۲) لَوْ لا يَنْهاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الْأَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَصْنَعُونَ (۶۳)

قَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ أى بالكفر، كأن «الكفر» مادة يحملونها معهم فهم قد دخلوا بهذه المادة حينما دخلوا فى المجلس، ثم خرجوا بهذه المادة كما دخلوا، لم تؤثر فيهم الموعظة و البلاغ، حيث كانت قلوبهم مع إخوانهم الكافرين لا معكم حتى تؤثر فيهم الموعظة وَ اللَّهُ أَعْلَمُ منكم بِما كانُوا يَكْتُمُونَ أى يخفون من الكفر و النفاق.

[۶۳] ثم إن هؤلاء الكفار يجمعون مع كفرهم صفات أخرى ذميمة هى من مستلزمات الانحراف، أشار إليها بقوله تعالى: وَ تَرى يا رسول اللّه كَثِيراً مِنْهُمْ أى من هؤلاء الكفار و هم الرؤساء و ذووا الجاه و المنصب يُسارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ فيسابق بعضهم بعضا فى فعل الإثم و التعدى على الناس، إنهم حيث لم يؤمنوا بالله و كانت ديانتهم- المزعومة- صورية كان همّهم تحصيل أكثر ما يمكن من المال و الجاه، لذا يتسابق بعضهم بعضا فى ذلك، إن الإثم لا أهمية له فى نظرهم إذ لم يعمر قلوبهم الإيمان، و التعدى من شأن من يريد إعمار دنياه وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ كل مال حرام من رشوة و ربا و أكل أموال اليتامى و أكل أموال الناس بالباطل لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ فإن أعمالهم توجب خزى الدنيا و الآخرة.

[۶۴] و هنا يتوجه السياق إلى العلماء و المتدينون منهم، كيف يسكتون على هذه المنكرات البشعة التى ظهرت فى اليهود؟ و ما شأنهم إذا سكتوا عن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۶۶۴

[سورة المائدة (۵): آية ۶۴]

وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً وَ أَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (۶۴)

كل تلكم الجرائم لَوْ لا كلمة تحضيض بمعنى «هلّا» أى: لماذا لا يَنْهاهُمُ أى ينهى هؤلاء الذين يسارعون فى الإثم و العدوان الرَّبَّانِيُّونَ جمع «ربانى» و هو منسوب إلى الرب على غير القياس، أى الإلهيون الذين يتورعون من خوف اللّه سبحانه وَ الْأَحْبارُ جمع «حبر» بالفتح و الكسر، و هو العالم عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ و هو ما يقوله الإنسان بغير حق من كذب و غيبة و نميمة و تحريف و غيرها وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ من الربا و الرشوة و غيرهما، و «السحت» هو أشد أنواع الحرام لَبِئْسَ ما كانُوا أى كان هؤلاء الربانيون و الأحبار يَصْنَعُونَ فإن سكوتهم عن الباطل و مجاملتهم لأهله نوع من الصنع.

[۶۵] ثم بيّن سبحانه مثالا ل «قولهم الإثم» بقوله: وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ لا ينفق رزقا و لا يعطى شيئا، كأنهم قالوا ذلك تبريرا لبخلهم، فإن اللّه لو كان لا ينفق فأجدر بهم أن لا ينفقوا، و قيل: إن سبب نزول هذه الآية: أن اليهود كانوا من أكثر الناس مالا وسعة، فلما جاء الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كذبوه ضيق اللّه عليهم فقال أحد اليهود: إن يد اللّه مغلولة، فرد اللّه عليهم غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ دعاء عليهم بأن تغل أيديهم عن الخير، أو إخبار عنهم بأن اليهود بخلاء لؤماء، أى أنهم غلت أيديهم، لا اللّه سبحانه وَ لُعِنُوا بِما قالُوا لعنهم اللّه و طردهم عن رحمته بسبب هذه المقالة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۱، ص: ۶۶۵

بَلْ يَداهُ أى يدا اللّه سبحانه مَبْسُوطَتانِ كناية عن جوده و عطائه، و إنما جاء بذكر اليد للمقابلة، و ذكر «يداه» لإفادة تمام معنى الجود

يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ فليس فى تضييقه على اليهود دليل على أنه مغلول اليد بل إنما ينفق سبحانه كيف يشاء حسب الحكمة و المصلحة. ثم ذكر سبحانه أن نزول القرآن و فضحهم يزيد كثيرا من اليهود انحرافا وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ أى كثيرا من اليهود، و إنما لم يذكر كلهم لأن بعضهم لا يعنيه الأمر، و بعضهم يسبب القرآن هدايتهم ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً «ما» فاعل «يزيدن» و «كثيرا» مفعول مقدم أى طغيانهم و كفرهم يزداد بسبب القرآن، أما أن كفرهم يزداد فلأنه كلما أنكروا آية و حكما ازدادوا كفرا و سترا للحق و أما أن طغيانهم يزداد، فلأنهم يقاومون الدعوة أكثر فأكثر كلما رأوا تقدمها أكثر.

وَ أَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ أى بين اليهود الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ فإن طبيعتهم المتخمرة بحب الذات و اعتقاد أنهم شعب اللّه المختار و بخلهم فى الأموال، لا بد و أن توجد بينهم العداوة و الحزازة- ما داموا يهودا يعتقدون بهذه الاعتقادات السخيفة- فإن أسباب النزاع فى العالم يدور حول المنصب و المادة غالبا، و هذان كامنان فى كل يهودى، و قد دل التاريخ على صدق ذلك، فاليهود دائما متحاربون متباغضون، حتى فى فلسطين اليوم تقوم الأحزاب اليهودية و المنظمات

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۶۶

[سورة المائدة (۵): آية ۶۵]

وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَأَدْخَلْناهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (۶۵)

بأبشع أنواع العداوة و البغضاء فيما بينها و قد مر سابقا تفسير «إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ» و أنه كناية عن بقاء الحكم ما دام اليهود موجودين كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ أى كلما أرادوا محاربة المسلمين هزمهم اللّه و نصر المسلمين عليهم، و قد دل التاريخ على ذلك، فقد غلب النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على يهود بنى «قريضة» و «النضير» و «خيبر» و «فدك» و غيرهم مع كثرة عددهم و عددهم، و بعد ذلك لم يتمكن اليهود من محاربة المسلمين، حتى فى يومهم هذا فى فلسطين إنما يستندون إلى «حبل من الناس». ثم ما هى إلا فترة حتى تراها قد انقشعوا انقشاع الضباب وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً فهم المفسدون دائما، حيث يريدون العلو على الناس، و جمع الأموال، و من المعلوم أن ذلك لا يتهيأ لهم إلا بالفساد وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ أى يكرههم، لملازمة «كراهته» ل «عدم حبه»، فإن كل مصلح محبوب و كل مفسد مكروه.

[۶۶] وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا إيمانا بما أنزل اللّه و تقوى من معاصى اللّه لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ أى سترنا سيئاتهم الماضية، لأن الإسلام يجبّ ما قبله وَ لَأَدْخَلْناهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ أى التى فيها أنواع النعم و الكرامة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۶۷

[سورة المائدة (۵): الآيات ۶۶ الى ۶۷]

وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ (۶۶) يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (۶۷)

[۶۷] وَ لَوْ أَنَّهُمْ أى أهل الكتاب أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ أى عملوا بما فيهما بدون تحريف و زيادة و نقيصة وَ أقاموا ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ أى القرآن، و كونه منزلا إليهم باعتبار نزوله بين أوساطهم و فى زمانهم لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ أى السماء، فإنه سبحانه ينزل «السماء مدرارا» لمن آمن و اتقى وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ بإعطاء الأرض خيرها و بركتها، كما قال سبحانه: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ «۱»، مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ أى من هؤلاء «أهل الكتاب» جماعة معتدلون فى العمل لا غلو عندهم و لا تقصير، كما نجد أن كل أمة بعضهم معتدلون، و بعضهم متطرفون، أو المراد بهم: الذين آمنوا بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و إطلاق «منهم» على أولئك باعتبار الماضى وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ أى أن أكثرهم متطرفون يعملون الأعمال السيئة.

[۶۸] يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هذه الآية نزلت بمناسبة استخلاف الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليا خليفة من

بعده- كما أجمع عليه المفسرون- و قد كان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يخشى المنافقين من ذلك، فبين

(۱) الأعراف: ۹۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۶۸

[سورة المائدة (۵): آية ۶۸]

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (۶۸)

سبحانه عظم الأمر بقوله: وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ أى لم تبلغ خلافة على عليه السلام فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ لأن كل الرسالة رهن هذا التبليغ، و ذلك واضح إذ عدم الاستخلاف معناه ذهاب جميع الأتعاب سدى، و قد أمنه اللّه سبحانه مما كان يخشى منه فقال: وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ أى يحفظك مِنَ النَّاسِ فلا يتمكنون من الفتنة و الانقلاب و الإيذاء مما كان يخشاه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و حين ذاك،

و عند منصرف الرسول من حجة الوداع فى وسط الصحراء، أمر بنصب منبر له و خطب خطبة طويلة بليغة، ثم أخذ بكف على عليه السّلام و قال: «من كنت مولاه فهذا على مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله»

، و أنشد حسان:

يناديهم يوم الغدير نبيهمبخمّ و أسمع بالرسول مناديا

إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ الذين يكفرون ببلاغك، و معنى «لا يهديهم» أنه لا يلطف بهم اللطف الزائد بعد ما أعرضوا عن الحق عنادا و استكبارا، و لعل الارتباط بين الآية و طرفيها أنه كما أن الناس مأمورون بالقبول، فالرسول مأمور بالبلاغ، مع تلطيف جو الكلام، بتغيير الأسلوب فى وسط المطلب، تفنّنا فى البلاغ، و تنشيطا للأذهان، كما تقدم فى آيات أخرى مشابهة.

[۶۹] قُلْ يا رسول اللّه لأهل الكتاب:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۶۹

[سورة المائدة (۵): آية ۶۹]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصَّابِئُونَ وَ النَّصارى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۶۹)

يا أَهْلَ الْكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ من الدين الصحيح الذى ارتضاه اللّه لعباده حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ بالعمل بما فيهما بدون تحريف أو تحوير وَ تقيموا ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ يعنى القرآن، و قد سبق وجه قوله: أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ و أنه لجهة نزول القرآن فى أوساطهم وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً فعوض أن يهتدوا بالقرآن يزيدهم طغيانا حيث كلما رأوا القرآن صمموا على مقابلته و كفروا بكل ما ينزل منه، و لا يخفى أن نسبة الزيادة إلى القرآن مجازا، و إلا فهوى أنفسهم هو الذى يزيدهم كفرا فَلا تَأْسَ أى فلا تحزن يا رسول اللّه عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ الذين كفروا بعد ما علموا الحق، و أعرضوا عن الهدى بعد أن رأوه و عرفوه.

[۷۰] و حيث تقدم أن اللّه لا يهدى القوم الكافرين، مما كان يوهم أن الكفار غير قابلين للهداية، ذكر سبحانه أنهم إن آمنوا- الملازم لإمكان الإيمان منهم- كان لهم ما لغيرهم من المؤمنين من الأجر و المثوبة إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إيمانا ظاهرا بالشهادتين وَ الَّذِينَ هادُوا أى اليهود وَ الصَّابِئُونَ و هم قسم من المسيحيين أو غيرهم- كما تقدم فى سورة البقرة- و رفع «الصابئون» مع أنه عطف على المنصوب ب «إن» للإلفات إلى أن الصابئ الذى لا يرجى فيه خير إن آمن قبل، فكيف بغيره؟! فهو معطوف على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۷۰

[سورة المائدة (۵): آية ۷۰]

لَقَدْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَ فَرِيقاً يَقْتُلُونَ (۷۰)

محل اسم «إن» حيث كان مبتدأ قبل دخول الناسخ وَ النَّصارى ليس اعتبارا بأسمائهم و صبغتهم العامة في النجاة و الثواب، بل مَنْ آمَنَ منهم بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ إيمانا حقيقيا من القلب، لا يشوبه شرك و نحوه وَ عَمِلَ صالِحاً أي عمل عملا صالحا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ لا في الدنيا و لا في الآخرة، أما في الآخرة فواضح، و أما في الدنيا فلأن الخوف الحقيقي و الحزن الواقعي هو الذي لا يرجى دفعه و تداركه، بينما خوف هؤلاء و حزنهم ليس كذلك، فإن خوف المؤمن ليس كخوف الكافر، و كذلك بالنسبة إلى الحزن.

[۷۱] إن اليهود لم يكن لهم إيمان صادق من يومهم الأول، فكيف تأس عليهم يا رسول الله إن لم يؤمنوا بك؟! ف لَقَدْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ عهدهم الأكيد حول الإيمان بالله و أنبيائه و اتباع أوامره وَ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رُسُلًا يهدونهم إلى الحق، لكنهم نقضوا الميثاق و خالفوا الأوامر و تجرءوا على أبشع جريمة ف كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ و لا تميل إلى ما جاء به، بأن لم يكن يوافق مرادهم فَرِيقاً من الرسل كَذَّبُوا كالمسيح عليه السّلام، حيث نسبوهم إلى الكذب و أنهم ليسوا من قبل الله سبحانه وَ فَرِيقاً من الرسل يَقْتُلُونَ كزكريا عليه السّلام.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۷۱

[سورة المائدة (۵): الآيات ۷۱ الى ۷۲]

وَ حَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَ صَمُّوا ثُمَّ تابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ (۷۱) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَ قالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَ مَأْواهُ النَّارُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ (۷۲)

[۷۲] وَ حَسِبُوا أي ظن هؤلاء اليهود الذين كذبوا الأنبياء عليهم السّلام و قتلوهم أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ أي لا يسبب قتل الأنبياء عليهم السّلام و تكذيبهم فتنة، كما هو شأن كل من يقدم على جرم كبير يظن أن الأوضاع تبقى على ما يشتهي، منتهى الأمر أن ما صدر عن بعض شهواته يزول و يمحى عن الوجود مع أن الأمر بالعكس، فإن بقاء المجتمع سليما من الأخطار و الآفات إنما هو بانتهاج تعاليم الأنبياء، فإذا أزيح النبي عن القيادة و التوجيه إما بقتله أو تكذيبه، فإنه سوف تحل بالمجتمع أشد الكوارث، و تقع أعظم الفتن فَعَمُوا وَ صَمُّوا عن مناهج الرشد، بقتلهم الأنبياء و تكذيبهم، فإن الإنسان يبصر طريقه و يسمع الحق الذي ينفعه ما دام هناك نور يضيء، و مرشد يدعو، أما إذا أزال النور، و أزاح المرشد، فإنه يعمى عن طريقه حتى يقع في المهالك، و يصم عن الحق حتى تحلّ به الكوارث ثُمَّ تابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بإرسال أنبياء آخرين، و المراد «التوبة» على هذا الجنس لا خصوص من قتل منهم الأنبياء ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا أيضا عن الحق، بأن تركوا تعاليم الأنبياء و أخذوا يتيهون في الضلالة كَثِيرٌ مِنْهُمْ إذ بعضهم آمن و اهتدى، و لفظة «كثير» بدل «بعض» عن «كل» لا فاعل ثان وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ فيجازيهم على ما اقترفوا من الآثام و احتقبوا من الاجرام.

[۷۳] هكذا كان حال اليهود، حيث كفروا بعد أن أرشدهم الله الطريق، أما النصارى فإنهم كإخوانهم اليهود في العمى عن الحق بعد الرشاد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۷۲

[سورة المائدة (۵): آية ۷۳]

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا إِلهٌ واحِدٌ وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۷۳)

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ و هؤلاء قالوا: إن الله اتحد بالمسيح فصار شيئا واحدا، و لا يخفى أن الاتحاد غير معقول إذ لو بقي الشيئان اثنين بعد الاتحاد لم يكن اتحاد و إن عدم أحدهما، كان الله، بينما المسيح بنفسه اعترف بأنه عبد الله وَ

الحال أنه قالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ وحده رَبِّي وَ رَبَّكُمْ فإنا جميعا عبيده إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ و يجعل له شريكا، سواء اعترف به و بالشريك، أم اتخذ إلها غيره، فإنه أيضا من جعل الشريك لله فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ فلا يدخله فيها أبدا وَ مَأْواهُ أى مصيره النَّارُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم بالشرك مِنْ أَنْصارٍ ينصرونهم من بأس اللّه و عذابه.

[٧۴] و هناك قسم آخر من النصارى جعلوا الآلهة ثلاثة لَقَدْ كَفَرَ النصارى الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ أى أحد آلهة ثلاثة، و هم: «الأب» أى اللّه، و «الابن» أى المسيح، و «روح القدس»، قالوا: هذه الثلاثة واحد، و ذاك الواحد ثلاثة، و حين يسألون: كيف يمكن ذلك و هو تناقض؟ يقولون: إنه فوق مستوى عقولنا، و لا يلزمنا معرفة الكيفية.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۶٧٣

[سورة المائدة (۵): آية ٧۴]

أَ فَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَهُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧۴)

و هناك سؤال هو أنه ما الفرق بينكم أنتم المسلمون حيث تقولون بأن اللّه لا يدرك كنهه، و بين الذين قالوا إن مشكلة التوحيد و التثليث فوق مستوى عقولنا؟

و الجواب: إن الفرق من أوضح الواضحات، إذ أولئك يقولون بما لا يمكن و لا يعقل، و ما لا يدرك وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا إِلهٌ واحِدٌ أى ليس للكون إلا إله واحد هو اللّه سبحانه وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا أى لم يرجع هؤلاء النصارى القائلون بالتثليث عَمَّا يَقُولُونَ أى عن مقالتهم، و قولهم بالتثليث لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فى الدنيا و الآخرة، و إنما لم يقل «ليمسنهم» لإفادة أنهم بمقالتهم هذه يكونون كفارا، تأكيدا لما سبق من قوله: «لقد كفر» و هذا من أساليب البلاغة، يقال: «اترك هذا الأمر و إلا لسجنت الفاعل له» عوض أن يقول: «لسجنتك» لإفادة أن علة السجن هو الإتيان بذلك العمل.

[٧۵] ثم استفهم سبحانه استفهاما تعجبيا، و قد تقرأ فى الأصول أن أمثال هذه الاستفهامات و التعجبات إنما هى إنشاء مفهوم الاستفهام و التعجب و أمثالهما، لداعى آخر من ترغيب و إنكار و ما أشبه، فليس استفهامه و لا تعجبه عن جهل و تعجب كما هو عندنا أَ فَلا يَتُوبُونَ هؤلاء اليهود و المسيحيون إِلَى اللَّهِ و يرجعون عن عقائدهم السخيفة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۶٧۴

[سورة المائدة (۵): آية ٧۵]

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآياتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧۵)

و أقوالهم المفتعلة وَ يَسْتَغْفِرُونَهُ لما مضى من كفرهم و عصيانهم وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر لهم إن تابوا أو استغفروا، و يرحمهم بفضله إن رجعوا و آبوا.

[٧۶] و بعد ما ذكر سبحانه أقوال المسيحيين حول المسيح، بيّن تعالى واقع المسيح و أنه ليس كما زعموا مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ أى ليس المسيح عليه السّلام و ذكر «ابن مريم»، لنفى كونه ابن اللّه- فى العبادة- إِلَّا رَسُولٌ فليس هو بإله قَدْ خَلَتْ أى مضت و سبقت مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ فهو رسول كأحدهم، فكما ليس أولئك بآلهة، ليس هذا بإله وَ أُمُّهُ مريم عليها السّلام صِدِّيقَةٌ كانت كثيرة التصديق بالله و آياته، فليست هى إله كما زعم جماعة من المسيحيين فقالوا بالأب و الأم و الابن كانا المسيح و أمه يَأْكُلانِ الطَّعامَ و ذلك من صفات المخلوق لا الإله، إذ آكل الطعام محتاج إلى الطعام، و له جوف، و له أجزاء، و له حالات، و كل ذلك ينافى كونه إله انْظُرْ يا رسول اللّه كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ و نوضح لهؤلاء النصارى الْآياتِ الدالة على عدم كون المسيح إلها ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ أى كيف يصرفون عن الحق، يقال: «أفكه يأفكه إفكا» إذا صرفه، و «أنى» بمعنى «أين» أى أنهم أين يصرفون عن الحق الموضّح بالآيات؟!

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ۶٧۵

[سورة المائدة (٥): الآيات ٧٦ الى ٧٧]

قُلْ أَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً وَ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ (٧٧)

[٧٧] قُلْ يا رسول اللّه لهؤلاء النصارى الذين يعبدون المسيح و يجعلونه إلها أَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أى غير اللّه ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً فإن شيئا فى الوجود لا يملك ضر أحد و لا نفعه إلا بإذن اللّه، و من أضرّ أو نفع بالوسائل الطبيعية- كالقاتل و المعطى- أو بالوسائل الغيبية كالأنبياء و الأئمة، فإنما ذلك حيث جعل اللّه المسببات تابعة لأسبابها الخاصة، و سلط الفاعل على الأسباب، فهى ترجع أيضا إليه سبحانه وَ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لأقوالكم الْعَلِيمُ بضمائركم و حركاتكم، فاحذروا مخالفته، كى لا تقعوا فى عقوبته و نكاله.

[٧٨] قُلْ يا رسول اللّه: يا أَهْلَ الْكِتابِ إما عام يشمل اليهود و النصارى، فالمراد بغلو اليهود: قولهم عزيز ابن اللّه، و قولهم أن المسيح ليس نبيا، فإنه غلوّ معكوس، أو المراد به النصارى فقط لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ بأن تقولوا: المسيح هو اللّه، أو ثالث ثلاثة، أو إنه ابن اللّه غَيْرَ الْحَقِّ عطف بيان، إذ كل غلوّ هو غير الحق وَ لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ فإن أسلافكم لو ضلوا فى اعتقادهم و غلوا، فلما ذا تتبعونهم أنتم، إنهم كانوا من قبل و قد مضوا، فما بالكم أنتم تقتفون أثرهم الباطل وَ أَضَلُّوا كَثِيراً من الناس فأوقعوهم فى ضلال الكفر و الشرك وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٧٦

[سورة المائدة (٥): الآيات ٧٨ الى ٧٩]

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)

أى الجادة المستقيمة. و التكرار إنما هو لاختلاف المتعلق، فقد تعدّى أحدهما إلى «من قبل» و تعدى الآخر إلى «عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ» أو المراد ب «القوم» كبارهم الذين كانوا قبل النبى قائلين بألوهية عيسى، و أدركوا فلم يؤمنوا، فإنهم ضلوا من قبل بعثة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لقولهم بالتثليث، و ضلوا بعد بعثته لكفرهم به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

[٧٩] لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ فاللعنة عليهم من قديم الزمان حيث لم ينفكّوا يعملون القبائح و يكفرون بالأنبياء و ينسبون إلى اللّه ما لا يليق به عَلى لِسانِ داوُدَ النبى عليه السّلام فى الزبور وَ على لسان عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فى الإنجيل، فقد لعنهم داود عليه السّلام لما اعتدوا فى السبت فصاروا قردة، و لعنهم عيسى عليه السّلام لما كفروا بعد فصاروا خنازير ذلِكَ اللعن إنما استحقوه بِما عَصَوْا أى بسبب عصيانهم وَ كانُوا يَعْتَدُونَ أى يتجاوزون حدود اللّه سبحانه.

[٨٠] ثم بيّن سبحانه بعض عصيانهم و اعتدائهم بقوله: كانُوا أى كان بنو إسرائيل لا يَتَناهَوْنَ أى لا ينهى بعضهم بعضا عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ فقد تفشت فيهم المنكرات و لم يكن ينهاهم علماؤهم، فاستحق الجميع العقاب، أولئك بإتيان المنكر، و هؤلاء بسكوتهم عن فاعليه لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ من إتيان المنكر و عدم التناهى عنه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٦٧٧

[سورة المائدة (٥): الآيات ٨٠ الى ٨١]

تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ فِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ (٨٠) وَ لَوْ كانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِياءَ وَ لكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ (٨١)

[٨١] تَرى يا رسول اللّه أن تلك الطبيعة العاتية العاصية موجودة فيهم إلى الآن، فإن كَثِيراً مِنْهُمْ أى من بنى إسرائيل- اليهود- يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أى يتخذون الكفار أولياء لهم، فقد كان اليهود يتولون كفار مكة و يقولون: هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا «١»، فى حين يجب على المؤمن أن يعادى الكافر الذى لا يعترف بالله و قوانينه لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أى لهؤلاء اليهود أَنْفُسُهُمْ أى بئس ما قدموا

لمعادهم من الأعمال السيئة أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ محله الرفع ب «بئس» فهو كزيد فى قولك: «بئس رجلا زيد» أى بئس السخط الذى قدموه لأنفسهم وَ فِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ فالسخط يؤذى روحهم، كمن يعلم أن السلطان غاضب عليه، و النار تؤذى جسمهم كما قال سبحانه فى عكس ذلك: وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ «۲»، فإن أهل النار يعذبون عذابين، و أهل الجنة ينعمون نعيمين.

[۸۲] وَ لَوْ كانُوا أى هؤلاء اليهود يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ إيمانا صادقا وَ يؤمنون ب النَّبِيِ محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِ من القرآن الحكيم

---

(۱) النساء: ۵۲.

(۲) آل عمران: ۱۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۷۸

[سورة المائدة (۵): آية ۸۲]

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (۸۲)

مَا اتَّخَذُوهُمْ أى لم يتخذوا الكفار أَوْلِياءَ لهم، أو المراد: أنهم لو آمنوا بموسى و كتابه إيمانا صادقا، لم يتخذوا الكفار أولياء، إذ الإيمان بهما يمنع من ولاية الكافرين، فهم كاذبون فى دعواهم أنهم مؤمنون بموسى و كتابه وَ لكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ خارجون عن طاعة اللّه و رسوله و كتابه، فإنما يدعون الإيمان باللسان، و قلوبهم خالية من الإيمان.

[۸۳] ثم ذكر سبحانه فرقا بين اليهود و النصارى، و أن اليهود طبيعتهم العامة العناد و الاستكبار و العداوة، و أن النصارى ليسوا بتلك المثابة، إذ فيهم بعض المنصفين من العلماء، و ما أصدق قوله سبحانه، فإننا نرى ذلك إلى اليوم، فقد نجد كثيرا من المسيحيين يسلمون، و لا نجد إلا الشاذ النادر من اليهود يسلمون لَتَجِدَنَ يا رسول اللّه أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا أى للمسلمين الْيَهُودَ فإنهم من أعدى أعداء المسلمين وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أى المشركين، فإنهم فى صف اليهود- و بعدهم فى الرتبة- عداوة للمسلمين.

وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ أقرب الناس مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا أى حبّا للمؤمنين الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى فإنهم و إن كانوا نصارى بصرف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۱، ص: ۶۷۹

اللفظ قالُوا إِنَّا نَصارى «۱»، لا- أنهم على تعاليم المسيح و دينه حقيقة، لكنهم من أقرب الناس حبا للمسلمين ذلِكَ أى سبب كونهم أقرب بِأَنَّ مِنْهُمْ أى من النصارى قِسِّيسِينَ أى علماء من «القس» بمعنى نشر الحديث وَ رُهْباناً أى الزهاد أصحاب الصوامع من «رهب» بمعنى خاف وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ عن اتّباع الحق و الانقياد إليه إذا علموه. و بهذه الصفة خرج من لم يكن كذلك من النصارى، فإن القيد يخصّص المطلق.

---

(۱) المائدة: ۱۵.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ عليّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنَادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ١٣۴٠ الهجريّة الشمسيّة (=١٣٨٠ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لَم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ١٣٨۵ الهجريّة الشمسيّة (=١۴٢٧ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣۵٠۵٢۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨۵ الهجريّة الشمسيّة (=١۴٢٧ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويّة الوطنيّة: ١٠٨۶٠١۵٢٠٢۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - في حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.